

دَوْرُ الشَّيْخَةِ وَالتَّارِيخِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

مركز الهدى للدراسات

مؤسسة فكرية تنشط في ميدان البحث والمساهمة في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر؛ إيماناً منها بقدرة الإسلام ومدرسة أهل البيت عليه السلام على تقديم البديل الحضاري للإنسان، وتُعنى بالدراسات الفكرية والسياسية والتاريخية لحوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة؛ رغبة منها في ترسيخ الثوابت، والوقوف بوجه الفكر الدّخيل.

www.markazalhuda.net / info@markazalhuda.net

+964 7710558123





دُرُودُ الشَّيْخَةِ التَّارِيخِ

الجزء الأول

تأليف
سماعة السيد صدر الدين القبانجي

إعداد وتحقيق
السيد محمد الطالقاني





دور الشيعة في التاريخ

تأليف: السيد صدر الدين القبانجي، اعداد وتحقيق: السيد محمد الطالقاني

صاحب الامتياز: محمد صادق الهاشمي

الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية

المطبعة: الصنوبر للطباعة والتوزيع

رقم الاصدار: 111

سنة الطبع: 2020 م - 1441 هـ

قطع الورق: 24x17

تصميم الغلاف والإخراج الفني: أحمد الهاشمي

المحتويات

المحتويات	٥
تمهيد وإيضاح	٢٣
المقدمة	٢٧
الشيعية على لسان الرسول الأكرم ﷺ	٢٧
هذه البحوث	٢٧

الفصل الأول:

دور الشيعة في عصر رسول الله ﷺ

العمق التاريخي للشيعة	٣١
اسم الرافضة	٣٦
الشيعة في عصر النبي ﷺ	٣٨
مهمة الشيعة في زمن النبي ﷺ	٣٩
خطر الإسلام النفاقي	٤٠
حبّ عليّ عليه السلام هو علامة الإيمان	٤٣
الخطر الداخلي في زمن النبي ﷺ	٤٤
خَطَطُ النبي ﷺ في مواجهة الانحراف	٤٦
الخِطَّة الأولى	٤٦
الخِطَّة الثانية	٤٨
الخِطَّة الثالثة	٤٩

٥٠.....	رسول الله ﷺ يُمجد بعلي عليه السلام
٥٣.....	استخلاف أهل البيت عليه السلام
٥٤.....	قسيم الجنة والنار.....
٥٦.....	مشروع الاستخلاف ومشروع الالتفاف.....
٥٧.....	منافقات في زمن النبي ﷺ.....
٥٨.....	وفي داخل البيت النبوي.....
٦٠.....	الخطُ النفاقي يمارس الإيذاء لرسول الله ﷺ.....
٦١.....	مشاهد من إيذاء النبي ﷺ.....
٦١.....	١ - الرغبة في نكاح نساء النبي ﷺ.....
٦٣.....	٢ - الممانعة من دخول علي عليه السلام على النبي ﷺ.....
٦٤.....	٣ - إيذاء النبي ﷺ بالطعن في علي عليه السلام.....
٦٥.....	٤ - المنع من سنة النبي ﷺ.....
٦٧.....	هل تعرّض رسول الله ﷺ إلى محاولة اغتيال ؟.....
٦٨.....	الوصية لعلي عليه السلام.....
٧٠.....	رسول الله ﷺ يتفدى علياً.....
٧١.....	ادعولي حبيبي.....
٧٢.....	الإشادة بأصحاب علي عليه السلام.....
٧٢.....	جدلية خط الاستخلاف وخط الالتفاف.....
٧٣.....	إقدام أم انهزام ؟.....
٧٥.....	الطاعة أم العصيان ؟.....
٧٦.....	تصديق أم تشكيك ؟.....
٧٧.....	نموذج فتح مكة.....
٨١.....	الشيعة هم الشهداء.....
٨٣.....	تعيين القدوة الصالحة.....
٨٩.....	خلاصة الفصل الأول.....

الفصل الثاني :

دور الشيعة في عصر ما بعد رسول الله ﷺ

٩٤	السراقات الكبرى في التاريخ
٩٩	مهمّة الشيعة في هذه المرحلة
١٠١	الاتّجاهات الأربعة في مواجهة الانحراف
١٠١	الاتّجاه الأوّل
١٠٢	الاتّجاه الثاني
١٠٢	الاتّجاه الثالث
١٠٣	الاتّجاه الرابع
١٠٦	الزهراء (عليها السلام) تدافع عن التجربة
١٠٦	ثلاثة مشاريع انحرافية
١٠٧	المشروع الأوّل : تسطيح الوعي القرآني
١٠٨	قصة قدامة بن مظعون
١٠٩	قصة المرأة والدة
١١١	قصة الأسقف مع الخليفة الثاني
١١٣	المشروع الثاني : محو السنة الشريفة
١١٥	قصة صبيغ التميمي
١١٧	المشروع الثالث : تغيير السيرة النبويّة
١١٧	النموذج الأوّل : أذان الفجر
١١٨	النموذج الثاني : صلاة التراويح
١١٨	النموذج الثالث : الطلاق ثلاثاً
١١٩	النموذج الرابع
١٢٠	متعة الحجّ
١٢٠	ثلاث مهمّات على عاتق الشيعة
١٢٣	ما هو المشروع السياسي لدى الشيعة ؟

١٢٤	محنة الإمام علي عليه السلام
١٢٦	قصّة في حرب النهروان
١٢٧	قصّة جندب الأزدي
١٢٩	قصّة جامع براثا
١٣١	العلامات الهادية
١٣٢	علي بن أبي طالب عليه السلام
١٣٣	عمار بن ياسر
١٣٣	قصّة كلاب الحوآب
١٣٤	أويس القرني
١٣٥	اعتماد المعجزة
١٣٦	خلاصة الفصل الثاني

الفصل الثالث :

دور الشيعة على عهد الإمام الحسن عليه السلام

١٤١	مرحلة الانكماش السياسي
١٤١	امتصاص الغضب المتطرف
١٤٣	الاعداد للمستقبل
١٤٤	سياسة معاوية
١٤٤	أولاً: القتل اللامحدود
١٤٤	ثانياً: الاغراء بالمال والمناصب
١٤٥	ثالثاً: فن الخداع والاعلام الكاذب
١٤٧	تصفية الشيعة
١٤٨	قتل الاطفال
١٥٠	مهمتان للشيعة في هذه المرحلة
١٥٠	المهمة الاولى: المحافظة على الوجود

المهمة الثانية : التصحيح الفكري	١٥٠
استبسال الشيعة في الدفاع عن الولاية	١٥٢
شروط انتصار الامة	١٥٣
جهاد الامام الحسن (عليه السلام)	١٥٤
الخطاب الاعلامي للامام الحسن (عليه السلام)	١٥٥
التبشير بقيام القائم	١٥٦
منطلقات التحرك	١٥٨
منطلقات الامام الحسن (عليه السلام)	١٦٠
هل شكّل الامام الحسن (عليه السلام) حزباً سياسياً ؟	١٦١
الدفاع عن الاسلام	١٦٢
الحضور الثقافي للامام الحسن (عليه السلام)	١٦٢
الامام الحسن (عليه السلام) صالحاً أو هادئاً ؟	١٦٣
منهج واحد أم مناهج متعددة ؟	١٦٥
الحسن والحسين نموذجان لمنهج واحد	١٦٥
أولاً: التعريف بالحق	١٦٦
ثانياً: التحرك السياسي	١٦٧
ثالثاً: وحدة الهدف	١٦٨
رابعاً: وحدة الموقف	١٦٩
خامساً: التعبد بالغيب	١٦٩
الاتجاهات في مواجهة الانحراف	١٧٠
الاتجاه الاول : التبعية المطلقة	١٧٠
الاتجاه الثاني : الثورة المطلقة	١٧١
الاتجاه الثالث : المواجهة الواعية	١٧١
هل نجح معاوية في مشروع الإبادة ؟	١٧٢
علي (عليه السلام) في قصر معاوية	١٧٣

١٧٤	ضرار يصف علياً عند معاوية
١٧٥	سودة الهمدانية في قصر معاوية
١٧٦	قصة الزرقاء الهمدانية
١٧٨	المحافظة على القاعدة الشعبية
١٨٠	التمرد الأعمى
١٨٣	صعصعة بن صوحان والمواجهة الواعية

الفصل الرابع :

دور الشيعة على عهد الإمام الحسين عليه السلام

١٨٨	مرحلة ما قبل كربلاء
١٨٩	سياسة معاوية
١٨٩	الخطوة الاولى : الاقصاء السياسي لاهل البيت عليه السلام عن الحكم
١٨٩	الخطوة الثانية : الاقصاء الديني لاهل البيت عليه السلام
١٩٠	مشروع سب الإمام علي عليه السلام على المنابر
١٩١	عدم ذكر فضائل الامام علي عليه السلام
١٩١	وضع الاحاديث المكذوبة
١٩٣	شهادة حجر بن عدي وبطولاته
١٩٦	شهادة عمرو بن الحمق الخزاعي ^٥
١٩٩	الخطوة الثالثة : القراءة الاموية للدين
٢٠٠	مفردات القراءة الاموية للدين
٢٠١	نظريات جديدة
٢٠٢	نظرية المرجئة
٢٠٣	نظرية الجبرية
٢٠٤	نظرية الحكم الوراثي
٢٠٤	الخطوة الاولى

الخطوة الثانية	٢٠٤
الخطوة الثالثة	٢٠٤
مواقف بطولية أمام التحريف الفكري والسياسي	٢٠٥
شهداء قبل كربلاء	٢٠٩
ميثم التمار نموذجاً	٢١٠
رشيد الهجري نموذجاً	٢١١
الامام الحسين عليه السلام يندد بسياسة معاوية	٢١٤
الامام الحسين عليه السلام في مواجهة الحكم الوراثي	٢١٧
عزم الحسين عليه السلام على الهجرة	٢١٨
نظريتان في تفسير الثورة الحسينية	٢١٨
أولاً: نظرية احتمال النصر	٢١٨
ثانياً: نظرية التكليف الغيبي	٢٢٠

الفصل الخامس :

دور الشيعة على عهد الإمام السجاد عليه السلام

مرحلة الوعي الثوري	٢٢٤
سياسة الاستعباد	٢٢٤
الحصار الاقتصادي على الشيعة	٢٢٥
التأكيد على الامامة الشرعية	٢٢٨
التأكيد على موقع الامامة	٢٣٠
البطولات الادبية تدافع عن الامامة	٢٣١
حوار لمعرفة الامام	٢٣٣
التعريف بالحقيقة	٢٣٥
قصة يحيى بن ام طويل	٢٣٦
الثورات الشيعة على عهد الامام السجاد عليه السلام	٢٣٨

٢٣٨	(١) ثورة سليمان بن صرد
٢٣٩	(٢) ثورة المختار الثقفي
٢٤٠	تنامي الوعي الثوري
٢٤١	ثورة أهل المدينة
٢٤١	ثورة عبد الله بن الزبير
٢٤٢	تفكك البيت الاموي
٢٤٣	انتشار التشيع في العراق
٢٤٤	لماذا اهل العراق ؟
٢٤٦	ملاحقة الحجاج الثقفي للشيعة
٢٤٨	سعيد بن جبير نموذجاً
٢٤٩	نموذج اخر لبطولات الشيعة
٢٥٠	الحجاج يكتب بقتل الامام السجاد عليه السلام
٢٥٠	الدفاع عن الاسلام
٢٥٠	اولاً: بناء الكعبة
٢٥٢	ثانياً: مع ملك الروم
٢٥٣	الانهيار الثقافي في
٢٥٣	كيف اصبحت ؟
٢٥٤	الاجتماع الاسبوعي للشيعة
٢٥٤	خطر انحراف العلماء
٢٥٥	هل سعى الشيعة لتسلم السلطة
٢٥٥	النظرية الاولى
٢٥٦	اما النظرية الثانية
٢٥٦	المرحلة الاولى
٢٥٧	المرحلة الثانية
٢٥٨	المرحلة الثالثة

الفصل السادس :

دور الشيعة على عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام

صمود أبطال الشيعة في حفظ الشريعة	٢٦٥
شيعة العراق	٢٦٧
ظاهرة انحراف الامة	٢٧٠
إرهاصات سقوط الحكم الأموي	٢٧١
الامام الصادق عليه السلام وتأسيسه أول حوزة علمية	٢٧٢
التثقيف على الزيارة	٢٧٣
الشيعة في زمن الامام الباقر عليه السلام	٢٧٥
محمد بن مسلم	٢٧٥
محمد بن ابي عمير	٢٧٦
زرارة بن اعين	٢٧٧
التقية والحفاظ على الفكر الشيعي الاصيل	٢٧٨
مبدأ التقية	٢٧٨
مذاهب شتى	٢٨٠
سياسة التعايش السلمي	٢٨١
قصة حريز بن عبد الله الأزدي	٢٨١
براعة الشيعة في الحوار	٢٨٣
الاخلاص لاهل البيت عليهم السلام	٢٨٥
انحراف الامة عن أهل البيت عليهم السلام	٢٨٦
ابو حنيفة والامام الصادق عليه السلام	٢٨٧
صناعة الارادة وبراعة الحوار	٢٨٨
تنامي الوعي الثوري	٢٩٠
ثورة زيد بن علي عليه السلام	٢٩٠
ثورة محمد و ابراهيم النفس الزكية	٢٩١
شرعية الخط الثوري	٢٩٤

٢٩٥.....	حركة ابراهيم الغمر
٢٩٥.....	بناء المدرسة الفكرية
٢٩٧.....	انواع الملاحقات
٢٩٧.....	الملاحقة الاولى
٢٩٧.....	الملاحقة الثانية
٢٩٨.....	بناء الشيعة في الاسطوانات
٣٠٠.....	خطة السلطة العباسية
٣٠١.....	لماذا سمي الشيعة رافضة
٣٠٣.....	كيف نفهم اهل البيت عليه السلام
٣٠٣.....	النظرية الاولى : نظرية التفوق العلمي
٣٠٣.....	النظرية الثانية : نظرية الاصطفاء الالهي
٣٠٤.....	النظرية الثالثة : الغلو
٣٠٤.....	الفرق بين النظرية الاولى والثانية
٣٠٦.....	الاعمش وابو حنيفة
٣٠٧.....	قصة كثير النوى
٣٠٩.....	المنصور والجاسوس

الفصل السابع :

دور الشيعة على عهد الإمامين الكاظم والرضا عليه السلام

٣١٣.....	تمهيد
٣١٣.....	المهمة الاولى / صناعة الفقهاء
٣١٤.....	علي بن يقطين
٣١٥.....	الحسن الانباري
٣١٥.....	قصة صفوان الجمال
٣١٦.....	المهمة الثانية / المقاومة السلبية
٣١٧.....	الموقف من الاتجاه الثوري

ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن عليه السلام	٣١٩
ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام	٣١٩
دماء الشيعة في عهد الرشيد	٣٢٠
قصة حميد بن قحطبة	٣٢٠
الشيعة والشعوبية	٣٢٣
مصادر القوة عند الشيعة	٣٢٤
المصدر الاول : البعد العالمي والنزعة الانسانية	٣٢٤
المصدر الثاني : الحوار العلمي	٣٢٥
المصدر الثالث : رفض العنف	٣٢٥
المصدر الرابع : القيادة الدينية	٣٢٦
المصدر الخامس : القضية الحسينية والشعائر الحسينية	٣٢٧
الامتداد الجماهيري وقلق السلطة	٣٢٧
قصة شعيب العفرقوفي	٣٢٨
المهمة الثالثة: حماية الشيعة	٣٣٠
١- قصة مع الامام الرضا عليه السلام	٣٣٠
٢- قصة الامام الكاظم عليه السلام	٣٣١
استلام حكم أم اعداد للقائم ٩	٣٣٢
توقعات الظهور	٣٣٤
شروط ظهور الامام المهدي عليه السلام	٣٣٤
واقعة فخ وبطولات الشيعة	٣٣٥
هاجس الثورة	٣٣٦
نماذج بطولية :	٣٣٩
دعبل الخزاعي	٣٣٩
الشاعر ابو نؤاس	٣٣٩
زكريا بن ادم	٣٤٠
دور الفقهاء في زمن الامام الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام	٣٤٠

٣٤١	محمد بن أبي عمير
٣٤٣	يونس بن عبد الرحمن
٣٤٥	المتكلم الشيعي هشام بن الحكم
٣٤٦	يتظاهرون بالجنون خوفاً من السلطان
٣٥٠	العلاقة المتبادلة بين الشيعة وأئمتهم عليهم السلام
٣٥٠	١- العلاقة في عالم التكوين
٣٥١	٢- العلاقة العلمية
٣٥٢	العلامة الشهيد السيد حسن القبانجي
٣٥٣	٣- علاقة الحب المتبادل
٣٥٤	دعبل الخزاعي نموذجاً
٣٥٥	٤- العلاقة المتبادلة في الدعاء
٣٥٥	رسالة الامام المهدي عليه السلام للشيخ المفيد
٣٥٦	٥- الزيارة المتبادلة
٣٥٦	٦- العلاقة الادبية المتبادلة
٣٥٧	الشاعر سليمان بن قتته
٣٥٧	دعبل الخزاعي
٣٥٨	٧- علاقة البلاء المتبادل

الفصل الثامن :

دور الشيعة على عهد الأمام (الجواد) و (الهادي) و (العسكري) عليهم السلام

٣٦٣	مرحلة تصفير الامل الشيعي
٣٦٤	اجتماع فقهاء الشيعة
٣٦٦	مهمة المحافظة على الوجود
٣٦٦	تمسك الشيعة بأهل البيت عليهم السلام
٣٦٨	الرجوع الى الفقهاء
٣٦٨	تأمر الحكم العباسي على الامام عليه السلام

التضييق الاقتصادي	٣٦٩
فلسفة العمر الصغير.....	٣٧١
الجواب الاول	٣٧١
الجواب الثاني	٣٧١
يقبل يد الامام	٣٧٢
الصمت والصبر.....	٣٧٣
قصة ابن السكيت	٣٧٤
مهمة صيانة الرأي العام	٣٧٥
قصة زينب الكذابة	٣٧٧
الدفاع عن الاسلام.....	٣٧٩
ثلاث ظواهر.....	٣٨١
الظاهرة الاولى : الامامة المبكرة أو (أزمة العمر)	٣٨١
الفرض الاول	٣٨٣
الفرض الثاني.....	٣٨٤
الفرض الثالث	٣٨٥
الفرض الرابع.....	٣٨٦
الظاهرة الثانية : انتشار التشيع	٣٨٧
عناصر القوة والجذب	٣٨٨
اولا/ العلم اللامحدود	٣٨٨
ثانياً/ الكرامات العجيبة للائمة الاطهار (عليه السلام)	٣٨٩
قصة الجاثليق	٣٩٠
ثالثاً: قدسية أهل البيت (عليهم السلام)	٣٩٢
رابعا/ الانتساب لرسول الله ﷺ	٣٩٣
الظاهرة الثالثة : الانقسامات الداخلية	٣٩٤
١/ قصة موسى بن محمد الجواد (عليه السلام)	٣٩٤
٢/ قصة عبد الله بن موسى مع الامام الجواد (عليه السلام)	٣٩٦

٣٩٦	٣/ قصة جعفر بن علي الهادي عليه السلام
٣٩٩	مذهب الواقعة
٤٠١	انشقاقا داخل البيت الشيعي
٤٠٢	الاسباب التاريخية
٤٠٥	التفسير الديني للظاهرة
٤٠٦	كيف حافظ الشيعة على المذهب ؟ !
٤٠٧	عناصر النصر العظيم
٤٠٧	١/ التقوى والعبادة
٤٠٧	عبد الرحمن يدعو لآخوانه
٤٠٨	يونس لا يبيع دينه
٤٠٨	ثلاثة كل منهم يصلي واحد وخمسين
٤٠٩	تحت السياط ولا يقبل القضاء
٤١٠	لا يقبل بيع الدار
٤١٠	يسجد من الفجر حتى الزوال
٤١١	الطيريقع من ظهره
٤١١	٢/ العلم والاهتمام بتدوين الحديث
٤١٢	أبان بن تغلب له ثلاثين ألف حديث
٤١٢	زارة بن أعين
٤١٢	يونس ونشر الفقه
٤١٣	يونس يطوف على اخوانه ثم يجلس للكتاب
٤١٣	يطلبون تدوين الحديث
٤١٤	الحسن بن محبوب يعطيه ابوه درهماً
٤١٥	الفضل بن شاذان له ١٨٠ كتاباً
٤١٥	محمد بن ابي عمير له ٩٤ كتاب
٤١٦	الحسين بن سعيد الف ٣٠ كتاباً واخوه ٥٠ كتاباً

صفوان يعرض عقيدته	٤١٧
يونس يعرض كتابه على العسكري	٤١٨
عبد العظيم يعرض دينه	٤١٩
٢ / التضحية من اجل بناء المذهب	٤٢٠
نموذج هشام بن الحكم	٤٢٠
نموذج محمد بن ابي عمير	٤٢٠
قصة دعل الخزاعي	٤٢٢
عوامل انتصار المذهب	٤٢٣
٤ / الوعي والرصد المعرفي	٤٢٥
قصة الشاب الغفاري	٤٢٦
قصة أبو الاديان	٤٢٧
الموقف تجاه الفتنة الطائفية	٤٢٩
قضية لعن الاعداء	٤٣٠
الفقهاء هم الدليل	٤٣٣
نظرية البدء عند الشيعة	٤٣٣
مواجهة الخطوط الانحرافية	٤٣٨
قصة العلاج	٤٣٨
نصرة الائمة عليه السلام	٤٣٩
التماسك الداخلي	٤٤١
مهمة (الاعداد لمرحلة الغيبة)	٤٤٢
تخطيط الهي أم تخطيط بشري ؟	٤٤٣
غيبة الامام عليه السلام تخطيط الهي	٤٤٤
الموقف تجاه الثورة المسلحة	٤٤٥
اولا / موقف الامام الكاظم عليه السلام وهو ينهى يحيى عن الثورة	٤٤٥
ثانيا : موقف الامام الكاظم عليه السلام من ثورة الحسين بن علي صاحب فخ	٤٤٦

ثالثاً / موقف الامام الرضا عليه السلام من ثورة محمد بن جعفر ٤٤٧

رابعاً : موقف الامام الرضا عليه السلام من ثورة زيد ٤٤٨

الفصل التاسع :

دور الشيعة في فترة الغيبة الصغرى

سياسة الحكم العباسي ٤٥٢

السفراء الاربعة ٤٥٣

الملاحقة العباسية ٤٥٥

التقية المكثفة ٤٥٥

مهمة الشيعة ٤٥٨

كثرة الاختلاف ٤٥٨

الزعامة السياسية والمرجعية الفقهية ٤٥٨

دول الشيعة في فترة الغيبة الصغرى ٤٦٠

١- دولة الادارسة ٤٦٠

٢- الدولة العلوية ٤٦١

٣- الدولة البويهية ٤٦٢

٤- الدولة الحمدانية ٤٦٢

٥- الدولة الفاطمية ٤٦٣

اقلام غير منصفة ٤٦٣

لماذا سقطت دول الشيعة ٤٦٤

العامل الخارجي ٤٦٥

العامل الداخلي ٤٦٥

اتجاهان للشيعة ٤٦٦

١- البناء السياسي ٤٦٦

٢- البناء الفكري والاجتماعي ٤٦٧

٤٦٧	الدعاء في زمن الغيبة
٤٦٨	رأي أهل البيت عليهم السلام في الاتجاهين
٤٧٠	المحافظة على سرية العلاقة
٤٧٢	فضح المرجعيات الكاذبة
٤٧٢	(١) (الشريعي)
٤٧٣	(٢) (محمد بن نصير النعميري)
٤٧٣	(٣) (أحمد بن هلال الكرخي)
٤٧٤	(٤) أبوطاهر محمد بن علي بن بلال
٤٧٤	(٥) الحسين بن منصور الحلاج
٤٧٦	(٦) ابن أبي العزاقر الشلمغاني
٤٧٨	حكمة النواب الاربعة
٤٧٨	معرفة الامام عليه السلام والارتباط به
٤٨١	المحافظة على وجود الامام عليه السلام
٤٨١	جهود الفقهاء في حفظ التراث الفقهي
٤٨٢	قصة ممثل الفاتيكان
٤٨٤	واجبات الشيعة في زمن الغيبة
٤٨٦	الواجب الاول / اتباع المرجعية الدينية
٤٨٧	الواجب الثاني / اتباع المرجعية السياسية
٤٨٧	ماذا أنجز الشيعة في هذه الفترة ؟
٤٨٨	المنجز الاول : سلب الشرعية عن الحكم العباسي
٤٨٨	المنجز الثاني : ترسيخ الثقافة المهدوية
٤٩٠	المنجز الثالث : المحافظة على نقاء الفكر الاسلامي
٤٩٤	منهجان فكريان
٤٩٥	لماذا لم يظهر صاحب الزمان عليه السلام ؟
٤٩٨	رسائل الشيخ المفيد

الرسالة الاولى.....	٤٩٨
الرسالة الثانية.....	٥٠٠
مداليل الرسالة الثانية.....	٥٠١
نماذج من تواقيع الامام علي عليه السلام.....	٥٠١
اين الامام من المهام الاخرى.....	٥٠٤
هناك عدة اجابات	٥٠٤
ما هو دور الامام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى ؟	٥٠٥
روايات الدور الكوني.....	٥٠٨
خلاصة هذا الفصل.....	٥٠٩
الخاتمة	٥١٢
مصادر التحقيق	٥١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد وإيضاح :

والحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

وبعد . . .

هذا الكتاب هو الجزء الأول من موسوعة (دور الشيعة في التاريخ) والذي يتضمن استعراضاً لدور الشيعة على عهد رسول الله ﷺ ثم مابعده على عهد الامام علي عليه السلام ، وعلى عهد الامام الحسن عليه السلام ثم الامام الحسين عليه السلام ثم الامام السجاد عليه السلام ثم الامام الباقر والصادق عليهما السلام ، ثم الامام الكاظم والامام الرضا عليهما السلام ، ثم الامام الجواد عليه السلام ، والامام الهادي عليه السلام ، والامام العسكري عليه السلام ، ثم على عهد الغيبة الصغرى للامام المهدي المنتظر عليه السلام ، ولغاية عام ٣٢٨ للهجرة حيث بدأت الغيبة الكبرى له عليه السلام .

*** **

والكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات كنا قد قيناها في النجف الاشرف في ليالي محرم الحرام للعام ١٤٣٤ و١٤٣٥ و١٤٣٦ و١٤٣٧ و١٤٣٨ و١٤٣٩ و١٤٤٠ للهجرة النبوية الشريفة ، ثم لعدة ليالي من شهر رمضان المبارك من عام ١٤٤٠ هجرية ، وقد قمنا بمراجعتها واعادة صياغتها بما يتناسب مع طبيعة الكتاب ، وربما مع حذف بعض المقاطع التي كانت تفرضها طبيعة المحاضرة واسلوبها الخطابي واحياناً اضافة مقاطع اخرى استكمالاً للفكرة المطروحة فيها .

*** **

قد يلاحظ القارئ ان هذا الكتاب ربما يتسم بالبساطة في تناول الافكار وسرد القصص التاريخية ، وربما الخروج عن محور البحث الى هوامش أخرى .
نعم ، كل ذلك كانت تفرضه طبيعة الاجواء التي القيت فيها هذه المحاضرات ومراعاة لما يقتضيه المنهج الخطابي .

*** **

وقد كنا نختتم هذه المحاضرات بذكر شهادة الامام الحسين عليه السلام وتناول مشهد من مشاهد مأساة كربلاء وما جرى فيها ، حيث كانت هذه المحاضرات تلقى في أجواء محرم الحرام حيث يخيم الحزن على شيعة أهل البيت عليه السلام وحيث وصية الأئمة الأطهار عليهم السلام بعقد المجالس الحسينية والتذكير بمصيبة الامام الحسين عليه السلام ، الا اننا اضطررنا الى حذف كل ذلك حينما أعددنا هذه المحاضرات لتكون على شكل كتاب كما هو بين يديك .

*** **

ولابد لي في ختام هذا التقديم ان ارفع آيات الشكر والتقدير لآخينا الكريم سماحة السيد محمد الطالقاني للجهود الكبيرة التي بذلها في اعداد وتنقيح وتحقيق هذه المحاضرات واخراجها بالشكل الذي عليه الآن ، وانا اعتقد أنه لولا تلك الجهود الحثيثة لما امكن لهذه المحاضرات ان ترى النور وتدخل عالم الكتاب .

كما اشكر اولادنا الاعزاء في مكتبة الاعلامي على تسجيلهم هذه المحاضرات وحفظها واخص بالذكر ولدنا العزيز مسلم الحلفي وولدنا العزيز زمن العابدي .

*** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الشيعية على لسان الرسول الأكرم ﷺ :

روى الصدوق رحمه الله في كتابه (الامالي) عن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين عليه السلام ، قال : قال سلمان الفارسي رحمه الله : (١) : كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له رسول الله ﷺ : « يا علي ، ألا أبشرك ؟ » ، قال : « بلى ، يا رسول الله » ، قال : « هذا حبيبي جبرئيل يُخبرني عن الله ﷻ أنه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال : الرفق عند الموت ، والأنس عند الوحشة ، والنور عند الظلمة ، والأمن عند الفزع ، والقسط عند الميزان ، والجواز على الصراط ، ودخول الجنة قبل سائر الأمم بثمانين عاماً » (٢) .

هذه الخصال التي قرأناها في أول البحث هي سبع عطاءات إلهية للشيعية جزاءً لدورهم العظيم في حفظ الدين الإلهي .

هذه البحوث :

وبحثنا في فصول هذا الكتاب دور الشيعية في التاريخ ، والمحن التي تعرّضوا

(١) سلمان الفارسي : وُلِدَ في أصبهان من بلاد الفرس في قرية تُسمَّى (جي) ، وكان أبوه دهقان (الرئيس الديني) لتلك القرية ، وهو الصحابي الجليل الذي قال عنه ﷺ : « سلمان مثلاً أهل البيت » ، هو سلمان الخير الذي ضحَّى بآله ووقع في الأسر وأصبح عبداً مملوكاً وظلَّ يبحث عن الدين الحقَّ حتَّى هداه الله إلى الإسلام . (الموسوعة الإلكترونية) .

(٢) أمالي الصدوق : ٤١٦ و ٤١٧ / ح (١٥ / ٥٤٨) .

لها ، وابتلاءاتهم منذ زمن رسول الله ﷺ وإلى عصرنا الحاضر .

ماذا فعل الشيعة ؟ ما هو دورهم ؟ ما هي تجاربهم ؟ ما هي محنهم ؟

وسوف نتاول ذلك في عدة فصول :

الفصل الأول : دور الشيعة في عصر رسول الله ﷺ .

الفصل الثاني : دور الشيعة في عصر ما بعد رسول الله ﷺ .

الفصل الثالث : دور الشيعة في عصر الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام .

الفصل الرابع : دور الشيعة في عصر ما بعد الإمام الحسين عليه السلام .

الفصل الخامس : دور الشيعة في عصر الغيبة الصغرى .

الفصل السادس : دور الشيعة في عصر الغيبة الكبرى .

*** **

الفصل الأول

دور الشيعة

في عصر رسول الله ﷺ

العمق التاريخي للشيعة :

الشيعة اليوم يُمثّلون أُمَّةً ناهضة ، لها عمق تاريخي ولها امتداد عالمي ، فهم يزيدون اليوم على (٢٥٠ مليون نسمة) ، فهم ليسوا مجموعة صغيرة يعيشون على بقعة صغيرة من بقاع العالم .

إنَّ نسبة المسلمين في العالم اليوم تزيد على مليار ونصف ، والشيعة يُمثّلون خمس هذه المجموعة ، وهم يقطنون مناطق واسعة وعديدة في العالم ، بدءاً من العراق وإيران حيث يُمثّلون الأغلبية العظمى من سكّان هذين البلدين إلى أن نصل إلى الباكستان حيث يوجد (٥٠) مليون شيوعي ، وتركيا حيث يوجد (٢٥) مليون علوي شيوعي ، بالرغم من أنَّهم غير مَطلَّعين كثيراً على فكر الشيعة وفقههم بسبب السياسات الحاكمة إلا أنَّهم يفترضون أنفسهم أتباع عليّ وفاطمة والأئمّة الأطهار عليهم السلام من ذريّتها .

وفي البحرين كما هو في كلّ دول الخليج نسبة كبيرة من السكّان هم من الشيعة ، وفي الهند حيث يقطن الشيعة الإسماعيلية (البهرة)^(١) ، ومناطق

(١) الإسماعيلية : إحدى فرّق الشيعة ، والإسماعيلية يوافقون الإماميّة الاثني عشرية في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، ثمّ يعدلون بها عن الإمام موسى الكاظم إلى أخيه إسماعيل ، ثمّ إلى ابنه محمّد ، ثمّ إلى ابنه جعفر ، ثمّ إلى ابنه محمّد الملقّب بالحبيب ، ثمّ إلى عبيد الله الملقّب بالمهدي أوّل خلفاء الفاطميين ، ثمّ إلى ابنه العزيز ، ثمّ ابنه الظاهر ، إلى ابنه المستنصر بالله أبي تميم خامس خلفائهم بمصر ، وهنا يفترق الإسماعيلية إلى فرقتين : إحداها تقول : إنّ الإمامة انتقلت من

أُخرى في العالم .

الشيعة في العالم اليوم يُمثّلون امتداداً بشرياً كبيراً ، وليسوا أمة في هامش التاريخ . الشيعة اليوم يُمثّلون الرقم الصعب الذي لا يمكن تجاوزه أبداً . فقد حاولت كلُّ السياسات والأمم والحكومات الجائرة أن تتجاوز هذا الرقم فلم يستطيعوا حيث فرض الشيعة أنفسهم على التاريخ .

على طول التاريخ نرى أنّ الشيعة قاموا بتأسيس دول ونظم سياسية حكمت لفترات طويلة كالدولة الفاطمية في مصر والتي حكمت من (٢٠٠) إلى (٣٠٠) سنة ، والتحوّل الذي تشهده مصر اليوم نحو مذهب أهل البيت (عليه السلام) راجع إلى تلك الجذور الأولى التي أسّستها هذه الدولة الفاطمية^(١) ، وجامع الأزهر^(٢) الذي سُمّي بالأزهر هو نسبة إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وشيعة مصرهم الذين أسّسوه .

المستنصر إلى ابنه المستعلي ، وأُخرى تقول : إنّها انتقلت إلى ابنه نزار . (راجع : الشيعة في الميزان لمحمّد جواد مغنية : ١٤٩ - ١٦٣) .

(١) الفاطمية : أسرة حكمت في التاريخ ما يقرب من ثلاثة قرون ، (٢٩٨ - ٥٦٧ هـ / ٩١١ - ١١٧١ م) . نشأت في شمال أفريقيا وامتدّ حكمها إلى مصر وبعض بلاد الشام ، ينتسب هؤلاء إلى جدّهم الملقّب بالمهدي ، أوّل خلفائهم ببلاد المغرب ، وهو عبيد الله بن محمّد بن جعفر بن محمّد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق . وهم من فرقة الإسماعيلية ، إحدى فرق الشيعة . (راجع : الشيعة في الميزان لمحمّد جواد مغنية : ١٤٩ - ١٦٣) .

(٢) هو من أهمّ المساجد في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي ، وهو جامع وجامعة منذ أكثر من ألف سنة ، وقد أنشئ على يد جوهر الصقلي عندما تمّ فتح القاهرة (٩٧٠ م) ، بأمر من المعزّ لدين الله أوّل الخلفاء الفاطميين بمصر ، وبعدها أسّس مدينة القاهرة شرع في إنشاء الجامع الأزهر ، ووضع الخليفة المعزّ لدين الله حجر أساس الجامع الأزهر في (١٤) رمضان سنة (٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م) ، وأتمّ بناء المسجد في شهر رمضان سنة (٣٦١ هـ / ٩٧٢ م) ، فهو بذلك أوّل جامع أنشئ في مدينة القاهرة المدينة التي اكتسبت لقب مدينة الألف مئذنة ، وهو أقدم أثر فاطمي قائم بمصر . وقد اختلف المؤرّخون في أصل تسمية هذا الجامع ، والراجح أنّ الفاطميين سمّوه بالأزهر تيمناً بفاطمة الزهراء ابنة النبي محمّد . (راجع : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ٢ : ٢٥١) .

وفي بلاد الأندلس أسّس الشيعة دولة الأدارسة^(١) ، وفي العراق أسّس الشيعة حكومة آل بويه^(٢) .

كما أنّ الشيعة في العالم وعبر التاريخ قادوا ثورات سياسية ، كما لديهم زعامات فلسفية مثل صدر المتألهين^(٣) ، والعلامة الطباطبائي^(٤) ، والشهيد

(١) الأدارسة أوّل دولة إسلاميّة مستقلّة بالمغرب (٧٨٨ - ٩٧٤ م) ، كان مقرّهم الأوّل مدينة ويلي (٧٨٨ - ٨٠٧ م) ، ومن ثمّ فاس منذ (٨٠٧ م) ، مؤسس السلالة هو إدريس بن عبد الله الكامل (٧٨٨ - ٧٩٣ م) ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمّد بن عبد الله ، نجا بنفسه من المذبحة الرهيبة التي ارتكها الجيش العبّاسي في موقعة فتح في مكّة المكرمة ، والتي أقامها العبّاسيون للعلويين سنة (٧٨٦ م) ، وتوفّي كثير من آل البيت فيها . فرّ إلى ويلي بالمغرب ، تمّت مباعيته قائداً وأميراً وإماماً من طرف قبائل الأمازيغ في المنطقة ، وسّع حدود مملكته حتّى بلغ تلمسان (٧٨٩ م) ، ثمّ بدأ في بناء فاس . قام الخليفة العبّاسي هارون الرشيد بتدبير اغتياله سنة (٧٩٣ م) . لإدريس الأوّل (مولاي إدريس في المغرب) مكانة كبيرة بين المغريين ، ويُعتبّر ضريحه بالقرب من ويلي بزرهون (أو مولاي إدريس زرهون اليوم) مزاراً مشهوراً . (المحقّق) .

(٢) قامت الدولة البويهية الشيعية في الجزء الغربي من إيران وفي العراق ، وأسّستها أسرة بني بويه . وأشهر رجال أسرة بني بويه الحاكم ثلاثة هم : علي والحسن وأحمد أبناء بويه . وتعود أصول هذه الأسرة إلى الفرس ، وكان والدهم (بويه) يتعيّش من صيد الأسماك . وكان علوّ شأنها على يد الأخ الأكبر علي بن بويه ، فقد ولّاه مرداويج الزباري بلاد الكرج ، فاستطاع بفضل مقرّته العسكرية والإدارية وحسن معاملته لأتباعه من بناء جيش قويّ انتزع به معظم بلاد فارس في خلال فترة قصيرة ، واتّخذ مدينة شيراز قاعدة لحكمه . وبعد مقتل مرداويج سيطر البويهيون على أصفهان والري وهمذان والكرج وكرمان والأهواز . لقد كان أهل بغداد قبل الدولة البويهية على مذهب أهل السنّة والجماعة ، فلمّا جاءت هذه الدولة - وهي متشيعة غالبية - نما مذهب الشيعة ببغداد . (راجع : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦ : ٢٣٤ و ٢٣٥ ؛ تاريخ الدولة العبّاسية للدكتور طغوش : ٢٢٠ و ٢٢١) .

(٣) الشيخ محمّد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي ، المعروف بملاً صدرا أو صدر المتألهين ، وُلد الشيخ صدر المتألهين عام (٩٧٩ هـ) بمدينة شيراز في إيران . كان من أعظم فلاسفة الإسلام ، بل هو من أقطابها وعمدتهم ، وكان له سهم عظيم في كسر السدود والقيود التي كانت تُكبّل العقول والألباب ، ولذلك تعرّض إلى انتقاد مرّ أصبح هدفاً لسهام اللوم والتكفير ، وكان أعلم أهل زمانه في الحكمة . (المحقّق) .

(٤) وُلد العلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي في مدينة تبريز ، والده هو السيّد محمّد القاضي الطباطبائي من أسرة معروفة في يزد ، بل في العالم الشيعي بالعلم والمعرفة ، وقد نشب منها علماء ومفكّرون كبار . لقد برع

الصدر^(١) في عصرنا الحاضر.

وفي العصر الحديث نجد أنَّ الشيخ محمد عبده^(٢) مؤسس النهضة الأزهرية الحديثة هو تلميذ محمد جمال الدين الأفغاني^(٣) الذي قاد حملة تصحيحية في مطلع القرن الماضي في مصر، وهو أحد علماء الدين الشيعة وقد تتلمذ في النجف الأشرف وهاجر إلى مصر ليقود النهضة الإسلامية هناك .

الشيعة لديهم زعامات أدبية في الشعر من أمثال الفرزدق^(٤) ، ودعبل

العلامة الطباطبائي في التفسير وسلك فيه منهجاً خاصاً ، وعلى الرغم من أنَّ أستاذه السيد القاضي والسيد البادكوبي كان كلاهما من المفسرين ، غير أنَّ الاستفادة من كلام العلامة نفسه هو أتباعه منهج السيد القاضي في تفسيره حيث يقول : (علّمنا أستاذنا السيد القاضي رحمته هذا المنهج ، وهو تفسير الآية بالآية ، ونحن نتبع منهجه في التفسير) . (المحقق) .

(١) ولّد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر رحمته في مدينة الكاظمية المقدّسة ، والده العلامة المرحوم السيد حيدر الصدر ذا منزلة عظيمة ، وقد حمل لواء التحقيق والتدقيق والفقه والأصول ، وكان عبداً زاهداً عالماً عاملاً ، ومن علماء الإسلام البارزين . أنهى دراسته الفقهية عام (١٣٧٩هـ) والأصولية عام (١٣٧٨هـ) عند آية الله السيد الخوئي رحمته . بدأ السيد الصدر في إلقاء دروسه ولم يتجاوز عمره خمس وعشرون عاماً ، بتدريس الدورة الأولى في علم الأصول بتاريخ (١٢ / جمادى الآخرة / ١٣٧٨هـ) وأنهاها بتاريخ (١٢ / ربيع الأول / ١٣٩١هـ) ، وشرع بتدريس الدورة الثانية في (٢٠) رجب من نفس السنة ، كما بدأ بتدريس البحث الخارج في الفقه على نهج العروة الوثقى في سنة (١٣٨١هـ) . وخلال هذه المدة استطاع سيّدنا الأستاذ أن يرّبي طلبةً أمتازوا عن الآخرين من حيث العلم والأخلاق والثقافة العامّة ، استشهد السيد الصدر بنحو فجع مع أخته العلوية الطاهرة (بنت الهدى) في مساء يوم (٩ / ٤ / ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ) . (المحقق) .

(٢) محمد عبده عالم دين وفقه ومجدّد إسلامي مصري ، يُعدُّ أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي ، ساهم بعد ثقافته بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والمضاري وإعادة إحياء الأمة الإسلامية لتواكب متطلبات العصر . (المحقق) .

(٣) محمد جمال الدين بن السيد صفر الحسيني الأفغاني ، أحد علماء الدين الشيعة الذين تتلمذوا في النجف الأشرف ، وهاجر إلى مصر ليقود النهضة الإسلامية هناك ، ويُعدُّ من أحد الأعلام البارزين في النهضة المصرية ، ومن أعلام الفكر الإسلامي بالنسبة للتجديد . (المحقق) .

(٤) الفرزدق من شعراء الطبقة الأولى من الأمويين ، ومن نبلاء قومه وسادتهم ، يقال : إنّه لم يكن يجلس لوجبة وحده أبداً ، وكان يجير من استجار بقبر أبيه ، وجدّه صعصعة كان محبي المؤودات وهنّ البنات التي كانت

الخزاعي^(١) في الماضي كما هو في الحاضر، فشاعر العرب اليوم هو الشاعر محمد مهدي الجواهري^(٢)، وهو من شيعة أهل البيت عليه السلام ومن أبناء النجف الأشرف .

ومن الحق أن نستذكر هنا أبو نؤاس^(٣) الشاعر العملاق الذي مدح الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون حيث البلاط العباسي ، قال :

قيل لي أنت أشعر الناس طرّاً لو تفوّحت بالكلام البديهي
فعلام تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا أهتدي لمدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

تُدفن قبل الإسلام في الجاهلية . وكان الفرزدق كثير الهجاء ، إذ أنه اشتهر بالنقائض التي بينه وبين جرير الشاعر . حيث تبادل الهجاء هو وجرير طيلة نصف قرن حتّى توفي جرير سنة (٧٣٢م) . (المحقّق) .
(١) دعبل الخزاعي اسمه دعبل بن علي بن رزين ، أبو علي ، أصله من الكوفة ، أقام ببغداد ، من مشاهير شعراء العصر العباسي . اشتهر بمدحه لأهل البيت عليه السلام أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين . وقد نال دعبل حظاً كبيراً في مدونات المؤرخين وأصحاب التراجم ، ومدحه أكثرهم وترجموا له ، حيث قال ابن حجر في لسانه : (هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي أبو علي الشاعر المشهور من الكوفة ، وتعاطى في أوّل أمره الأدب حتّى مهر فيه ، وقال الشعر الفائق) ، وطال عمره فكان يقول : (لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك) ، توفي ببلدة تُدعى الطيّب بين واسط وخوزستان . (المحقّق) .

(٢) محمد مهدي الجواهري شاعر العرب الأكبر (متنبّي العصر) ، وهو من النجف الأشرف ، وأبوه عالم من علماء النجف ، أراد لابنه أن يكون عالماً دينياً ، لذلك ألبسه عباءة العلماء وعمامتهم وهو في سنّ العاشرة . كانت أهمّ ميزة في شعر الجواهري أنّه استمرار لتراث الشعر العربي العظيم . (المحقّق) .

(٣) أبو نؤاس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي . وُلد في أهواز من بلاد خوزستان جنوب غربي إيران ، وما كاد أبو نؤاس يبلغ الثلاثين حتّى ملك ناصية اللغة والأدب ، وأطلّ على العلوم الإسلاميّة المختلفة ، من فقه وحديث ومعرفة بأحكام القرآن ، وبصر بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، ولم يقتصر طلبه العلم على الشعر والأدب ، بل كان يُدرّس الفقه والحديث والتفسير حتّى قال فيه ابن المعتز في كتابه (طبقات الشعراء) : (كان أبو نؤاس عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام والفتيا ، بصيراً بالاختلاف ، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث ، يعرف محكم القرآن ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه . (المحقّق) .

تأخذون بقولنا ولا تكذبون علينا»^(١).

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال له أبو بصير^(٢): جُعِلَتْ فداك ، اسم سَمِينَا به اسْتَحَلَّتْ به الْوَلَاةُ دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا وَعِزَابِنَا . فقال له الإمام الباقر عليه السلام : « ما هو هذا الاسم ؟ » ، فقلت له : يُسَمُّونَنَا رَافِضَةً . فقال عليه السلام : « إِنَّ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ عَسْكَرِ فِرْعَوْنَ رَفَضُوا فِرْعَوْنَ فَأَتَوْا مُوسَى عليه السلام فلم يكن في قوم موسى أحد أشدَّ اجتهاداً وأشدَّ حباً لهارون منهم ، فسَمَّاهم موسى الرافضة ، فأَوْحَى اللَّهُ إِلَى موسى أَنْ أَثْبِتَ لَهُمْ هَذَا الْاسْمَ فِي التَّوْرَةِ ، فَإِنِّي قَدْ نَحَلْتَهُمْ ، وَذَلِكَ اسْمٌ قَدْ نَحَلَّهُمُوهُ اللَّهُ »^(٣).

وهناك رواية ثالثة عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : « ما لهم ولكم ؟

(١) المحاسن للبرقي (ص ١٥٧ / ح ٩٠) : عن عتبة بنِ بِيَّاعِ القصب : إِنِّي قَدْ خَبَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقَ عليه السلام أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِي : يَاكَ أَنْ تَكُونَ رَافِضِيًّا ! فَقَالَ عليه السلام : « وَاللَّهِ لَنِعَمَ الْاسْمُ الَّذِي مَتَّحَكُمُ اللَّهُ مَا دُمْتُمْ تَأْخُذُونَ بِقَوْلِنَا ، وَلَا تَكْذِبُونَ عَلَيْنَا » .

(٢) معجم رجال الحديث للخوئي (ج ٢١ / ص ٧٩ و ٨٠ / الرقم ١٣٥٩٩) : (قال النجاشي : يحيى بن القاسم ، أبو بصير الأسدي ، وقيل أبو محمد : ثقة ، وجيه ، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام ، وقيل : يحيى بن أبي القاسم ، واسم أبي القاسم إسحاق ، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، له كتاب يوم وليلة . أخبرنا محمد بن جعفر ، قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بن سعيد ، قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بن زكريا بن شيبان ، قال : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير بكتابه ، ومات أبو بصير سنة خمسين ومائة) . وقال الشيخ : (يحيى بن القاسم ، يُكْنَى أَبُو بَصِيرٍ ، له كتاب مناسك الحج ، رواه علي بن أبي حمزة ، والحسين بن أبي العلاء ، عنه) . وعَدَّهُ فِي رِجَالِهِ فِي أَصْحَابِ الصَّادِقِ عليه السلام ، قَاتِلًا : (يحيى بن القاسم ، أبو محمد ، يُعْرَفُ بِأَبِي بَصِيرِ الْأَسَدِيِّ ، مَوْلَاهُمْ ، كُوفِي ، تَابِعِي ، مَاتَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةً بَعْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام) .

(٣) المحاسن (ص ١٥٧ / ح ٩٢) : وجاء أبو بصير يوماً إِلَى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام فسأله : جُعِلَتْ فداك ، اسْمُ سَمِينَا بِهِ اسْتَحَلَّتْ بِهِ الْوَلَاةُ دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا وَعِزَابِنَا ! قَالَ : « وَمَا هُوَ ؟ » ، قَالَ : الرَافِضَةُ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : « إِنَّ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ عَسْكَرِ فِرْعَوْنَ رَفَضُوا فِرْعَوْنَ ، فَأَتَوْا مُوسَى عليه السلام ، فلم يكن في قوم موسى أحد أشدَّ اجتهاداً وأشدَّ حباً لهارون منهم ، فسَمَّاهُمْ قَوْمُ مُوسَى (الرافضة) ، فأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ أَثْبِتَ لَهُمْ هَذَا الْاسْمَ فِي التَّوْرَةِ ، فَإِنِّي نَحَلْتُهُمْ ، وَذَلِكَ اسْمٌ نَحَلَّهُمُوهُ اللَّهُ » .

وما يريدون ؟ وما يعيبوكم ؟ يقولون : رافضة ! نعم والله رفضتم الكذب وأتبعتم الحقَّ ^(١) .

الشيعة في عصر النبي ﷺ:

لقد كان أحد الخطوط والركائز التي اعتمدها النبي ﷺ لإثبات الإسلام هو التأكيد على الشيعة ، الإمام الباقر عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : « يأتي يوم القيامة قوم عليهم ثياب من نور على وجوههم نور يُعرفون بآثار السجود يتخطون صفّاً بعد صفٍّ حتّى يصيروا بيني وبين يدي ربّ العالمين يغبطهم النبيون والملائكة والشهداء والصالحون . ثم قال : « أولئك شيعتنا وعليّ إمامهم » ^(٢) .

ولمّا نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة : ٧) ، قال ابن عباس ^(٣) : قال رسول الله ﷺ : « هوانت يا عليّ

(١) بصائر الدرجات (ص ٤١) : محمد بن الحسين ، عن جعفر بن بشير ، عن محمد بن الفضيل ، عن بكر بن كرب الصيرفي ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « ما لهم ولكم ؟ وما يريدون منكم ؟ وما يعيبونكم ؟ يقولون : الرافضة ، نعم والله رفضتم الكذب وأتبعتم الحقَّ ، أمّا والله إنّ عندنا ما لا نحتاج إلى أحد والناس يحتاجون إلينا ، إنّ عندنا الكتاب بإملاء رسول الله ﷺ وخطه علي عليه السلام بيده ، صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها كلّ حلال وحرام » .

(٢) بحار الأنوار (ج ٧ / ص ١٨٠) : عن محمد بن قيس وعامر بن السمط ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي يوم القيامة قوم عليهم ثياب من نور ، على وجوههم نور ، يُعرفون بآثار السجود ، يتخطون صفّاً بعد صفٍّ حتّى يصيروا بين يدي ربّ العالمين ، يغبطهم النبيون والملائكة والشهداء والصالحون ، فقال له عمر بن الخطاب : من هؤلاء يا رسول الله الذين يغبطهم النبيون والملائكة والشهداء والصالحون ؟ قال : أولئك شيعتنا وعليّ إمامهم » .

(٣) معجم رجال الحديث للخوئي (ج ١١ / ص ٢٤٥ و ٢٤٦ / الرقم ٦٩٥٤) : عدّه الشيخ تارة في أصحاب رسول الله ﷺ ، وأخرى في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وثالثة في أصحاب الحسين عليه السلام ، قاتلاً : (عبد الله وعبيد الله معروفان) . وعدّه البرقي : في أصحاب رسول الله ﷺ . . . ، قال العلامة : عبد الله بن العباس ، من أصحاب رسول الله ﷺ ، كان محبّاً لعلي عليه السلام وتلميذه ، حاله في الجلالة والإخلاص لأمر المؤمنين عليه السلام أشهر من أن يخفى .

وشيعتك . تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضاباً مقمعين »^(١) .

فرسول الله ﷺ هو الذي أسس ووضع البذرة الأولى لشيعة أهل البيت ﷺ .

مهمة الشيعة في زمن النبي ﷺ :

كان للشيعة في زمن النبي ﷺ مهمتان :

المهمة الأولى : وهي المهمة العامة ، وهي الدفاع عن الإسلام ، فمتى تعرّض الإسلام إلى خطر فالشيعة هم أول المدافعين عنه ، فنرى كلّ المخاطر التي تعرّض لها الإسلام كان أول المدافعين هم عليّ بن أبي طالب ﷺ وجماعته .

وفي التاريخ الحديث نرى أنّ الشعوب المدافعة عن الإسلام أمام الغزو الأجنبي هم شيعة أهل البيت ﷺ ، فتورة العشرين في العراق^(٢) قادها أمام الاستعمار البريطاني شيعة أهل البيت ﷺ ، وهم الذين يقفون اليوم أمام الخطر الصهيوني .

فعلى طول التاريخ متى ما تعرّض الإسلام إلى خطر نجد أنّ شيعة أهل البيت ﷺ يقفون في الصفوف الأولى ، وهذه هي المهمة العامة .

والمهمة الثانية : هي المهمة الخاصة ، فمتى ما تعرّض الإسلام إلى خطر

(١) ينابيع المودة للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ٢ : ٤ / باب ٥٦ ، وروى فيه : عن أمّ سلمة ، قالت :

قال رسول الله ﷺ : « علي وشيعته هم فائزون يوم القيامة » .

(٢) ثورة العشرين ثورة شيعة اندلعت في العراق عام (١٩٢٠ م) ضدّ الاحتلال البريطاني وسياسة تهديد العراق تهديداً لضمّه إلى بريطانيا كسلسلة من الانتفاضات التي حدثت في الوطن العربي جراء عدم إيفاء الحلفاء بالوعود المقطوعة للعرب بنيل الاستقلال كدولة عربية واحدة من الهيمنة العثمانية . واتخذت الثورة بادئ الأمر شكل العصيان المدني ثمّ المواجهات المسلّحة ، وكانت المرجعية الدينية في التجف الاشراف قائدة لهذه الثورة بتزولها المباشر إلى الميدان العسكري . (المحقّق) .

الانقلاب من الداخل نجد أنَّ الشيعة هم الذين يقفون ضدَّ ذلك الخطر، والحقيقة أنَّ هناك إسلام حقيقي وإسلام نفاقي، والشيعة يُمثِّلون الإسلام الحقيقي أمام موجة الإسلام النفاقي الذي يحاول الانقلاب على الإسلام من الداخل.

خطر الإسلام النفاقي :

في زمن النبي ﷺ كان الإسلام يواجه خطراً من الداخل، وهو أشدُّ من الخطر الخارجي، وعلى طول التاريخ كانت محنة شيعة أهل البيت ﷺ ومهمَّتهم الصعبة هي مواجهة خطِّ الانحراف الداخلي.

ورُبَّ سائل يسأل: هل هناك في زمن النبي ﷺ خطُّ انحراف داخلي!

والجواب: أنَّ الله تعالى أجاب على هذا السؤال في سورة المنافقون، حيث تحدَّث القرآن بشكل صريح عن وجود المنافقين وخطرهم، ولوراجعنا القرآن الكريم حول ورود كلمة المنافقين فيه لوجدنا عدَّة آيات تتحدَّث عن ذلك، مثل:

١ - قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤٩).

٢ - قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ٦٤).

٣ - قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٢).

٥ - قوله تعالى: ﴿لَيْنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٠) .

٦ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٣) .

إضافة إلى القرآن الكريم نجد في كتاب البخاري الذي يُعتبر أصح كتاب عندهم بعد القرآن الكريم ، ورد فيه : قال رسول الله ﷺ : « إنَّه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا ربِّ أصحابي ، فيقال : إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧] ، فيقال : إنَّهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » ^(١) .

وفي رواية أخرى يرويه البخاري أيضاً قال رسول الله ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض من مرَّ عليَّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً وليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثمَّ يحال بيني وبينهم فأقول : إنَّهم أمتي ، فيقال : إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدي » ^(٢) .

(١) نهج الحق وكشف الصدق (ص ٣١٤) : روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين من المتفق عليه في الحديث السَّتين من مسند عبد الله بن عباس ، قال : إنَّ النبي ﷺ قال : « ألا وإنَّه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا ربِّ أصحابي ، فيقال : إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ * [المائدة: ١١٧ و ١١٨] ، فيقال لي : فإنَّهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » .

(٢) صحيح البخاري : حدَّثنا يحيى بن بكير ، حدَّثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « أنا فرطكم على الحوض فمن ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليرد عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمَّ يحال بيني وبينهم » . قال أبو حازم : فسمعني العمان بن أبي

وهذه هي نظرية شيعة أهل البيت عليه السلام ، وهي وجود المنافقين في عصر النبي صلى الله عليه وآله .

كما أن القرآن الكريم يتحدث عن الذين يؤذون الله ورسوله بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب : ٦٩) ، والخطاب في هذه الآية للمؤمنين ، وهي تعني أن هناك جماعة في داخل الوسط الصحابي والإسلامي كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله .

إذن هنالك منافقون لم يرض الله عنهم بالرغم من أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم صحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله .

يقول أحد علماء السُّنة المعاصرين في لبنان عبد القادر الترنيني ^(١) : جاء عن سيّدنا حذيفة في صحيح مسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً ، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط » ^(٢) .

فيقول والحديث للعالم السُّنّي الترنيني : (على ماذا يدلّ هذا الحديث ؟ هل يدلّ على عدالة الصحابة جميعهم ؟ أم يدلّ على أن عدد المنافقين اثنا عشر ؟) .

عياش وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذا سمعت سهلاً ؟ فقلت : نعم ، قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعه يزيد فيه : قال : « إني سميت ، فيقال : إنك لا تدري ما بدّلوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي » .

(١) انظر : قول الحقّ ولسان الصدق للشيخ عبد القادر الترنيني ، وهو من كبار علماء السُّنة في لبنان ، ورئيس جمعية الأثر الطيّب اللبنانية ، وهو شخصية سُنّية معتدلة .

(٢) صحيح مسلم : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا شعبة بن الحجاج ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس ، قال : قلت لعمار : رأيتم صنعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي ، رأيّاً رأيتموه أو شيئاً عهد به إليكم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً لم يعهده إلى الناس كافّة ، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً ، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط » ، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة ، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم .

حَبَّ عَلِيٍّ ﷺ هو علامة الإيمان :

هناك رواية يرويها مسلم في صحيحه وهو أحد كبار رواة أهل السنة ، يقول عن الإمام عليٍّ ﷺ أنه قال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليَّ أنه لا يُحبُّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق » ^(١) .

كما روى أبو سعيد الخدري ^(٢) وابن عباس وأبو ذر ^(٣) ، قالوا : ما كنّا نعرف المنافقين على عهد النبي ﷺ إلا ببغضهم لعليٍّ .

وهذا ما نقرؤه في الدعاء المعروف بدعاء الندبة ^(٤) : « وَلَوْلَا أَنْتَ يَا عَلِيُّ لَمْ

(١) بحار الأنوار (ج ٣٩ / ص ٢٦٢) : ابن بطّة من سنة طرق وابن ماجة والترمذي ومسلم والبخاري وأحمد وابن البيع وأبو القاسم الأصفهاني وأبو بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع وأبو معاوية ، عن الأعمش بأسانيدهم ، عن زر بن حبيش ، قال عليٌّ ﷺ : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي أنه لا يُحبُّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق » .

(٢) سعد بن مالك بن شيان بن عبيد الأنصاري الخزرجي ، مشهور بكنيته (أبو سعيد) ، كان أحد الصحابة والوجوه البارزة المشهورة من الأنصار ، وكان من المحدثين الكبار ، وفي عداد رواة حديث الغدير ، وحديث المنزل . ويُعدُّ من أجلاء الصحابة الذين كانت لهم مواقف مشرّفة مع أئمة أهل البيت ﷺ ، ومن الذين شهدوا لعليٍّ ﷺ بالولاية يوم الغدير ، توفي ﷺ سنة (٧٤هـ) ، ودُفِنَ بالبقيع . (المحقّق) .

(٣) جندب بن جنادة ، وهو الصحابي الجليل الثقة الصادق الصالح ، الذي قال رسول الله ﷺ فيه : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ، أصدق لهجة من أبي ذر » . نفاه عثمان بن عفّان من المدينة إلى الشام ، ثمّ نفاه معاوية من الشام إلى المدينة سنة (٣٠هـ) ، وبعد فترة نفاه عثمان إلى الريزة ، وقام فيها إلى أن مات عام (٣٢هـ) ، ومن المشهور أن تشييع أهل جبل عامل كان على يده . (المحقّق) .

(٤) رواه الشيخ المشهدي في مزاره (الدعاء رقم ١٠٧) بهذه العبارة : (دعاء الندبة : قال محمد بن أبي قرّة ، نقلت من كتاب أبي جعفر محمد بن الحسين بن سفيان البزوفري ﷺ هذا الدعاء ، وذكر فيه أنه لصاحب الزمان صلوات الله عليه وعجل فرجه وفرجنا به ، ويُستحبُّ أن يُدعى به في الأعياد الأربعة) ؛ كما رواه السيّد ابن طاووس في مصباح الزائر (ص ٤٤٦ / الفصل السابع) ، قال : (ذكر بعض أصحابنا قال : قال محمد بن علي بن أبي قرّة : نقلت من كتاب محمد بن الحسين بن سفيان البزوفري ﷺ دعاء الندبة ، وذكر أنه لصاحب الزمان صلوات الله عليه ، ويُستحبُّ أن يُدعى به في الأعياد الأربعة) ؛ كما نقله العلامة المجلسي في كتابه زاد المعاد (ص ٤٤٨) ، وقال : (وأمّا دعاء الندبة المشتمل على العقائد الحقّة والتأسّف على غيبة القائم ﷺ فقد نُقِلَ بسند معتبر عن الإمام جعفر الصادق ﷺ ، ويُستحبُّ أن يُقرأ دعاء الندبة

يُعْرِفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي ، وَكَانَ بَعْدُهُ هُدًى مِنَ الضَّلَالِ . . . » .

الخطر الداخلي في زمن النبي ﷺ :

سؤالنا الآن عن الخطر الداخلي في زمن النبي ﷺ ، وقد ذكره تعالى في سورة آل عمران بقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران : ١٤٤) ، ومورد نزول هذه الآية في معركة أُحُد عندما أشاع المنافقون أَنَّ الرسول ﷺ قد قُتِلَ .

القرآن هنا يشير للانقلابات التي حدثت أيام النبي ﷺ ، والتي ستحدث بعد النبي ﷺ .

إذن فالقرآن يتحدث عن وجود مرضى القلوب الذين يُفَكِّرون بالارتداد أو الانقلاب على الإسلام في عصر النبي ﷺ وبعده ، وهذا متفق عليه عند كل المؤرخين .

فقد قال الطبري^(١) في (جامع البيان) - وهو أحد أكبر الموسوعات الحديثية في التفسير عند أهل السنة ، وهو قد توفّي في القرن الرابع - في تفسير هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ : (ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمداً بالدعاء إليه ، ورجعتم عنه كفاراً بعد الإيمان به)^(٢) .

هذا في الأعياد الأربعة ، أي : الجمعة ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وعيد الغدير .

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري ، إمام من أئمة المسلمين المشهورين ، مؤرّخ ومفسّر وفقه مسلم ، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ . وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلّد أحداً ، بل قلّده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه . (المحقّق) .

(٢) قال في جامع البيان (ج ٤ / ص ١٤٧) : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

إذن هذه معالم وجود انقلابات داخلية .

وهنا حديث نبوي معروف ، وهو المسمى بحديث الفرقة الناجية ، وهو متفق عليه عند الفريقين .

قال رسول الله ﷺ : « ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » ، يعني أن رسول الله ﷺ يتنبأ بحدوث فرق داخلية وانشقاقات ضالة ومنحرفة كلها في النار إلا فرقة واحدة ، وهنا يجب أن نسأل : من هي هذه الفرقة الناجية ^(١) ؟

قال ﷺ : « افترقت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وافترقت أمة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » ، وهذا حديث رواه المؤلف والمخالف بأسانيد متظافرة بحيث لم يوجد له منكر .

الرُّسُلُ أَفْانَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾ ، يعني تعالى ذكره بذلك : وما محمد إلا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه داعياً إلى الله وإلى طاعته ، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه ، يقول جل ثناؤه : فمحمّد ﷺ إنما هو فيما الله به صانع من قبضه إليه عند انقضاء مدّة أجله كسائر مدّة رسله إلى خلقه الذين مضوا قبله وماتوا عند انقضاء مدّة آجالهم . ثم قال لأصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والمزع حين قيل لهم بأحد : إن محمداً قُتِلَ ، ومقبّحاً إليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهمامه عنهم : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ ﴾ محمّد أيها القوم لانقضاء مدّة أجله أو قتله عدوكم ، ﴿ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ يعني ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمداً بالدعاء إليه ، ورجعتم عنه كفاراً بالله بعد الإيمان به ، وبعد ما قد وضحت لكم صحّة ما دعاكم محمّد إليه ، وحقيقة ما جاءكم به من عند ربّه ، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ يعني بذلك : ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافراً بعد إيمانه ، ﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾ .

(١) حديث الفرقة الناجية ورد في عدّة مصادر وبألفاظ مختلفة ومعنى واحد ، حيث نقلت المصادر التالية مثل : سنن أبي داود ٣ : ٨٩٦ ، وصحيح الجامع الصغير للسيوطي ١ : ١٥٦ ، ومشكاة المصابيح ١ : ٦١ ، والدر المنثور ٢ : ٢٨٦ ، قول رسول الله ﷺ : « افترقت أمة أخي موسى إحدى وسبعين فرقة ، فرقة ناجية والباقيون في النار . وافترقت أمة أخي عيسى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، فرقة ناجية والباقيون في النار . وستفترق أمتي من بعدي ثلاث وسبعون فرقة ، فرقة ناجية والباقيون في النار » . (المحقق) .

وفي صيغة أخرى للرواية : « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وهي التي تتبّع وصيّ عليّاً »^(١) .

خِطَطُ النَّبِيِّ ﷺ فِي مُوَاجَهَةِ الانْحِرَافِ :

ولكن دعونا نسأل : ما هي خِطَطُ النَّبِيِّ لمُوَاجَهَةِ الانْحِرَافَاتِ الداخليّة ؟
الحقيقة أنّ رسول الله ﷺ عمل على عدّة خِطَط :

الخِطَّةُ الْأُولَى :

هي التأكيد على المجموعة الصالحة ، والتركيّز على أنّ الفرقة الصحيحة الناجية هي فرقة عليّ وأصحابه ، أي إنّ خَطَّ النجاة هو خَطُّ الإمام عليّ وشيعته كما قرأنا ذلك في الروايات السابقة .

وقد روى ابن عباس أيضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة : ٧) ، وقد التفت رسول الله ﷺ لعلّي وقال : « هم أنت يا عليّ وشيعتك ، وميعادك ميعادهم الحوض يأتون غراً محجلين متوجّين »^(٢) .

وروي أيضاً : شكّا الإمام عليّ حسد الناس إلى رسول الله ، فقال : « يا عليّ ، أما ترضى أنّ أوّل أربعة يدخلون الجنّة هم أنا وأنت ، وذرايينا خلف ظهورنا ،

(١) قال الفيض الكاشاني في التفسير الأصفي (ج ١ / ص ٣٥٥) : وفي الحديث المشهور : « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي التي تتبّع وصيّ عليّ » .

(٢) كنز جامع الفوائد (ص ٤٠٠) : عن محمّد بن العباس ، عن أحمد بن الهيثم ، عن الحسن بن عبد الواحد ، عن الحسن بن حسين ، عن يحيى بن مساور ، عن إسماعيل بن زياد ، عن إبراهيم بن هاجر ، عن يزيد بن شراحيل كاتب علي عليه السلام ، قال : سمعت عليّاً عليه السلام يقول : « سمعت رسول الله ﷺ يقول وأنا مسنده إلى ظهري ، وعائشة عند أذني ، فأصغت عائشة لتسمع ما يقول ، فقال : أي أخي ، ألم تسمع قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ ، أنت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم تدعون غراً محجلين شباعاً مرويين » .

وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا ؟^(١) .

وروي عن ابن عباس قوله : سألت رسول الله عن قوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] ، فقال : « قال لي جبرئيل : ذاك علي وشيعته هم السابقون إلى الجنة »^(٢) .

ونقرأ هنا أيضاً قول رسول الله ﷺ : « يا علي ، شيعتك هم الفائزون يوم القيامة ، فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك ، ومن أهانك فقد أهانني . يا علي ، أنت مني وأنا منك ، روحك من روحي وطينتك من طينتي وشيعتك خلقتوا من فضل طينتنا ، فمن أحبهم فقد أحبنا ، ومن أبغضهم فقد أبغضنا ، ومن عاداهم فقد عادانا ، ومن ودَّهم فقد ودَّنا »^(٣) .

وقال ﷺ : « مثلي مثل شجرة أنا أصلها ، وعليّ فرعها ، والحسن والحسين

(١) تاريخ ابن عساکر ٤ : ٣١٨ ؛ الصواعق المحرقة لابن حجر : ٩٦ ، تذكرة الخواص : ٣١ ؛ مجمع الزوائد ٩ : ١٣١ ، قال ﷺ : « يا علي ، إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين ، وذرائعنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذرائعنا ، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا » .

(٢) أمالي الطوسي (ص ٤٤) : عن المفيد ، عن محمد بن الحسين ، عن عمر بن محمد الوراق ، عن علي بن العباس ، عن حميد بن زياد ، عن محمد بن تسنيم ، عن الفضل بن دكين ، عن مقاتل بن سليمان ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال : سألت رسول الله ﷺ عن قول الله ﷻ : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ أولئك المقربون ﴿ في جنّات النعيم ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٢] ، فقال : « قال لي جبرئيل : ذلك علي وشيعته ، هم السابقون إلى الجنة ، المقربون من الله بكرامته لهم » .

(٣) بحار الأنوار (ج ٦٧ / ص ٥٥) : عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : « يا علي ، شيعتك هم الفائزون يوم القيامة ، فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك ، ومن أهانك فقد أهانني ومن أهانني أدخله الله نار جهنم خالداً فيها وبئس المصير . يا علي ، أنت مني وأنا منك ، روحك من روحي ، وطينتك من طينتي ، وشيعتك خلقتوا من فضل طينتنا ، فمن أحبهم فقد أحبنا ، ومن أبغضهم فقد أبغضنا ، ومن عاداهم فقد عادانا ، ومن ودَّهم فقد ودَّنا . يا علي ، إن شيعتك مغفور لهم على ما كان فيهم من ذنوب وعيوب . يا علي ، أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا قمت المقام المحمود ، فبشرهم بذلك . يا علي ، شيعتك شيعة الله ، وأنصارك أنصار الله ، وأوليائك أولياء الله ، وحزبك حزب الله . يا علي ، سعد من تولّك ، وشقي من عاداك . يا علي ، لك كنز في الجنة وأنت ذو قرنيها » .

ثمرتها ، والشيعة ورقها ، فأبى أن يخرج من الطيب إلا الطيب» ^(١) .

الخطة الثانية :

التأكيد على رموز الشيعة يومئذٍ واعتبارهم هم الذين يُمثّلون الطريق الصحيح ، فقد دأب رسول الله ﷺ على الإشادة بهم وجعلهم مصابيح الهدى على طريق الإسلام ، مثل قوله ﷺ في أبي ذر الغفاري : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على أحد أصدق من أبي ذر » ^(٢) .

وقوله ﷺ في عمار : « تقتلك الفئة الباغية » ^(٣) ، وعبر عنه بقوله : « عمار جلدة ما بين عيني وأنفي » ^(٤) ، وهنا يأتي حديث رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْجَنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَى أَرْبَعَةٍ : أَبُو ذَرٍّ وَسُلَيْمَانَ وَالْمُقَدَّادَ وَعَمَّارَ » ، قيل : وعليّ ؟ قال : « وعليّ سيدهم » ^(٥) .

(١) عن عاصم بن ضمرة ، عن علي بن أبي طالب ، وعن الحارث ، عنه عليه السلام ، عن النبي ﷺ أنه قال : « مثلي مثل شجرة أنا أصلها ، وعلي فرعها ، والحسن والحسين ثمرتها ، والشيعة ورقها ، فأبى أن يخرج من الطيب إلا الطيب » ، وفي رواية الطبري في بشارة المصطفى : « مثلي ومثل علي بن أبي طالب مثل ... » . (أمالي الطوسي : ٦١ ؛ ورواه المجلسي في البحار ٦٨ : ٢٤ / ح ٤٥) .

(٢) سنن ابن ماجه (ج ١ / ص ٥٥ / ح ١٥٦) : حدّثنا علي بن محمد ، حدّثنا عبد الله بن غير ، حدّثنا الأعمش ، عن عثمان بن عمير ، عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر » .

(٣) روى البخاري وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » ، وهذا الحديث : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية » متواترٌ رواه أربعة وعشرون من الصحابة ، ذكر ذلك السيوطي والمناوي وغيرهما . (المحقق) .

(٤) رجال الطوسي ١ : ١٢٧ ؛ معجم رجال الحديث ١٣ : ٢٨٤ ؛ طبقات ابن سعد ٣ : ٢٤٨ ؛ تاريخ الذهبي ٣ : ٥٧١ ؛ ومن كرامة عمار عليه السلام أن قريشاً ألقت في النار ، فقال النبي ﷺ : « يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم » ، فلم تصله النار ولم يصله منها مكروه ! وقتلت قريش أبويه ورسول الله ﷺ يقول : « صبر آل ياسر موعدهم الجنة . ما تريدون من عمار ! عمار مع الحق والحق مع عمار حيث كان . عمار جلدة بين عيني وأنفي ، تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » .

(٥) بحار الأنوار (ج ٢٢ / ص ٣٤١) : قال رسول الله ﷺ : « يا عليّ ، إِنَّ الْجَنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَمَّارٍ وَسُلَيْمَانَ وَأَبِي ذَرٍّ وَالْمُقَدَّادِ » .

الخطة الثالثة :

التأشير على رموز المنافقين ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان .

يقول مؤلف كتاب (قول الحق ولسان الصدق) وهو الشيخ المعاصر عبد القادر الترنني كبير علماء السُّنَّة في لبنان ، يقول : (وقد ورد هذا الحديث بألفاظ عديدة في مذمة معاوية بن أبي سفيان من قبل النبي) ، حيث الرواية : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » ^(١) ، و « إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فاضربوا عنقه » ^(٢) .

وفي رواية أخرى : « سيظهر على الناس رجل من أمّتي واسع البلعوم يأكل ولا يشبع ، يحمل وزر الثقلين ، يطلب الإمارة يوماً ، فإذا أدركتموه فابقروا بطنه » ^(٣) .

وعن رسول الله ﷺ : « معاوية في تابوت مقفل عليه في جهنم » ^(٤) .

وعن أبي سعيد الخدري : إن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية ، فقلنا له : لا تسل السيف في عهد عمر حتى تكتب إليه ، فقال : إنني سمعت رسول الله يقول : « إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه » ، قالوا : نحن أيضاً قد سمعنا ،

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥ : ٩٨ و ١٠١ و ١٠٣ ؛ ميزان الاعتدال للذهبي ٣ : ٢٧٧ ، قال : ثنا أبي ، ثنا يحيى بن عثمان ، ثنا عثمان بن جبلة ، عن عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ ، قال : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٤ / ص ٣٢) : عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه » .

(٣) بحار الأنوار (ج ٣٣ / ص ٢١٧) : روى صاحب كتاب الغارات ، عن الأعمش ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله يقول : « سيظهر على الناس رجل من أمّتي عظيم السُرّة ، واسع البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، يحمل وزر الثقلين يطلب الإمارة يوماً ، فإذا أدركتموه فابقروا بطنه » .

(٤) تاريخ الطبري (ج ١١ / ص ٣٥٧) : قال ﷺ : « إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي : يا حنّان يا متّان ، الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » .

ولكن لا نفعل حتّى نكتب إلى عمر، فكتبوا إلى عمر، فلم يأتهم جواب الكتاب حتّى مات^(١).

ومثلها روايات عديدة تفضح الرموز النفاقية .

رسول الله ﷺ يُمجّد بعليّ عليه السلام :

لقد كانت خِطّة النبي ﷺ إذن هي تركيز شخصية الإمام عليّ عليه السلام وأهل البيت عليه السلام وأصحابهم من ناحية ، وفضح الرموز النفاقية من ناحية ثانية .

بينما كانت خِطّة المنافقين تسقيط شخصية الإمام عليّ عليه السلام وأهل البيت عليه السلام وأصحابهم على طول التاريخ ، فقد كان هدف المنافقين هو تسقيط الشخصيات الصالحة .

وهنا يأتي دور النبي ﷺ والأئمة عليه السلام وشيعة أهل البيت عليه السلام في ترسيخ العناصر المضيفة والتركيز على تلك الشخصيات ، وعلى رأسهم الإمام عليّ عليه السلام .

في كلّ المعارك كان الإمام عليّ عليه السلام هو حامل اللواء ، وفي مرّة واحدة وهي غزوة تبوك^(٢) تركه رسول الله ﷺ في المدينة بإجماع المؤرّخين ، وهنا اشتغل الطابور الخامس المنافق لبثّ شائعة تقول : إنّ النبي ﷺ قد هجر الإمام عليّاً عليه السلام

(١) أنساب الأشراف (ج ٢ / ص ٧٥) : عن أبي سعيد الخدري أنّ رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية ، فقلنا له : لا تسل السيف في عهد عمر حتّى نكتب إليه ! قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه » ، قالوا : ونحن [أيضاً] سمعناه ولكن لا نفعل حتّى نكتب إلى عمر ! فكتبوا إليه فلم يأتهم جواب حتّى مات .

(٢) غزوة تبوك وقعت في رجب التاسع للهجرة ، على أعقاب فتح مكّة ، وهي آخر غزوة خاضها الرسول ، بدأت بأن خطّط الرومان على إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تُهدّد الكيان الروماني المسيطر على المنطقة ، فخرجت جيوش الروم بقوى تُقدّر بأربعين ألف مقاتل قابلها ثلاثين ألف من الجيش الإسلامي ، فانهت المعركة بلا صدام أو قتال ، لأنّ الجيش الروماني تشبّت وتبدّد في البلاد خوفاً من المواجهة ، ممّا رسم تغييرات عسكرية في المنطقة ، جعلت حلفاء الروم يتخلّون عنها ويحالفون العرب كقوة أولى في المنطقة . (المحقّق) .

وتركه مع النساء ، لو كان يُحبُّه لما تركه في المدينة .

فلحق الإمام عليّ عليه السلام باكياً برسول الله ﷺ وشكاه ما حدث ، فقال الرسول ﷺ : « يا عليّ ، أما ترضى أنك مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيبي بعدي ؟ » ، فرجع الإمام وسكتت الأفواه ^(١) .

نفس الشيء حصل مع موسى وهارون في قوله تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٢) ، بحيث إن هارون لم يسيطر عليهم ، وبعد رجوع موسى عليه السلام وجد الأمة متمزقة .

ونلاحظ مثلاً أن خالد بن الوليد أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن فلم يفلح في فتحها ، فأرسل الرسول ﷺ عليّاً ، وهو الذي فتح اليمن فتحاً نورانياً ، فقد هداهم الله على يد عليّ عليه السلام حيث بدأ بوعظهم ودخلوا الإسلام بدون قتال عسكري ، وقد كان رسول الله ﷺ ، قال له : « يا عليّ ، لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً أحبُّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس » ^(٢) .

وهنا رجع بعض المنافقين إلى المدينة يشكون من عليّ عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وقالوا : إن عليّاً قد جفاهم .

(١) مجمع الزوائد للهيتمي (ج ٩ / ص ١١١) : عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم : إن رسول الله ﷺ قال لعلي حين أراد أن يغزو : « إني لا بدّ من أن أقيم أو تُقيم » ، فخلّفه ، فقال ناس : ما خلّفه إلّا شيء كرهه ، فبلغ ذلك عليّاً ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فتضاحك ثم قال : « يا عليّ ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي ؟ » .

(٢) صحيح البخاري (ج ٤ / ص ٢٠) : قال النبي ﷺ يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه يُحبُّ الله ورسوله ويحبُّ الله ورسوله » ، فبات الناس ليلتهم أيّهم يعطى ، فغدوا كلّهم يرجوه ، فقال ﷺ : « أين علي ؟ » ، فقيل : يشتكي عينيه ، فبصق ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال : « أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا ؟ » ، فقال ﷺ : « أنفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن تكون لك حمر النعم » .

تقول الرواية : تعاقد أربعة منهم على شكايته إلى النبي ﷺ ، فلما قدموا قام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله ، أما ترى علياً صنع هكذا وهكذا ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ .

قام الثاني قال : يا رسول الله ، أما ترى ما صنع عليٌّ ؟ فأعرض عنه ، وقام الثالث والرابع فصنعا مثل الأول والثاني .

فأقبل عليهم رسول الله ﷺ والغضب يُبصر في وجهه فقال : « ما تريدون من عليٍّ ، إِنَّ عَلِيًّا مَتَّى وَأَنَا مِنْهُ ، وَإِنَّهُ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي » ^(١) .

والرواية التي يرويها الطبراني أَنَّ بريدة لَمَّا قَدِمَ من اليمن دخل المسجد فوجد جماعة جالسين على باب حجرة النبي ﷺ ، فقاموا إليه يُسَلِّمون عليه ويسألونه عن أوضاع اليمن ، فقال : خير فتح الله على المسلمين ، فقالوا له : لماذا لم تبق مع عليٍّ وجئت مستعجلاً ؟ فقال : جارية اصطفاها عليٌّ من الخمس فجئت لأخبر النبي بذلك ، فقالوا : أخبره ليسقط علياً من عينه ! ورسول الله ﷺ يسمع كلامهم من وراء الباب ، فخرج مغضباً ، فقال : « ما بال أقوام ينتقصون علياً ! ؟ من أبغض

(١) عن عمران بن حصين ، قال : بعث رسول الله ﷺ سرية ، واستعمل عليهم علي بن أبي طالب ، فاصطفى لنفسه من الخمس جارية ، فأذكروا ذلك عليه ، وتعاقد أربعة منهم على شكايته إلى النبي ﷺ ، فلما قدموا قام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله ، ألم تر أَنَّ علياً صنع كذا وكذا ؟ فأعرض عنه ، وقام الثاني فقال مثل ذلك ، فأعرض عنه ، وقام الثالث فقال مثل ما قال صاحبه ، فأعرض عنه ، وقام الرابع فقال مثل ما قالوا ، فأقبل عليهم رسول الله ﷺ والغضب يُبصر في وجهه ، فقال : « ما تريدون من عليٍّ ؟ إِنَّ عَلِيًّا مَتَّى وَأَنَا مِنْهُ ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي » . أخرجه غير واحد من أصحاب السنن كالإمام النسائي في خصائصه العلوية ، وأحمد بن حنبل من حديث عمران في أول (ص ٤٣٨ / من الجزء الرابع) من مسنده ، والحاكم في (ص ١١١ / من الجزء ٣) من المستدرک ، والذهبي في تلخيص المستدرک مسلماً بصحته على شرط مسلم . وأخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير ، وصححه فيما نُقِلَ عنهما المتقي الهندي في أول (ص ٤٠٠ / من الجزء ٦) من كنز العمال ؛ وأخرجه أيضاً الترمذي بإسناد قوي فيما ذكره العسقلاني في ترجمة علي من إصابته ، ونقله علامة المعتزلة في (ص ٤٥٠ / من المجلد الثاني) من شرح النهج . ثم قال : (رواه أبو عبد الله أحمد في المسند غير مرة ، ورواه في كتاب فضائل علي ، ورواه أكثر المحدثين) . (المحقق) .

عليّاً فقد أبغضني ، ومن فارق عليّاً فقد فارقني ، إنَّ عليّاً منّي وأنا منه ، خُلِقَ من طيبتني وأنا خُلِقْتُ من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم ، ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣٤] . يا بريدة ، أما علمت أنَّ لعلِّي أكثر من الجارية التي أخذ ؟ وإنَّه وليُّكم من بعدي » ^(١) .

استخلاف أهل البيت ﷺ :

تلك كانت سياسة التسقيط التي اعتمدها المنافقون ، وقد كان في مقابلها سياسة الاستخلاف لأهل البيت ﷺ والتركيز على شخصياتهم المهمة ، وهي السياسة التي اعتمدها رسول الله ﷺ .

وهنا يأتي حديث النبي ﷺ في حق أهل البيت ﷺ المعروف بـ (حديث السفينة) ، قال رسول الله ﷺ : « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى » ^(٢) .

وهنا يأتي القرآن الكريم ليؤكد على مودة أهل البيت ﷺ بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا

(١) مسند أحمد (ج ٥ / ص ٣٥٦) : عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد ، فقال : « إذا التقيتم فعلي على الناس ، وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده » ، فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتلنا فظهر المسلمون على المشركين ، فقتلنا مقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه . قال بريدة : فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك ! فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب فقرأ عليه ، فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هذا مكان العائد بعثني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ، ففعلت ما أُرسلت به . فقال رسول الله ﷺ : « لا تقع في علي ، فإنه منّي وأنا منه ، وهو وليكم بعدي ، وإنَّه منّي وأنا منه ، وهو وليكم بعدي » .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣ : ٤٦ / ح ٢٦٣٨ : مجمع الزوائد للهيتمي ٩ : ١٦٨ . وروى الطبراني بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضيهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق » .

حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿﴾ (الشورى: ٢٣) .

لذا يقول شاعر أهل البيت عليه السلام دعبل الخزاعي :

إلهي فزدني في هواي محبةً وزد حبهم يا رب في حسناتي
فإني من الرحمن أرجو بحبهم نجاة لدى الفردوس غير بتاتي
لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد مماتي
فقال له الإمام عليه السلام : « آمنك الله يا دعبل » .

قسيم الجنة والنار:

روى المؤرخون عن الأصبع بن نباتة - وهو من أصحاب الإمام علي عليه السلام - أنه قال : دخل الحارث الهمداني ^(١) على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من الشيعة وكنّت فيهم ، فجعل الحارث يتلوذ في مشيه ويخبط الأرض بحجّنه وكان مريضاً ، فدخل فأقبل عليه أمير المؤمنين - وكانت له منزلة منه - ، فقال : « كيف تجدك يا حارث ؟ » ، فقال : نال مني الدهر يا أمير المؤمنين ، وزادني غليلاً اختصام أصحابك ببابك ، قال : « وفيهم خصومتهم ؟ » ، قال : في شأنك والثلاثة من قبلك ، فمن مفرط غال ، ومقتصد وال ، ومن متردد مرتاب لا يدري أيقدم أم يحجم ، قال عليه السلام : « فحسبك يا أخا همدان ، ألا إنّ خير شيعتي النمط الأوسط ، إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق التالي » ، فقال له الحارث : لو كشفت - فذاك أبي

(١) الحارث الهمداني ، من كبار التابعين الرواة ، كان من القراء ومن أصحاب الإمام علي بن أبي طالب وخاصته ، وهو أحد العلماء في قومه لاسيّما في الفرائض وعلم الحساب ، وله قول في الفتيا ، أخذ العلم عن الإمام علي وعن ابن مسعود ، وقرأ عليه أبو إسحاق السبيعي ، روى الحارث عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وزيد بن ثابت وبقرة امرأة سلمان ، وروى عنه الشعبي وأبو إسحاق السبيعي وأبو البخري الطائي وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن مرة وجماعة .

اختلف في توثيق رواية الرجل بين الشيعة وأهل السنة ، فقد أجمع الشيعة على توثيقه ، بينما تباينت آراء علماء أهل السنة في توثيقه .

وأُمِّي - الريب عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا .

قال : « فذاك فإنه أمرٌ ملبوس عليه ، إنَّ دين الله لا يُعرَف بالرجال بل بآية الحقِّ ، فاعرف الحقَّ تعرف أهله . يا حار ، إنَّ الحقَّ أحسن الحديث والصادع به مجاهد ، وبالحقِّ أخبرك فأعزني سمعك ثمَّ خبر به مَنْ كان له حصافة من أصحابك . ألا إني عبد الله وأخو رسول الله وصديقه الأكبر ، صدَّقته وآدم بين الروح والجسد ، ثمَّ إني صديقه الأوَّل في أمتكم حقاً ، فنحن الأوَّلون ونحن الآخرون . ألا وإني خاصته يا حارث ، وصنوه ووصيه ووليّه وصاحب نجواه وسره ، أُوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرآن ، واستودعتُ ألف مفتاح ، يفتح كلُّ مفتاح ألف باب ، يُفضي كلُّ باب إلى ألف ألف عهد ، وأُبدت - أو قال : وأمددت - بليلة القدر نفلاً ، وإنَّ ذلك ليجري لي (والمستحفظين من ذريتي) كما يجري الليل والنهار حتَّى يرث الله الأرض ومن عليها ، وأبشرك يا حارث لتعرفني ووليي وعدوي في مواطن شتى ، لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة » .

قال الحارث : ما المقاسمة يا مولاي ؟

قال : « مقاسمة النار ، أقاسمها قسمة صحاحاً ، أقول : هذا وليي [فاتركيه] وهذا عدوي [فخذه] » ، ثمَّ أخذ أمير المؤمنين بيد الحارث فقال : « يا حارث ، أخذتُ بيدك كما أخذ رسول الله بيدي فقال لي - [وقد] اشتكيتُ إليه حسدة قريش والمنافقين - : إنَّه إذا كان يوم القيامة أخذتُ بحبل الله أو بحُجزته - يعني عصمة من ذي العرش - وأخذتُ أنت يا عليُّ بحجرتي ، وأخذتُ ذريتك بحُجزتك ، وأخذتُ شيعتكم بحُجزتكم ، فماذا يصنع الله ﷻ بنيّه ؟ وماذا يصنع نبيّه بوصيّه ؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة ، أنت مع مَنْ أحببت ولك ما اكتسبت » ، قالها ثلاثاً .

فقال الحارث وقام يجزّرداءه جذلاً: لا أبا لي وربّي بعد هذا متى لقيت الموت
أولقيني .

وفي ذلك قال الشاعر:

قول عليّ لحارث عجبٌ	كم ثمّ أعجوبة له حملاً
يا حار همدان منّيت يرنى	من مؤمن أو منافق قبلاً
يعرفني طرفه وأعرفه	بعينه واسمه وما عملاً
وأنت عند الصراط تعرفني	فلا تخف عشرة ولا زكلاً
أسقيك من باردٍ عليّ ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلاً
أقول للنار حين توقف للعرض	دعيه لا تقربي الرجل
دعيه لا تقريبه إنّ له	حبلاً بجبل الوصيّ متّصلاً
هذا لنا شيعة وشيعتنا	أعطاني الله فيهم الأملاً ^(١)

مشروع الاستخلاف ومشروع الالتفاف :

لقد كان هنالك في زمن النبيّ مشروعان ، المشروع الأوّل يقوده الخطّ
الإسلامي الأصل الذي يُمثّله رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام ، والثاني يقوده المنافقون .

المشروع الأوّل هو مشروع الاستخلاف بعد الرسول ﷺ لعليّ ولأهل
البيت عليهم السلام ، أمّا الخطّ النفاقي فكان مشروعه الالتفاف والتخطيط للانقلاب
على رسول الله ﷺ ومصادرة رسالته ودعوته ، بينما مشروع رسول الله ﷺ هو
مشروع الاستخلاف ، وهو أن تبقى الرسالة الإسلامية محفوظة عبر أولئك الذين
يستخلفهم رسول الله ﷺ من بعده .

(١) البحار ٦٨ : ١٢٠ ، رواه في تأويل الآيات ٢ : ٦٥٠ ، عنه البحار ٢٧ : ١٥٩ ، أخرجه الشيخ في أماليه ٢ : ٢٣٨ .

وكما حدّثنا التاريخ عن وجود المنافقين في زمن النبي ﷺ ، فكذلك حدّثنا عن وجود المنافقات .

منافقات في زمن النبي ﷺ :

هل صحيح أنّ هنالك منافقات أيضاً في زمن النبي ﷺ مع بعض المنافقين ؟
هل هنالك مؤامرات قادتها نساء في زمن النبي ﷺ ؟
ماذا يقول القرآن الكريم عن ذلك ؟

نعم ، لقد صرّح القرآن بذلك في قوله : ﴿ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۝ ﴾ (التحریم : ٤ و ٥) .

يقول الآلوسي^(١) في تفسيره (روح المعاني) : (إِنَّ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ تَتُوبَا ﴾ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ لَمَّا أَرَادَا أَنْ يَتَظَاهَرَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)^(٢) .

(١) محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي ، يرجع نسبه إلى مدينة أُلوس ، وهي جزيرة في وسط نهر الفرات في محافظة الأنبار ، حيث فرّ إليها جدّ هذه الأسرة من وجه هولاء التتري عندما دهم بغداد فُتْسِبَ إليها . وهو مفسّر ، ومحدّث ، وفقيه ، وأديب ، وشاعر وهو مجتهد ، تقلّد الإفتاء ببلده بموجب الفرمان السلطاني العثماني ثم عَزَلَ فانقطع للعلم وتصدّر للتدريس ، توفّي في بغداد ودُفِنَ في مقبرة الشيخ معروف الكرخي . (المحقّق) .

(٢) تفسير الآلوسي (ج ٢٨ / ص ١٥٢) : ﴿ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ ﴾ خطاب لحفصة وعائشة رضي الله تعالى عنهما على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في المعاتبة ، فإنّ المبالغ في العتاب يُصَيِّرُ المعاتب أولاً بعيداً عن ساحة الحضور ، ثم إذا اشتدّ غضبه توجه إليه وعاتبه بما يريد . وكون الخطاب لهما لما أخرج أحمد البخاري ومسلم والترمذي وابن حبان وغيرهم عن ابن عباس ، قال : لم أزل حريصاً أن أسأل عمر رضي الله تعالى عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ تَتُوبَا ... ﴾ الخ ، حتّى حجّ

يقول الطبري وهو من محدّثي ومفسّري القرن الثالث والرابع من أبناء السُّنَّة في رواية يرويها عن ابن عباس في زمن عمرين الخطّاب : قال ابن عباس : لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله اللتين قال الله تعالى فيهما : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ، فَحَجَّ عمرو وحجبت معه ، فلمّا كان ببعض الطريق عدل عمرو وعدلت معه بأداة ، ثمّ أتاني وسكبت على يده ليتوضّأ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي التي قال الله تعالى فيهما : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ؟
فقال عمر : وا عجباً منك يا بن عباس هما حفصة وعائشة ^(١) .

وفي داخل البيت النبوي :

ويستمرّ الأذى في داخل البيت النبوي ! فقد ورد في الروايات أن رسول الله ﷺ دخل على زوجته زينب بنت جحش ^(٢) ، وهي التي رَوّجها الله لرسوله ﷺ في عالم

عمر وحجبت معه ، فلمّا كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالأداة فزل ، ثمّ إني صبيت على يديه فتوضّأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى : ﴿إِنْ تَتُوبَا...﴾ الخ ؟ فقال : وا عجباً لك يا ابن عباس ، هما عائشة وحفصة ، ثمّ أنشأ يُحدّثني الحديث ... الحديث بطوله . ومعنى قوله تعالى : ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت عن الواجب من مخالفته ﷺ بحبّ ما يحبه وكراهة ما يكرهه إلى مخالفته ، والجملة قائمة مقام جواب الشرط بعد حذفه ، والتقدير : إن تتوبا فلتوتكما موجب وسبب فقد صغت قلوبكما أو فحقّ لكما ذلك فقد صدر ما يقتضيها ، وهو على معنى : فقد ظهر أن ذلك حقّ ، كما قيل في قوله : إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة .

(١) صحيح البخاري (ج ٦ / ص ٧٠ و ٧١) : حدّثنا الحميدي ، حدّثنا سفيان ، حدّثنا يحيى بن سعيد ، قال : سمعت عبيد بن حنين يقول : سمعت ابن عباس يقول : أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ، فمكثت سنة فلم أجد له موضعاً حتّى خرجت معه حاجاً ، فلمّا كنّا بظهران ذهب عمر لحاجته ، فقال : أدركني بالوضوء ، فأدركته بالأداة ، فجعلت أسكب عليه ، ورأيت موضعاً فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان اللتان تظاهرتا ، قال ابن عباس : فما أتممت كلامي حتّى قال : عائشة وحفصة .

(٢) زينب بنت جحش أمّها أئمة بنت عبد المطلب عمّة النبي ﷺ . (المحقّق) .

السماء كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧) ^(١).

دخل عليها الرسول ﷺ فأعطت له عسلاً، ولكن حفصة وعائشة اتفقتا هنا على مؤامرة لإسقاط زينب بنت جحش من عين النبي ﷺ، فلما أقبل الصباح قالت حفصة لرسول الله ﷺ: إني أشم في فمك رائحة المغافير ^(٢).

فقال رسول الله ﷺ: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش».

فقال رسول الله ﷺ وهو يريد إخماد الفتنة: «لن أعود له» وانتهى الأمر.

وفي اليوم الثاني كان عند عائشة فقالت له نفس القول، فتعجب الرسول ﷺ من هذا الأمر، ولأجل دفع الفتنة فقد حرم على نفسه أكل العسل من عند زينب بنت جحش إرضاء لبعض زوجاته.

وهنا نزل القرآن الكريم لنبينا رسول الله ﷺ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (التحریم: ١ - ٣) ^(٣).

(١) صحيح البخاري (ج ٨/ ص ١٧٥ و ١٧٦): عن أنس، قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: «أتق الله وأمسك عليك زوجك»، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتُم هذه الآية، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات.

(٢) والمغفور صمغ حلو له رائحة كريهة، وذكر البخاري أن المغفور شبيه بالصمغ يكون في الرمث. (المحقق).

(٣) صحيح البخاري (ج ٣/ ص ٢٧١): عن عائشة أنها قالت: إن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن آتينا دخل عليها النبي ﷺ فلنقل: إني أجد منك ريح مغافير، فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: لا، بل شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ إلى ﴿لِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ عائشة وحفصة، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ بقوله: بل شربت عسلاً.

هذا هو خطُ الالتفاف على حركة النبي ﷺ وفي كلِّ المستويات وحتى في المجال العائلي .

الخطُ النفاقي يمارس الإيذاء لرسول الله ﷺ :

نستذكر هنا الحديث المعروف المروي عن رسول الله ﷺ الذي يقول : « ما أُوذي نبيٌّ بمثل ما أُوذيت » ^(١) .

الفترة الزمنية التي عاشها رسول الله ﷺ هي ثلاثة عشر سنة في مكة وعشر سنوات في المدينة ، فيكون مجموع السنين التي عاشها مع أمته ثلاث وعشرين عاماً ، فكيف يقول : إنّه تحمّل من الأذى ما لم يتحمّله نبيٌّ قبله ؟ ما هي طبيعة هذا الأذى ؟ ما هو نوع الأذى الذي يتعرّض له الرسول ﷺ والذي يصفه بأنّه أشدّ أنواع الأذى بحيث لم يتعرّض له نبيٌّ من قبله ؟

رسول الله ﷺ يصف أذاه من المنافقين بأنّه أشدّ من ذلك البلاء الذي وقع على نوح عليه السلام حتّى دعا على قومه بالهلاك قائلاً : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ﴾ (نوح : ٢٦) ، وأشدّ من البلاء الذي وقع على إبراهيم عليه السلام ، ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ٦٨) .

ما الذي قاساه رسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين ليكون بلاؤه أشدّ من بلاء إبراهيم عليه السلام ؟

نعم ، الأنبياء كلّهم تحمّلوا أذى من القوم الكافرين ، بينما رسول الله ﷺ تحمّل الأذى من المسلمين أنفسهم ، من داخل الجسد الإسلامي ، وهذا ما جاء بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ (الأحزاب : ٦٩) ، فالخطاب للمؤمنين ، والأذى صادر من

المؤمنين ، وهذه هي محنة موسى عليه السلام .

محنة موسى عليه السلام كانت مع قومه حيث يصف القرآن الكريم ذلك بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصَّف : ٥) .

هكذا كانت محنة رسول الله ﷺ من داخل الجماعة الإسلامية .

مشاهد من إيذاء النبي ﷺ :

١ - الرغبة في نكاح نساء النبي ﷺ :

يذكر المفسرون أنَّ مجموعة كانت تتمنى موت النبي ﷺ للزواج من نسائه بعد موته ، وفي هذا نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٥٣) .

هذا حكم اختص به رسول الله ﷺ ، وهوان زوجات النبي ﷺ لا تحل لأحد غيره ، وحكمهن حكم الأم .

ولكن تعالوا نسأل : من هؤلاء الذين كانوا يتمنون ذلك ؟ ولماذا ؟ وبأي أسلوب ؟

ذكرت مصادر أهل السنة أنَّ طلحة كان يطمع بعائشة ، وأنَّ عثمان كان يطمع بأُمِّ سلمة !

ذكر ذلك الفخر الرازي - وهو من كبار مفسري أهل السنة - في تفسيره الكبير عند تفسير هذه الآية : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ .

قيل : سبب نزولها أنَّ بعض الناس وقد قيل : إنَّه طلحة قال : (لئن عشت بعد

محمد لأنكحن عائشه (١) !

وأيضاً هنالك مصدر من مصادر أهل السنة يذكره ابن طاووس ، وهو ما رواه السدي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ ، يقول : إنه لما توفي أبو سلمة وجحش بن حذاقة تزوج رسول الله امرأتيهما . فقال طلحة وعثمان : أينكح محمد نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه ؟ والله لئن مات لقد أجلنا على نساءه بالسهام !

وكان طلحة يريد عائشة وعثمان يريد أم سلمة ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ .

هذا نمط من أنماط الإيذاء لرسول الله ﷺ في زمانه (٢) .

(١) قال الرازي في تفسيره (ج ٢٥ / ص ٢٢٥) : (وقوله تعالى : ﴿ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ ، قيل : سبب نزوله أن بعض الناس قيل : هو طلحة بن عبيد الله ، قال : لئن عشت بعد محمد لأنكحن عائشة ، وقد ذكرنا أن اللفظ العام لا يُغيّر معناه سبب النزول ، فإن المراد أن إيذاء الرسول حرام ، والتعرض لنسائه في حياته إيذاء فلا يجوز ، ثم قال : لا بل ذلك غير جائز مطلقاً ، ثم أكد بقوله : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ أي إيذاء الرسول) .

(٢) ورد في تفسير ابن أبي حاتم (ج ١٠ / ص ٣١٥٠) : (عن السدي رحمه الله ، قال : بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال : أيجنبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا ؟ لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده ، فزلت هذه الآية . حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حماد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن داود بن هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده ، قال رجل لسفيان : أهي عائشة ؟ قال : قد ذكروا ذلك) . كما ورد الطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٦ / ص ١٥٠) : (وروى ابن سعد ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ ، قال : نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال : إذا توفي رسول الله تزوجت عائشة) . (المحقق) .

٢ - الممانعة من دخول عليٍّ عليه السلام على النبي ﷺ:

يقول المؤرخون: أهدي لرسول الله ﷺ طائر مشوي من أم أيمن كما يروي ذلك الترمذي في سننه - وهو من كبار محدثي أهل السنة - ، يقول: فلمّا أهدي إلى النبي ﷺ قال النبي ﷺ: « يا ربّ آتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير »، فجاء عليٌّ عليه السلام فطرق الباب ، قال له أنس خادم النبي ﷺ: ^(١) : ارجع فإنّ رسول الله مشغول .

فذهب عليٌّ عليه السلام ، ثم عاد بعد ذلك وطرق الباب فقال له أنس: اذهب فإنّ رسول الله مشغول .

ثم بعد ذلك طرق الباب ، فصاح رسول الله ﷺ: « يا أنس ، افتح الباب له » ، فدخل عليٌّ عليه السلام .

فقال له رسول الله ﷺ: « ما حبسك عني ؟ ما أبطاك عني ؟ » .

قال: « يا رسول الله ، جئت فردّني أنس ، ثم جئت فردّني أنس » .

فقال رسول الله ﷺ: « يا أنس ، ما حملك عليّ ما صنعت ؟ » .

فقال: يا رسول الله ، رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار من أصحابي .

فقال رسول الله ﷺ: « إنّ الرجل يُحبُّ قومه » .

وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ^(٢) .

(١) بعض المصادر الحديثية والتاريخية تذكر أنّ الذي منع عليّاً هو عائشة ، وجاء في بعضها أنّه أنس بن مالك .

(٢) الاحتجاج (ج ١ / ص ٢٩٢) : عن الإمام الصادق ، عن آبائه ، عن عليٍّ عليه السلام ، قال: « دققت الباب دقّاً عنيفاً ،

فقال لي عائشة: من هذا ؟ قلت: أنا علي ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول لها: يا عائشة ، افتحي له الباب ، ففتحت فدخلت ، فقال لي: اقعد يا أبا الحسن ، أحدثك بما أنا فيه أو تُحدّثني بإبطائك عنيّ ، فقلت: يا رسول الله حدّثني ، فإنّ حديثك أحسن . فقال: يا أبا الحسن ، كنت في أمر كتمته من ألم الجوع ، فلمّا دخلت بيت عائشة وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتني به مددت يدي وسألت الله القريب المجيب ، فهبط عليّ حبيبي جبرائيل ومعه هذا الطير - ووضع إصبعه على طائر بين يديه - ، فقال جبرائيل: إنّ الله ﷻ أوحى إليّ أن أخذ

٣ - إيذاء النبي ﷺ بالطعن في عليّ عليه السلام :

وفي قصّة فتح اليمن تواطأ مجموعة بالشكاية من عليّ عليه السلام عند رسول الله ﷺ وكان أحدهم بريدة^(١) ، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وشكوا عليّاً ، فقال رسول الله ﷺ لبريدة : « أما علمت أنّ عليّاً منّي وأنا منه ، وأنّ من آذى عليّاً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ؟ يا بريدة لا تتعرّض لعليّ إنّ قدر عليّ عند الله أعظم من قدره عندكم . ألا أخبركم ؟ » .

قالوا : بلى ، يا رسول الله .

هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنّة فاتيك به يا محمد . فحمدت الله كثيراً ، وعرج جبرائيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت : اللهم يسّر عبداً يُحبّني ويحبّني يأكل معي من هذا الطائر ، فمكثت ملياً فلم أرَ أحداً يطرق الباب ، فرفعت يدي ، ثم قلت : اللهم يسّر عبداً يُحبّني ويحبّني ويحبّني يأكل معي من الطائر ، فسمعت طرقك للباب ، وارتفاع صوتك فقلت لعائشة : أدخلني عليّاً ، فدخلت ، فلم أزل حامداً لله حتّى بلغت إليّ إذ كنت تحبّ الله وتحبّني ، ويحبّ الله وأحبّني ، فكلّ يا علي . فلما أكلت أنا والنبي الطائر قال لي : يا علي حدثني ، فقلت : يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً ، ثم نهضت أريدك ، فجئت فطرت الباب ، فقلت لي عائشة : من هذا ؟ فقلت : أنا علي ، فقالت : إنّ النبي راقد ، فانصرفت ، فلما أن صرت إلى الطريق الذي سلكته رجعت فقلت : إنّ النبي راقد وعائشة في الدار ؟ لا يكون هذا ! فجئت فطرت الباب ، فقالت لي : من هذا ؟ فقلت : أنا علي . فقالت : النبي على حاجة ، فانصرفت مستحيماً . فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أوّل مرّة وجدت في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً ، وقلت : النبي على حاجة وعائشة في الدار ؟ فرجعت فدققت الباب الذي سمعته يا رسول الله ، فسمعتك يا رسول الله تقول لها : أدخلني عليّاً . فقال النبي ﷺ : أباي الله إلّا أن يكون الأمر هكذا ، يا حميراء ما حملك على هذا ؟ فقالت : يا رسول الله ، انتهيت أن يكون أبي يأكل من هذا الطير » .

(١) بريدة بن الحصيب الأسلمي ، يُكنى : أبا عبد الله ، وقيل : أبا سهل ، وقيل : أبا الحصيب ، وقيل : أبا ساسان ، والمشهور : أبو عبد الله . أسلم حين مرّ به النبي مهاجراً ، هو ومن معه ، وكانوا نحو ثمانين بيتاً ، فصلّى رسول الله العشاء الأخيرة فصلوا خلفه ، وأقام بأرض قومه ، ثمّ قدم على رسول الله بعد أخذ ، فشهد معه مشاهدته ، وشهد الحديبية ، وبيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان من ساكني المدينة ، ثمّ تحوّل إلى البصرة ، وابتنى بها داراً ، ثمّ خرج منها غازياً إلى خراسان ، فأقام بمرور حتّى مات ودُفن بها ، وبقي ولده بها . وكانت وفاته عام اثنين وستين ، أو ثلاث وستين للهجرة . (المحقّق) .

فقال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْوَاماً تَمْتَلِئُ مِنْ جَهَةِ السَّيِّئَاتِ مُوَازِينَهُمْ ، فيقال : هذه السَّيِّئَاتِ ، فأين الحسنات ؟ فيقولون : يا رَبَّنَا ، ما نعرف لنا حسنات . فإذا النداء من قِبَلِ اللَّهِ : إن لم تعرفوا لأنفسكم حسنات فإِنِّي أعرفها لكم ، ثُمَّ يَقَالُ لِأَحَدِهِمْ : خذ بيدي أهلك وأهلك وإخوانك وأخواتك وخاصَّتكَ وقرباتك ومعارفك فأدخلهم الجَنَّةَ ، فيقول أهل المحشر: يا رَبِّ ، ما كانت حسناتهم ؟ فيقول الله : يا عبادي ، إِنَّ أَحَدَهُمْ مَشَى بِبَقِيَّةِ دِينٍ عَلَيْهِ لِأَخِيهِ فَقَالَ لَهُ : خذها فَإِنِّي أُحِبُّكَ لِحَبِّكَ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فشكر الله لهما فَحَطَّ بِهِ خَطَايَاهُمَا »^(١) .

يبدو من هذه الرواية أَنَّ هنالك جماعة كانوا يتواطؤون على إيذاء رسول الله ﷺ في عليٍّ عليه السلام ، لذا جاء سيل من الأحاديث النبويَّة الشريفة للدفاع عن عليٍّ عليه السلام^(٢) .

٤ - المنع من سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ :

كان من نماذج الإيذاء لرسول الله ﷺ المنع من نشر حديث النبي ﷺ في أيام حياته كما بعد مماته ، فإذا قال رسول الله ﷺ شيئاً كانوا يمنعون من كتابته ونشره ، وهو ما نُسمِّيه اليوم : (التعتيم الإعلامي) .

(١) بحار الأنوار ٦٥ : ١٠٩ و ١١٠ / ح ٢١ .

(٢) مسند أحمد (ج ٥ / ص ٣٥٦) : بإسناده عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه بريدة ، قال : بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن بعثين ، عليٌّ أحدهما علي بن أبي طالب ، وعليٌّ الآخر خالد بن الوليد . فقال : « إذا التقيتم فعلي علي الناس وإن افرقتم فكل واحد منكم على جنده » ، قال : فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتلنا ، فظهر المسلمون على المشركين ، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية ، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه . قال بريدة : فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يُخبره بذلك ، فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب ، فقرأ عليه ، فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هذا مكان العائذ ، بعثني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به . فقال رسول الله ﷺ : « لا تقع في علي فإنه مَنِّي وأنا منه ، وهو وليكم بعدي » .

الراوي - وهو عبد الله بن عمر - يقول : كانت قريش قد منعتنا عن كتابة حديث النبي ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « اكتب فوالله ما خرج منه إلا حق » ، ويقصد لسانه ﷺ (١) .

ودحرراً لهذا الموقف كان رسول الله ﷺ يقول : « من كتب عليّ علماً أو حديثاً لم يزل يُكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم » (٢) .

ويذكر المؤرخون أنّ الخليفة الأوّل أبو بكر الصديق أزمع أيام خلافته على تدوين الحديث ، فجمع خمسمائة حديث عن رسول الله ﷺ ، فبات ليلته يتقلب كثيراً ، فلماً أصبح قال لابنته عائشة : بنيت هلمّي الأحاديث التي عندك . تقول عائشة : فجئته بها فأحرقها (٣) .

ومثل ذلك يذكره المؤرخون عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حين أراد أن

(١) سنن الدارمي (ج ١ / ص ١٢٥) : أخبرنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن عبيد الله بن الأخنس ، قال : حدثني الوليد بن عبد الله ، عن يوسف بن ماهك ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كنت أكتب كلّ شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فتهني قريش ، وقالوا : تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال : « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق » .

(٢) وذلك أنّ الحاكم أخرج في تاريخه بالإسناد إلى أبي بكر عن رسول الله ﷺ قال : « من كتب عليّ علماً أو حديثاً لم يزل يُكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم أو الحديث » ، ومع ذلك لم يدون أيام أبي بكر وعمر شيء من السنن ، وقد كان أبو بكر أجمع أيام خلافته على تدوين الحديث عن رسول الله ﷺ ، فجمع خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلب كثيراً ، قالت عائشة : فعنيّ تقلبه ، فلماً أصبح قال لي : أي بنيت هلمّي الأحاديث التي عندك ، فجئته بها فأحرقها . (كنز العمال ١٠ : ٢٨٥ / ح ٢٩٤٦٠) .

(٣) لم يكف الخليفة بهذا المرسوم الذي منع موجهه المسلمين من أن يُحدثوا أي شيء من سنّة رسول الله ، بل تناول الأحاديث التي جمعها بنفسه ، وسمعها بنفسه من رسول الله ، فأحرقها ! قال الذهبي : إنّ أبا بكر جمع أحاديث النبي ﷺ في كتاب ، فبلغ عددها خمسمائة حديث ، ثمّ دعا بنار فأحرقها . روى القاسم بن محمد أحد أئمّة الزيدية عن الحاكم بسنده إلى عائشة قالت : جمع أبي الحديث عن رسول الله ، فكانت خمسمائة حديث فبات ليله يتقلب ، فلماً أصبح قال : أي بنيت ، هلمّي الأحاديث التي عندك ، فجئته بها فدعا بنار فأحرقها . (كنز العمال ١٠ : ٢٨٥ / ح ٢٩٤٦٠) .

يكتب السنن ، فطفق يستخير الله شهراً ، ثم أصبح يوماً فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن فذكرت قوماً قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشرك كتاب الله به شيء أبداً . ثم بعث عمر بن الخطاب لأصحاب النبي ﷺ وقال لهم : ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق ؟ قالوا : أتنهانا ؟ قال : لا ، ولكن أقيموا عندي ، والله لا تفارقوني ما عشت . ثم كتب عمر لكل الأمصار وقال لهم : من كان عنده شيئاً من أحاديث النبي فليحها^(١) .

واستمر هذا الحال إلى أن استلم الحكم عمر بن عبد العزيز سنة (٩١) للهجرة فأجاز تدوين السنة النبوية الشريفة !

هذه نماذج من الحرب على رسول الله ﷺ .

هل تعرّض رسول الله ﷺ إلى محاولة اغتيال ؟

نعم هنالك مشروع آخر قاده أربعة عشر رجلاً يعرف أسماءهم عمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان ، ولكن الله كتم هذا الأمر^(٢) .

(١) ذكر الشهرستاني في (منع تدوين الحديث) عن تقييد العلم (ص ٤٩) وحجة السنة (ص ٣٩٥) عن البيهقي في المدخل وابن عبد البر ، عن عروة بن الزبير : أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ ، فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ، ثم أصبح يوماً ، وقد عزم الله له ، فقال : إني كنت أردت أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً ، فأكبوا عليها ، فتركوا كتاب الله تعالى ، وإني والله لا أليس كتاب الله بشيء أبداً .

(٢) صحيح مسلم (ج ٨ / ص ١٢٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شعبة بن الحجاج ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس ، قال : قلت لعمّار : رأيتم صنعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليّ أراً رأيتموه أو شيئاً عهد إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة ، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ ، قال : قال النبي ﷺ : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً ، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » ، ثمانية منهم تكفيهم الديلة ، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم .

هذه هي المؤامرة التي يرويها الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، يقول :

حدَّثنا عبد الله ، حدَّثني أبي ، ثنا يزيد ، أنا الوليد - يعني ابن عبد الله بن جميع - ، عن أبي الطفيل ، قال : لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمْرَمَانِيًّا فَنَادَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْعَقْبَةَ فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهُ حَذِيفَةَ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مَتَلِثِمُونَ عَلَى الرِّوَا حِلْ غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وَجْهَ الرِّوَا حِلْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَذِيفَةَ : « قَدْ قُذِّ » حَتَّى هَبِطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا هَبِطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ ، فَقَالَ : « يَا عَمَّارُ ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ ؟ » ، فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرِّوَا حِلْ وَالْقَوْمَ مَتَلِثِمُونَ ، قَالَ : « هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا ؟ » ، قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ » ، فَسَابَّ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقْبَةِ ؟ فَقَالَ : أَرْبَعَةٌ عَشَرَ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ ، فَعَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا مَنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ . فَقَالَ عَمَّارٌ : أَشْهَدُ أَنَّ الْاِثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرَبُ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ^(١) .

الوصية لعلي عليه السلام :

أمام خطِّ النفاق ومشروع الالتفاف كان رسول الله ﷺ يرسم مشروع الاستخلاف ويوصي لعلي عليه السلام . ولقد أجمع المؤرخون على الحديث المعروف بحديث الغدير .

قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن أدعى فأجيب ، ألا وإني مسؤول وإنكم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ » .

(١) مسند أحمد ٥ : ٤٥٤ .

قالوا : نشهد أنك بلغت ونصحت ، فجزاك الله خيراً .

قال : « تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « أيها الناس إني فرطكم وأنتم وارودون على الحوض ، وإني

سائلكم عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

قالوا : وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال : « كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن

يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » .

ثم قال : « أستم تعلمون أيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « أستم تعلمون أيّ أولى بكل مؤمن ومؤمنة » .

قالوا : بلى .

فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب ورفعها ، ثم قال : « أيها الناس الله مولاي وأنا

مولاكم ، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعادي من

عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأحب من أحبه وابغض من

أبغضه » ^(١) .

(١) قال القمي في تفسيره (ج ١ / ص ١٧٤) : فخرج رسول الله ﷺ من مكة يريد المدينة حتى نزل منزلاً يقال له :

غدير خم ، وقد علم الناس مناسكهم وأوعز إليهم وصيته إذ نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] ، فقام رسول الله ﷺ

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، هل تعلمون من وليكم ؟ » ، فقالوا : نعم الله ورسوله ،

ثم قال : « أستم تعلمون أيّ أولى بكم من أنفسكم ؟ » ، قالوا : بلى ، قال : « اللهم أشهد » ، فأعاد ذلك عليهم

ثلاثاً ، كل ذلك يقول مثل قوله الأول ، ويقول الناس كذلك ، ويقول : « اللهم أشهد » ، ثم أخذ بيد أمير

المؤمنين ﷺ فرفعهما حتى بدا للناس بياض إبطيهما ، ثم قال : « ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال

من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأحب من أحبه » ، ثم رفع رأسه إلى

السماء فقال : « اللهم أشهد عليهم ، وأنا من الشاهدين » .

رسول الله ﷺ يتفدى علياً:

رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا ، فوضعوا السلاح ، فلما وضعوا السلاح أمر خالد بهم فكثفوا ثم عرضهم على السيف ، وكانوا قريباً من ثلاثين .

فلما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » قالها ثلاثاً .

ثم أرسل علياً ومعه خراجاً من المال وأمره أن ينظر في أمرهم وودى لهم الدماء والأموال حتى إنه ليدي مليغة الكلب - أي إناء الكلب - ، وبقي من المال فضلة فقال لهم علي رضي الله عنه : « هل بقي لكم مال تطلبونه أو دم لم يود ؟ » قالوا : لا . قال : « فإني أعطيتكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله ﷺ » ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ وشرح له ما فعل ، قال رسول الله ﷺ : « أصبت وأحسن ، لما فعلت أحب إلي من حمر النعم » .

قال اليعقوبي : قال رسول الله ﷺ يومئذٍ لعلي : « فداك أبوي »^(١) .

(١) قال ابن هشام في السيرة النبوية : قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ، ومدلج بن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا . قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة ، إنه خالد والله ، ما بعد وضع السلاح إلّا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلّا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضع الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد . قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكثفوا ، ثم

ادعولي حبيبي :

وروي أنه ساعة وفاة النبي ﷺ وهو مسجى قال : « ادعولي أخي وصاحبي » ، وفي رواية : « حبيبي » .

فقال عائشة : ادعوله أبا بكر ، فدعى أبو بكر ودخل عليه والنبي مغمض العينين ، وقعد عند رأسه ، فلما فتح رسول الله عينيه نظرفإذا أبو بكر ، فأعرض عنه بوجهه . فقام أبو بكر وقال : لو كانت لديه حاجة لأفضى بها إلي ، فلما خرج أعاد رسول الله القول ثانية ، وقال : « ادعولي أخي وصاحبي (حبيبي) » ، فقامت حفصة : ادعوله عمر ، فدعى عمر ، فلما حضروا رسول الله أعرض عنه فانصرف .

ثم قال رسول الله ﷺ : « ادعولي أخي وصاحبي » ، فقامت أم سلمة : ادعوله علياً ، فإنه لا يريد غيره ، فدعى أمير المؤمنين ، فلما دنا أوماً إليه فأكب عليه ، ففاجاه رسول الله ﷺ طويلاً .

فقال له الناس : ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن ؟

فقال : « علمني ألف باب يُفتح لي من كل باب ألف باب ، وأوصاني بما أنا قائم به إن شاء الله » ^(١) .

عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

(١) بحار الأنوار (ج ٢٢ / ص ٤٦٩ / باب ١ / ح ١٩) : ولما نقل رسول الله ﷺ وحجبت الناس عنه كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يفارقه إلّا لضرورة ، فقام عليه السلام في بعض شؤون ، فأفاق رسول الله ﷺ إفاقة ، فافتقد علياً عليه السلام ، فقال وأزواجه حوله : « ادعولي أخي وصاحبي » ، وعادوه الضعف فصمت . فدعى له غير علي عليه السلام ، فلما فتح عليه السلام عينه ونظر إليه أعرض عنه بوجهه . فقامت أم سلمة : ادعوله علياً عليه السلام ، فإنه لا يريد غيره . فدعى أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما دنا منه أوماً عليه السلام إليه ، فأكب عليه ففاجاه رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قام فجلس ناحية ، فقال له الناس بعد ذلك : ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن ؟ فقال عليه السلام : « علمني ألف باب من

الإشادة بأصحاب عليّ عليه السلام:

قلنا: إنّ رسول الله ﷺ اعتمد خِطّة الإشادة بأصحاب عليّ عليه السلام ، وقد كان منهم أبو ذرّ الغفاري ، يقول المؤرّخون: إنّ رسول الله ﷺ عندما خرج إلى غزوة تبوك كان أبو ذرّ الغفاري يسير خلفه على جمل وقد مرض في الطريق ، وهنا وشى المنافقون وقالوا لرسول الله ﷺ بأنّ أبا ذرّ قد تخلف .

فقال لهم رسول الله ﷺ: « إن يكن فيه خيراً سيلحقه الله بكم » .

وبعد يومين رأوا سودة من بعيد ، وإذا برجل يعدو وحمله على ظهره في حرّ الصحراء ، فنظر النبيّ وقال: « كن أبا ذرّ » .

فما مضت إلّا دقائق وإذا بأبي ذرّ قد وصل .

وهنا قال رسول الله ﷺ: « رحم الله أبا ذرّ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَث وحده ، ويشهده عصابة من المؤمنين »^(١) .

جدلية خطّ الاستخلاف وخطّ الالتفاف:

على طول المسير كانت هنالك جدلية بين مشروع الاستخلاف ومشروع الالتفاف ، مشروع المؤمنين ومشروع المنافقين ، والتاريخ يُحدّثنا عن صور كثيرة من هذه الجدلية ، نقرأ بعضها:

العلم ، يُفتح لي في كلّ باب ألف باب ، وأوصاني بما أنا قائم به إن شاء الله تعالى » .
(١) الكامل في التاريخ (ج ٢ / ص ٢٨٠) : في هذه الغزوة ، تخلف بأبي ذرّ جملة ، فعالجه حتّى أعياه أمره ، فأخذ رحله عنه ، وحمله على ظهره ، وتابع سيره ماشياً على قدميه . ونظر الناس ، فقالوا: يا رسول الله ، هذا رجل على الطريق وحده . فقال رسول الله ﷺ: « كن أبا ذرّ » ، فلمّا تأملّه الناس قالوا: هو أبو ذرّ . فقال رسول الله ﷺ: « يرحم الله أبا ذرّ ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَث وحده ، ويشهده عصابة من المؤمنين » ، فلمّا نفى عثمان أبا ذرّ إلى الربذة ، أصابه بها أجله ، ولم يكن معه إلّا امرأته وغلّامه .

إقدام أم انهزام؟

كان خُطُّ الاستخلاف يتحرَّك بروح الإقدام ، بينما كان خُطُّ الالتفاف يتحرَّك بروح الانهزام ، وهذا سوف نشاهده في مجموعة قصص يرويها لنا التاريخ عن مجاميع تتقدَّم وأخرى تنهزم .

معركة بدر أحد تلك الأمثلة ، وهي أوَّل معركة حاسمة في الإسلام .

في الاستعداد لمعركة بدر خاطب رسول الله ﷺ المسلمين قائلاً^(١) : هذه تجارة لقريش على أطراف المدينة ، وأنتم سلبت حقوقكم ، اذهبوا واستردّوا

(١) السيرة النبوية لابن هشام (ج ٣ / ص ١٦٢) : معركة بدر وهي الواقعة العظيمة التي فرَّق الله تعالى فيها بين الحقِّ والباطل ، وأعرَّ الإسلام ودَمَعَ الكفر وأهله . خرج رسول الله ﷺ من المدينة في ليالٍ مضت من شهر رمضان في ثلاثمائة رجل وخمسة نفر ، يطلب عيرَ قريش التي عادت من الشام ، ثمَّ بلغه أنَّ قريشاً خرجت ليمنعوا عيرَهم ، فاستشار النبي ﷺ الناس ، لاَهمَّ لم يكن قد خرج بهم للقتال ، وإنَّما لطلب العير . كلام عمر وأبي بكر في بدر : فقام عُمَرُ فقال : يا رسول الله ، إنَّها قريش وعِزُّها ، والله ما ذلَّت مذ عَزَّتْ ، ولا آمنت مذ كفرت ، والله لتقاتلنَّك ، فاتَّهَبَ لذلك أَهْبَتَهُ وأَعِدَّ لذلك عُدَّتَهُ . فأعْرَضَ عنه رسولُ الله ﷺ ، ثمَّ قام أبو بكر فقال ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ . كلام المقداد : ثمَّ قام المقداد بن عمرو الكندي فقال : يا رسول الله ، امضُ لِمَا أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مُقاتلون ، والذي بعثك بالحقِّ لو سِرَّتْ بنا إلى بَرِّكَ العُمَدُ لجالدنا معك من دونه حتَّى نبلغه ، فقال له رسول الله خيراً ودعا له به .

قال عبد الله (بن مسعود) : لقد شَهِدْتُ من المُقَدَّادِ مشهداً لَإِنْ أَكُونُ صاحبه أَحَبُّ إلىَّ مِمَّا عُدِّلَ به ، أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ، فرأيت رسول الله ﷺ أَشْرَقَ وجهه وسَرَّهَ ذاك . كلام سعد بن معاذ : ثمَّ قال : « أشيروا أيُّها الناس » ، فقام سعد بن معاذ فقال : كَأَنَّكَ يا رسول الله تُريدُنَا ! قال : « أجل » ، فقال : إنَّكَ عسى أن تكون قد خرجت عن أمرٍ قد أوحى إليك في غيره . . . فوالذي بعثك بالحقِّ لو استعرضت بنا هذا البحر لخُضُنَا معك ما بقى منَّا رجل . . . وما نكره أن نلقى عدونا ، إِنَّا لَنَصْبِرُ عند الحرب ، صُدُقٌ في اللقاء ، لعلَّ الله يريك منَّا بعض ما تَقَرُّ به عينك . فقال رسول الله ﷺ : « سيروا على بركة الله ، فإنَّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكَأَنِّي أنظر إلى مصارع القوم » ، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على القليب ببدر .

أموالكم المغصوبة منها .

عندها انحرفت القافلة عن مسيرها والتي كان يقودها أبو سفيان بعد أن وصله خبر المسلمين واستتجد بفرسان قريش وحضر ألف فارس من شجعانهم .

عند ذلك قال رسول الله ﷺ واستشار أصحابه قائلاً : ما رأيكم الآن بهذا الموقف وأنتم على غير استعداد للقتال ، هل نواجههم أم نتركهم ؟

هنا قام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، إنها قريش وعزها ! والله ما دلت منذ عزت ! ولا آمنت منذ كفرت ! والله لتقاتلنك ، فاتهب لذلك أهبة !

وقام أبو بكر وقال مثل مقالته . . . مواقف فيها الكثير من التردد أو روح الهزيمة .

وهنا نلاحظ المواقف البطولية لأصحاب علي عليه السلام ، فقد قام المقداد وقال : يا رسول الله : امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - وهو حصن في اليمن - لجاهدنا معك من دونه حتى نبغاه .

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له .

ثم قام الأنصار وتحشدوا لنصرة النبي ﷺ ، فانقلب الموقف من موقف خذلان إلى موقف نصره ، فعباً الرسول ﷺ القوم للقتال ، وقال لهم : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله كأنني أنظر إلى مصارع القوم .

ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على القليب - وهو بئر - ببدر ، وكانت قريش قد خرجت في تسعمائة وخمسون مقاتل ، ومعهم القيان والدفوف .

الطاعة أم العصيان ؟

لنأخذ نموذجاً آخر للجدلية بين خط الاستخلاف وخط الالتفاف ، وهو ما يُسمّيه المؤرخون رزية يوم الخميس^(١) .

لَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرَضَ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَوْتُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، اجتمع المسلمون في بيت النبي ﷺ حيث قال النبي ﷺ : « آتُونِي بِدَوَاةٍ وَكَتَفٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا » .

يقول المؤرخون ومن ضمنهم البخاري في صحيحه : وكان في القوم عمر بن الخطاب فقال : لا تؤتوه الكتاب فإن الرجل قد غلب عليه الوجع .

ويأتي مؤرخ آخر يقول : فقال عمر مقالة معناها أن الرجل قد غلب عليه الوجع .

ويأتي مؤرخ آخر ويقول : قال رجل : إن النبي ليهجر .

لاحظوا القرآن الكريم يقول : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ و ٤) .

ويقول : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ (الحاقة : ٤٠ و ٤١) .

ويقول : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (النجم : ٢) .

(١) صحيح بخاري/ باب المرضى مروية عن ابن عباس ، قال : لَمَّا حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ » ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ! فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ ، فَاخْتَصَمُوا ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْاِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَوْمُوا » ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ .

بينما خُطَّ الالتفاف والنفاق يقول: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يهجر!

فاختلف القوم بين خُطِّ النفاق وخُطِّ الإيمان، فمنهم من قال: آتوه، ومنهم من قال: لا توتوه.

فقال ﷺ: « قوموا عني، فإنه لا ينبغي عند نبي نزاع ».

فقام القوم.

هذه هي الرزية التي كان يُسميها ابن عباس برزية يوم الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه على خديه كأنها نظام اللؤلؤ.

بينما كانت أُم سلمة من وراء الستار تصيح: آتوه بالكتاب.

فأجابها عمر: إِنَّكُنَّ صويحبات يوسف، وهويشير إلى خيانة صويحبات يوسف.

فقال النبي ﷺ: « إِنَّهُنَّ خير منكم ».

هذا نموذج من الصراع بين خُطِّ النفاق وخُطِّ الإيمان.

تصديق أم تشكيك؟

سوف نتحدث عن إحدى صور الجدلية بين خُطِّ الإيمان وخُطِّ النفاق على عهد رسول الله ﷺ، وهي جدلية التصديق والتشكيك في كلام النبي ﷺ.

لقد أكد القرآن الكريم على ضرورة التصديق في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ * لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (الزمر: ٣٣ - ٣٥).

وقد جاء في تفسير ذلك أَنَّ الذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ، والذي

صَدَّقَ بِهِ هُم خَطَّ الْإِيمَانِ وَهُمْ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشِيعَتُهُ ^(١) .

وسوف نلاحظ أنَّ خَطَّ الْإِيمَانِ كَانَ يُسْرِعُ لِلتَّصَدِيقِ بِمَا يَصْدُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَيْنَمَا كَانَ خَطُّ النِّفَاقِ يُسْرِعُ إِلَى التَّشْكِيكِ بِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَسَوْفَ نَقْرَأُ نَمَازِجَ لَذَلِكَ :

نموذج فتح مكة :

لَمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَتْحِ مَكَّةَ جَهَّزَ الْجِيُوشَ لَذَلِكَ ، وَكَانَتْ خِطَّتُهُ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ بَغْتَةً دُونَ أَنْ تَعْرِفَ بِذَلِكَ قُرَيْشٌ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ نَكثَتْ قُرَيْشٌ بِالصِّلَحِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ هَذَا الْقَرَارُ الْكَبِيرُ بِفَتْحِ مَكَّةَ وَتَجْهِيزِ الْجِيُوشَ لَذَلِكَ يَتَطَلَّبُ سَرِّيَّةً تَامَّةً .

وهنا دعا رسول الله ﷺ رَبَّهُ قَائِلًا : اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبِغْتَهَا فِي بِلَادِهَا .

ولكن أحد الصحابة يُدْعِي حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ كَتَبَ رِسَالَةَ خَطِّيَّةٍ وَأَعْطَاهَا إِلَى إِحْدَى النِّسَاءِ لِإِيصَالِ الْخَبَرِ إِلَى قُرَيْشٍ وَإِخْبَارِهِمْ بِأَمْرِ الْهَجُومِ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ لَهَا أَجْرَةً . فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الرِّسَالَةَ وَجَعَلَتْهَا فِي شَعْرِ رَأْسِهَا وَانْطَلَقَتْ إِلَى

(١) تفسیر البرهان : مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هَمَّامٍ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ، قَالَ : « الَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَصَدَّقَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

ابن شهر آشوب : عَنْ عِلْمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، عَنْ الْبَاقِرِ ، وَالصَّادِقِ ، وَالْكَاضِمِ ، وَالرِّضَا ، وَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ٣٣ ﴾ ، قَالُوا : « هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .
وعنه : عَنْ حَذِيفَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَبَرٍ : « أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى الْخَلْقِ خَمْسَةَ ، فَأَخَذُوا أَرْبَعَةً وَتَرَكُوا وَاحِدًا » ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، قَالَ : « الصَّلَاةُ ، وَالزَّكَاةُ ، وَالْحَجُّ ، وَالصَّوْمُ » . قَالُوا : فَمَا الْوَاحِدُ الَّذِي تَرَكُوا ؟ قَالَ : « وَلايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ » . قَالُوا : أَهِيَ وَاجِبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ .

قريش مسرعة .

فهبط جبرئيل على رسول الله ﷺ وأخبره بأمر هذه المرأة^(١) .

يقول الإمام عليّ عليه السلام : بعثني رسول الله ﷺ ومعني الزبير وأبا مرثد للحاق بهذه المرأة .

فقال رسول الله ﷺ : انطلقوا حتّى تردوا روضة خاخ - وهو المكان الذي وصلت له المرأة - فإنّ معها كتاب ، فخذوه منها .

فانطلق الوفد المكلف بأمر رسول الله ﷺ حتّى وصلوا إلى المرأة في المكان الذي حدّده لهم رسول الله ﷺ .

فقال لها عليّ عليه السلام : اعطني الكتاب الذي معك .

فقالت المرأة : والله ما معي كتاب .

فقال الزبير وأبو مرثد : يا عليّ ، إنّ المرأة حلفت بالله ليس معها شيء ، فلا يمكن أن نعتريها بعد ، ويجب علينا الرجوع إلى رسول الله ﷺ .

(١) صحيح البخاري (ح ٥٩٠٤) : حدّثنا يوسف بن بهلول ، حدّثنا ابن إدريس ، قال : حدّثني حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عليّ عليه السلام ، قال : « بعثني رسول الله ﷺ والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي وكلّنا فارس ، فقال : انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ فإنّ بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين » ، قال : « فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ » ، قال : « قلنا : أين الكتاب الذي معك ؟ قالت : ما معي كتاب ، فأخذنا بها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئاً ، قال صاحبها : ما نرى كتاباً » ، قال : « قلت لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ ، والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجرّدنك » . قال : « فلمّا رأته الجذمتي أهوت بيدها إلى حوزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الكتاب » ، قال : « فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ » ، فقال : ما حملك يا حاطب على ما صنعت . قال : ما بي إلّا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ، وما غيرت ولا بدّلت ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك هناك إلّا وله من يدفع الله به عن أهله وماله ، قال : صدق فلا تقولوا له إلّا خيراً » .

هنا يظهر التصديق والتشكيك ، فالرجلان يُصدّقان المرأة ويُكذّبان رسول الله ﷺ ويُكذّبان الوحي .

فقال لها الإمام عليّ عليه السلام: إنّي أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ، ولتخرجنّ الكتاب أو لأجرّدنك الآن .

فلَمَّا رأت الجدّ منه قالت : اعرض .

يقول عليّ عليه السلام: فأعرضت فحلّت قرون رأسها واستخرجت الكتاب فدفعته إليّ ، وأتيت به إلى رسول الله ﷺ .

هذا هو نموذج المنهج التصديق ، وفي مقابله منهج التشكيك والتكذيب .

الرجلان يُشكّكان برسول الله ﷺ ، وعليّ عليه السلام يُصدّق بذلك .

إنّ هذا النموذج من التصديق شكّل ظاهرة لدى عليّ عليه السلام وشيعته ، ومن هنا جاء القرآن الكريم ليعزّز هذه الظاهرة بالقول : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر: ٣٣) .

ولقد جاء في رواية أخرى^(١) : عن ابن عباس في تفسير قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ

(١) في تفسير البرهان : أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، عن أبيه ، عن حمزة بن عبد الله الجعفري ، عن جميل بن درّاج ، عن عمرو بن مروان ، عن الحارث بن حصيرة ، عن زيد بن أرقم ، عن الحسين بن عليّ عليه السلام ، قال : « ما من شيعة إلّا صديق شهيد » . قال : قلت : جعلت فداك ، أتى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فرشهم ؟ فقال : « أما تتلو كتاب الله في الحديد : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [الحديد : ١٩] » ، قال : فقلت : كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله ﷻ قط . قال : « لو كان ليس إلّا كما تقولون كان الشهداء قليلاً .

وعنه : عن أبي يوسف يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن عمر بن عاصم ، عن منهل القصاب ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ادع الله لي بالشهادة ؟ فقال : « إن المؤمن لشهيد حيث مات ، أو ما سمعت قول الله في كتابه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ؟ » .

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ (الحديد: ١٩) ، ففي قوله : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ : (الصديق هو الإمام عليٌّ ؑ ، والصديقون هم شيعة عليٍّ ؑ) .

وقال رسول الله ﷺ : الصديقون ثلاثة :

الصديق الأول هو حبيب النجار مؤمن آل ياسين^(١) ، وقد وردت الإشارة إليه في قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (يس : ٢٠ و ٢١) .

والصديق الثاني حزقيल مؤمن آل فرعون^(٢) ، وقد وردت الإشارة إليه في قوله

(١) حبيب نجار أو حبيب النجار أو مؤمن آل ياسين ، هو رجل صالح كان يسكن قرية في بلاد الشام ، قيل : إنها أنطاكية ، وهو الرجل الذي نزلت في حقه هذه الآيات من سورة يس ، قال تعالى : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ٢٠﴾ (المحقق) .

(٢) روى المجلسي في البحار (ج ١٣ / ص ١٦٠) بالإسناد إلى أبي محمد العسكري ، عن آبائه ، عن الصادق عليه السلام ، قال : « كان حزبي [حزقيل خ ل] مؤمن آل فرعون يدعو قوم فرعون إلى توحيد الله ، ونبوة موسى ، وتفضيل محمد رسول الله ﷺ على جميع رسله وخلقه ، وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين ، وإلى البراءة من ربوبية فرعون ، فوشى به الواشون إلى فرعون ، وقالوا : إن حزبي يدعو إلى مخالفتك ويعين أعداءك على مضادتك ، فقال لهم فرعون : ابن عمي وخيلتي على ملكي وولي عهدي ، إن فعل ما قلتم فقد استحق أشد العذاب على كفره نعمتي ، فإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققت أشد العذاب لإيثاركم الدخول في مكانه ، فجاء بحزبي وجاء بهم فكاشفوه ، وقالوا : أنت تحيد ربوبية فرعون الملك وتكفر نعماءه ، فقال حزبي : أيها الملك ، هل جرّبت عليّ كذباً قط ؟ قال : لا ، قال : فسألهم من ربهم ؟ فقالوا : فرعون ، قال : ومن خالقهم ؟ قالوا : فرعون هذا ، قال : ومن رازقكم الكافل لمعيشكم والدافع عنكم مكارهكم ؟ قالوا : فرعون هذا ، قال حزبي : أيها الملك ، فأشهدك وكل من حضرك أن ربهم هو ربي ، وخالقهم هو خالقي ، ورازقهم هو رازقي ، ومصلح معاشهم هو مصلح معاشي ، لا رب لي ولا خالق ولا رازق غير ربهم وخالقهم ورازقهم ، وأشهدك ومن حضرك أن كل رب وخالق ورازق سوى ربهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيته وكافر بإلهيته ، يقول حزبي هذا وهو يعني أن ربهم هو الله ربي ، ولم يقل : إن الذي قالوا : إنه ربهم هو ربي ، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره ، وتوهّموا أنه يقول : فرعون ربي وخالقي ورازقي ، فقال لهم فرعون : يا رجال السوء ، ويا طلاب الفساد في ملكي ومريدي الفتنة بيني وبين ابن

تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص : ٢٠ و ٢١) .

والصديق الثالث علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو أفضلهم .

قال رسول الله ﷺ : « صديق هذه الأمة علي بن أبي طالب ، وهو الصديق الأكبر ، والفاروق الأعظم » ^(١) .

الشيعة هم الشهداء :

وروي أَنَّ أحدهم سمع من الإمام الحسين عليه السلام يقول : « ما من شيعة إلا صديق شهيد » ^(٢) .

قلت : جعلت فداك ، أنى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فرشهم ؟

عمي وهو عضدي ، أنتم المستحقون لعذابي لإرادتكم فساد أمري ، وإهلاك ابن عمي والفت في عضدي ، ثم أمر بالأوتاد ، فجعل في ساق كل واحد منهم وتدأ وفي صدره وتدأ . وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشققوا بها لحومهم من أبدانهم ، فذلك ما قال الله تعالى : ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ﴾ يعني حزييل ﴿سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ به لئلا يشوا به إلى فرعون ليهلكه ، ﴿وَحَاقَ بِالْأَفْرَعُونَ سُوءُ الْعَذَابِ ٤٥﴾ وهم الذين وشوا بحزييل إليه لئلا أوتد فيهم الأوتاد ومشط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط .

(١) بحار الأنوار (ج ٣٨ ص ٢١١ / ح ١٠) : عن سلمان الفارسي ، قال : . . . إنه ستكون فتنة فإن أدركتما فعليكما باتنين : كتاب الله ﷻ وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فإني رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيده وهو يقول : « هذا أول من آمن بي ، وهو أول من يصادفني يوم القيامة ، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو الفاروق بين الحق والباطل » .

(٢) المحاسن (ج ١ ص ١٦٣) : البرقي ، عن أبيه ، عن حمزة بن عبد الله الجعفري ، عن جميل بن دراج ، عن عمرو بن مروان ، عن الحارث بن حصيرة ، عن زيد بن أرقم ، عن الحسين بن علي ، قال : « ما من شيعة إلا صديق شهيد » . قال : قلت : جعلت فداك ، أنى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فرشهم ؟ فقال : « أما تلتو كتاب الله في الحديد : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد : ١٩] » . قال : فقلت : فكأنني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله تعالى قط . قال : « لو كان الشهداء ليس إلّا كما تقول ، لكان الشهداء قليلاً » .

قال عليه السلام: «أما تتلوا كتاب الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحديد: ١٩) ؟» .

فلاية دالة وظاهرة في أَنَّ المؤمن بالله ورسوله هو صديق وشهيد .

الإمام الصادق عليه السلام لما قال له المنهال: ادع لي بالشهادة ، فقال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لشهيد حيث ما مات . أما سمعت قول الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩] ؟» ^(١) .

الامام الباقر عليه السلام يقول: «العارف منكم بهذا الأمر، المنتظر له ، المحتسب فيه الخير، كمن جاهد والله مع قائم آل محمد بسيفه . بلن الله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، بلن والله كمن استشهد مع رسول الله في فسطاطه » ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩] « ^(٢) .

(١) مجمع البيان (ج ٩ / ص ٣٥٩) : أحمد بن محمد ، عن أبي يوسف يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن عمر بن عاصم ، عن منهل القصاب ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ادع الله لي بالشهادة ، فقال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لشهيد حيث مات ، وأما سمعت قول الله في كتابه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ؟ » .

(٢) مجمع البيان (ج ٩ / ص ٢٣٨) : عن العياشي ، عن الحرث بن المغيرة ، قال : كنا عند أبي جعفر عليه السلام ، فقال : « العارف منكم هذا الأمر ، المنتظر له ، المحتسب فيه الخير ، كمن جاهد والله مع قائم آل محمد عليه السلام بسيفه » ، ثم قال الثالثة : « بل والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله في فسطاطه ، وفيكم آية من كتاب الله » ، قلت : وأي آية جعلت فداك ؟ قال : « قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ » ، ثم قال : « صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم » .

أبو حمزة الثمالي^(١) يقول: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: جُعِلَت فداك، قد كبرستني، ودقَّ عظمي، واقترب أجلي، وقد خفت أن يدركني الموت. فقال لي: «يا أبا حمزة، من آمن بنا، وصدَّق حديثنا، وانتظر أمرنا، كان كمن قُتِلَ تحت راية القائم. بل والله تحت راية رسول الله». ثم قال: «يا أبا محمد، إنَّ الميِّتَ على هذا الأمر شهيد»^(٢). إذن الصديق هو الإمام علي عليه السلام، وقد سُرِقَ منه هذا اللقب كما سُرِقَت الخلافة. والصدِّيقون هم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

تعيين القدوة الصالحة:

لقد كان أحد المناهج التي اعتمدها خطُّ الإيمان في مقابل خطِّ النفاق هو تعيين القدوة الصالحة، وهذا هو ما صنعه رسول الله ﷺ.

كان رسول الله ﷺ يرسم للمجتمع الإسلامي القدوة الصالحة ويشير إليها، بينما يحاول الآخرون جرَّها إلى أشخاص آخرين.

القرآن يقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ (الأنعام: ٩٠)، من

(١) ثابت بن أبي صفية بن دينار الكوفي، وكنيته ولقبه المشهور به هو أبو حمزة الثمالي. هو راوي ومفسر شيعي كوفي، وكان من أصحاب أربعة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، هم علي الترتيب: علي بن الحسين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم عليهم السلام. وأمَّا نسبة الثمالي فتعود إلى أحد عشائر قبيلة الأزد العربية. ولَدَ الثمالي ونشأ في مدينة الكوفة في العراق. يُعتبر الثمالي أبرز علماء الشيعة في زمانه، وقد لمع في الحديث والفقه وعلوم اللغة وغيرها، ونقل عنه ابن ماجة في كتاب الطهارة، وكان مرجعاً للشيعة في الكوفة لتمكُّنه من فقه أئمة أهل البيت عليهم السلام. (المحقق).

(٢) تأويل الآيات الظاهرة (ج ٢/ ص ٦٦٥ و٦٦٦/ ح ٢١): روى صاحب كتاب البشارات مرفوعاً إلى الحسين بن أبي حمزة، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلَت فداك، قد كبرستني، ودقَّ عظمي، واقترب أجلي، وقد خفت أن يدركني الموت. فقال لي: «يا أبا حمزة، أوترى الشهيد إلّا من قُتِلَ؟»، قلت: نعم جُعِلَت فداك. فقال لي: «يا أبا حمزة من آمن بنا، وصدَّق حديثنا، وانتظر - أمرنا -، كان كمن قُتِلَ تحت راية القائم، بل والله تحت راية رسول الله ﷺ».

هل القدوة من قال في رسول الله ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ لِيَهْجُرَ^(١) ؟
 أم القدوة من لعنهم رسول الله ﷺ ممن تخلف عن جيش أسامة^(٢) ؟
 أم القدوة الذي يقول عنه رسول الله ﷺ: « لَا أَشْبِعُ اللَّهَ لَهُ بَطْنًا »^(٣) ؟
 أم القدوة المرأتان اللتان قال الله فيهما: ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ

(١) منع عمر من أن يكتب النبي ﷺ عند مماته كتاباً وقال: (إِنَّ الرَّجُلَ لِيَهْجُرَ) ، ذكرته عدة مصادر هي : صحيح البخاري ١ : ٢٢ / كتاب العلم / باب كتابة العلم ، و ٢ : ١٧٨ / كتاب الجهاد والسير / باب هل يُسْتَشْفَعُ إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ ، و ٤ : ٧ / كتاب المرضى / باب قول المريض : قوموا عني ، و ٢٧١ / كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب كراهية الخلاف ، و ٤ : ٦٢ / باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ؛ صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٧ و ١٢٥٩ / كتاب الوصية / باب ترك الوصية ؛ مسند أحمد ١ : ٢٤ و ٢٢٢ ، و ٣ : ٣٤٦ ؛ وغيرها كثير . (المحقق) .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي : حديث مسند ، أخرجه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة ، أنقله لك بعين لفظه ، قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَيَّارٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ رَجَالِهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فِي مَرَضٍ مَوْتُهُ أَمْرُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بِنِ حَارِثَةَ عَلَى جَيْشٍ فِيهِ جُلَّةُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، مِنْهُمْ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزَّيْبِرُ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَغِيرَ عَلَى مَوْتَةٍ حَيْثُ قُتِلَ أَبُوهُ زَيْدٌ ، وَأَنْ يَغْزُوا وَادِي فِلَسْطِينَ ، فَتُتَاقَلَ أُسَامَةُ وَتُتَاقَلَ الْجَيْشُ بِتِثْقَالِهِ ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ يَثْقُلُ وَيَخْفُ وَيُوكِّدُ الْقَوْلَ فِي تَنْفِيزِ ذَلِكَ الْبِعْثِ ، حَتَّى قَالَ لَهُ أُسَامَةُ : يَا أَبَتِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَمْكُثَ أَيَّامًا حَتَّى يَشْفِيكَ اللَّهُ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : « أَخْرِجْ وَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَنَا خَرَجْتُ وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، خَرَجْتَ وَفِي قَلْبِي قَرْحَةٌ ، فَقَالَ : « سِرْ عَلَى النَّصْرِ وَالْعَافِيَةِ » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْكَ الرِّكْبَانَ ، فَقَالَ : « أَنْفِذْ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ » ، ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَامَ أُسَامَةُ فَتَجَهَّزَ لِلْخُرُوجِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، سَأَلَ عَنْ أُسَامَةَ وَالْبِعْثِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَتَجَهَّزُونَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ » ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ أُسَامَةُ وَاللَّوَاءُ عَلَى رَأْسِهِ وَالصَّحَابَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْجُرْفِ نَزَلَ وَمَعَهُ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَأَكْثَرُ الْمُهَاجِرِينَ ، وَمِنَ الْأَنْصَارِ : أَسِيدُ بْنُ خُضَيْرٍ ، وَبِشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْوُجُوهِ ، فَجَاءَ رَسُولُ أُمِّ أَيْمَنَ يَقُولُ لَهُ : ادْخُلْ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَمُوتُ ، فَقَامَ مِنْ فُورَةٍ ، فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَاللَّوَاءَ مَعَهُ ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى رَكَزَهُ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ قَدْ مَاتَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، انْتَهَى بِعَيْنِ لَفْظِهِ .

(٣) صحيح مسلم : عن ابن عباس ، قال : كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله ﷺ ، فتواريت خلف الباب ، قال : فجاء فحطأني خطأ ، وقال : « اذهب وادع لي معاوية » ، قال : فجئت قلت : هو يأكل ، قال : ثم قال لي : « اذهب فادع لي معاوية » ، قال : فجئت ، فقلت : هو يأكل ، فقال : « لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بَطْنَهُ » .

وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿التحریم : ٤﴾ (١)

هل هؤلاء يستحقون أن يكونوا قدوة للمجتمع الإسلامي ؟

أم القدوة علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « علي مع الحق ، والحق مع علي » (٢) ؟

أم القدوة خديجة الكبرى التي بعث الله لها سلاماً خاصاً بيد جبرئيل ، قائلاً لرسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُقَرِّعُ خَدِيجَةَ السَّلَام ، فَاقْرَأْهَا السَّلَام » ، فقالت له خديجة لَمَّا أَبْلَغَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ : « إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَام ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ السَّلَام » (٣) ؟

أم القدوة هي فاطمة الزهراء عليها السلام التي يقول فيها رسول الله ﷺ : « ابنتي فاطمة هي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، وإنها لتقوم في محرابها فيُسَلِّمَ عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها : يا فاطمة ، إِنَّ اللَّهَ

(١) البخاري : بسنده عن عبد الله بن أبي ثور ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لم أزل حريصاً أن أسأل عمر رضي الله عنهما المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللتين قال الله لهما : ﴿ إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ... ﴾ [التحریم : ٤] ، فحجبت معه ، فعدل وعدلت معه بالإداوة ، فتهرب حتى جاء ، فسكبت على يديه من الإداوة ، فتوضأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللتان قال لهما : ﴿ إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ ... ﴾ ؟ فقال : وا عجباً لك - يا بن عباس - : عائشة وحفصة .

(٢) المستدرک علی الصحیحین (ج ٣ / ص ١٢٩ ح ٤٦١) : وأخرج بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن ، قالت : لَمَّا سَارَ عَلِيٌّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، دَخَلَ عَلَيَّ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ يُودِّعُهَا ، فَقَالَتْ : سِرْ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَفِي كَنَفِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَعَلَى الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَكَ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - فَإِنَّهُ أَمَرَنَا ﷺ أَنْ نَقْرَأَ فِي بَيْوتِنَا - لَسَرْتُ مَعَكَ ، وَلَكِنْ - وَاللَّهِ - لَأُرْسِلَنَّ مَعَكَ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ عِنْدِي وَأَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، ابْنِي عُمَرُ . قَالَ الْحَاكِمُ بَعْدَ أَحَادِيثَ هَذَا ثَالِثًا : (هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهَا) ، وَوَاقِفُهُ الذَّهَبِيُّ .

(٣) صحيح البخاري / كتاب مناقب الأنصار / باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها / حديث أنس ، قال : قال جبريل للنبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُقَرِّعُ خَدِيجَةَ السَّلَام - يعني فأخبرها - » ، فقالت : إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَام ، وَعَلَى جبريل السلام ، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته .

اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين»^(١).

وكان رسول الله ﷺ يُكثر من تقبيل فاطمة ، فقالت عائشة له ذات مرة :
إنك تُكثر من تقبيل فاطمة ، وأنكرت عليه ذلك !

فقال رسول الله ﷺ : « يا عائشة ، إني لَمَّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة ، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلته ، فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري ، فلَمَّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فما قبّلته قطُّ إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها »^(٢).

(١) بشارة المصطفى : حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني ، قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، قال : حدّثنا جعفر بن سلّمة ، قال : حدّثنا إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن إبراهيم بن موسى ابن أخت الواقدي ، قال : حدّثنا أبو قتادة الحرّاني ، عن عبد الرحمن بن العلا الحضرمي ، عن سعيد بن المسيّب ، عن ابن عباس ، قال : إن رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، فقال : « اللهم إني أعلم أن هؤلاء أهل بيتي ، وأكرم الناس عليّ ، فأحب من يُحبهم ، وبغض من يبغضهم ، ووال من والاهم ، وعاد من عاداهم ، وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهّرين من كل رجس ، معصومين من كل ذنب ، وأيدهم بروح القدس منك » . ثم قال ﷺ : « يا عليّ ، أنت إمام أمّتي ، وخليفتي عليها بعدي ، وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة ، وكأني أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور ، عن يمينها سبعون ألف ملك ، وعن شمالها سبعون ألف ملك ، وبين يديها سبعون ألف ملك ، وخلفها سبعون ألف ملك ، تقود مؤمنات أمّتي إلى الجنة ، فأيا امرأة صلّت في اليوم والليله خمس صلوات ، وصامت شهر رمضان ، وحجّت بيت الحرام ، وزكّت مالها ، وأطاعت زوجها ، ووالّت عليّاً بعدي دخلت الجنة بشفاعتي ابنتي فاطمة ، وإنّها سيّدة نساء العالمين » ، فقيل : يا رسول الله ، هي سيّدة نساء عالمها ؟ فقال عليه وآله السلام : « ذاك لمريم بنت عمران ، فأما ابنتي فهي سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين ، وإنّها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف (ملك) من الملائكة المقرّبين ، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون : يا فاطمة ! إن الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين .

(٢) البحار (ج ٤٣) : عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن أبي عبيدة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « كان رسول الله ﷺ يُكثر تقبيل فاطمة رضي الله عنها ، فأنكرت ذلك عائشة ، فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة ، إني لَمَّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة ، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى ، وناولني من ثمارها فأكلته ، فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري ، فلَمَّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فما قبّلته قطُّ إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها » .

وقال رسول الله ﷺ: « خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ »^(١).

هكذا حدّد رسول الله ﷺ لنا القدوة الصالحة وأمرنا باتّباعهم ، وقد أصبحت هذه القدوات التي رسمها لنا رسول الله ﷺ هي محلّ ابتلاء شيعة أهل البيت  في الدفاع عنهم والتمسّك بهم ، فالشيعة كان هدفهم الدفاع عن هذه القدوة ، والآخرين كان هدفهم سرقة القدوة .

لقد كان الإمام عليّ عليه السلام على رأس تلك القدوة الرجالية .

وقد ورد في رواية رواها أحمد بن حنبل في مسنده والنسائي في سننه^(٢) أنّ رسول الله ﷺ قال : « يا معشر قريش ، والله ليبعثنّ الله عليكم رجلاً قد امتحن الله قلبه بالإيمان ، فيضربكم على الدين » .

فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله ؟

فقال ﷺ : « لا » .

فقال عمر: أنا يا رسول الله ؟

(١) الخصائص الفاطمية للشيخ محمد باقر الكجوري (ج ١ / ص ١٧٤) : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلّا أربع : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد .

(٢) السنن الكبرى للنسائي / مَنَاقِبُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ رَبِيعٍ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : « جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَسٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ جِيرَانَكَ ، وَخُلَفَاءَكَ ، وَإِنْ أَنَسًا مِنْ عِبِيدِنَا قَدْ أَتَوْكَ لَيْسَ بِهِمْ رَغْبَةٌ فِي الدِّينِ ، وَلَا رَغْبَةٌ فِي الْفَقْهِ ، إِنَّمَا قَرُّوا مِنْ ضِيَابِنَا ، وَأَمْوَالِنَا ، فَأَرَدْتَهُمْ إِلَيْنَا ، فَقَالَ لَأَنِّي بَكْرٌ : مَا تَقُولُ ؟ قَالُوا : صَدَقُوا ، إِنَّهُمْ لَجِيرَانُكَ ، وَخُلَفَاؤُكَ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : صَدَقُوا ، إِنَّهُمْ لَجِيرَانُكَ ، وَخُلَفَاؤُكَ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ قَدْ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، فَلْيَضْرِبَنَّكُمْ عَلَى الدِّينِ ، أَوْ يَضْرِبْ بَعْضُكُمْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ عُمَرُ : أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الَّذِي يَخْصِفُ الثَّلْثَ ، وَكَانَ أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا .

فقال ﷺ: « لا ، ولكِنَّه الذي يخصف النعل » ، وكان رسول الله ﷺ أعطى علياً نعلًا يخصفها .

وفي رواية أخرى : قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه » ، فاستشرف لها القوم .

فقال أبو بكر: أنا هو ؟

قال ﷺ: « لا » .

قال عمر: أنا ؟

قال ﷺ: « لا ، ولكن خاصف النعل » يعني علياً .

يقول أبي سعيد الخدري : فأتيناه فبشّرناه ، فلم يرفع به رأسه ، كأنه كان قد سمع ذلك من رسول الله ﷺ .

وقد جاء في الرواية أَنَّ ابن عباس جاءه تسعة من الرجال الأشدّاء ، وكان جالساً مع جماعته ، فطلبوا منه قائلين : إمّا أن تقوم معنا أو تخلو بنا من هؤلاء .

فقال ابن عباس : بل أنا أقوم معكم .

فقام معهم ابن عباس جانباً ، ودار بينهم حديث ، ثمّ رجع ابن عباس إلى جماعته ينفذ ثوبه ويقول : أف وتف - ثلاث مرّات - ، وقعوا في رجل قال فيه النبي ﷺ: « لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً ، يُحبُّ الله ورسوله ، ويُحبُّه الله ورسوله » ، فاستشرف لها من استشرف ، فقال لي رسول الله ﷺ: « أين عليّ ؟ » ، فجاء وهو أرمَد لا يكاد يبصر ، فنفت رسول الله من ريقه في عينيه ، فارتد بصيراً^(١) .

(١) مسند أحمد : حدّثنا عبد الله ، حدّثنا يحيى بن حمّاد ، حدّثنا أبو عوانة ، حدّثنا أبو بلج ، حدّثنا عمرو بن ميمون ، قال : إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط ، فقالوا : يا ابن عباس ، إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن يخلو بنا هؤلاء ، قال : فقال ابن عباس : بل أقوم معكم ، قال : وهو يومئذٍ صحيح قبل أن يُعمى ، قال : فابتدؤوا

لاحظوا جماعة من الناس يقعون في عليّ ، ويتحرّكون في وسط المسلمين لتسقيط شخصية عليّ ، هؤلاء هم الخطّ النفاقي الذين كان هدفهم التعتيم الإعلامي على صورة القدوة الصحيحة التي رسمها النبي ﷺ على مستوى الرجال والنساء .

خلاصة الفصل الأوّل :

يؤكد هذا الفصل من الكتاب على العمق التاريخي للشيعة ، ووجودهم في عصر الرسول الأكرم ﷺ واصطفافهم إلى جانب خطّ الإيمان في مقابل خطّ النفاق .

ويدرس هذا الفصل الخطّ النبويّ التي مارسها رسول الله ﷺ في مواجهة خطّ الانحراف ، ودور الإمام عليّ عليه السلام وشيعته في هذه المواجهة .

فيما يستعرض هذا الفصل نماذج من خطط المنافقين في إيذاء رسول الله ﷺ والطعن بعليّ عليه السلام وشيعته .

كما يستعرض هذا الفصل المعالم الأخلاقية لأبناء خطّ الإيمان ، وهم شيعة عليّ عليه السلام ، والمعالم الأخلاقية لأبناء خطّ النفاق .



فحدّثوا ، فلا ندري ما قالوا ، قال : فجاء ينفذ ثوبه ويقول : أف وتف ، وقعوا في رجل له عشر : وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ : « لأبعثن رجلاً لا يُخزيه الله أبداً يُحبُّ الله ورسوله » ، قال : فاستشرف لها من استشرف ، قال : « أين عليّ ؟ » ، قالوا : هو في الرجل يطحن ، قال : « وما كان أحدكم ليطحن » ، قال : فجاء وهو أرمَد لا يكاد يبصر ، قال : فنفت ﷺ في عينيه ، ثم هزّ الراية ثلاثاً ، فأعطاه إياه ، فجاء بصفية بنت حبي .

الفصل الثاني

دور الشيعة

في عصر ما بعد رسول الله ﷺ

لقد تكلمنا سابقاً عن دور الشيعة أيام رسول الله ﷺ حيث ذكرنا أن الشيعة كانوا يُمثّلون خطّ الإيمان مقابل الخطّ الآخر الذي يُمثّل خطّ النفاق ، والآن نتحدّث عن محنة الشيعة ودورهم بعد رسول الله ﷺ .

السرقات الكبرى في التاريخ :

هنالك ثلاث سرقات كبرى حدثت بعد وفاة رسول الله ﷺ سمّاها القرآن الكريم الانقلاب بقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران : ١٤٤) ، وهي :

السرقة الأولى : سرقة الحكم بعد رسول الله ﷺ .

السرقة الثانية : سرقة إرادة الأمة .

السرقة الثالثة : سرقة الرسالة الإسلامية .

وكانت محنة الشيعة في مواجهة هذه السرقات الثلاث ودورهم هو إفشال هذه السرقات وفضحها .

لقد ذكرت الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ والتي رواها الفريقان من السُّنّة والشيعة أن رسول الله ﷺ قال : « لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم عنق بعض »^(١) .

(١) صحيح البخاري : حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، أَخْبَرَنِي وَاقِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .

والقرآن الكريم يقول هنا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

إذن هناك أحداث سوداء كان القرآن الكريم يُشير إليها، وكان رسول الله ﷺ يتنبأ بها فيقول: «أقبلت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم»^(١).

ويقول: «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة»^(٢).

ويقول: «سيكثر عليّ الكذابة»^(٣).

ويقول: «كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟»^(٤).

(١) المعجم الكبير للطبراني (ص ٨٧١): عَنْ أَبِي مُوَيْهَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: «يَا أَبَا مُوَيْهَةَ، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَيْعِ، فَأُطْلِقَ مَعِيَ»، فَأُطْلِقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ؛ لَيْسَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ، مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّأَكُمْ اللَّهُ مِنْهُ، أَقْبَلْتُ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتَّبِعُ أَوَّلُهَا آخِرُهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى»، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: «يَا أَبَا مُوَيْهَةَ، إِنِّي قَدْ أَوْثَيْتُ مَقَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخَيْرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي ﷻ وَالْجَنَّةَ»، قَالَ: قُلْتُ يَا أَبَايَ وَأُمِّي، فَخُذْ مَقَاتِيحَ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: «لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهَةَ، لَقَدْ احْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي ﷻ وَالْجَنَّةَ»، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَيْعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْعِهِ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ ﷻ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ.

(٢) سفينة البحار للشيخ عباس القمي (ج ٢/ ص ٣٥٩): جاء عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أُمَّةَ مُوسَى افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وسبعون في النار، وافتترقت أُمَّةُ عيسى بعده على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وإحدى وسبعون في النار، وإن أمتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية واثنان وسبعون في النار».

وفي مجمع البيان للطبرسي (ج ٣/ ص ٤٢٤): عن أبي عبد الله الصادق أن النبي ﷺ رأى ذات ليلة وهو بالمدينة كأن قروداً أربعة عشر قد علوا منبره واحداً بعد واحد، فلما أصبح قصَّ رؤياه على أصحابه، فسألوه عن ذلك فقال: يصعدون منبري هذا بعدي جماعة من قريش ليسوا لذلك أهلاً، قال الصادق عليه السلام: «هم بنو أمية».

(٣) كشف الخفاء للعجلوني (ج ٢/ ص ٢٧٥): البخاري عن مسلمة، قال ابن الجوزي: رواه عن النبي ﷺ ثمانية وتسعون صحابياً أنه قد اشتهر عن رسول الله ﷺ قوله: «سيكثر عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

(٤) مسند أبي يعلى (ج ١٤/ ص ٣٠٤): حدثنا محمد بن الفرج، حدثنا محمد بن الزبرقان، حدثنا موسى بن

ويقول: « رأيت كأنَّ قردةً ينزون على منبري »^(١).

وطالما كان رسول الله ﷺ يُرى باكياً ، فيقال له : يا رسول الله ، ممَّ بكاؤك ؟

فكان تارةً يُحدِّثهم بما يجري على الزهراء عليها السلام حيث يقول ﷺ: « كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ ضَرَبَ الذُّلُّ بَيْتَهَا ، وَهِيَ تَقُولُ : وَمَا مُحَمَّدَاهُ وَلَا مُحَمَّدٌ لِي الْيَوْمَ »^(٢).

وأخرى يذكر لهم ما يجري على الحسين عليه السلام قائلاً: « هَذَا جَبْرِئِيلُ يُخْبِرُنِي بِأَنَّ وَلَدِي هَذَا مَقْتُولٌ ، تَقْتُلُهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَّتِكَ »^(٣).

عبيدة ، قال : أخبرني عمر بن هارون وموسى بن أبي عيسى ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ: « كيف بكم أيُّها الناس إذا طغى نساؤكم وفسق فتياتكم ؟ » ، قالوا : يا رسول الله ، إنَّ هذا لكائن ؟ قال : « نعم وأشد منه ، كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ » ، قالوا : يا رسول الله ، إنَّ هذا لكائن ؟ قال : « نعم وأشد منه ، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً ؟ » .

(١) المطالب العالية لابن حجر العسقلاني / كتاب الفتوح : حدَّثنا مصعب بن عبد الله ، قال : حدَّثنا ابن أبي حازم ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : إنَّ رسول الله ﷺ رأى في المنام كأنَّ بني الحكم ينزون على منبره ، فأصبح كالمتغيظ ، وقال : « ما لي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة ؟ » ، فما رُئي ضاحكاً بعد ذلك حتَّى مات .

(٢) البحار (ج ٤٣) : عن ابن عباس في خبر طويل : « وأمَّا ابنتي فاطمة ، فإنَّها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخرين ، وهي بضعة منِّي ، وهي نور عيني ، وهي ثرة فؤادي ، وهي رُوحِي التي بين جنبي ، وهي الحوَّراء الإنسية ، متى قامت في محرابها بين يدي ربِّها ﷺ زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ، ويقول الله ﷻ للملائكة : يا ملائكتي ، انظروا إلى أمتي فاطمة سيِّدة إماني قائمة بين يدي ، ترتعد فرائضها من خيفتي ، وقد أقبلت بقلبي على عبادتي ، أشهدكم أيُّي قد أمنت شيعتها من النار . وإنِّي لسمَّا رأيتها ذكرت ما يُصنع بها بعدي ، كأني بها وقد دخل الذلُّ بيَّتها ، وإنَّه كُتِّبَ حرمتها ، وغُصِّيت حقُّها ، ومُيعَت إرثها ، وكُسِرَ جنبها ، وأسقطت جنبينها ، وهي تنادي : يا محمداه فلا تُجاب ، وتستغيث فلا تُغاث ، فلا تزال بعدي محزونة ، مكروبة ، باكية ، تتذكَّر انقطاع الوحي عن بيتها مرَّة ، وتذكَّر فراقِي أخرى ، وتستوحش إذا جُثَّ الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجَّدت بالقرآن ، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيَّام أيَّها عزيزة » .

(٣) بحار الأنوار (ج ٤٤) : وعن عبد الله بن يحيى ، قال : دخلنا مع عليٍّ إلى صَفَيْنَ ، فلمَّا حاذى نينوى نادى : « صبراً يا عبد الله » ، فقال : « دخلت على رسول الله وعيناه تفيضان ، فقلت : بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ، ما

وهذا كله تنبؤ من رسول الله ﷺ بالانقلابات التي ستحدث بعد وفاته من سرقة الخلافة ، وسرقة إرادة الأمة ، وسرقة الرسالة الإسلامية .

لقد كان رسول الله ﷺ يقول : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » ^(١) .

وهذه دلالة واضحة على سرقة الحكم بعده يُعلنها صريحة رسول الله ﷺ .

إذن فالحديث عن سرقة الحكم بعد رسول الله ﷺ هو حديث أجمع عليه المحذّثون والمؤرّخون .

أما السرقة الثانية ، فكانت سرقة إرادة الأمة ، وهو ما عبّرت عنه الزهراء ع بقولها وهي تخاطب الأنصار : « أَيُّهَا بَنِي قَيْلَةَ ! أَهَضَمْتُ ثَرَاتَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَع ، وَمُتَنَتْدِي وَمَجْمَع ! ؟ تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ ، وَتَشْمُلُكُمْ الْخَبْرَةُ ، وَأَنْتُمْ ذُوو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ ، وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ ، وَعِنْدَكُمْ السِّلَاحُ وَالْجُنَّةُ ، تُوَفِّيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا

لعينيك تفيضان ؟ أغضبك أحد ؟ قال : لا ، بل كان عندي جبرئيل ، فأخبرني أن الحسين يُقتل بشاطئ الفرات ، وقال : هل لك أن أشتك من تربته ؟ قلت : نعم ، فمدّ يده فأخذ قبضة من تراب فأعطانيها ، فلم أملك عيني أن فاضتا ، واسم الأرض كربلا . فلما أتت عليه سنتان خرج النبي إلى سفر ، فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه ، فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : هذا جبرئيل يُخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها : كربلا ، يُقتل فيها ولدي الحسين ، وكأني أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها ، وكأني أنظر على السبايا على أفتاب المطايا وقد أهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد لعنه الله ، فوالله ما ينظر أحد إلى رأس الحسين ويفرح إلّا خالف الله بين قلبه ولسانه ، وعذبه الله عذاباً أليماً . رجع النبي من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً ، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين وخطب ووعظ الناس ، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين ، وقال : اللَّهُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَهَذَانِ أَطَائِبُ عَتْرَتِي ، وَخِيَارُ أُرُومَتِي ، وَأَفْضَلُ ذُرِّيَّتِي ، وَمَنْ أَخْلَفَهُمَا فِي أُمَّتِي ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي جِبْرِئِيلُ أَنَّ وَلَدِي هَذَا مَقْتُولٌ بِالسَّيْفِ ، وَالْآخِرُ شَهِيدٌ مُضْرَجٌ بِالْדَّمِ ، اللَّهُمَّ فَبَارِكْ لَهُ فِي قَتْلِهِ ، وَاجْعَلْهُ مِنْ سَادَاتِ الشَّهَدَاءِ ، اللَّهُمَّ وَلَا تَبَارِكْ فِي قَاتِلِهِ وَخَاذِلِهِ وَأَصْلِهِ حَرَّ نَارِكَ ، وَاحْشِرْهُ فِي أَسْفَلِ دَرَكِ الْمَجْهِمِ » .

(١) تاريخ الطبري (ج ٨ / ص ١٨٦) : روي أن النبي ﷺ قال : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » ، وأطال في ذلك ، وأمر أن يقال ذلك في البلاد ، ولعن معاوية على المنابر ، فقيل له : إن في ذلك استطالة للعلويين وهم في كل وقت يخرجون على السلطان ويحصل به الفتن بين الناس ، فأمسك عن ذلك .

تُجِيبُونَ ، وَتَأْتِيَكُمْ الصَّرخَةُ فَلَا تُغِيثُونَ ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكَفَاحِ ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، وَالنُّجْبَةُ الَّتِي انْتَجَبْتَ ، وَالْخَيْرَةُ الَّتِي اخْتِيرْتَ ! قَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ ، وَحَمَلْتُمُ الْكَدَّ وَالْتَعَبَ ، وَنَاطَحْتُمُ الْأَمَمَ ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ ، فَلَا نَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتِمُرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ ، وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ ، وَخَضَعَتْ نَعْرَةُ الشِّرْكَ ، وَسَكَتَتْ فَوْزَةُ الْإِفْكِ ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرَجِ ، وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ ، فَأَتَى جُرْتُمُ بَعْدَ الْبَيَانِ ، وَأَسْرَزْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ ؟ ^(١) .

وخاطبت نساء المهاجرين والأنصار بقولها : « قَالَتْ : أَصَبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً لِدُنْيَاكُنَّ ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُنَّ ، لَفَطَلْتُهُمْ قَبْلَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ ، وَشَانَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ ، فَمُبْحَا لِفُلُولِ الْحَدِّ ، وَخَوَرِ الْقَنَاقَةِ ، وَخَطَلِ الرَّأْيِ ، وَ﴿ لَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة : ٨٠] ، لَا جَرَمَ لَقَدْ قَلَدْتُهُمْ رَبَقَتَهَا ، وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ عَارَهَا ، فَجَدَعَا وَعَقَرَا وَسَحَقَا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » ^(٢) .

إذن هاهنا أمة قد سُْرِقَتْ إرادتها ، وقد حاول الإمام عليٌّ والزهراء عليهما السلام تحرير إرادتها ولكن دون جدوى ، فالأمة قد سُْرِقَتْ إرادتها حتَّى تسلَّط عليها شرارها ، ووصل الأمر إلى معاوية الذي صعد على المنبر فقال : (واللَّهِ ما قاتلتكم على صوم

(١) بلاغات النساء لأحمد بن طاهر أبي طيفور : قال أبو الفضل : ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فذك ، وقلت له : إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع ، وأنه من كلام أبي العيْناء الخبر منسوق البلاغة على الكلام ، فقال لي : رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويُعلِّمونهم أبناءهم ، وقد حدَّثني أبي عن جدِّي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ، ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يُولَّدَ جدُّ أبي العيْناء ، وقد حدَّثت به الحسن بن علوان عن عطية العوفي أنه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه ، ثم قال أبو الحسين : وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه ، وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة يتحقَّقونه ، لولا عداوتهم لنا أهل البيت ؟

(٢) كشف الغمَّة في معرفة الأئمة للشيخ عليٍّ بن عيسى الأربلي .

أو حجٍّ أو صلاة ، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم^(١) .

الأمّة تسمع ما يقول وهي ساكتة ، لأنّ إرادتها قد سلبها هؤلاء المنافقون .

ولكن الأخطر من هذا كلّهُ هو سرقة الرسالة الإسلاميّة ، حيث اشتغلت الماكنة الإعلامية لخطّ النفاق الحاكم من أجل تحريف مسار الرسالة الإسلاميّة وتجميد القرآن الكريم ومحو كلام رسول الله ﷺ حتّى وصل الأمر إلى أنّ خليفة المسلمين يصعد على المنبر ويقول : (لا أسمع منكم أحداً يقول : قال رسول الله)^(٢) . وهو وعيد وتهديد للكلّ بأن لا تذكروا أحاديث رسول الله ﷺ .

كما أوجعوا بالسوط من يبحث عن تفسير القرآن ، كما في قصّة صبيغ^(٣) .

مهمّة الشيعة في هذه المرحلة :

لقد كانت السرقة الأولى هي سرقة الحكم ، وقد صرّح بها الإمام عليّ عليه السلام علناً بقوله :

« أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى ، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا تَوْباً ،

(١) البداية والنهاية لابن كثير (ج ٨) : قال يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وسعيد بن منصور ، قالوا : ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن سويد ، قال : صلّى بنا معاوية بالنخيلة - يعني خارج الكوفة - الجمعة في الضحى ، ثمّ خطبنا فقال : (ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلّوا ولا لتحبّوا ولا لتزكّوا ، قد عرفت أنّكم تفعلون ذلك ، ولكن إنّما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون) ، رواه محمد بن سعد ، عن يعلى بن عبيد ، عن الأعمش به .

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي (ج ٥ / ص ١٨٢) : ما إن صعدت صيحة أهل بيت النبيّ ، والمسلمين الموجودين قرب بيته وفي مسجده الملاحق للبيت . . حتّى ظهر عمر في المسجد لابساً لباس الحرب شاهراً سيفه وهو يصيح : إنّ النبيّ لم يمت ، والله لا أسمع أحداً يقول : مات رسول الله إلّا ضربته بالسيف !

(٣) ستأتي القصّة ص (١٠٣) .

وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً ، وَطَفِئْتُ أَرْثِي بَيْنَ أَنْ أَضُولَ بِيَدِ جَذَاءٍ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَبُّ ^(١) .

فهنا تصريح علني من أمير المؤمنين عليه السلام بسرقة الحكم ، ولكنه عليه السلام يُصْرِحُ أيضاً بأنه أعطى الأولوية للحفاظ على الرسالة الإسلامية وعدم السماح بسرقتها ، والصبر على سرقة الحكم .

لذا عاهد أمير المؤمنين نفسه خلال فترة سرقة الحكم أن يجمع القرآن الكريم ليتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل .

كما كانت مهمة شيعة أهل البيت عليه السلام هي المحافظة على تقديم المعنى الصحيح للقرآن الكريم ، وتوضيح معانيه حسب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانت مهمتهم هي المحافظة على السُّنَّة النبوية ، واعتبارها وحدها بعد القرآن هي الحجة الشرعية دون غيرها .

لذا حين قيل للإمام علي عليه السلام : (نبايعك على العمل بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه وسيرة الشيخين) رفض ذلك وقال عليه السلام : « بل على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه » ^(٢) .

كانت مهمة شيعة أهل البيت عليه السلام هي سلب الشرعية من هذه التجربة الانحرافية التي حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإفهام الناس بأن هؤلاء لا يُمَثِّلُونَ الإسلام الصحيح وإن حكموا ألف عام . وهذه المهمة كلفت الشيعة دماءً وسجوناً وتشريداً وتهجيراً ، ولكنهم نجحوا في حفظ الرسالة الإلهية .

(١) نهج البلاغة / الخطبة الشقشقية .

(٢) تاريخ يعقوبي (ج ١ / ص ١٦٢) : إنَّ عبد الرحمن خلا بعلي بن أبي طالب ، فقال : لنا الله عليك ، إن وليت هذا الأمر ، أن تسير فينا بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه وسيرة أبي بكر وعمر . فقال : « أسير فيكم بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه ما استطعت » .

الاتجاهات الأربعة في مواجهة الانحراف :

قلنا : إنَّ هنالك ثلاث سرقات كبرى حدثت بعد رسول ﷺ ، وهي :

السرقَةُ الأولى : سرقة الحكم .

السرقَةُ الثانية : سرقة الأمة .

السرقَةُ الثالثة : سرقة الرسالة .

أين كان شيعة أهل البيت ودورهم في هذه المحنة ؟

لقد كانت هنالك أربعة اتجاهات أمام هذه المحنة ، وهي :

الاتجاه الأول :

هو اتّجاه إسقاط التجربة الإسلاميّة بأجمعها والانقضاض عليها ، فبعد وفاة رسول الله ﷺ وانشغال القوم بالخلافات نشأ هذا الاتّجاه ، وكان صاحب هذا الاتّجاه هو أبو سفيان ، فقد جاء إلى الإمام عليّ عليه السلام قائلاً : (يا عليّ ، إن شئت لأملأنّها عليهم خيلاً ورجالاً ، وأنت أولى منهم بهذا المقام) ، كان ذلك في محاولة من أبي سفيان لضرب عصفورين بحجر واحد حسب اعتقاده ، وإسقاط المشروع الإسلامي بأكمله .

وهنا رفض الإمام عليّ عليه السلام ذلك قائلاً لأبي سفيان : « ما زلت عدوّاً للإسلام وأهله ، فما ضرّ ذلك الإسلام وأهله شيئاً . والله ما أريد أن تملأها عليهم خيلاً ورجالاً »^(١) .

(١) الطبري (ج ٢ / ص ٤٤٩) : إنَّ أبا سفيان قال للإمام : ما بال هذا الأمر (الخلافة) في أدلّ قبيلة من قريش وأقلّها ؟ والله لئن شئت لأملأها عليه خيلاً ورجالاً . وكان جواب الإمام : « ما زلت عدوّاً للإسلام وأهله ، فما ضرّ ذلك الإسلام وأهله شيئاً . والله ما أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً ، ولو رأينا أبا بكر لذلك أهلاً ما خلّيناه وإيّاها . يا أبا سفيان ، إنّ المؤمنين قوم نصحه بعضهم لبعض متوادّون وإن بعدت ديارهم وأبدانهم ، وإن المناققين قوم غشّته بعضهم لبعض » .

الاتجاه الثاني:

وهو اتجاه التسليم والاستسلام والتماشي مع هذا الواقع الجديد ، وهذا هو الاتجاه الذي ساد في الوسط الإسلامي يومئذ .

وهنا نذكر شاهداً من التاريخ حين أخذ الإمام عليّ عليه السلام بيد الزهراء عليها السلام وطاف بها على بيوت الأنصار تطلب منهم النصرة أجابوها : (يا بنت رسول الله ، قد سبقت بيعتنا لهذا الرجل !)^(١) .

طبعاً هذا الاتجاه كان مرفوضاً عند الإمام عليّ عليه السلام وشيعته .

الاتجاه الثالث:

وهو اتجاه الاعتزال والانسحاب من الساحة .

ولنا أيضاً هنا شاهد من التاريخ ، وهو سعد بن عبادَةَ زعيم الخزرج الذي خرج خارج المدينة واعتزل عن الناس .

ولكن رغم اعتزاله لم يتركه المنافقون ، فبعد أن بحثوا عنه بواسطة عيونهم الاستخباراتية وعثروا عليه كمنوا له ليلاً ووجَّهوا له سهامهم وقتلوا سيّد الخزرج ، وأشاعوا بين الناس أن سعداً قتله الجُنُّ ، وسُمِّي قَتِيلَ الجِنِّ . ونسبوا شعراً إلى الجِنِّ يقول :

قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباده ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

(١) الإمامة والسياسة (ص ١١) : خرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة عليها السلام على دابة ليلاً في مجالس الأنصار يسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : قد سبقت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا عنه ، فيقول عليّ : « أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ » ، فقالت فاطمة : « ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالهم » .

الاتجاه الرابع :

وهو اتّجاه المحافظة على أصل التجربة الإسلاميّة ، والعمل على تصحيحها ، وهذا هو ما التزم به الإمام عليّ عليه السلام وشيعته .

أهل البيت عليه السلام وشيعتهم كانت مسؤوليتهم هي المحافظة على أصل التجربة الإسلاميّة ، وتصحيح مساراتها على مرّ العصور .

في خضمّ هذه الصراعات الداخلية في الجسم الإسلامي ، أراد أهل الكتاب أن يستغلّوا هذا الأمر في ثورة تحريفية لصالح دينهم حيث الناس مشغولة بارتداد المرتدّين وانشقاق المنافقين .

فقد روى المؤرّخون^(١) : أنّه جاء وفد من بلاد الروم إلى المدينة على عهد أبي بكر ، وفيهم راهب من رهبان النصارى ، فأتى مسجد رسول الله ﷺ ومعه بختي^(٢) موقر ذهباً وفضّةً ، وكان أبو بكر حاضراً ، وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار .

فدخل عليهم ، وحيّاهم ، ورخّب بهم ، وتصفّح وجوههم ، ثم قال : أيّكم خليفة رسول الله ، وأمين دينكم ؟ !

فأومى إلى أبي بكر ، فأقبل إليه بوجهه ، ثم قال : أيّها الشيخ ، ما اسمك ؟ !

قال : اسمي عتيق .

قال : ثمّ ماذا ؟ !

قال : صدّيق .

قال : ثمّ ماذا ؟ !

قال : لا أعرف لنفسي اسماً غيره .

(١) المرتضى من سيرة المرتضى للمحقّق السيّد جعفر مرتضى العاملي .

(٢) البخّي : نوع من الإبل .

فقال : لست بصاحبي .

فقال له : وما حاجتك ؟ !

قال : أنا من بلاد الروم ، جئت منها ببختي موقر ذهباً وفضّةً ، لأسأل أمين هذه الأمة مسألة ، إن أجابني عنها أسلمت ، وبما أمرني أطعت ، وهذا المال بينكم فرّقت ، وإن عجز عنها رجعت إلى الوراق بما معي ، ولم أسلم .
فقال له أبو بكر: سلّ عمّا بدا لك .

فقال الراهب : والله ، لا أفتح الكلام ما لم تؤمّني من سطوتك وسطوة أصحابك .

فقال أبو بكر: أنت آمن ، وليس عليك بأس ، قل ما شئت .
فقال الراهب : أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله .
فارتعش أبو بكر ، ولم يحر جواباً ، فلمّا كان بعد هنيئة قال - لبعض أصحابه - : انتني بأبي حفص عمر .
فجاء به ، فجلس عنده ، ثم قال : أيّها الراهب ، أسأله .
فأقبل الراهب بوجهه إلى عمر ، وقال له مثل ما قال لأبي بكر ، فلم يحر جواباً .

ثم أتى بعثمان ، فجرى بين الراهب وعثمان مثل ما جرى بينه وبين أبي بكر وعمر ، فلم يحر جواباً .

فقال الراهب : أشياخ كرام ، ذووا فجاج الإسلام ، ثم نهض ليخرج .
فقال أبو بكر: يا عدوّ الله ، لولا العهد لخضبت الأرض بدمك .
فقام سلمان الفارسي وأتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو جالس في صحن داره مع الحسن والحسين عليهما السلام ، وقصّ عليه القصّة .
فقام عليّ عليه السلام وخرج ومعه الحسن والحسين عليهما السلام حتّى أتى المسجد ، فلمّا رأى القوم عليّاً عليه السلام كَبَرُوا الله ، وحمدوا الله ، وقاموا إليه أجمعهم .

فدخل عليّ عليه السلام وجلس .
فقال أبو بكر: أيُّها الراهب ، اسأله ، فإنَّه صاحبك وبغيتك .
فأقبل الراهب بوجهه إلى عليّ عليه السلام ، ثم قال : يا فتى ، ما اسمك ؟
قال : « اسمي عند اليهود إيليا ، وعند النصارى إيليا ، وعند والدي عليّ ، وعند
أمي حيدرة » .
قال : ما محلُّك من نبيِّكم ؟
قال : « أخي ، وصهري ، وابن عمِّي لحاً » .
قال الراهب : أنت صاحبي وربِّ عيسى ، أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من
عند الله ، ولا يعلمه الله .
قال عليه السلام : « على الخير سقطت ، أمَّا قولك : ما ليس لله ، فإنَّ الله تعالى
أحد ، ليس له صاحبة ولا ولد .

وأمَّا قولك : ولا من عند الله ، فليس من عند الله ظلم لأحد .
وأمَّا قولك : ولا يعلمه الله ، فإنَّ الله لا يعلم له شريكاً في الملك » .
فقام الراهب ، وقطع زناره ، وأخذ رأسه وقبَّل ما بين عينيه ، وقال : (أشهد أن
لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، وأشهد أنَّك أنت الخليفة ، وأمين هذه الأمة ،
ومعدن الدين والحكمة ، ومنبع عين الحجة . لقد قرأت اسمك في التوراة إيليا ،
وفي الإنجيل إيليا ، وفي القرآن عليّاً ، وفي الكتب السابقة حيدرة ، ووجدتك بعد
النبيِّ وصياً ، ولإمارة وليّاً ، وأنت أحقُّ بهذا المجلس من غيرك ، فخبرني ما شأنك
وشأن القوم ؟) .

فأجابه بشيء .

فقام الراهب وسلَّم المال إليه بأجمعه ، فما برح عليّ عليه السلام مكانه حتَّى فرَّقه
في مساكن أهل المدينة ، ومحاويجهم ، وانصرف الراهب إلى قومه مسلماً .

هذا هو اتجاه الدفاع عن أصل التجربة وصيانتها ، ثم العمل بعد ذلك على مواجهة خط الانحراف .

الزهراء عليها السلام تدافع عن التجربة :

ولقد شاركت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في هذا الاتجاه بعد أن أدركت خطورة الأمر حيث قالت :

« أَيُّهَا النَّاسُ ! اَعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ عليه السلام ، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا ، وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطًا ، وَلَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطًا ، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] . »

ثم قالت : « فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ ، ظَهَرَتْ فِيكُمْ حَسَكَةُ النِّفَاقِ وَسَمَلُ جِلْبَابِ الدِّينِ ، وَنَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينَ ، وَنَبَغَ خَامِلُ الْأَقْلِينَ ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْمُبْطِلِينَ . فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ ، وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ ، هَاتِفًا بِكُمْ ، فَأَلْفَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ ، وَلِلْغَرَّةِ فِيهِ مَلَا حِظِينَ . ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفَافًا ، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفَاكُمْ غَضَابًا ، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ مَشْرَبِكُمْ ، هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْكَلِمُ رَحِيبٌ ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمُلُ ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرُ ، ابْتِدَارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ، ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] » ^(١) .

ثلاثة مشاريع انحرافية :

كان على الشيعة بعد رسول الله عليه السلام أن يواجهوا ثلاثة مشاريع انحرافية ،

هي :

١ - تسطيح الوعي القرآني .

(١) الاحتجاج للطبرسي .

- ٢ - محو السُّنة الشريفة .
٣ - استبدال السيرة النبوية .

المشروع الأول: تسطيح الوعي القرآني:

لقد عمدت السياسات الحاكمة بعد رسول الله ﷺ إلى التظاهر بحفظ القرآن الكريم وجمعه دون تفهّم معانيه والعمل بها والسؤال عنها ، حتّى كان معاوية بن أبي سفيان يعاقب على تفسير القرآن الكريم ! وحتّى رأينا كيف استخدم القرآن الكريم في حرب صفّين^(١) للإيقاع بالإمام عليّ ﷺ وأصحابه ، وخذاعهم بالتحاكم إلى القرآن المرفوع على الرماح !

لم يكن هذا قد حدث لولا سابقة تاريخية حدثت منذ اليوم الأوّل بعد رسول الله ﷺ ، ومن أجل ذلك لاحظنا الزهراء ﷺ في خطبتها في المسجد قالت لهم : « أنتم أعلم بكتاب الله من ابن عمّي ؟ » .

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي (ص ٨٣) : بعد أن تمّ لعليّ ﷺ النصر في موقعة الجمل ، توجه بجيشه لتصفية المعارضة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان في الشام ، وتلاقى الجيشان عند الفرات ، وقد حاول الإمام إصلاح الموقف بالوسائل السلمية ، إلّا أنّ ردّ معاوية على الوفد الذي بعثه إليه الإمام كان : (انصرفوا عني ، فليس عندي إلّا السيف) ، وهكذا التحم الجيشان ، وعندما لاحت تباشير النصر لصالح جيش الإمام ﷺ ، دبر معاوية (خدعة المصاحف) ، فأمر جنوده برفع المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف ، ومع أنّ الإمام تصدّى لكشف هذه المؤامرة التي يراد بها عرقلة النصر الذي كان وشيكاً لصالح جيش الإمام عليّ ﷺ ، إلّا أنّ المطالبين بإيقاف القتال في جيشه لم يستجيبوا لنداءاته المتكرّرة ، واضطّروه إلى قبول التحكيم ، ورغم معارضة الإمام الشديدة لاختيار أبو موسى الأشعري كطرفاً ممثلاً عن جيشه في التحكيم لضعفه ووهن رأيه ، حيث قال لهم الإمام ﷺ : « لا أرى أن تولّوا أبا موسى الحكومة ، فإنّه ضعيف عن عمرو ومكائده » ، وكان عليّ قد عزل أبا موسى عن ولاية الكوفة أيضاً . وقد كان هناك تخطيط مسبق لرفع المصاحف والتنسيق لذلك مع حركة موالية لمعاوية مندسّة في جيش الإمام والتي عملت على المطالبة بقبول التحكيم واختيار الأشعري ممثلاً في التحكيم ، وقد جاءت نتائج التحكيم - كما توقّع الإمام - لصالح معاوية حيث بدأ الأمر يستتبّ له شيئاً فشيئاً بعد هذا التمرد الكبير والخروج عن طاعة خليفة المسلمين بغياً منه وطمعاً في النعيم الدنيوي الذي طالما حلم به .

قصة قدامة بن مظعون:

ولنذكر هنا قصة قدامة بن مظعون^(١) حين شرب الخمر في زمن عمر بن الخطاب ، فقال له عمر: سوف نقيم عليك الحد !
فقال له قدامة : لا يجب علي إقامة الحد .

فقال له عمر: كيف ذلك ؟

فأجابه : القرآن يقول : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا ﴾ (المائدة : ٩٣) .

ولم يعرف الخليفة كيف يتخلص من هذا الاستدلال القرآني ! واضطر إلى إعفائه من الحد الشرعي .

ولكن حين وصل الخبر إلى الإمام علي عليه السلام قال عليه السلام لعمر: لِمَ تركت إقامة الحد على قدامة في شرب الخمر؟

فأجابه : لقد تلا علي الآية القرآنية : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا ﴾ .

فقال له الإمام : شرطت ذلك بالقول : ﴿ إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) السنن الكبرى للنسائي/ كتاب الحد في الخمر : أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، قال : حدثنا يحيى بن فليح بن سليمان ، قال : حدثني ثور بن زيد الديلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن قدامة بن مظعون شرب الخمر بالبحرين ، فشهد عليه ، ثم سئل فأقر أنه شربه ، فقال له عمر بن الخطاب : ما حملك على ذلك ؟ فقال : لأن الله يقول : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، وأنا منهم ، أي من المهاجرين الأولين ، ومن أهل بدر ، وأهل أجد ، فقال للقوم : أجيئوا الرجل ، فسكتوا ، فقال لابن عباس : أجبه ، فقال : إنما أنزلها عذراً لمن شربها من الماضين قبل أن تحرم ، وأنزل : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [المائدة : ٩٠] ، حجة على الباقيين ، ثم سألت من عنده عن الحد فيها ، فقال علي بن أبي طالب : « إنه إذا شرب هذبي ، وإذا هذبي افترى الأعيان ثمانين » .

ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾ . وليس قدامة مَمَّنْ تشمله هذه الآية ، ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حَرَّمَ الله ، إِنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلّون حراماً .

فأمر عمر بن الخطاب بإقامة الحدِّ على قدامة .

قصة المرأة الوالدة:

في زمن عثمان بن عفان كانت امرأة قد وُلِدَتْ لِسِتَّةِ أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان متَّهماً إياها بالزنا ، فأمر عثمان برجمها !

ولمَّا وصل الخبر إلى الإمام عليٍّ عليه السلام سارع إلى عثمان قائلاً له : ما تصنع ؟ ليس لك ذلك ، لأنَّ الله يقول : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف : ١٥) ، ويقول : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (البقرة : ٢٣٣) .

بما يعني أنَّ الطفل يمكن أن يُولَدَ لِسِتَّةِ أشهر بعد إسقاط حولين كاملين (سنتين) ، وهي مدَّة الرضاع من ثلاثين شهراً ، حيث يكون الباقي سِتَّةَ أشهر ، وهي مدَّة الحمل .

وأرسل الإمام عليها وطلب أن تردَّ ، فسارعوا إليها ، ولكنها كانت قد رُجِمَتْ وماتت ^(١) !

لقد كانت هذه محنة حقيقية ، وخطر حقيقي على الإسلام أن يشرف على تطبيق أحكامه من لا يعرف فقه القرآن الكريم ومعانيه .

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين للشيخ باقر القرشي : تزوّج رجل امرأة من جبهة ، فولدت له ولداً لِسِتَّةِ أشهر ، فانطلق زوجها إلى عثمان ، فأمر بها أن تُرَجَّم ، فبلغ ذلك الإمام عليه السلام ، فسارع إلى عثمان ، فقال له : « ما تصنع ؟ ليس ذلك - أي الرجم - عليها ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ ، فالرَّضَاعَةُ أربعة وعشرون شهراً ، والحمل سِتَّةَ أشهر ، فاعتذر عثمان وقال : والله ! ما فظنت لهذا ، وأمر بها أن تردَّ ، فسارعوا إليها ، ولكنها كانت قد رُجِمَتْ وماتت .

حَتَّى قَالَ فِيهِمْ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام: « ترد على أحدهم القضية فيحكم فيها برأيه ، ثم ترد عليه بعد فترة فيحكم بها في خلاف رأيه الأول » ^(١) ، وهو نفسه ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله: « يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم » ^(٢) .

وعثمان يخرج إلى السفر فيصلي أربع ركعات ، فيقال له : أنت مسافر ، فيقول : البلاد كلها لي !

ومن هنا كانت مهمة الإمام علي عليه السلام وشيعته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هي الدفاع عن الدين الصحيح ، والقتال على تأويل القرآن بعد أن انتهت معركة التنزيل ، ولقد اضطلع الإمام علي عليه السلام وشيعته بهذا الدور بكل بسالة وبطولة .

يُسَجِّلُ لَنَا التَّارِيخُ عَشْرَاتِ الْقَصَصِ وَالْوَقَائِعِ لِعَلِيِّ عليه السلام وشيعته من أمثال أبي ذرٍّ وسلمان وعَمَّارٍ وَالْمَقْدَادِ .

(١) نهج البلاغة من خطبة له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ، وفيه يذم أهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن : « تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرُدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةَ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ ، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً ، وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ ، أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ ، أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ ؟ » .

(٢) صحيح البخاري : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْماً : أَنَاهُ ذُو الْخَوْبِصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اعْدِلْ ! فَقَالَ : « وَتِلْكَ ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اَعْدِلْ ؟ قَدْ خَبَيْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ اَعْدِلُ » ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ : « دَعْنِي فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ إِلَى تَصْلِيهِ فَلَا يُوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى تَضْيِيهِ - وَهُوَ قِدْحُهُ - فَلَا يُوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْرِهِ فَلَا يُوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْتُ وَالِدَمُّ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ اِخْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ نُدْيِ الْمَرَأَةِ أَوْ مِثْلِ الْبُضْعَةِ تَدْرَدَرُ ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ » ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ قَاتِلِيسَ فَأَتَيْ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الَّذِي نَعْتَهُ .

قصة الأسقف مع الخليفة الثاني :

نستطيع هنا أن نقرأ قصة الأسقف مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، عن أنس بن مالك أنه قال : وفد الأسقف البحراني على عمر بن الخطاب لأجل أدائه الجزية ، فدعاه عمر إلى الاسلام ، فقال الأسقف : أنتم تقولون : إنَّ لله جنَّة عرضها السماوات والأرض ، فأين تكون النار ؟

قال : فسكت عمر ، ولم يردَّ جواباً .

فقال له الجماعة الحاضرون : أجبه يا أمير المؤمنين حتَّى لا يطعن في الإسلام .

قال : فأطرق خجلاً من الجماعة الحاضرين ساعة لا يردُّ جواباً ، فإذا بباب المسجد رجل ، فتأمَّلوه وإذا به عيبة علم النبوة عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام) قد دخل ، قال : فضجَّ الناس عند رؤيته ، فقام عمر بن الخطاب والجماعة على أقدامهم ، وقال : أخبره قبل أن يرتدَّ الناس .

فقال عليُّ (عليه السلام) : « ما تقول يا أسقف ؟ » .

قال : يا فتى ، أنتم تقولون : إنَّ الجنَّة عرضها كعرض السماوات والأرض ، فأين تكون النار ؟

قال له الإمام : « إذا جاء الليل أين يكون النهار ؟ » .

فقال له الأسقف : من أنت يا فتى ؟ دعني حتَّى أسأل هذا ، أنبئني يا عمر عن أرض طلعت عليها الشمس ساعة ولم تطلع مرَّة أخرى ؟

قال عمر : أعفني عن هذا واسأل عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، ثم قال : أخبره يا أبا الحسن .

فقال عليُّ (عليه السلام) : « هي أرض البحر التي فلقتها الله لموسى حتَّى يعبره ووجنوده ، فوقعَت الشمس عليها تلك الساعة ، ولم تطلع قبل ولا بعد ، وانطبق البحر على فرعون وجنوده » .

فقال الأسقف : صدقت يا فتى قومه وسيّد عشيرته . أخبرني عن شيء هو في أهل الدنيا تأخذ الناس منه مهما أخذوا فلا ينقص ، بل يزداد .

فقال عليّ عليه السلام : « هو القرآن والعلوم » .

قال : صدقت . أخبرني عن أوّل رسول أرسله الله لا من الجنّ ولا من الإنس .

فقال عليه السلام : « ذلك الغراب الذي بعثه الله تعالى لمّا قتل قاييل أخاه هابيل ، فبقي متحيّراً لا يعلم ما يصنع به ، فعند ذلك بعث ﴿ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة : ٣١] » .

قال : صدقت يا فتى ، فقد بقت لي مسألة واحدة أريد أن يُخبرني عنها هذا - وأوماً بيده إلى عمر - .

فقال : يا عمر ، أخبرني أين هو الله ؟

قال : فغضب عند ذلك وأمسك ولم يردّ جواباً .

قال : فالتفت الإمام عليه السلام وقال : « لا تغضب يا أبا حفص حتّى لا يقول : إنك قد عجزت » .

فقال : فأخبره أنت يا أبا الحسن .

فعند ذلك قال الإمام : « كنت عند رسول الله إذ أقبل إليه ملك ، فسلمّ

فردّ عليه ، فقال : أين كنت ؟ قال : عند ربّي فوق سبع سموات . قال : ثمّ

أقبل ملك آخر ، فقال : أين كنت ؟ قال : كنت عند ربّي في تخوم الأرض

السابعة السفلى ، ثمّ أقبل ملك ثالث ، فقال : أين كنت ؟ قال : كنت عند

ربّي في مطلع الشمس ، ثمّ جاء ملك آخر فقال : أين كنت ؟ قال : كنت

عند ربّي في مغرب الشمس ، فإنّ الله لا يخلو منه مكان ، ولا هوشيء ، ولا

على شيء ، ولا من شيء ، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة :

٢٥٥] ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، ﴿ لَا يَعْزُبُ

عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ﴾

[سبأ: ٣] ، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩] ، و﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كُنُوا﴾ [المجادلة: ٧] .

قال : فلمَّا سمع الأسقف قوله قال له : مُدْ يَدَكَ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ^(١) .

المشروع الثاني : محو السُّنَّة الشريفة :

كان رسول الله ﷺ يقول : « نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها ثُمَّ أَبْلَغَهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا » ^(٢) .

ولكن الخلافة الحاكمة بعد رسول الله ﷺ عمدت إلى المنع من تدوين الحديث النبوي وتداوله بين الناس .

لقد جمع أبو بكر الناس بعد وفاة النبي ﷺ حسب رواية الذهبي ، وقال لهم : (وَإِنَّكُمْ تُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بِأَحَادِيثٍ وَتَخْتَلِفُونَ فِيهَا ، وَالنَّاسُ بَعْدَكُمْ أَشَدَّ اخْتِلَافًا ، فَلَا تُحَدِّثُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا ، فَمَنْ سَأَلَكُمْ قُولُوا : بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ) ^(٣) .

وتقول الرواية : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا سَيَّرَ الصَّحَابَةَ إِلَى الْعِرَاقِ وَقَالَ لَهُمْ : أَتَدْرُونَ لِمَ مَشَيْتُ مَعَكُمْ ؟

قالوا : احتراماً لنا .

(١) بحار الأنوار ١٠ : ٥٨ / ح ٣ .

(٢) مسند أبي حنيفة / رواية أبي نعيم .

(٣) تذكره الحفاظ (ج ١ / ص ٣٥٢) : ذكر الذهبي في تذكرته عن أبي بكر أنه قال : (إِنَّكُمْ تُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَادِيثَ تَخْتَلِفُونَ فِيهَا ، وَالنَّاسُ بَعْدَكُمْ أَشَدَّ اخْتِلَافًا ، فَلَا تُحَدِّثُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا ، فَمَنْ سَأَلَكُمْ فَقُولُوا : بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ، فَاسْتَحْلُوا حَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ) .

قال : إنَّكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل ، فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جودوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله .

فلَمَّا قدم قرظة قالوا : حدِّثنا ، قال : نهانا عمر بن الخطاب ^(١) .

ويذكر المؤرّخون أنَّ عمر حبس ثلاثة من الصحابة ، هم : ابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو مسعود الأنصاري ، وكان ذنبهم أنَّهم كانوا يُحدِّثون الناس بأحاديث رسول الله ﷺ .

فقال لهم عمر: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله ^(٢) .

ويذكر المؤرّخون أنَّ أبا ذرٍّ كان جالساً في موسم الحجّ والناس حوله ، وهو يقول : قال رسول الله ﷺ ، فوقف رجل على رأسه وقال له : ألم تُنّه عن الفتيا ؟ فرفع رأسه إليه وقال : أرقب أنت عليّ ! ؟

لو وضعتهم الصمصام على هذه - وأشار إلى قفاه - ثمّ ظننتم أنّي أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها ^(٣) .

كما يذكر التاريخ أنَّ عمر بن الخطاب قام وخطب قائلاً : (أيّها الناس ، إنّه قد بلغني أنّه ظهرت بين أيديكم كتب فأحبّها إلى الله أعدلها ، فلا ييقين أحد عنده كتاب إلّا أتاني به ، فظنّوا أنّه يريد أن ينظر فيها ويُقوّمها على أن لا يحصل

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ : ١٢٠ و ١٢١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ : ٧ ؛ حجية السنّة ٣٩٥ . أخرج الذهبيّ ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه : أن عمر حبس ثلاثة : ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا مسعود الأنصاري ، فقال : (لقد أكثرتم الحديث عن رسول الله) .

(٣) سنن الدارمي ١ : ١٣٢ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ٣٥٤ في ترجمة أبي ذرٍّ ، واختصرها البخاري وأوردها في صحيحه ١ : ١٦١ / باب العلم قبل القول . وروى الدارمي أنّ أبا ذرٍّ كان جالساً عند الجمرة الوسطى ، وقد اجتمع الناس يستفتونه ، فأثاه رجل فوقف عليه ، ثمّ قال : ألم تُنّه عن الفتيا ؟ فرفع رأسه إليه ، فقال : أرقب أنت عليّ ؟ لو وضعتهم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعت من رسول الله قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها .

فيها اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار^(١) .

لقد استمرَّ هذا المشروع إلى عهد عمر بن عبد العزيز الذي رفع المنع وأجاز الحديث بالسُّنة ، وطوال هذا التاريخ كان على الشيعة وأئمَّتهم أن يحافظوا على السُّنة الشريفة وينقلوها للناس ، وهنا سطرلنا التاريخ نماذج رائعة من تصديهم لهذه المهمة ، واستعدادهم لمواجهة السلطة يومئذٍ دفاعاً عن سُنَّة النبي ﷺ .

ولقد بدأ الإمام عليّ عليه السلام بكتابة أقوال النبي ﷺ وأحاديثه شخصياً ، والاحتفاظ بها ، وعدم تسليمها للسلطة الحاكمة يومئذٍ ، ثم توارثها من بعده أبناؤه الأطهار عليهم السلام .

الإمام الباقر عليه السلام يقول : « والله إنَّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً أملاها رسول الله ﷺ وخطها عليّ بيده ، وإنَّ فيها لجميع ما يُحتاج إليه حتَّى أُرش الخدش »^(٢) .

ومن الغرائب والعجائب التي ينقلها التاريخ إليكم ما جاء في قصَّة صبيغ حين عاقبه عمر بن الخطَّاب أشدَّ عقوبة ، وعذَّبه أشدَّ تعذيب ، نفاه عن وطنه ، ثم أمر المسلمين جميعاً أن لا يُكلِّموه ، لماذا كلُّ هذا ؟ لأنَّه كان يسأل عن تفسير القرآن الكريم !

قصَّة صبيغ التميمي :

عن نافع مولى عبد الله أنَّ صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتَّى قَدِمَ مصر ، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطَّاب ، فلمَّا أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال : أين الرجل ؟

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ١٤٠ .

(٢) بحار الأنوار (ج ٢٦) .

فقال : في الرجل .

قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجهة !
فأتاه به .

فقال عمر: تسأل مسائل محدثة !

ثم أرسل إلى وطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة !
ثم تركه حتى برأ ، ثم عاد له !
ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود له !

قال : فقال صبيغ : إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً ، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت !
فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين !

فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته ،
فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته ^(١) !

ونلاحظ مثل ذلك جهل الخليفة بتفسير قوله تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ (عبس : ٣١) ونهيه عن تفسير ذلك ، كما جاء عن أنس بن مالك ، قال : إن عمر قرأ على المنبر : ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَنْبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس : ٢٧ - ٣١] ، فقال : كل هذا عرفناه ، فما الأب ؟ ثم رفض عصا كانت في يده فقال : هذا لعمر الله هو التكلف ، فما عليك أن لا تدري ما الأب ؟ أتبعوا ما بين لكم هداة من الكتاب ، فاعملوا به ، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه ^(٢) .

(١) رواه الدارمي في سننه ١ : ٥٤ .

(٢) المستدرک للحاکم (ج ٢ / ص ٥١٤) : عن أنس بن مالك ، قال : إن عمر قرأ على المنبر : ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعَنْبًا وَقَضْبًا ٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ٣١ ﴾ [عبس : ٢٧ - ٣١] ، قال : كل هذا عرفناه ، فما الأب ؟ ثم رفض عصا كانت في يده فقال : هذا لعمر الله هو التكلف ، فما عليك أن لا تدري ما الأب ؟ أتبعوا ما بين لكم هداة من الكتاب فاعملوا به ، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه .

المشروع الثالث: تغيير السيرة النبوية:

تغيير السيرة النبوية واعتبارها خاصة بزمان النبي ﷺ وظروفه الاجتماعية التي عاشها ، ومن حقّ إمام المسلمين بعده أن يُغيّر ويُعدّل ويختار مواقف أخرى بحسب ما يراه مناسباً لزمانه !

هذا المشروع هو نفسه الذي نجد في عصرنا الحاضر من يتحدّث عنه تحت عنوان تاريخانية السُّنة النبوية والأحكام القرآنية ، وأنّ من حقّنا اختيار مواقف وتشريعات أخرى تتناسب مع زماننا . ولكن هذا المشروع ليس جديداً ، بل نشأ هذا المشروع بعد رسول الله ﷺ مباشرة ، وكان هناك من يتبناه ويُظلمه فقهياً . ولقد كان الخليفة الأول والثاني هما أوّل المدافعين عنه والمؤيِّسين له ، وهو مشروع اعتماد الرأي الشخصي في مقابل سيرة النبي ﷺ .

سوف أعرض لكم نماذج في هذا الشأن :

النموذج الأوّل: أذان الفجر:

فقد جاء في رواية رواها الإمام مالك في كتابه الموطأ يقول : جاء المؤدّن إلى عمر بن الخطّاب يُؤدّنه لصلاة الصبح ، فوجده نائماً ، فقال : (الصلاة خير من النوم) ، فأمره عمر أن يجعلها في أذان الصبح .

وأصبح ذلك سُنّة مستحدّثة عند الناس إلى يومنا هذا^(١) .

قال الزرقاني في تعليقه على النصّ السابق : هذا الكلام أخرجه الدارقطني في السُّنن من طريق فلان وفلان عن ابن عمر أنّه قال لمؤدّنه : إذا بلغت حيّ على الفلاح في الفجر فقل : الصلاة خير من النوم^(٢) .

(١) البحار ٨٤ : ١٤٠ و ١٥٦ .

(٢) راجع : النصّ والاجتهاد للسيد شرف الدين : ٢١٩ .

النموذج الثاني: صلاة التراويح^(١):

يقول المؤرخون: لَمَّا كان شهر رمضان سنة أربع عشرين عمر بن الخطاب المسجد، فرأى الناس يقيمون النوافل وهم ما بين قائم وقاعد، وراكع وساجد، وقارئ ومسبح، ومحرم بالتكبير ومحل بالتسليم، في مظهر لم يرقه، ورأى من واجبه إصلاحه، فسنَّ لهم التراويح، وجمع الناس عليها حكماً مبرماً، وكتب بذلك إلى البلدان، ونصب في المدينة إمامين يُصلّون صلاة التراويح إماماً للرجال وإماماً للنساء^(٢).

وفي رواية أخرى: خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرّقون، فقال عمر: إنني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد كان أمثل. ثم عزم، فجمعهم على أبي بن كعب، فقال: وفي الليلة الثانية خرجت فوجدت الصلاة جماعةً، فقال عمر: نعمت البدعة هذه^(٣)!

النموذج الثالث: الطلاق ثلاثاً:

وشاهد آخر على التحريف والاستبدال هو الطلاق ثلاثاً حيث ذكر الدكتور الدواليبي - وهو أحد علماء أهل السنة -، قال: وممّا أحدثه عمر تأييداً لقاعدة

(١) النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: التراويح هي النافلة جماعة في ليالي شهر رمضان، وإنما سُميت تراويح للاستراحة فيها بعد كل أربع ركعات. ونحن الإمامية لا نفوتنا والحمد لله نؤذيها كما كان يؤذيها رسول الله كماً وكيفاً عملاً بقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٣١.

(٣) البخاري/كتاب الصلاة/باب صلاة الليل (ج ١/ ص ١٨٦): قال عبد الرحمن بن عبد القاري: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرّقون، يُصلّي الرجل لنفسه ويُصلّي الرجل فيُصلّي بصلاته الرهط. فقال عمر: إنني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه في ليلة أخرى والناس يُصلّون بصلاة قارئهم فقال عمر: نعمت البدعة هذه...

تغيُّر الأحكام بتغيُّر الزمان هو إيقاع الطلاق بكلمة واحدة مع أنَّ المطلق في زمن النبي وفي زمن الخليفة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر كان إذا جمع الطلاقات الثلاث بفم واحد جعلت واحدة ، كما ثبت ذلك في الخبر الصحيح عن ابن عباس . وقد قال عمر بن الخطاب : إنَّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم .

النموذج الرابع :

وفي شاهد آخر على إسقاط السيرة النبوية واستبدالها ، هو ما رواه البخاري ومسلم في باب التيمُّم أنَّ رجلاً أتى عمر وقال : إنِّي أجنب فلم أجد ماءً ، فقال : لا تُصلي ، فقام له عمار بن ياسر وكان حاضراً فقال : أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماءً ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتممعت في التراب وصليت ، فقال النبي ﷺ لَمَّا رجعنا له : « إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدِكَ الْأَرْضَ ، ثُمَّ تَنْفَخَ ، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفَّيَكَ ؟ » .

فقال عمر: اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمَّارُ .

فقال عمار: إِنْ شِئْتَ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ .

فقال عمر: نُؤَلِّيكَ مَا تَوَلَّيْتَ ^(١) !

هذه الشواهد كلها تدلُّ على المشروع التحريفي الثالث بعد رسول الله ﷺ ، وهو تحريف سيرة النبي ﷺ ، وذلك ما عبّرنا عنه بسرقة الرسالة الإلهية .

فكان مهمّة شيعة أهل البيت  أن يقضوا بوجه هذه المشاريع ، ويُعلنوا الحقيقة كما هي .

متعة الحج :

نستطيع هنا أن نستذكر ما كتبه المؤرخون فيما جرى بين علي وعثمان حول متعة الحج .

حيث روى مسلم في صحيحه عن سعيد بن المسيّب ، قال : اجتمع علي وعثمان بعسفان ، فكان عثمان ينهى عن المتعة والعمرة . فقال له علي : « ما تريد إلى أمر فعله رسول الله تنهى عنه ؟ » .
فقال عثمان : دعنا منك .

فقال علي : « إني لا أستطيع أن أدعك » ^(١) .

ثلاث مهمّات على عاتق الشيعة :

كانت محنة الشيعة كما أسلفنا أنهم يواجهون سرقة حكم ، وسرقة أمة ، وسرقة رسالة . وأمامهم ثلاث مهمّات ، هي :
المهمّة الأولى : استرداد الحكم الشرعي .
المهمّة الثانية : المحافظة على الأمة .
المهمّة الثالثة : المحافظة على الرسالة .

لقد كانت مهمّة شيعة أهل البيت عليهم السلام الأولى هي استرداد الحكم وإعادته إلى صاحبه الشرعي ، وقد تحرّك في ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام وجمع من الشيعة . ومن أجل ذلك لمّا أخذ أمير المؤمنين عليه السلام يتحرّك على الناس من أجل استرداد الحكم برزت شبهة أمامه وضعها المنافقون ، وهي أنّ علياً يطلب

(١) صحيح مسلم/ كتاب الحج : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ' وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : اجْتَمَعَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ بِعَسْفَانَ ، فَكَانَ عُثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمُتَعَةِ أَوْ الْعُمْرَةِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : « مَا تُرِيدُ إِلَى أَمْرِ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَنْهَى عَنْهُ ؟ » ، فَقَالَ عُثْمَانُ : دَعْنَا مِنْكَ ، فَقَالَ : « إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعَكَ » ، فَلَمَّا أَنْ رَأَى عَلِيٌّ ذَلِكَ أَهَلَ بِهِمَا جَمِيعًا .

الملك ويدّعي الزهد به باطلاً .

لذا قال الإمام عليّ عليه السلام : « وقد قال قائل : إنَّك على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص ، فقلت : بل أنتم والله لأحرص وأبعد ، وأنا أخص وأقرب ، وإنما طلبتُ حقاً لي ، وأنتم تحولون بيني وبينه ، وتضربون وجهي دونه ، فلمّا قرعته بالحجّة في الملأ الحاضرين هبّ كأنه بُهت لا يدري ما يُجيبني به » ^(١) .

ثمّ يخاطبهم قائلاً : « والله لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ﷺ . ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّة ممّن يؤمن ذلك منه ، والذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الخلق ، ما انطق إلّا صادقاً ، وقد عهد إليّ بذلك كلّ ، وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الأمر ، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلّا أفرغه في أذني وأفضى به إليّ » ^(٢) .

هذا الأمر الغيبي الذي يعلمه الإمام عليّ عليه السلام جاء من الشفرة السريّة التي علّمه إيّاه رسول الله ﷺ ، والتي من خلالها فتّحت له ألف باب من ألف باب من العلم حتّى قال : « سلوني قبل أن تفقدوني ، فإنّي أعلم بطرق السماوات قبل طرق الأرض » .

إنّ مسؤوليّة الأنبياء والجماعة الصالحة من أتباعهم هي رسم النموذج الصحيح للحكم العادل والحاكم العادل .

ولمّا استلم الإمام عليّ عليه السلام الحكم أصبحت مسؤوليته هي رسم النموذج الرائع العادل للحاكم وللحكم .

فخلال خمس سنوات من حكمه تعجّبت البشرية من إدارته لدفة الحكم .

(١) راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ : ١٠ .

(٢) المصدر السابق .

ولقد قال ﷺ: « وَاللَّهِ لَأَنْ أُبَيِّتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ » (١) .

الأنمة ﷺ وشيعتهم كانت مهمتهم أن يُقدِّموا :

- ١ - النموذج الصحيح للحكم الإسلامي .
- ٢ - أن يُثبتوا للعالم ولأجيال اللاحقة أنَّ هذه النماذج التي حكمت باسم الإسلام ليست شرعية ، ولا تُمثِّل الإسلام ، بل هي انحراف عن الإسلام .

نجد شيعة أهل البيت ﷺ رفضوا الحكم الظالم ، ولذا سمَّوا بالرافضة .

وهذا هو ما تعلَّمناه من أهل البيت ﷺ ، وكما ورد في قول الإمام عليّ ﷺ :
« أَمَا وَاللَّهِ لَنْ أُعْطِيَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلَبَهَا جَلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ » (٢) .

كان مالك الأشتر مجتازاً بسوق ، فرآه بعض السوقه وشتمه ، فأعرض عنه مالك وكأنَّه لم يسمعه ، فقال الناس لهذا الشخص : أتعرف الذي شتمته ؟
قال : لا .

قالوا له : هذا هو مالك صاحب أمير المؤمنين ﷺ .

فركض هذا الرجل وراء مالك ، وكان مالك قد دخل المسجد ، فدخل خلفه وهو يرتجف قائلاً له : سيدي أنا أعتذر لم أكن أعرفك .

قال له مالك : لا بأس عليك ، فوالله ما دخلت المسجد إلا لأستغفرنَّ لك (٣) .

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) بحار الأنوار ٤٢ : ١٥٧ / ح ٢٥ ، عن تنبيه الخواطر ١ : ١٠ .

نموذج آخر: سلمان الفارسي كان والي المدائن ، فعرض عليه أهل المدائن أن يبنوا له غرفة .

فقال لهم : أقبل ولكن بشرط ، عندما أقف فإن رأسي يكون بمستوى السقف طوياً ، وعندما أستلقي بحيث قدمي تكون على الجدار^(١) .

أراد سلمان أن يُثبت للجميع أن الحاكم العادل يجب أن يسكن في بيت أضعف الخلق .

والإمام عليّ عليه السلام يرسم لنا ثقافة الحاكم كيف يصبح قدوة فيقول : « إن الله فرض على أئمة الحق أن يُقدِّروا أنفسهم بضعفة الناس ؛ كيلا يتبَّعَ بالفقير فقره »^(٢) .

هذا هو الإسلام الحقيقي ، فعندما يكون الإمام والحاكم هكذا فالشعب سوف يكون أيضاً هكذا .

ما هو المشروع السياسي لدى الشيعة ؟

وهنا سؤال يطرح نفسه : هل إن الشيعة هم مجرد متمردين ، أم لديهم مشروع سياسي ؟

الخوارج وهم فرقة ظهرت في زمن الإمام عليّ عليه السلام لم يكن لهم مشروع سياسي ، ولكن هدفهم كان قتل الحاكم ، وجعل الأمة بدون إمام أو حاكم ، ولذا فشلوا في برنامجهم . بالرغم أنهم لم يُحاربوا مثل ما حارب الشيعة .

(١) روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج ١٨ / ص ٣٦) : عن ابن وهب وابن نافع أن سلمان لم يكن له بيت ، إنما كان يستظلُّ بالجُدُر والشجر ، وإن رجلاً قال له : ألا أبني لك بيتاً تسكن فيه ؟ قال : لا حاجة لي في ذلك ، فما زال به الرجل حتى قال له : أنا أعرف البيت الذي يوافقك ، قال : فصفه لي ، قال : أبني لك بيتاً إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه ، وإن أنت مددت فيه رجليك أصابهما الجدار ، قال : نعم ، فبنى له .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٩ .

أما الشيعة فهم يملكون مشروعاً يهدفون فيه إلى إقامة الدولة العادلة ،
وسلب الشرعية عن حكام الجور .

الإمام الحسن عليه السلام عندما صالح معاوية كان الشرط الأول في صلحه أن لا
يدعو معاوية بإمرة المسلمين .

والإمام الحسين عليه السلام يصف الحاكم بقوله : « ولعمري ما الإمام إلا العامل
بالكتاب ، القائم بالقسط ، الدائن بدين الحق ، الحابس نفسه في ذات الله »^(١) .

محنة الإمام علي عليه السلام :

عندما استلم الإمام علي عليه السلام الحكم واجه ثلاث شبهاة :
الأولى : أن القوم اتهموه بأنه يطلب الملك والرئاسة .

والثانية : أن دماء المسلمين سوف تراق بفعل الاقتتال الداخلي .

والثالثة : هي ضياع الحقيقة بسبب تعدد الاتجاهات والجماعات .

ولذا كان الإمام علي عليه السلام يجد نفسه مضطراً للدفاع عن نفسه فقال :

« وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحْرِيصٌ ، فَقُلْتُ : بَلْ
أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ وَأَنَا أَحْصُ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ
بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ
كَأَنَّهُ بُهْتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ »^(٢) .

وحول الشبهة الثانية قيل للإمام علي عليه السلام : إنَّ الحرب قد أكلت العرب .

فقال عليه السلام : « من أكله الحقُّ فإلى الجنة ، ومن أكله الباطل فإلى النار »^(٣) .

(١) مثير الأحران لابن نما : ١٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١ : ١٠ .

(٣) بحار الأنوار (ج ٣٣) : وقال ابن ميثم عليه السلام : روي أنَّ معاوية استشار بعمر بن العاص في أن يكتب إلى علي عليه السلام

لقد كان الإمام عليّ عليه السلام وشيعته بحاجة إلى تعزيز شرعية موقفه في هذه الحروب ، فقد كان هناك من شك في شرعيتها ، بل ويشك حتى في جدواها على الأمة .

ربما كانت الأمور مختلطة لدى كثيرين ، فحرب الجمل كانت تقودها عائشة وهي أم المؤمنين ، ومعها طلحة والزبير وهما أحد الشخصيات الستة في الشورى التي وضعها عمر بن الخطاب لانتخاب الخليفة بعده ، وحرب صفين شارك فيها عدد كبير من الصحابة هنا وهناك ، وحرب النهروان كان أصحاب

كتاباً يسأله فيه لصلح ، فضحك عمرو وقال : أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ ؟ قال : ألسنا بني عبد مناف ؟ قال : بلى ، ولكن لهم النبوة دونك ، وإن شئت أن تكتب فكتب ، فكتب معاوية إليه مع رجل من السكاسك يقال له : عبدالله بن عتبة : أمّا بعد ، فإني أظنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنّها بعضنا على بعض ، وإنا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ونصلح ما بقي ، وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيع ، فأبيت ذلك عليّ ، فأعطاني الله ما منعت ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإني لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو ، ولا أخاف من القتل إلّا ما تخاف ، وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلّا حشاشات أنفس بقيت ، وإنا في الحرب والرجال سواء ، ونحن بنو عبد مناف ، وليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستدل به عزيز ولا يسترق به حرّ ، والسلام . فلمّا قرأ عليّ عليه السلام كتابه تعجّب منه ومن كتابه ، ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له : « اكتب إليه : أمّا بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض ، وإنا وإياك في غاية لم تبلغها بعد ، وإني لو قتلت في ذات الله وحييت ، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم أرجع عن الشدة في ذات الله والجهاد لأعداء الله . وأمّا قولك : إنّه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى ، فإني ما نقضت عقلي ولا ندمت على فعلي . وأمّا طلبك إليّ الشام ، فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس . وأمّا قولك : إن الحرب قد أكلت العرب إلّا حشاشة أنفس بقيت ، ألا ومن أكله الحق فإلى الجحّة ، ومن أكله الباطل فإلى النار . وأمّا استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة . وأمّا قولك : إنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل ، فعلمري إنا بنو أب واحد ، ولكن ليس أميّة كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبوسفیان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالظليق ، ولا الصريح كالصيق ، ولا الحق كالمبطل ، ولا المؤمن كالمدغل ، ولبنس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنّم ، وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللتنا بها العزيز ، ونعشنا بها الذليل ، ولسمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هذه الأمّة طوعاً وكرهاً كنتم ممن دخل في الدين إمّا إلى فلان . . . » .

الجباه السود طرفاً فيها . . . ، فلماذا هذا الاقتتال الداخلي ؟ وبمسؤولية من هذه الدماء التي تُراق ؟ !

لقد كان عليّ عليه السلام وأصحابه بحاجة إلى تدعيم موقفهم في هذه الحروب ، فكان حديث رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: « تقتلك الفئة الباغية » أحد المؤشرات التي تُعرّف جبهة الحق .

قصة في حرب النهروان :

وهنا من الجدير بالذكر أن نقرأ قصة ذلك المقاتل من أصحاب الامام عليّ عليه السلام في حرب النهروان ، وقد كان يشك في مشروعية هذه الحرب .

ذكر المدائني ، قال : لمّا خرج عليّ عليه السلام إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدّمته يركض ، حتّى انتهى إلى عليّ عليه السلام ، فقال : البشري يا أمير المؤمنين .

قال : « ما بشراك ؟ » .

قال : إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك ، فأبشرف قد منحك الله أكتافهم .

فقال له : « الله ، أنت رأيتهم عبروا ؟ ! » .

قال : نعم .

فأحلفه ثلاث مرّات ، في كلّها يقول : نعم .

فقال عليّ عليه السلام : « والله ما عبروه ولن يعبروه ، وإنّ مصارعهم لدون النطفة ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث ، ولا قصر بوازن حتّى يقتلهم الله ، وقد خاب من افتري » .

قال : ثمّ أقبل فارس آخر يركض ، فقال كقول الأوّل ، فلم يكثر

عليّ عليه السلام ، فجال في متن فرسه .

قال الراوي : فقال شابٌ من الناس : والله لأكوننَّ قريباً منه ، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنَّ سنان هذا الرمح في عينه ، أيّدعي علم الغيب ! ؟

فلَمَّا انتهى ﷺ إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم ، وعرقبوا خيولهم ، وجثوا على ركبهم ، وحكموا تحكيمة واحدة ، بصوت عظيم له زجل .

فنزل ذلك الشابُ : فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي كنت شككت فيك آنفاً ، وإنّي تأتّب إلى الله وإليك !

فقال عليّ ﷺ : « إنّ الله هو الذي يغفر الذنوب ، فاستغفره » ^(١) .
وحول الشبهة الثالثة : وهي ضياع الحقيقة ، تعالوا نقرأ قصّة جنّاب الأزدّي .

قصّة جنّاب الأزدّي ^(٢) :

روى أصحاب السيرة عن جنّاب بن عبد الله الأزدّي ، قال : شهدت مع عليّ ﷺ الجمل وصفين لا أشكُّ في قتال من قاتله ، حتّى نزلنا النهروان ، فدخلني شكٌّ ، وقلت : قرأونا وخيارنا نقتلهم ! ؟ إنّ هذا الأمر عظيم .

فخرجت غدوة أمشي ، ومعني إداوة ماء ، حتّى برزت عن الصفوف ، فركزت رمحي ، ووضعت ترسي إليه ، واستترت من الشمس ، فإنّي لجالس حتّى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٢ / ص ٢٧٢) عن المدائني في كتاب الخوارج ؛ ومناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي (ص ٤٠٦ و ٤٠٧) ؛ وراجع الفتوح لابن أعمش (ج ٤ / ص ١٢٠) .

(٢) أعيان الشيعة (ج ٤ / ص ٢٤٥) : جنّاب بن عبد الله الأزدّي ، كان ﷺ من أصحاب الإمام عليّ ﷺ . عدّه الشيخ المفيد ﷺ من المجمعيين عليّ خلافة عليّ ﷺ وإمامته بعد قتل عثمان . اشترك مع الإمام عليّ ﷺ في حروبه كلّها : الجمل وصفين والنهروان . شهد له رسول الله ﷺ بالجنت ، ووصفه الإمام الباقر ﷺ بجنّاب الخير الأزدّي وترحم عليه . عن جابر الجعفي ، عن الإمام الباقر ﷺ ، قال : « شهد مع عليّ بن أبي طالب ﷺ من التابعين ثلاثة نفر بصفين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنت ولم يرهم : أويس القرني ، وزيد بن صوحان العبدي ، وجنّاب الخير الأزدّي رحمة الله عليهم » .

ورد عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لي : « يا أخا الأزدي ، أمعك طهور ؟ » ، قلت : نعم ، فناولته الإداوة ، فمضى حتّى لم أره .

ثمّ أقبل وقد تطهّر فجلس في ظلّ الترس ، فإذا فارس يسأل عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا فارس يريدك ، قال : « فأشرا إليه » ، فأشرت إليه فجاء فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عبر القوم ، وقد قطعوا النهر ، فقال : « كلّاً ما عبروا » ، قال : بلنّ والله لقد فعلوا ، قال : « كلّاً ما فعلوا » ، قال : فإنّه لكذلك ، إذ جاء آخر فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عبر القوم ، قال : « كلّاً ما عبروا » ، قال : والله ما جئتك حتّى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال ، قال : « والله ما فعلوا ، وإنّه لمصرعهم ومهراق دمائهم » .

ثمّ نهض ونهضت معه ، فقلت في نفسي : الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل ، وعزّفني أمره ، هذا أحد رجلين ، إمّا رجل كذاب جريء ، أو على بينة من ربّه وعهد من نبيّه ، اللهمّ إنّي أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة ، إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أوّل مَنْ يقاتله ، وأوّل مَنْ يطعن بالرمح في عينه ، وإن كانوا لم يعبروا أن أقيم على المناجزة والقتال . فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي .

قال : فأخذ بقفائي ودفعني ، ثمّ قال : « يا أخا الأزدي ، أتبيّن لك الأمر ؟ » ، قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، قال : « فشأنك بعدوك » ، فقتلت رجلاً ، ثمّ قتلت آخر ، ثمّ اختلفت أنا ورجل آخر أضربه ويضربني فوقعنا جميعاً ، فاحتملني أصحابي فأفقت حين أفقت وقد فرغ القوم ^(١) .

قصة جامع براءثا :

لَمَّا تَوَجَّهَ الإمام عليّ عليه السلام إلى صفّين ، لحق أصحابه عطشٌ شديد ، ونفذ ما

كان معهم من الماء ، فأخذوا يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فلم يجدوا له أثراً .

فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الجادة وسار قليلاً ، فلاح لهم دير في وسط البرية ، فسار بهم نحوه ، حتى إذا صار في فناءه أمر من نادى ساكنه بالاطلاع إليهم فنادوه فاطَّلَعَ ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : « هل قُرب قائمك هذا ماء يتغوثُ به هؤلاء القوم ؟ » .

فقال : هيهات ، بيني وبين الماء أكثر من فرسخين ، وما بالقرب مني شيء من الماء ، ولولا إنني أوتي بماء يكفيني كل شهر على التقدير لثقلت عطشاً .
فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « أسمعتم ما قال الراهب ؟ » .

قالوا : نعم ، أفتأمرنا بالمسير إلى حيث أوماً إليه ، لعلنا ندرك الماء وبنا قوة ؟
فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا حاجة بكم إلى ذلك » ، ولوى عنق بغلته نحو القبلة ، وأشار لهم إلى مكان يقرب من الدير .

فقال عليه السلام : « اكشفوا الأرض في هذا المكان » ، فعدل جماعة منهم إلى الموضع فكشفوه بالمساحي ، فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع .
فقالوا : يا أمير المؤمنين ، هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي .
فقال لهم عليه السلام : « إنَّ هذه الصخرة على الماء ، فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء » ، فاجتهدوا في قلبها .

فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً واستصعبت عليهم .

فلَمَّا رَأَهم عليه السلام قد اجتمعوا وبذلوا الجهد في قلع الصخرة فاستصعبت عليهم ، لوى عليه السلام رجله عن سرجه حتى صار على الأرض ، ثم حسر عن ذراعيه ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرَّكها ، ثم قلعها بيده .

فلَمَّا زالت عن مكانها ظهر لهم بياض الماء ، فتبادروا إليه فشربوا منه ، فكان أعذب ماء شربوا منه في سفرهم وأبرده وأصفاه ، فقال لهم : « تزودوا

وارتَوُوا ، ففعلوا ذلك .

ثمَّ جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت ، وأمر أن يُعفى أثرها بالتراب ، والراهب ينظر من فوق ديره ، فلمَّا استوفى علم ما جرى نادى : يا معشر الناس أنزلوني أنزلوني .

فاحتالوا في إنزاله ، فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له : يا هذا ، أنت نبيُّ مرسل ؟

فقال عليه السلام : « لا » .

قال الراهب : فملك مقرب ؟

قال عليه السلام : « لا » .

قال الراهب : فمن أنت ؟

قال : « أنا وصيُّ رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين » .

قال الراهب : أبسط يدك ، أسلم لله تبارك وتعالى على يدك ، فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده وقال له : « اشهد الشهادتين » .

فقال الراهب : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله ، وأشهد أنَّك وصيُّ رسول الله ، وأحقَّ الناس بالأمر من بعده » .

فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام يده وقال له : « ما الذي دعاك إلى الإسلام بعد طول مقامك في هذا الدير على الخلاف ؟ » .

فقال : أخبرك - يا أمير المؤمنين - ، إنَّ هذا الدير بُني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها ، وقد مضى عالم قبلي لم يدركوا ذلك ، وقد رزقنيه الله ﷻ ، وإنَّا نجد في كتاب من كتبنا ونأثر عن علمائنا أنَّ في هذا الصقيع عيناً عليها صخرة ، لا يعرف مكانها إلا نبيُّ أو وصيُّ نبي . وإنَّه لا بدَّ من وليِّ لله يدعو إلى الحقِّ ، آيته معرفة مكان هذه الصخرة ، وقدرته على قلعها ،

وإنِّي لَمَّا رأيْتُكَ قد فعلت ذلك تحقَّق ما كنت أنتظره ، وبلغت الأُمْنِيَّة منه ، فأنا اليوم مسلم على يدك ، ومؤمن بحَقِّك وموالاتك .

فلَمَّا سمع ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً ، الحمد لله الذي كنت في كتبه مذكوراً » .

ثم دعا الناس فقال لهم : اسمعوا ما يقول أخوكم هذا المسلم ، فسمعوا مقالته .

ثم سار (عليه السلام) والراهب بين يديه في جملة أصحابه حتَّى لقي أهل الشام ، فكان الراهب من جملة من استشهد معه ، فتولَّى الإمام (عليه السلام) الصلاة عليه ودفنه وأكثر (عليه السلام) من الاستغفار له ^(١) .

العلامات الهادية :

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتنبأ بما سيحدث ، وقد أخبر بذلك علياً (عليه السلام) ، ومن أجل ذلك فقد وضع للمسلمين علامات هادية للحقِّ ومعسكر الحقِّ ، مثل قوله (صلى الله عليه وآله) : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » ^(٢) .

علي بن أبي طالب (عليه السلام) :

كان أوَّل تلك العلامات الهادية هو الإمام عليّ (عليه السلام) ، الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم خيبر : « لأُعطيَنَّ الراية غداً رجلاً يُحِبُّ الله ورسوله ويُحِبُّه الله ورسوله ،

(١) بحار الأنوار (ج ٤١) .

(٢) المستدرك (ج ٣ / ص ١٦٣) : يقول وهو آخذ بباب الكعبة : من عرفني فأنا من عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذرٍّ ، سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول : « أَلَا إِنَّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » .

كزّار غير فزّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه .

وهنا اشترأبت الأعناق لمن يُعطي الراية غداً ، حيث كان الإمام عليّ عليه السلام أرمداً . فلمّا أقبل الصباح أمر النبي ﷺ بإحضار عليّ عليه السلام ، فجاء به يُقاد قوداً ، فأخذ رسول الله ﷺ من ريق فمه ، فمسح به عينيه ، فارتدّ بصيراً^(١) .

لقد وضع رسول الله ﷺ خارطة طريق للمسلمين ، وهم في حالة الشكّ والتباس الحقيقة ، لقد كان يشير دائماً إلى عليّ عليه السلام باعتباره هو الذي يقاتل على التاويل كما قاتل رسول الله ﷺ على التنزيل ، وكان يدلّ عليه ويصفه بأنّه (خاصف النعل) .

وقد روي عن أبي سعيد الخدري ، قال : كنّا جلوساً في المسجد ، فخرج علينا رسول الله ﷺ وعليّ في بيت فاطمة عليها السلام ، فانقطع شسع نعل رسول الله ﷺ ، فأعطاه عليّاً عليه السلام يُصلحها ، ثمّ جاء فقام علينا فقال : « إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » ، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله ؟ قال : « لا » ، قال عمر: أنا هو يا رسول الله ؟ فقال : « لا ، ولكنّه خاصف النعل » .

قال إسماعيل : فحدّثني أنّه شهد - يعني عليّاً - بالرحبة ، فأثاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، هل كان من حديث النعل شيء ؟ قال : « أوقد بلغك ؟ » ، قال :

(١) صحيح البخاري : بسنده عن أبي حازم ، قال : أخبرني سهيل بن سعد رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يُحبّ الله ورسوله ، ويُحبّ الله ورسوله » ، قال : فبات الناس يدركون أنّهم يُعطاه ، فقال : « أين عليّ بن أبي طالب » ، فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » ، فأتى فصق رسول الله ﷺ في عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن له وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليّ : « يا رسول الله ، أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا ؟ » ، فقال : « أنفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ، ثمّ ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم » .

نعم ، قال : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعلم أَنَّهُ ممَّا كان يخفى إلى رسول الله ﷺ » (١) .

عمّار بن ياسر:

ونستطيع هنا أن نستذكر مجموعة علامات هادية ، مثل : عمّار بن ياسر ، فقد قال رسول الله ﷺ : « يا بن سُمَيَّة ، لك أجران وللناس أجر واحد ، وآخر زادك شربة من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية » (٢) .

ومثل ذلك قوله ﷺ في عمّار بن ياسر : « إِنَّ عمّاراً مع الحقِّ والحقُّ معه ، يدور عمّار مع الحقِّ أينما دار ، وقاتل عمّار في النار » (٣) .

قصة كلاب الحوآب :

ومن الجدير أن نقف هنا ونحن نتحدّث عن العلامات الهادية عند قصّة (كلاب الحوآب) حين حذّر رسول الله ﷺ عائشة أن تكون هي من تنبّحها كلاب الحوآب .

فقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لنسائه ، ثمّ أردفه بتحذير شديد إلى عائشة :

« كَأَنِّي بأحداكَنّ وقد نبّحتها كلاب الحوآب » ، ثمّ قال لعائشة : « إِيَّاكِ أن تكونيها » (١) .

ولطالما كان يتحدّث عن مصدر الفتنة ويشير إليه حين يقول مشيراً إلى منزل عائشة : « ها هنا قرن الشيطان » .

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٦٣٧ / ح ١٠٨٣ .

(٢) السيرة النبويّة للبدرى : ١٧٢ .

(٣) بحار الأنوار ٢٢ : ٣٢٦ .

(١) الكامل في التاريخ ٣ : ٣٦٦ .

فقد ورد في الحديث أنه خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال : « رأس الكفر من هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » ^(١) .

أويس القرني :

وكان (أويس القرني) هو أحد تلك العلامات الهادية لمعرفة الحق ، وأويس القرني هو من التابعين .

وقد أخبر رسول الله ﷺ عنه ، وبشّر بأنه يأتي بعده ، وأنه من كبار أولياء الله تعالى ، وأنه مستجاب الدعوة ، وأنه يشفع عند الله تعالى لمئات الألوف ، أو ملايين الناس !

ولمّا رأى المسلمون أويساً بعد وفاة النبي ﷺ استبشروا به وتبرّكوا به ، وكانوا يحرصون على الفوز بدعاء منه .

وقد حاول الخلفاء أن يتقرّبوا إليه ، ولكنّه هرب منهم ، وفَضِّل أن يعيش مغموراً مع الفقراء من شيعة عليّ عليه السلام ، حتّى إذا وصلت الخلافة لعليّ عليه السلام نهض معه ، وشارك في حروبه ، واستشهد تحت رايته في صفّين . وقبره هناك إلى جانب قبر عمّار بن ياسر ، في مدينة الرقّة السورية ، وقد وفّقنا الله لزيارته .

والمتأمّل في النصوص الواردة في مصادر أهل السُنّة في أويس ، يلاحظ فيها تناقضاً كثيراً ، نشأ من أنّهم أرادوا أن يُعطوا على فراره من عمر ، وامتناعه من الدعاء له والإقامة عنده ، فوضعوا أحاديث عن لقائه به ، يناقض بعضها بعضاً !

كما أنّ شهادة أويس في صفّين مع عليّ عليه السلام ، كانت حجّة لعليّ والمسلمين على أنّ معاوية وحزبه هم أهل الباطل ، والفئة الباغية التي أخبر النبي ﷺ أنّها تقتل عمّار بن ياسر .

(١) صحيح مسلم في كتاب الفتن / الحديث ٧٢٩٥ .

لذلك حاول الأمويون وأتباعهم أن ينفوا أصل بشارة النبي ﷺ بأويس ،
ومكانته المميّزة عند الله تعالى !

ثمّ عندما عجزوا عن ذلك حاولوا أن ينفوا أنّه قُتل في صفّين ، وادّعوا أنّه توفّي
في طريقه إلى الشام ، وجعلوا له في الشام قبراً ومزاراً^(١) !

وقد روى أحمد في مسنده أنّه حدّثنا سلام بن مسكين ، قال : حدّثني
رجل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خيلي من هذه الأمة أويس القرني » .
قال : أخبرنا عقّان بن مسلم ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلّمة ، عن سعيد
الجريري ، عن أبي نصره ، عن أسير بن جابر ، عن عمر ، أنّه قال لأويس : استغفر
لي .

قال : كيف استغفر لك وأنت صاحب رسول الله ﷺ ! ؟
قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ خير التابعين رجل يقال له :
أويس »^(٢) .

اعتماد المعجزة:

وكان الإمام عليّ عليه السلام يضطرّ أحياناً لاعتماد الإسناد الغيبي بالمعجزة لتعريف
الناس بالحقّ ، فقد روي أنّ الماء طغى في الفرات وزاد حتّى أشفق أهل الكوفة
من الغرق ، ففزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فركب بغلة رسول الله ﷺ وخرج
والناس معه حتّى أتى شاطئ الفرات ، فنزل عليه وأسبغ الوضوء وصلّى منفرداً
بنفسه والناس يرونه ، ثمّ دعا الله بدعوات سمعها أكثرهم ، ثمّ تقدّم إلى الفرات
متوكّناً على قضيب بيده حتّى ضرب به صفحة الماء وقال : « انقص بإذن الله
ومشيئته » ، فغاص الماء حتّى بدت الحيتان من قعر البحر ، فنطق كثير منها

(١) راجع لمزيد من الإيضاح : العقائد الإسلاميّة للشيخ عليّ الكوراني .

(٢) مسند أحمد ١ : ٣٨ .

الفصل الثاني: دور الشيعة في عصر ما بعد رسول الله

بالسلام عليه بإمرة المؤمنين ، ولم ينطق منها أصناف من السموك ، وهي :
الجرّي^(١) ، والزمار^(٢) ، والمارماهي^(٣) .

فتعجب الناس لذلك وسألوه عن علّة نطق ما نطق وصموت ما صمت ،
فقال : « أنطق الله لي ما طهر من السموك ، وأصمت عني ما حرّمه ونجّسه
وبعّده »^(٤) .

خلاصة الفصل الثاني :

يؤكد هذا الفصل على وجود سرقات ثلاث كبرى حدثت بعد عصر
الرسول ﷺ ، هي : سرقة الحكم ، وسرقة الإرادة ، وسرقة الرسالة .

فيما يدرس الاتجاهات التي شهدها عصر ما بعد الرسول الأكرم ﷺ في
مواجهة هذه السرقات .

ثمّ يستعرض هذا الفصل ثلاثة مشاريع انحرافية قادها الخطّ الحاكم بعد
رسول الله ﷺ ، ودور الشيعة في مواجهة هذه المشاريع والمتمثّل بالمهمات الثلاث :
استرداد الحكم ، والمحافظة على الأمة ، والمحافظة على الرسالة .

ويقف هذا الفصل عند شرح المشاكل والمحن والشبهات التي تعرّض لها
الإمام عليّ عليه السلام ، وكيفية مواجهتها .

(١) الجرّي: صنف من السمك لا فلس له ، ويقال له : الجرّيث . (مجمع البحرين ٣ : ٢٤٤ / مادة جرر) .

(٢) الزمار والزّمير : نوع من السمك . (مجمع البحرين ٣ : ٣١٩ / مادة زمر) .

(٣) المارماهي : معرّب وأصله حيّة السمك . (مجمع البحرين ٣ : ٤٨٥ / مادة مور) .

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد ١ : ٣٤٨ .

الفصل الثالث

دور الشيعة على عهد الامام الحسن عليه السلام

من عام ٤٠ للهجرة الى عام ٥٠ للهجرة

مرحلة الانكماش السياسي :

يمكن أن نطلق على هذه المرحلة ، وهي المرحلة التي تسلط فيها معاوية على العالم الاسلامي (بمرحلة الانكماش السياسي) ، حيث دعا الامام الحسن عليه السلام شيعته للانكماش على أنفسهم وعدم الدخول في مواجهة نظام معاوية وسلطته قاتلاً لهم :

(انكم شيعتنا وأهل مودتنا)

فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله ، وسلموا لامر الله ، والزموا بيوترككم ، وكفوا أيديكم ، حتى يستريح برأو يستراح من فاجر

فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حياً ، فان يهلك ونحن أحياء سألنا الله العزيمه على رشدنا والمعونة على أمرنا ^(١)

وفي هذه المرحلة كان على الشيعة أن يقوموا بمهمتين :

الاولى : مهمة المحافظة على الوجود

الثانية : مهمة التصحيح الفكري .

وهذا ماسنعرفه ونقرأ عنه في طيَّات أحاديثنا الاتية :

امتصاص الغضب المتطرف :

عن الامام أبي جعفر الصادق عليه السلام قال : جاء رجل من اصحاب الامام

(١) المحاسن والمساويء للبيهقي / ١ / ٦٠-٦٥/ نقلا عن حياة الامام الحسن عليه السلام / القرشي / ٢ / ٢٨٠

الحسن عليه السلام يقال له (سفيان بن أبي ليلى)^(١) وهو على راحلة له فدخل على الامام الحسن عليه السلام وهو محتب^(٢) في فناء داره فقال له : السلام عليك يا مذل المؤمنين .

فقال له الامام الحسن عليه السلام : أنزل ولا تعجل .

فنزل فعقل راحلته في الدار ، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إليه ، فقال له الامام الحسن عليه السلام :

ما قلت ؟

قال قلت : السلام عليك يا مذل المؤمنين .

قال عليه السلام : وما علمك بذلك ؟

قال : عمدت إلى أمر الامة فحللتها من عنقك وقلدتها هذا الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله .

فقال الامام الحسن عليه السلام : سأخبرك لم فعلت ذلك ؟

سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ : لن تذهب الايام والليالي حتى يلي على امتي رجل واسع البلعوم رحب الصدر يأكل ولا يشبع وهو معاوية ، فلذلك فعلت

ثم قال عليه السلام : ما جاء بك ؟

قال : حبك ؟

قال عليه السلام : الله .

قال : الله .

فقال الامام عليه السلام : والله لا يحبنا عبد أبدا ولو كان أسيرا بالديلم إلا نفعه الله

(١) سفيان بن أبي ليلى الهمداني : من أصحاب الحسن عليه السلام «وعده البرقي أيضاً من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام . (معجم رجال الحديث - الجزء التاسع للسيد الخوئي) وعده البرقي أيضاً من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام .

(٢) احتبى بالنوب : جمع بين ظهره وساقبيه بعمامة ونحوه . (القاموس)

بحبنا وإن حبنا ليساقط الذنوب من ابن آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر^(١)

الاعداد للمستقبل

كانت مهمة الامام الحسن عليه السلام الاعداد لثورة الامام الحسين عليه السلام ، والامام الحسين عليه السلام كانت مهمته الاعداد لثورة القائم عليه السلام .

ونحن مازلنا في التمهيد لاقامة دولة العدل الالهي ، دولة الامام القائم عليه السلام حيث نقرأ يوميا بالدعاء له :

« اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَانَا الْإِمَامَ الْهَادِيَ الْمُهْدِيَّ الْقَائِمَ بِأَمْرِكَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبِهَا ، سَهْلِهَا وَ جَبَلِهَا ، بَرِّهَا وَ بَحْرِهَا ، وَ عَنِّي وَ عَنِّ الْوَلَدَيْنِ مِنَ الصَّلَوَاتِ زِينَةَ عَرْشِ اللَّهِ ، وَ مَدَادَ كَلِمَاتِهِ ، وَ مَا أَحْصَاهُ عِلْمُهُ وَ أَحَاطَ بِهِ كِتَابُهُ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا ، وَ مَا عَشْتُ مِنْ أَيَّامِي ، عَهْدًا وَ عَقْدًا وَ بَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي ، لَا أَحُولُ عَنْهَا وَ لَا أَزُولُ أَبَدًا .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَ أَعْوَانِهِ ، وَ الذَّابِّينَ عَنْهُ ، وَ الْمُسَارِعِينَ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ ، وَ الْمُحَامِلِينَ عَنْهُ ، وَ السَّابِقِينَ إِلَى إِزَادَتِهِ ، وَ الْمُتَشَشَّهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّ حَالَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ الْمُوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَنْمًا ، فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِ مُؤْتَزَّرًا كَفَنِي ، شَاهِرًا سِنْفِي ، مُجَرِّدًا قَنَاتِي ، مُلْتَبِّيًا دَعْوَةَ الدَّاعِي فِي الْحَاضِرِ وَ الْبَادِي «^(١) .

(١) بحار الانوار / المجلسي / ج ٤٤ / ص ٢٤

(١) كامل الزيارات / دعاء العهد

سياسة معاوية :

كانت سياسة معاوية خلال خمس وعشرين عاماً منذ خروجه على حكومة الامام علي عليه السلام عام ٣٥ هجرية وحتى وفاته عام ٦٠ هجرية تعتمد على :

أولاً: القتل اللامحدود

حتى كتب الى زياد بن ابية واليه على الكوفة : (اقتل كل من كان على دين علي ورأيه ، فقتلهم ومثل بهم)^(١)

ثانياً: الاغراء بالمال والمناصب

ونستطيع ان نقرأ هنا قصة سمرة بن جندب وما بذل له معاوية في تحريف الايات القرآنية ضد خصومه .

يقول ابو جعفر الاسكافي المعتزلي كما يروي عنه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة :

« ان معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة الف درهم حتى يروي الآية الاولى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾^(٢) أنها نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام .

وان الآية الثانية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٣) نزلت في عبد الرحمن بن ملجم .

(١) بحار الانوار للمجلسي ج ٤٤ ص ١٢٦

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٤ و٢٠٥

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠٧

فلم يقبل ، فبذل له معاوية مائتي الف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة الف درهم فلم يقبل ، فبذل له اربعمائة الف درهم فقبل وروى ذلك ^(١)

ثالثاً: فن الخداع والاعلام الكاذب

ونستطيع أن نقرأ قصة ابي هريرة بحسب رواية الاعمش قال :

« لما قدم ابو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة ، جاء الى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مراراً وقال :

يا أهل العراق أنزعمون اني اكذب على الله ورسوله واحرق نفسي بالنار؟
والله لقد سمعت رسول الله يقول : لكل نبي حرماً وان حرمني بالمدينة بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .
واشهد ان علياً أحدث فيها .

فلما بلغ قوله معاوية اجازه واكرمه وولاه أمانة المدينة ^(٢)
وكتب معاوية كتاباً آخر يقول فيه : (انظروا من قبلكم من شيعة علي واتهموه بحبه فاقتلوه وان لم تقم عليه البينة) ^(٣)

هنا كان دور الامام الحسن عليه السلام ، وشيعة اهل البيت عليهم السلام ، واصحاب الامام
الابطال كحجر بن عدي ^(١) ،

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / ج ٤ / ص ٧٣

(٢) أضواء على السنة المحمدية / محمود أبو رية / الطبعة الخامسة / ص ٢١٦

(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / ج ٤ / ص ٧٣

(١) حجر بن عدي الكندي الكوفي صحابي يعتبر من فضلائهم وزهادهم ، وفد على النبي ﷺ مع اخيه هاني بن عدي وشارك في معركة القادسية ، وفتح مرج عذراء بالشام ، وهو من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي

وعمرو بن الحمق الخزاعي^(١) وغيرهم . . .

ماذا كان دورهم ليصل التشيع لعصر الامام الحسين عليه السلام ؟

كان لابد من صبر على كيد ورعب دام خمس وعشرين عاما من حكم معاوية .

تصفية الشيعة :

لقد كانت إحدى الخطوات التي قام بها معاوية لبسط حكمه وحكم آل أمية حاضراً ومستقبلاً هي تصفية شيعة اهل البيت عليهم السلام لانهم يشكلون خطراً على حكمه .

طالب عليه السلام حيث قاتل معه عليه السلام في معارك الجمل وصفين والنهروان ، وكان يرأس قبيلته في كل المعارك . استشهد على يد معاوية بن أبي سفيان بعد ان عرض عليه البراءة من الإمام علي عليه السلام فأبى ذلك ، فقتله ومعه أحد أبنائه ، وعدد من أصحابه ، وقطعوا رأسه وعلقوه على بوابة الشام ، وهو أول رأس يُعلق على البوابات ، قال عنه الشيخ الطوسي في رجال ص ٦٠ رقم الترجمة ٥١٥ هـ : من أصحاب علي عليه السلام حجر بن عدي كان من الأبدال . .

وقال عنه العلامة الحلي في رجاله ص ٥٩ : إنه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان من الأبدال . وقال عنه العلامة المجلسي في رجاله ص ١٨٣ ، رقم الترجمة ٤٤١ : وابن عدي الكندي من الشهداء السعداء ، ومن خواص أمير المؤمنين علي . (المحقق)

(١) عمرو بن الحمق بن الكاهن أو الكاهل الخزاعي . من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، والإمامين علي والحسن عليهما السلام . كان من السابقين الأولين الذين رجعوا إلى الإمام علي عليه السلام اشترك معه عليه السلام في حروبه كلها : الجمل وصفين والنهروان ورد في رجال الكشي ٢٥٣/ ١ ح ٩٩ ان الإمام الحسين عليه السلام قال : في رسالته إلى معاوية : « أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة ، فنحل جسمه وصفرت لونه ؟ بعدما آمنت به وأعطيته من عهد الله وميثاقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل ، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد » .

وجاء ايضا في رجال الكشي ٤٣/ ١ ح ٢٠ ان الإمام الكاظم عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله ، الذين لم ينتقضوا العهد ومضوا عليه ؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر . ثم ينادي مناد : أين حواري علي بن أبي طالب عليه السلام ، وصي محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فيقوم عمرو بن الحمق . . فهؤلاء المتحورون أول السابقين ، وأول المقرّبين ، وأول المتحوّرين من التابعين (المحقق)

يروى المؤرخون ان المغيرة بن شعبة^(١) رأى والده غضبانياً يقول :

فسألته : ياأب مالي أراك على غير حالك ؟

أجاب الأب : جئتكم من عند اكفر الناس واخبثهم .

قلت : من ؟

قال : معاوية .

قلت : كيف وهو الحاكم ؟ !

قال : جلست عنده وقلت له : لقد كبرت ، هلا رفقت ببني هاشم بني

عمومتك واحسنت اليهم ، وماضرك ذلك ؟

فقال معاوية لي : هيهات ان أخا تيم (ابو بكر) حكم فعمل فعدل ثم مات

فلم يذكره احد الا ان يقول قائل قال ابو بكر .

وجاء اخو عدي (عمر بن الخطاب) فحكم وعدل حتى اذا مات هلك معه

ذكره الا ان يقول القائل قال عمر بن الخطاب .

اما ابن ابي كبشة (يعني رسول الله ﷺ) فانه يذكر على المنابر في اليوم

خمس مرات .

(١) المغيرة بن شعبة من الأشخاص الذين شاركوا في واقعة الهجوم على دار الزهراء عليها السلام وقد عُين من قبل عمر بن الخطاب حاكماً على البحرين والبصرة والكوفة وفي حكم معاوية ابن أبي سفيان كان حاكماً للكوفة وكان من الذين يلعنون أمير المؤمنين علي عليه السلام والشيعة من على منبر الكوفة وله غلام اسمه أبو لؤلؤة الذي قتل عمر ابن الخطاب

ففي كتاب « الفارات ٢ / ٥١٦ » قال : (ذكر عند علي عليه السلام وجده معاوية ، فقال عليه السلام : « وما المغيرة ، إنما كان إسلامه لفجرة وغدره لمطمئنين إليه من قومه فتك بهم ، وركبها منهم فهرب ، فأتى النبي ﷺ كالعائد بالإسلام ، والله ما أرى أحد عليه منذ ادّعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً ، ألا وأنه كان من تقيف فراعنة قبل يوم القيامة ، يجانبون الحقّ ، ويسعون نيران الحرب ، ويوازرون الظالمين ... »

وفي تاريخ مدينة دمشق ٦٠ / ٥٠ ، تهذيب الكمال ٢٨ / ٣٧٣ ، البداية والنهاية ٥ / ٣٥٩ عن الشعبي قال : « سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة ، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا

بمكر ، لمخرج من أبوابها كلها » (المحقق)

(لأبائك لا والله إلا دفناً دفناً). (١)

كما يروي لنا المؤرخون رواية أخرى عن سياسة معاوية أنه : « كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة (٢) أن برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته ؛ فقامت الخطباء في كل كورة ، وعلى كل منبر ، يلعنون علياً ويبرؤون منه ، ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة ؛ لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية ، وضم إليه البصرة ، فكان يتتبع الشيعة ، وهو بهم عارف ؛ لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام ؛ فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم ، وشردهم عن العراق ؛ فلم يبق بها معروف منهم (٣) .

قتل الاطفال

ومن المشاهد المروعة لحملات الإبادة أنه لما استوثق الامر لمعاوية ارسل بسر بن أرطاة الى اهل الحجاز في طلب شيعة امير المؤمنين عليه السلام وكان على مكة واليا عبيد الله بن العباس بن ابي طالب وهو من طرف امير المؤمنين وبقي واليا فطلبه بسر فلم يقدر عليه فاخبر ان له ولدين صبيين فبحث عنهما ووجدهما واخرجهما من الموضع الذي كانا فيه ولهما ذؤابتين فأمر بذبجهما فذبجا .

وهنا بلغ امهما الخبر فكادت تزهر روحها فانشدت تقول :

ها من أحس بأبني الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

(١) . (شرح نهج البلاغة ج ٥ ابن أبي الحديد)

(٢) وهو عام الصلح مع الامام الحسن عليه السلام

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٤٤/١١ .

ها من أحس بأبني الذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم محتطفٌ
ها من أحس بأبني الذين هما مخ العظام فمخي اليوم مزدهفٌ
نُبئت سراً وما صدقت مازعموا من قتلهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة مشحودة وكذاك الإثم يقترفُ
من ذا لوالهة حرى مسلبة على صبيين ضلاً إذ مضى السلف
ويقال ان هذه المرأة هامت على وجهها في البيداء وفقدت وعيها حتى
ماتت. (١)

نعم ، كانت هذه هي سياسة معاوية البعيدة عن كل القيم الاسلامية
والانسانية .

ولهذا نجد مثل ابن الحديد المعتزلي وهو صاحب اعظم شرح لنهج البلاغة
يضع علامة استفهام على اسلام معاوية حيث يقول :

(وأما أفعاله المجانبة للعدالة الظاهرة من لبسه الحرير وشربه في آنية الذهب
والفضة حتى أنكر عليه ذلك أبو الدرداء فقال له :

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار
جهنم .

قال معاوية : أما أنا فلا أرى بذلك بأسا .

فقال أبو الدرداء : من عذيري من معاوية أنا أخبره عن الرسول ﷺ وهو
يخبرني عن رأيه لا أساكنك بأرض أبدا) . (١)

(١) الاغانى ٤٤/١٥-٤٧ ، تاريخ ابن عساكر ٢٢٣/٣ ، الاستيعاب ٦٥/١ ، النزاع والتخاصم ص ١٣ ، تهذيب

التهذيب ٤٣٥/١-٤٣٦ نقله عنهم الاميني في الغدير ج ١١ ص ١٦

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ابن أبي الحديد ص ١٣٠

مهمتان للشيعة في هذه المرحلة

بعد قرار الصلح الذي اتخذهُ الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية ، وتوصية شيعته بالانكماش السياسي كما أسلفنا ، كان على الشيعة في هذه المرحلة وتبعاً للإمام الحسن (عليه السلام) وتوصياته ان يقوموا بمهمتين :

المهمة الاولى : المحافظة على الوجود

الحفاظ على شيعة اهل البيت (عليهم السلام) ، حيث كانت سياسة معاوية هي تصفية الشيعة ، بينما كانت سياسة الإمام الحسن (عليه السلام) هي الحفاظ على الشيعة خوفاً عليهم من الانتهاء والفناء ، كما قرأنا ذلك في قول الإمام الحسن (عليه السلام) : (لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحدٌ إلا قُتل) . . . (١) .

أي إنه حتى الإمام الحسين (عليه السلام) كان سيقتل أيضاً ، ولم يبق أي امكانية لثورة كربلاء القادمة .

المهمة الثانية : التصحيح الفكري

دور التوعية الثقافية وفصح السياسة الاموية نلاحظ ذلك بشكل واضح في الاجتماع الموسع الذي دعا له معاوية وكان الإمام الحسن (عليه السلام) حاضراً . فقد قام إمامنا الحسن (عليه السلام) خطيباً فقال :

« وإن معاوية زعم لكم أنني رأيته للخلافة أهلاً ، ولم أر نفسي لها أهلاً فكذب معاوية ، نحن أولى بالناس في كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم نزل أهل البيت مظلومين ، منذ قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا ، وتوثب على رقابنا ، وحمل الناس علينا ، ومنعنا سهمنا من الفيء ومنع منا ما جعل لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله ﷺ لأعطتهم السماء قطرها ، والأرض بركتها ، وما طمعت فيها يا معاوية ، فلما خرجت من معدنها تنازعتها قریش بينها ، فطمعت فيها الطلقاء ، وأبناء الطلقاء : أنت وأصحابك ، وقد قال رسول الله ﷺ : ما ولت أمة أمرها رجالا وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوا ، فقد تركت بنو إسرائيل هارون وهم يعلمون أنه خليفة موسى فيهم واتبعوا السامري ، وقد تركت هذه الأمة أبي وبايعوا غيره ، وقد سمعوا رسول الله ﷺ يقول : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة " ، وقد رأوا رسول الله ﷺ نصب أبي يوم غدیر خم وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب .

وقد هرب رسول الله ﷺ من قومه ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى حتى دخل الغار ، ولو وجد أعوانا ما هرب ، وقد كف أبي يده حين ناشدهم ، واستغاث فلم يغث ، فجعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، وجعل الله النبي ﷺ في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعوانا ، وكذلك أبي وأنا في سعة من الله حين خذلتنا هذه الأمة ، وبايعوك يا معاوية ، وإنما هي السنن والأمثال ، يتبع بعضها بعضا .

أيها الناس إنكم لو التمسستم فيما بين المشرق والمغرب أن تجدوا رجلا ولده نبي غيري وأخي لم تجدوا ، وإني قد بايعت هذا ، وإن أدري لعله فتنة لكم وم태ع إلى حين » ^(١)

وتستمر حملة التوعية الثقافية والسياسية في عشرات المشاهد ، وفي محافل خاصة ومحافل عامة ، ولم يدع الإمام الحسن عليه السلام وإبطال الشيعة فرصة الا واغتنمتموها في هذا السبيل .

يروى المؤرخون ان معاوية حين ورد الكوفة خطب فسب أمير المؤمنين عليه السلام فقال له - وهو على المنبر - : ويلك يا بن آكلة الأكباد أو أنت تسب أمير المؤمنين عليه السلام وقد قال رسول الله ﷺ وسلم : " من سب عليا فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله أدخله الله نار جهنم خالدا فيها مخلدا وله عذاب مقيم ؟ " (١)

(ويحاول معاوية أن يخدع الناس فقال للامام الحسن عليه السلام : أنا خير منك يا حسن .

قال : كيف ذلك يا بن هند .

قال : لان الناس قد أجمعوا علي ولم يجمعوا عليك .

قال : هيهات هيهات لشراً علوت يا بن آكلة الأكباد ، المجتمعون عليك رجلان بين مطيع ومكره ، أما الطائع لك عاص لله ، والمكره معذور بكتاب الله) . (٢)

استبسال الشيعة في الدفاع عن الولاية :

واستبسل الشيعة الابطال في الدفاع عن الامام علي عليه السلام ومواجهة حملات الطعن والسب التي اتخذت طابعا رسمياً بأمر معاوية ، فقد كتب الى واليه على الكوفة المغيرة بن شعبة (لا تَنَحَّمْ عن شتم علي وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على اصحاب علي والاقصاء لهم وترك الاستماع منهم وباطراء شيعة عثمان والادناء لهم والاستماع منهم) (١)

ولكن ابطال العراق من شيعة علي عليه السلام لم يعبئوا بهذا الامر ، وواصلوا دفاعهم

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ١ - الصفحة ٤٢٠

(٢) بحار الانوار / المجلسي / ج ٤٤ / ص ١٠٤

(١) تاريخ الطبري / مطبعة الاستقامة بالقاهرة / ج ٤ / ص ١٨٨

عن علي عليه السلام .

لنقرأ هنا مارواه الطبري فيما جرى بين المغيرة بن شعبة والي معاوية على الكوفة وبين صعصعة بن صوحان وهو من خلص شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والامام الحسن عليه السلام .

قال المغيرة لصعصعة : (اياك ان يبلغني عنك انك تظهر شيئاً من فضائل علي علانية فانك لست بذاكر من فضل علي شيئاً أجهله ، بل انا أعلم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس . . فان كنت ذاكرًا فضله فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سرًا ، واما علانية في المسجد فان هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا فيه ، فكان صعصعة يقول : نعم أفعل ثم يبلغه انه عاد الى ما نهاه عنه)^(١)

شروط انتصار الامة

هنالك ثلاثة شروط لانتصار الامة وهي :

الاول : الوعي

الثاني : الارادة

الثالث : الصبر والاستقامة

ومن هنا كانت مهمة الامام الحسن عليه السلام وشيعته بث الوعي والارادة وروح الصبر والاستقامة ، فقد قال الامام الحسن عليه السلام :

(أما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ليست الخلافة لمن خالف كتاب الله ، وعطل السنة)^(١) .

(١) تاريخ الطبري / مطبعة الاستقامة بالقاهرة / ج ٤ / ص ١٤٤

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - الصفحة ١٢٢

جهاد الامام الحسن عليه السلام

سوف نواجه هذا السؤال ، هل جاهد الامام الحسن عليه السلام أم لم يجاهد ؟

لاشك ان الامام الحسن عليه السلام جاهد جهاداً كبيراً ، وليس من الضروري ان يكون الجهاد مسلحاً ، والقران الكريم يقول : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١) ، ومن هنا نعرف ان كل حركة في سبيل الله هي جهاد .

ونحن نقرأ في زيارة الائمة جميعهم عليه السلام : (اشهد انك جاهدت في الله حق جهاده) .^(٢)

ومن هنا نعرف أنه لا يوجد إمام أو نبي ليس مجاهداً ، لان الجهاد هو بذل الجهد ان كان الجهد عسكرياً او جهداً ثقافياً او جهداً سياسياً .

الامام الحسن عليه السلام اذن وبجهاد عظيم أوصل المرحلة للامام الحسين عليه السلام من اجل انجاح ثورة الامام الحسين عليه السلام .

الخطاب الاعلامي للامام الحسن عليه السلام

ماذا كان الخطاب الاعلامي للامام الحسن عليه السلام والذي من خلاله استطاع ان يوصل المرحلة الى الامام الحسين عليه السلام بنجاح ؟

لما صالح الامام الحسن عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال الامام الحسن عليه السلام : (ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنني إمامكم ومفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، بنص من

(١) سورة العنكبوت الاية ٦٩

(٢) وهي الزيارة المعروفة بزيارة امين الله والتي يزار بها الائمة جميعاً .

رسول الله ﷺ ؟

قالوا : بلى

قال ﷺ : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وأقام الجدار ، وقتل الغلام ، كان ذلك سخطا لموسى بن عمران ﷺ إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصوابا ؟

أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم ﷺ ؟ فإن الله عزوجل يخفى ولادته ، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإمام يطيل الله عمره في غيبته ، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ابن دون الأربعين سنة ذلك ليعلم أن الله على كل شئ قدير.^(١)

من خلال كلام الامام الحسن ﷺ هذا ، يتضح لنا ان الخطاب الاعلامي للامام الحسن ﷺ يتألف من عدة مفردات هي :

اولا : بيان ان الصلح هو خير لشيعة اهل البيت ﷺ ، مما طلعت عليه الشمس .

ثانيا : وجوب الطاعة للامام المعصوم ﷺ حيث يقول (الا تعلمون اني امامكم مفترض الطاعة عليكم)

ثالثا : الحكمة قد تخفى على الناس ، ومع ذلك يجب عليهم التسليم للموقف الشرعي ، وقد اعطاهم امثلة من التاريخ في خطابه الاعلامي كقصة الخضر وموسى حيث قال ﷺ ، اما علمتم ان الخضر لما خرق السفينة وهدم الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطا لموسى اذ خفي عليه وجه الحكمة ؟ .

رابعا : ثم يتطور الخطاب الاعلامي للامام الحسن ﷺ فيعطيه معلومة رابعة

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - الصفحة ١٩

هي قضية الامام المهدي عليه السلام وغيبته وقيامه حيث قال عليه السلام :

(اما علمتم مأمناً أحد الا ويقع في عنقه لطاغية زمانه بيعة الا القائم . الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم فان الله يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة اذا خرج ، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين بن سيدة الاماء) .

التبشير بقيام القائم

ويدخل زيد بن وهب الجهني على الامام الحسن عليه السلام بعد الصلح فقال له :

تترك يا بن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لهم راع ؟

فقال عليه السلام : ان أمير المؤمنين عليه السلام قال لي ذات يوم وقد رأيته فرحاً : (يا حسن أتفرح ؟

كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً ؟ !

كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أمية ، وأميرها الرحب البلعوم ، الواسع الإعجاج ،^(١) يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ، يدين له العباد ويطول ملكه ، يستن بسنن أهل البدع والضلال ، ويميت الحق وسنة رسول الله ﷺ ، يقسم المال في أهل ولايته ، ويمنعه من هو أحق به ، ويدل في ملكه المؤمن ، ويقوى في سلطانه الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دولا ، ويتخذ عباد الله خولا يدرس في سلطانه الحق ، ويظهر الباطل ، ويقتل من ناواه على الحق ، ويدين من لاواه على الباطل ، فكذاك حتى يبعث الله رجلا في آخر الزمان ، وكَلَب من الدهر^(٢) ، وجهل من

(١) أي واسع الكرش والأمعاء .

(٢) الكلب : هو الضيق والشدة .

الناس ، يؤيده الله بملائكته ، ويعصم أنصاره ، وينصره بآياته ، ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعا وكرها ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، ونورا وبرهانا ، يدين له عرض البلاد وطولها ، لا يبقى كافر إلا آمن به ولا صالح إلا صلح ، ويصطلح في ملكه السباع ، وتخرج الأرض نباتها ، وينزل السماء بركتها ، وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاما ، فطوبى لمن أدرك أيامه ، وسمع كلامه (١).

يلاحظ في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) التأكيد على قضية متفق عليها بين الأديان هي قضية الأعداد لظهور الإمام المنتظر المهدي (عليه السلام). وان تحقيق العدالة العالمية على يديه (عليه السلام)، والدين الإسلامي سوف يحكم العالم بظهور الإمام القائم (عليه السلام).

فقد ورد عن رسول الله ﷺ في رواية متفق عليها انه قال (عليه السلام): (للم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا) (١)

والإمام الحسن (عليه السلام) في الصلح وفي المعركة معا يتكلم مع الشيعة بقوله (عليه السلام): (أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام)) (٢)

منطلقات التحرك :

ماهو مقياس التحرك السياسي والاجتماعي عند الشيعة . ؟

كل حركة تتحركها ماهو مقياسها ؟ وماهي بوصلتها ؟ هل هي انطلاق

ذاتي انفعالي ، ام مبدئي رسالي ؟

(١) بحار الأنوار / المجلسي / ج ٤٤ / ص ٢

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٨٢

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - الصفحة ١٩

هل هذا التحرك ناتج عن انفعالات نفسية ، او مصالح ذاتية ، ام نتحرك على اساس المبادئ وعلى اساس المصالح الدينية ؟

لو تصفحنا التاريخ وراينا لماذا اعرض القوم عن الامام علي عليه السلام وخلافته ؟

هل ان اعراضهم نابع من منطق قرآني أم من منطق ذاتي ؟

لقد اعرضوا بحجة ان قريش لاتقبل ان تجتمع النبوة والامامة في بيت واحد ، كان هذا هو عذرهم لرفض خلافة الامام علي عليه السلام !!

ونحن نلاحظ ان هذا الاعتراض نابع من منطلقات ذاتية انانية وهو شرعا غير مقبول . فالشريعة تقول :

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (١)

ولكن قريش تحركوا على اساس مصلحتهم الشخصية وليس على اساس مايقوله الله تعالى وتطالب به الشريعة السماوية ، ولاعلى أساس وصية الرسول صلى الله عليه وآله حينما قال : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله) (١) .

وهذا الحديث يعرف بحديث الغدير وقد رواه جمهرة كبيرة من المحدثين والمؤرخين بعدة روايات ، وبأسانيد مختلفة .

لقد كان منطلق التحرك لدى الرسول صلى الله عليه وآله قائماً على اساس المبادئ وعلى اساس المصالح الدينية وليس على اساس المنطلقات الانانية والذاتية ، فقد أمره الله تعالى بأخذ البيعة من المسلمين للامام علي عليه السلام بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

(١) سورة الانعام الاية ١٢٤

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء - القاهرة ١٩٦٤ ص ١٦٩

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

هكذا كان مسيرة الانبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام ، وهكذا كانت منطلقاتهم وفق المبادئ والمصالح الدينية التي قررتها الشريعة السماوية .

الامام علي عليه السلام هكذا كان تحركه في كل المواقف ، والامام الحسن عليه السلام هكذا كان تحركه في مواقفه وفي صلحه مع معاوية ، والامام الحسين عليه السلام هكذا كان تحركه في مواقفه وفي معركته وحتى استشهاده عليه السلام ، وكذلك شيعة اهل البيت عليهم السلام هكذا كان تحركهم على مر التاريخ ، ونحن اليوم اتباع اهل البيت عليهم السلام وشيعتهم نسير وفق تلك الاسس والمبادئ وهكذا يكون تحركنا في كل المواقف ايضا .

حيث التحرك يكون على اساس الحجة الشرعية ، والمصلحة الدينية ، وليس على اساس المصلحة الشخصية .

منطلقات الامام الحسن عليه السلام

ماذا كانت منطلقاته في صلحه مع معاوية ؟ هل هي انانية ذاتية ؟ أم هي رسالية مبدئية ؟

لنستمع الى الامام الحسن عليه السلام ماذا يقول لاصحابه بعد وفاة أبيه عليه السلام ؟

(أما والله ماثنانا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة ، ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر ، فشبيت السلامة بالعداوة ، والصبر بالجزع ، وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم ، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم ، فكنا لكم وكنتم لنا ، وقد صرتم اليوم علينا ، ثم أصبحتم تعدون قتيلين : قتيلاً بصفين تبكون عليه ، وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأره ، فأما الباكي فخاذل ، وأما

الطالب فتائر .

وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة ، فإن أردتم الحياة قبلناه منه ، واغضضنا على القذى ، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله وحاكمناه إلى الله . (١)

اذن المنطلق لم يكن ذاتيا وإنما كان مبدئيا كما وضَّح ﷺ ذلك بقوله : (كُنَّا نقاتلهم بالسلامة والصبر ، فشيتت السلامة بالعداوة)

وفي قول آخر له ﷺ (ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت) . (٢)

هل شكّل الامام الحسن ﷺ حزبا سياسيا ؟

الكاتب المصري طه حسين يرى أنّ الإمام الحسن ﷺ قد شكّل حزبا سياسيا حين مكث في المدينة ، وتولّى هورئاسته وتوجيهه الوجهة المناسبة لتلك الظروف ، حيث يقول :

(واعتقد انا ان اليوم الذي لقي فيه الحسن هؤلاء الوفد من اهل الكوفة فسمع منهم ماسمع وقال لهم ما قال ، ورسم لهم خطّهم هو اليوم الذي انشئ فيه الحزب السياسي المنظم لشيعة علي وبنيه ، نظم الحزب في ذلك المجلس واصبح الحسن له رئيسا وعاد اشراف اهل الكوفة الى من وراءهم ينبؤهم بالنظام الجديد والخطّة المرسومة . . .) (١)

وعلى هذا فان طه حسين وامثاله يفترضون ان الشيعة هم عبارة عن حزب

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - الصفحة ٢١

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - الصفحة ١٩

(١) حياة الامام الحسن ﷺ / باقر شريف القرشي / ج ١ / ص ٣٠٠

سياسي ، ولكن الصحيح ان الشيعة أُمَّة وليسوا حزبا ، وان الاطار الذي يجمع شيعة اهل البيت عليه السلام هو الولاية لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ، ولاهل بيت رسوله عليهم السلام .

وان اطار التشيع ليس اطارا حزبيا ، وانه من الممكن ان توجد احزاب داخل هذا الجسم الكبير ولكن الولاء من الجميع هو لله ورسوله صلى الله عليه وسلم والائمة الاطهار عليهم السلام ونوابهم وليس ولاء حزبيا .

نعم ، كان للإمام الحسن عليه السلام نشاط واسع يتمثل في استقباله لوفود المعارضة ، وتوجيههم ودعوتهم إلى الصبر ، وأخذ الحزم وانتظار أوامر الإمام التي ستصدر في الفرصة المناسبة ، كما تمثل في تأكيده المستمر على الدور القيادي لأهل البيت عليهم السلام واستحقاقهم للخلافة والإمامة . ولعل هذا هو السبب الذي جعل طه حسين يتصور ان هذا العمل يأتي ضمن الاطار الحزبي من اجل التحشيد وتشكيل العلاقات ، ولكنه تصور غير صحيح ذلك أن الشيعة هم أمة عريضة ولا يمكن تاطير شيعة اهل البيت عليهم السلام بحزب معين .

الدفاع عن الاسلام :

بعد ان سيطر معاوية على الامصار ووصلت سطوته الى بلاد الغرب عقد هدنة مع ملك الروم ، الامر الذي دعا ملك الروم الى الدخول بحرب ثقافية مع المسلمين ، ففي يوم من الايام ارسل ملك الروم اسئلة الى معاوية يحاول فيها استفزازه واحراجه ، وهي :

ماهو الشيء الذي لا قبلة له ؟

ماهو الشيء الذي لا قرابة له ؟

ارض طلعت عليها الشمس مرة واحدة ماهي ؟

احتار معاوية واحتار معه وعاضد السلاطين فلم يجدوا غير الامام الحسن عليه السلام

يستغيثون به لانقاذهم من هذه الورطة .

فارسلوا على الامام الحسن عليه السلام لحل الاسئلة فلم يتوان الامام عليه السلام عن الاجابة دفاعاً عن الاسلام امام تحدي الروم .

فاجاب عليه قائلاً :

(اما الشيء الذي لاقبله له فهو : الكعبة ، واما الشيء الذي لاقرباه له فهو : الله ، واما الارض التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة هي : تلك الارض التي عبر عليها موسى لما ضرب البحر بعصاه فانفلق)^(١) .

الحضور الثقافي للامام الحسن عليه السلام

الحسن البصري^(٢) هو من العلماء التابعين الذين جاءوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو من اهل السنة الكبار يقول : وقعنا في حيرة من امرنا في مسألة عقائدية اشتبك الامر علينا فكتب رسالة للامام الحسن عليه السلام مانصه :

اما بعد معاشر بني هاشم انتم يابن رسول الله الفلك الجارية في اللجج الغامرة اسالك عن القدر والاستطاعة انني في حيرة

ويومئذ كان معاوية يعمد الى تطويع الناس لحكمه باعتباره قدراً الهياً .

فكتب عليه السلام في جواب الحسن البصري : (أمّا بعد ، فَمَنْ لم يؤمن بالقدر خيره وشره أن الله يعلمه فقد كفر ، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر . إن الله لم يُطع مكرهاً ، ولم يُعص مغلوباً ، ولم يُهمل العباد سُدىً)^(١) .

(١) كتاب مناقب ال ابي طالب / ابن شهر اشوب

(٢) أحد كبار التابعين ، كان فقيهاً عالماً ، عرف بفصاحة اللسان ، ، وغزارة العلم ، تلقى العلم على عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله في البصرة وأصبحت له حلقة درس كبيرة في جامع "البصرة" يعلم فيها الحديث ، والقرآن ، واللغة ، والفقه وغيرها من العلوم . كما تولى منصب القضاء في "البصرة" (المحقق)

(١) حياة الامام الحسن الجزء الثاني باقر شريف القرشي

فلاحظ كيف أنه عليه السلام يوضح بعبارة موجزة قضية تعتبر من أكثر القضايا الفكرية تعقيداً وعمقاً ، حتى أنها لشدّة عمقها قد ضلّ فيها الكثيرون من رجال الفكر ، كما نشأت عنها تيارات متطرّفة ، كالأشاعرة ، والمعتزلة ، حول التفسير العقائدي السليم للقضاء والقدر .

وكلام الحسن البصري للإمام الحسن عليه السلام بقوله (انتم الفلك الجارية في اللجج الغامرة) يكشف عن عمق حضور الامام الحسن عليه السلام في المشهد الثقافي يومئذ .

الامام الحسن عليه السلام صالح أو هادئ ؟

يقول العلامة السيد محمد بحر العلوم رحمه الله في كتابه لمحات من الصراع السياسي : (ان الامام الحسن عليه السلام لم يصلح بل الذي كان هو هدنة وليس صلحاً)^(١) حيث يقول :

(ومن هذا كله ننتهي الى ان الامام الحسن عليه السلام لم يتنازل لمعاوية عن الخلافة ، وانما اتفق معه على ايقاف الحرب بين جيشيهما)^(٢)

وهذا الرأي هو نفسه الذي ذهب اليه العلامة المجلسي في بحار الانوار حيث يقول بعد نقل كلام ليوسف بن مازن الراسبي :

« ان ما قال يوسف بن مازن من أمر الحسن عليه السلام ومعاوية عند أهل التمييز والتحصيل تسمى المهادنة والمعاهدة ، الا ترى كيف يقول (ماوفى معاوية للحسن عليه السلام بشيء مما عاهده عليه وهدانه ولم يقل بايعه عليه)^(٣)

والحقيقة ان المسألة ليست مسألة اصطلاح لنختلف عليه رغم ان بعض

(١) لمحات من الصراع السياسي للعلامة السيد محمد بحر العلوم / العهد الاموي / ج ١ / ص ١٤٣ / اتفاقية الهدنة

(٢) لمحات من الصراع السياسي للعلامة السيد محمد بحر العلوم / العهد الاموي / ج ١ / ص ١٥٠

(٣) بحار الانوار / المجلسي / ج ٤٤ / ص ٣

الروايات التاريخية تتحدث عن صلح جرى بين الامام الحسن عليه السلام ومعاوية .

ولكن السؤال هو هل ان الامام الحسن عليه السلام أعطى شرعية لمعاوية ، وتنازل عن الخلافة الشرعية ؟

الجواب : لا

ولعله من اجل ذلك اعتبر العلامة السيد محمد بحر العلوم ماحدث هو هدنة وليس صلحاً ، والشاهد على ذلك ان الامام الحسن عليه السلام اشترط على معاوية في بنود الصلح ان لا يخاطبه بأمره المؤمنين .^(١)

منهج واحد أم مناهج متعددة ؟

كل الأئمة عليهم السلام لديهم اهداف واحدة ومنهج واحد لكن هنالك تعدد في الادوار ، وبودي هنا ان اشير الى كتاب لاستاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رض) هو (أهل البيت عليهم السلام تنوع أدوار ووحدة هدف)

فالدور يختلف تارة يكون في حرب ، وتارة يكون في سلم ، وتارة يكون في ثقافة وتارة يكون في فقه وخدمات اجتماعية . ي ولكن المنهج واحد والهدف واحد .

وهناك كتاب اخريؤكد نفس المفهوم وهو كتاب تحت عنوان (انسان عمره ٢٥٠ عاماً) ومعناه ان الأئمة عليهم السلام كلهم لو جمعتهم كانوا عبارة عن انسان واحد ونور واحد هذا الانسان عمره ٢٥٠ عاماً ، وهذا الكتاب لسماحة اية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) وعنوانه (الأئمة انسان واحد) ، وفي هذا

(١) ذكر المؤرخون (بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية على ان لا يسميّه بأمر المؤمنين ، ولا يقيم عند شهادة ، ولا يتعقب شيعة علي ، وعلى ان يفرق في اولاد من قتل مع ابيه يوم الجمل واولاد من قتل مع ابيه بصفين الف

الف درهم) بحار الانوار للمجلسي ج ٤ ص ٢

الكتاب تأكيد على أن هدف الأئمة عليهم السلام ومنهجهم هو منهج واحد وان تعددت الاشكال بحسب اختلاف الظروف .

الحسن والحسين نموذجان لمنهج واحد

لوعملنا دراسة مقارنة نموذجية بين الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام ، بين الدور الذي مارسه الامام الحسن عليه السلام حيث صلحه مع معاوية طاغية زمانه ، وبين الدور الذي مارسه الامام الحسين عليه السلام حيث قاتل يزيد طاغية زمانه فسوف نجد منهجاً واحداً ولكن الاختلاف في الشكل والدور ، فاذا اردنا ان نأخذ دراسة مقارنة بينهما عليهما السلام نجد اختلافاً في الأدوار ولكن وحدة في المنهج ، ويمكن أن نقرأ ذلك فيما يلي :

أولاً: التعريف بالحق

لقد عمد الامام الحسن عليه السلام كما الامام الحسين عليه السلام الى تعريف الناس بحقهما وشخصيتهما .

لقد قام الامام الحسن عليه السلام خطيباً في مجلس معاوية وقال : نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم نزل أهل البيت مظلومين منذ قبض الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا وتوثب على رقابنا وحمل الناس علينا ومنعنا سهمنا من الفيء ومنع أمانا ما جعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقههم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها وما طمع فيها معاوية ، فلما خرجت من معدنها تنازعته قريش بينها فطمعت فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء أنت وأصحابك .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا ، فقد تركت بنوا إسرائيل

هارون وهم يعلمون أنه خليفة موسى فيهم واتبعوا السامري ، وقد تركت هذه الأمة أبي وبايعوا غيره ، وقد سمعوا رسول الله ﷺ يقول : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة .

وقد رأوا رسول الله ﷺ نصب أبي يوم غدیر خم وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب .

وقد هرب رسول الله ﷺ من قومه وهو يدعوهم إلى الله تعالى حتى دخل الغار ، ولو وجد أعوانا ما هرب ، وقد كف حين ناشدهم واستغاث فلم يغث ، فجعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، وجعل النبي في سعة من الله حين خذلتنا هذه الأمة وبايعوك يا معاوية وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضا .

أيها الناس لو التمسستم فيما بين المشرق والمغرب أن تجدوا رجلا ولده نبي غيري وأخي ، وإني قد بايعت هذا ، وإني أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .^(١)

ومثل ذلك كان الامام الحسين عليه السلام يقول : (إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومحل الرحمة ، بنا فتح الله وبنا يختم ، ويزيد رجل فاسق ، شارب للخمر ، قاتل النفس المحرمة ، ملعن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون ، وننظرون وتنظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة) .^(٢)

ثانيا : التحرك السياسي

الايمان بالتحرك السياسي من أجل احقاق الحق وابطال الباطل هو المنهج

(١) أمالي الطوسي ٥٥٩ / مجلس ٢٠ / ح ٩ .

(٢) الملهوف في قتل الطفوف للسيد ابن طاووس

الذي سار عليه الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام.

هكذا كانت حركة الامام الحسن عليه السلام فهو لم يؤثر القعود والانسحاب من الساحة ، بل تحرك من أجل إعادة الحكم الى أهله ، فكانت التعبئة العسكرية في البداية ثم الصلح في النهاية مع شرط ان تكون الخلافة بعد معاوية للامام الحسن عليه السلام.^(١)

وهكذا كانت حركة الامام الحسين عليه السلام من أجل إعادة الخلافة الى اهلها الشرعيين وهم الائمة الاطهار عليهم السلام من أهل بيت النبوة ، فكانت حركته الى الكوفة من أجل أخذ البيعة منهم والاعلان عن الامامة الشرعية والاطاحة بحكم الطاغية يزيد ، رغم ان الامام عليه السلام كان يعلم بانه لن يصل الى هذا الهدف وانه سيقتل في أرض كربلاء ، إلا أن ذلك لم يمنعه من رسم المنهج ووضع معالم الطريق للامة من أجل اقامة الحكم العادل والاطاحة بحكم الظالمين ، ومن هنا كان يقول عليه السلام في مطلع خروجه الى العراق :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغير ما عليه كان حقاً على الله أن يدخله مدخله) .^(١)

ثالثاً: وحدة الهدف

لقد كان الهدف واحداً ، وهو الدفاع عن الاسلام والامة الاسلامية والجماعة الصالحة من شيعة أهل البيت عليهم السلام .

(١) ذكر بعض المؤرخين ان معاوية كتب للامام الحسن عليه السلام كتاباً يقول فيه : (اني صالحتك على ان لك الامر من بعدي ولك عهد الله وميثاقه وذمته . . .) حياة الامام الحسن عليه السلام باقر شريف القرشي ج ٢ ص ٢٣٢ ، وذكر مثل ذلك المؤرخ الاسلامي ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب قال : (واشترط عليه الحسن ان يكون الامر له من بعده فالتزم ذلك كله معاوية) (المصدر السابق ص ٢٣٥)

(١) مقتل ابي مخنف

فلئن كان الامام الحسين عليه السلام يقول : (أما بعد فان السنة قد اميتت وان البدعة قد أحييت ، الا ترون الى الحق لايعمل به ، والى الباطل لايتناهى عنه) .^(١)

فلقد كان الامام الحسن عليه السلام يكرر نفس المفاهيم ، وينطلق من نفس المنطلقات ، فكان يقول في تفسير الصلح مع معاوية : (والله الذي عملته خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت) .^(٢)

وكان يقول عليه السلام : (قال رسول الله ﷺ : ما ولت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه الا لم يزل أمرهم يذهب سفلأ) .^(٣)

رابعاً : وحدة الموقف

ثورة الامام الحسين عليه السلام كانت بعد وفاة معاوية وذلك سنة ٦٠ للهجرة ، بينما الامام الحسن عليه السلام كان قد استشهد سنة ٥٠ هجرية ، فالامام الحسين عليه السلام بقي صابراً ومشى على نفس خطى اخيه الامام الحسن عليه السلام حتى هلك معاوية وثار لان الثورة لم تكن تنجح مع معاوية ومكره بل كانت تنجح مع سياسة يزيد وحقاقته .

خامساً : التعبد بالغيب

رغم الاهداف المعلنة لحركة الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام الا ان التسليم للقدر الالهي المحتوم والتعبد بالغيب كان هو الذي يحدّد مسار التحرك لدى الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام معاً .

نقرأ ذلك في كلام الامام الحسين عليه السلام حين عزم على المسير الي العراق ،

(١) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج ١ - الصفحة ٥٩٠

(٢) فروع الكافي : ٣٣٥ .

(٣) البحار ج ٤٤ ص ٢٢

قام خطيباً ؛ فقال : (الحمد لله وما شاء الله ولا قوة الا بالله ؛ وصلي الله على رسوله وسلم . خط الموت على ولد آدم مخط القلادة علي جيد الفتاة ، وما أولهني الي أسلا في اشتياق يعقوب الي يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه . كأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات ، بين النواويس و كربلاء ؛ فيملأن مني أكراشا جوفاً) .^(١)

وهكذا رأينا الامام الحسن عليه السلام فقد كان يقول : حدثني ابي امير المؤمنين عليه السلام قال : (لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع ، لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر ، وإنه لمعاوية ، وإنني عرفت أن الله بالغ أمره)^(١)

فالشهادة للامام الحسين عليه السلام هي قدر الهي ، وتسلب معاوية هو استحقاق الامة حين تخذل إمامها ، ومن هنا كان الامام الحسن عليه السلام يقول لمعاوية : (جعل الله النبي في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعوانا ، وكذلك أبي وانا في سعة من الله حين خذلتنا هذه الامة) .

الاتجاهات في مواجهة الانحراف

كانت هنالك ثلاث اتجاهات في مواجهة الانحراف الاموي على عهد معاوية :

الاتجاه الاول : التبعية المطلقة

والاستسلام والطاعة للحاكم وان كان ظالماً ، وهذا الاتجاه هو الذي ساد

(١) لخوارزمي ، مقتل الحسين ، ٦ - ٥ / ٢

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ٣ - الصفحة ١٦٦

يومئذ لدى أهل الشام وحاول الجهاز الأموي تعميمه والتثقيف عليه وصناعة المبرر الشرعي له .

وبفعل ذلك وما بعده من صناعة سلاطين الجور ووعاظ السلاطين أضحى هذا الاتجاه هو الاتجاه السائد لدى أهل السنة على طول التاريخ ، وقد أضحى لديهم مبدأً سياسياً فكرياً يمثل الموقف الشرعي أمام الحاكم المنحرف وهو عبارة عن وجوب الطاعة للحاكم حتى إذا كان فاجراً فاسقاً شارباً للخمر معلناً بالفجور فانه يجب ان نسمع له ونطيع ، ورووا في ذلك مجموعة أحاديث مكذوبة عن الرسول ﷺ .

منها قوله كما عن أنس بن مالك (قال قال رسول الله ﷺ أسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه) .^(١)

الاتجاه الثاني : الثورة المطلقة :

في مواجهة الانحراف والتمرد المطلق على الحاكم والمواجهه العسكرية الدائمة ، وهذا الاتجاه هو الاتجاه الذي التزم به الخوارج^(٢) ، كما سنقرأ ذلك في

(١) صحيح البخاري . وقد ذكروا في هذا الباب أكثر من مائة حديث ملفق عن رسول الله ﷺ نذكر منها : قال : من

أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله (رواه الترمذي)

وقال : اسمع وأطع لمن كان عليك (رواه مسلم)

وقال : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم (رواه مسلم)

وقال : قال تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع (رواه مسلم)

وقال : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية (رواه مسلم)

وقال : فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان (رواه مسلم) (المحقق)

(٢) الخوارج هي فرقة ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الهجري ، وبالتحديد في حرب صفين التي دارت

رحاها بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من جهة وبين معاوية بن أبي سفيان من جهة أخرى .

وكان ظهورهم العلني بعد رفع المصاحف في تلك الحرب من قبل جيش معاوية بمشورة من عمرو بن العاص بعد

أن اتضحت هزيمة جيش الشام لو استمرت الحرب . وقد ذكرت في الكتب التاريخية والمصادر ومنها نهج البلاغة ،

ثورات الخوارج .

الاتجاه الثالث : المواجهة الواعية :

وهذا هو اتجاه الأئمة عليهم السلام من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، فلا يوجد هناك طاعة مطلقة ، ولا ثورة مطلقة وإنما اختيار الموفق بما يتناسب مع ماتفرضه المبادئ والأهداف ومصلحة الأمة ، وقد يختلف الموقف من حالة الى حالة .

ولما كان معاوية مرفوضاً فالبدل كان هو المواجهة على تنوع اشكالها ، . تارة سلمية وتارة فكرية وتارة مصالحة وتارة حركة ثقافية كل هذا حسب مايمليه الواقع ويتطلبه حفظ الدين .

فالنبي صلى الله عليه وآله جاء لدخول مكة ثم تراجع عن ذلك وعقد صلح الحديبية ، والامام علي عليه السلام امتنع من البيعة لأبي بكر وجرى ماجرى ثم تماشى مع الحكم القائم الى ان حقق النجاح بعد خمسة وعشرين عاماً واستلم الحكم عبريعة المسلمين له .

الشيعة على طول التاريخ كان منهمجهم في مواجهة الانحرافات السياسية هو اختيار الموقف الافضل لحفظ مصالح الاسلام والمسلمين ، وهذه هي سياسة الامام الحسن عليه السلام ومثله الامام الحسين عليه السلام وباقي الأئمة الاطهار عليهم السلام .

هل نجح معاوية في مشروع الإبادة ؟

قلنا ان معاوية عزم على تصفية الشيعة وإبادتهم كما عزم على تحريف الاسلام ، ولكنه هل نجح في ذلك ؟

كلا ، لم ينجح معاوية في حرب إبادة الشيعة ، ومحو الاسلام ، وان نجح في مشروع سب الامام علي عليه السلام على المآذن حيث اصبح ذلك سنة بعد الصلوات في

خصائص مختلفة لهم حيث ان لديهم فهم خاطئ للقرآن ، ومن و يتمتعون بضيق النظر ، والغرور ، الأنانية ، ل والتعصب والتشدد ، (المحقق)

المساجد حتى ان إمام الجماعة اذا نسي السب يقال له : نسيت السنة ، نسيت السنة^(١)

وحسب رأي الشيخ التيجاني فأن كلمة السنة وأهل السنة جاءت من هذا المنطلق حيث لم يكن المقصود سنة رسول الله ﷺ بل سنة معاوية في سب الامام علي عليه السلام^(١).

امام كل محاولات الأباداة ، وكل محاولات تحريف الاسلام ، كان الشيعة

(١) المستدرك على الصحيحين ١ : ٥٤١ ، مسند أحمد ٤ : ٣٦٩ ، تاريخ الطبري ١٢٤ تاريخ الخلفاء : ٢٣٢ . إن سياسة معاوية في معاداة الامام علي عليه السلام وبغضه كانت واضحة ، وسبها - كما صرح هو بنفسه - أنه لا يستقيم له الأمر إلا بأتباع هذه السياسة العدائية لأمر المؤمنين عليه السلام ، لأن علياً عليه السلام كان طوداً شامخاً لا يرقى إليه معاوية بكل حال ، فمعاوية أقل فضلاً وشأناً وتقوى وعلماً بل بكل شيء من علي عليه السلام ، وهو قد بارز صاحب الحق حقّه ، فليس له في الوصول الى غايته إلا خلط الأوراق وحمل الناس على بغض صاحب الحق وسبّه ومعاداته كي لا تميل قلوبهم اليه ويتمكن بهذا من سياسة الناس وحكمهم ، وبهذا فقد ربح معاوية دنياه وخسر آخرته . قال المسعودي في مروج الذهب ٣ : ٤٢ : ١١ « ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته - أي معاوية - إلى ان جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير » . وقال ابن حجر في (فتح الباري) ٧ : ٥٧ : « ثم اشتد الخطب فتتقصّوه واتخذوا لعنه على المنابر سنّة ، ووافقهم الخوارج على بغضه » .

وقال الزمخشري في (ربيع الابرار) : « انه كان في أيام بني امية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية في ذلك » ، ذكره العلامة الأميني في (الغدير) ٢ : ١٢٠ نقلاً عن الزمخشري . وعن الحموي في (معجم البلدان) ٣ : ١٩١ : ١١ « لعن علي بن أبي طالب (رض) على منابر الشرق والغرب » . وهكذا صار سب أمير المؤمنين عليه السلام سنّة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير . قال المسعودي في (مروج الذهب) عند ذكره لأتباع معاوية واشتدادهم في طاعته : ثم أرتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنّة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (أنظر : مروج الذهب ٣ : ٤٢) . (المحقق)

(١) الشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني السماوي (ص ٣٩) حيث يقول مائنه (ومنها : تسمية أنفسهم بـ "أهل السنة والجماعة" حتى يُموّهوا على المؤمنين المخلصين بأنهم يتمسكون بسنة النبي الروافض الذين يرفضونها . وفي الحقيقة هم يقصدون بـ "السنة" البدعة المشؤومة التي ابتدعها في سب ولعن أمير المؤمنين وأهل بيت النبي على المنابر في كل مسجد من مساجد المسلمين مقابل ، وفي كل البلدان والمدن والقرى ، فدامت تلك البدعة ثمانين عاماً ، حتى كان خطيبهم إذا نزل للصلاة قبل أن يلعن علي بن أبي طالب صاح به من في المسجد : "تركت السنة ، تركت السنة !"

هم الجبل الشامخ امام تلك المحاولات جميعها واستطاعوا ان يحبطوا هذه المحاولات .

علي عليه السلام في قصر معاوية :

ورغم كل الحروب الاعلامية التي قادها معاوية ضد الامام علي عليه السلام ، الا ان علياً كان حاضراً في قصر معاوية على السنة ابطال الشيعة الذين كانوا يفدون الى الشام للتجارة أو غيرها .

نستطيع ان نقرأ ذلك في قصة ضرار بن ضمرة ، وقصة الزرقاء الهمدانية ، وقصة سودة الهمدانية .

ضرار يصف علياً عند معاوية :

(دَخَلَ ضِرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ . مُعَاوِيَةُ .: صِفْ لِي عَلِيًّا ؟
فَقَالَ لَهُ : أَوْ تُعْصِمَنِي مِنْ ذَلِكَ ؟
فَقَالَ : لَا أُعْصِيكَ .

فَقَالَ : كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمُدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَضْلاً ، وَيَحْكُمُ عَدْلاً ،
يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِهِ ، وَتَنْطَفُؤُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَ
زَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ .

كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ ، وَ
يُنَاجِي رَبَّهُ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللَّيَاسِ مَا خُشِنَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا جَشَبَ .

كَانَ وَاللَّهِ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ، وَيُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَكُنَّا مَعَ
دُنُوبِهِ مَنَّا وَقُرْبَانًا مِنْهُ لَا نُكَلِّمُهُ لِهَيْبَتِهِ ، وَلَا نَرْفَعُ أَعْيُنَنَا إِلَيْهِ لِعَظَمَتِهِ ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنَ
مِثْلَ اللَّوْثِ الْمُنْظُومِ ، يُعْظِمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُجِبُ الْمَسَاكِينَ ، لَا يَطْلَعُ الْقَوِيُّ فِي
بَاطِلِهِ ، وَلَا يَبْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَ

قَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُوْلَهُ ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ ، وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ ، قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ ، وَيَنْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، فَكَأَنِّي الْأَنْ أَسْمَعُهُ وَهُوَ يَقُولُ : يَا دُنْيَا ، يَا دُنْيَا ، أَبِي تَعَرَّضْتَ ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتَ ؟ هَيْهَاتَ ، هَيْهَاتَ ، غُرِّي غُرِّي ، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ ، قَدْ أَبْنَيْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيهَا ، فَعُمُرُكَ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكَ يَسِيرٌ ، وَأَمْلِكُ حَقِيرٌ ، أَمْ آه مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ ، وَعَظَمِ الْمَوْرِدِ .

فَوَكَفْتُ دُمُوعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ فَانْشَفَهَا بِكُمِّهِ ، وَاخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ .
ثُمَّ قَالَ - معاوية - : كَانَ وَاللَّهِ أَبُو الْحَسَنِ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ كَانَ حُبُّكَ إِيَّاهُ ؟

قَالَ : كَحُبِّ أُمِّ مُوسَى لِمُوسَى ، وَأَعْتَذِرُ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّقْصِيرِ .
قَالَ : فَكَيْفَ صَبْرُكَ عَنْهُ يَا ضَرَارُ ؟
قَالَ : صَبْرٌ مَنْ دُبِحَ وَاجِدُهَا عَلَى صَدْرِهَا ، فَهِيَ لَا تَرْقَى عِبْرَتُهَا ، وَلَا تَسْكُنُ حَرَارَتُهَا .

ثُمَّ قَامَ وَخَرَجَ وَهُوَ بَاكِ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَّا إِنَّكُمْ لَوْ فَقَدْتُمُونِي لَمَا كَانَ فِيكُمْ مَنْ يُثْنِي عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا الثَّنَاءِ !

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ حَاضِرًا : الصَّاحِبُ عَلَى قَدْرِ صَاحِبِهِ ^(١)

سودة الهمدانية في قصر معاوية :

(دخلت سودة بنت عمار الهمدانية على معاوية بعد شهادة علي عليه السلام فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين وآل امره إلى أن قال لها ما حاجتك ؟

(١) بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليه السلام) : ٨٤ / ١٥٦ ، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، المولود باصفهان سنة : ١٠٣٧ ، و المتوفى بها سنة : ١١١٠ هجرية ، طبعة مؤسسة الوفاء ، بيروت / لبنان ، سنة : ١٤١٤ هجرية .

قالت : إن الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا وما زال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوة سلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف هذا بسر بين أوطاة قدم علينا فقتل رجالنا ونهب أموالنا ولولا الطاعة لكان فينا عزومنة فان عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك .

فقال : معاوية إياي تهددين يا سودة بقومك لقد هممت ان أحملك على قتب أشوس فأرسلك إليه فينفد فيك حكمه .

فأطرقت سودة ساعة ثم أنشدت تقول :

صلى الاله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار الحق والايان مقرونا
فقال معاوية : من هذا يا سودة ؟

قالت : هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والله يا معاوية لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائما يصلى فلما رأيته انفتل من صلاته ثم اقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطف وقال لي : ألك حاجة ؟
قلت : نعم وأخبرته الخبر .

فبكى ثم قال : اللهم أنت الشاهد علي وعليهم واني لم آمرهم بظلم خلقك ثم اخرج قطعة جلد فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم " ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام ، ثم

دفع الرقعة إلي فجئت بها إلى صاحبها فانصرف عنا معزولا .

فقال معاوية : اكتبوا لها كما تريد فكتبوا لها فمضت وهي تقول : وهذه من علي (عليه السلام) .^(١)

قصة الزرقاء الهمدانية :

الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية الكوفية ، خطيبة مصقعة ، من ذوات الشجاعة والرأي ورجاحة العقل والتدبير ، توفيت نحو سنة ٦٠ هـ .
عرفت بالولاء والاخلاص لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وناصرته (عليه السلام) يوم صفين ، حيث كانت تدعو المؤمنين إلى نصرة الحق معه (عليه السلام) ، وتحرضهم على قتال القاسطين .

(لما دخلت على معاوية قال لها : مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد ، كيف حالك يا خالة ؟ وكيف رأيت مسيرك ؟

قالت : خير مسير ، كأنني كنت ربيبة بيت ، أو طفلا ممهدا .

قال : بذلك أمرتهم ، فهل تعلمين لم بعثت إليك ؟

قالت : سبحان الله ، أنى لي بعلم ما لم أعلم ، وهل يعلم ما في القلوب إلا الله ؟

قال : بعثت إليك إن أسألك ألسنت راکبة الجمل الأحمر يوم صفين بين

الصفين توقدين الحرب ، وتحضين على القتال ، فما حملك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه قد مات الرأس ، وبتر الذنب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث بعده الامر .

قال لها : صدقت ، فهل تحفظين كلامك ، يوم صفين ؟

قالت : ما أحفظه .

قال : ولكني والله أحفظه ، لله أبوك لقد سمعتك تقولين : أيها الناس ، إنكم في فتنة غشتكم جلايب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيا لها من فتنة عمياء صماء يسمع لقائلها ، ولا ينظار لسائقها .

أيها الناس ، إن المصباح لا يضيء في الشمس ، وإن الكوكب لا يقد في القمر ، وإن البغل لا يسبق الفرس ، وإن الزف لا يوازن الحجر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد .

ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن استخبرنا أخبرناه ، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، فكان قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة العدل ، وغلب الحق باطله ، فلا يعجلن أحد .

فيقول : كيف وأنى ؟ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ألا إن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء والصبر خير في الأمور عواقباً ، إيها إلى الحرب قدما غيرنا كصين ، فهذا يوم له بعده .

ثم قال معاوية : والله يا زرقاء ، لقد شركت علياً في كل دم سفكه .
فقالت : أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين ، وأدام سلامتك ، مثلك من بشر بخير ، وسر جليسه .

قال لها : وقد سرك ذلك ؟

قالت : نعم والله ، لقد سرنى قولك ، وأنى لي بتصديق الفعل .

فقال معاوية : والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إليّ من حبكم له في حياته .^(١)

(١) بلاغات النساء ٤ : ٥٠ - ٥٢ ، موسوعة المصطفى والعتر ، للمؤلف ٥ : ٣٢٤ ، أعلام النساء : للطريحي : ٣٩

المحافظة على القاعدة الشعبية

لقد كانت مهمة الامام الحسن عليه السلام هي الحفاظ على القواعد الشعبية للشيعة فتراه يقول عليه السلام :

(لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل) .^(١)

فكان دور الامام الحسن عليه السلام هو الحفاظ على القاعدة الشعبية ، وقد نجح الامام في ذلك أيما نجاح ، ومن اجل ذلك نلاحظ ان الامام الحسين عليه السلام في طريقه الى كربلاء حين التقى بالطرماح^(١) سأله عن الناس ، فماذا كان جوابه ؟ قال : الناس قلوبهم معك .

وهذه مرحلة مهمة هي مرحلة كسب القناعات القلبية ، وهذا معناه أن الامام الحسن عليه السلام نجح في إبقاء شعلة الولاء لأهل البيت عليه السلام متوهجة في قلوب الناس ولحين ثورة الامام الحسين عليه السلام .

فمن الذي صنع تلك القناعات ؟

بالطبع ان الامام الحسن عليه السلام في تصديه وحمانيته للشيعة هو الذي صنع تلك القناعات وسلب الشرعية من معاوية الأمر الذي جعل الصورة واضحة أمام كثير من الناس وهي ان حكم معاوية حكم لاديني .

ان مهمة التعرية وسلب الشرعية واعداد وتطوير القناعات الفكرية هي مهمة

(١) الصدوق في علل الشرائع : ٢١١ / ١ ط نجف .

(١) الطَّرمَاحُ بْنُ عَدِيٍّ الطَّائِي شاعر شيعي ومن أصحاب الإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام ، حمل رسالة الإمام علي عليه السلام إلى معاوية ، وجرت بينه وبين معاوية مشادة كلامية . التقى مع الإمام الحسين عليه السلام في عذيب الهجانات ، وفيه أخبر الإمام عليه السلام باستشهاد قيس بن مسهر وبأحوال الكوفة وأهلها ، كما قدّم للإمام عليه السلام اقتراحات ، فجزّاه الإمام عليه السلام خيراً ، ثم ودّع الإمام عليه السلام ، ووعدّه أن يعود لنصره ، فلما عاد بلغه خبر استشهاد الإمام عليه السلام في نفس المكان . (الطوسي ، رجال الطوسي ، جامعة المدرسين ، قم ، ١٤١٥ هـ)

صعبة جداً وتعتبر هي المرحلة الأولى ، لتأتي بعدها المرحلة الثانية وهي مرحلة الامام الحسين (عليه السلام) ، ولولا المرحلة الأولى لا يمكن ان تنجح المرحلة الثانية .

ان مهمة الامام الحسن (عليه السلام) كانت هي الحفاظ على القواعد الشيعية وهذا ماتحقق ، وكذلك كان من مهمته سلب الشرعية عن الحكم الأموي وهو ايضا قد تحقق ليصبح الشيعة أبطال التاريخ في مواجهة أعتى حكم ظالم وماكر .

التمرد الأعمى :

لاحظوا مثلاً كان هنالك اتجاه اخر وهو اتجاه التمرد المطلق ، التمرد الأعمى وهو الاتجاه الذي قاده الخوارج وهو تمرد أعمى قد يقتل الامام علي (عليه السلام) ولا يقتل معاوية ، وقد يقتل الحق ويترك الباطل .

فأصبح الخوارج قطعاً للطرق يلاحقوا شيعة الامام علي (عليه السلام) بينما بقي معاوية وعمرو بن العاص في أمان ، فهم كانوا يعلنون التمرد ويقولون (لاحكم الا لله) ولكن هذا التمرد كان سيفاً قتل به الامام علي (عليه السلام) فقط .

يذكر التاريخ ان الخوارج في هذه الفترة بالذات من حكم معاوية قاموا بحركة تمرد في الكوفة سنة ٤١ للهجرة ، وهي حركة فروة بن نوفل الاشجعي ، وقد ارسل اليهم معاوية خيلاً ورجالاً من أهل الشام فانهزموا وانتهت حركتهم بالفشل وقتلوا جميعاً .

كما قاموا بحركة تمرد ثانية في الكوفة ايضاً عام ٤٢-٤٣ للهجرة ، وهي حركة المستورد بن علفة ، ولكن المغيرة بن شعبة وهو والي معاوية على الكوفة استطاع ان يكبسهم ويعتقلهم وانتهت بذلك حركتهم^(١) .

كانت هذه نماذج لحركات تمرد اعمى قاده الخوارج .

(١) للمزيد من التفصيل راجع كتاب (ما قبل عاشوراء) للشيخ هادي الاسدي / ص ٤٦-٥٠

أمام هذا التمرد الاعمى ، ماذا كان موقف الشيعة ؟

ان موقف الشيعة كان هو الرفض الواعي وليس الرفض الاعمى ، حيث كان رفضاً للحكم الجائر .

لذلك فان بطولات شيعة اهل البيت عليهم السلام ليست هي بطولات على المستوى الجسدي فقط ، بل كانت بطولات تحدي على مستوى الوعي بما يجري .
الخوارج كانوا لا يملكون وعياً سياسياً ولا وعياً دينياً ، بينما الشيعة كانوا يملكون الوعي الديني والسياسي معاً .

وحينما نتحدث عن أهمية الوعي يمكن أن نستذكر هنا موقف أبي موسى الاشعري الذي خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم فخلع الامامة عن الامام علي عليه السلام كما يخلع الخاتم ، فابو موسى الاشعري ^(١) كان لا يملك وعياً دينياً ولا سياسياً كما يملكه مالك الاشتهر ^(٢) الذي اختاره الامام علي عليه السلام في قضية

(١) ابو موسى الاشعري من ائمة الكفر فقد جاء في احقاق الحق للتستري ج ٣٣ ص ٢٢٦ (روى الشعبي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : ان ائمة الكفر في الاسلام خمسة : طلحة والزبير ومعاوية وعمر بن العاص وابو موسى الاشعري) .

وجاء في كتاب الامامة للميلاني ص ٣٠٦ : انه من اشهر اعداء امير المؤمنين عليه السلام يلغنه في قنوته مع معاوية وجماعة من اتباعه .

وجاء في صفحة الدرجات الرفيعة ص ٢٨٤ : وذكر ابو موسى الاشعري عند حذيفة بن اليمان بالدين فقال : اما انتم فتقولون ذلك واما انا فأشهد انه عدو لله ولرسوله وحرب لهما . وروي ان عمرا سئل عن ابي موسى فقال : سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً علمت انه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط وكان حذيفة عالماً لهم .

وجاء في التضايع الكافية للسيد محمد بن عقيل ص ١٤٠ قال : واخرج الطبري في الكبير عن سويد بن غفلة قال : سمعت ابو موسى الاشعري يقول : قال : رسول الله ﷺ سيكون في هذه الامة حكمان ضالان ضال من اتبعهما فقلت يا ابا موسى انظر لا تكون احدهما ، فوالله ما مات حتى رايته احدهما .

وجاء في البحار ج ٣٣ ص ٢٩٧ . والتمس اصحاب علي عليه السلام ابا موسى مركب ناقته ولحق بمكة . فكان ابن عباس يقول : قبح الله ابا موسى لقد حذرتة وهديته الى الراي فما عقل . (المحقق)

(٢) مالك الاشتهر هو مالك بن الحارث النخعي الشهير بالاشتر من أبرز قادة جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن

التحكيم ، لكن الخوارج رفضوا ذلك وفرضوا ابا موسى الاشعري ، ان الوعي الديني والسياسي هو الذي جعل الشيعة ابطال التاريخ .

انهم كانوا ابطال التاريخ بارادتهم ووعيهم السياسي ومازالوا ابطال التاريخ بنفس الارادة والعزيمة واصبحوا مضربا للامثال على مر التاريخ .

ولهذا نجد سفيان ابن ابي ليلى عندما يأتي للإمام الحسن عليه السلام يخاطبه قائلا : السلام عليك يا مذل المؤمنين !!

هذا هو الموقف الاعمى غير الواعي وبدون بصيرة ، فالامام الحسن عليه السلام يرى في هذا الرجل انسانا تائراً ، ولكن ثورته بدون وعي .

فقال له الامام عليه السلام : ما الذي جاء بك الينا ؟

فقال : حبك يا بن رسول الله

قال له الامام عليه السلام : الله

فقال الرجل : الله

فقال له الامام الحسن عليه السلام : (والله لا يحبنا عبد أبدا ولو كان أسيرا في الديلم إلا نفعه الله بحبنا ، وإن حبنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما يساقط الريح

وجوه العراق وشجعانه .

وبعد الأشت من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام ومن أبرز قادة جيشه في معركة الجمل ، وصفين ، واوكل اليه ولاية مصر التي استشهد في طريقه إليها ، وهو صاحب العهد المشهور الذي كتبه له أمير المؤمنين عليه السلام حينما عينه والياً على مصر .

أما بعد فقد بعث إليكم عبداً من عباد الله لا ينال أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروح . أشد على الفجار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج ، فاسمعوا له ، وأطيعوا أمره فيما طابق الحق فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ، ولا نابي الضريبة ، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري ، أترتك به على نفسي لتضيحه لكم وشدة شكيمته على عدوك (الأميني ، ترجمة أعلام نهج البلاغة ، ص ٤٠) .

الورق من الشجر). (١)

ان حب هذا الرجل كان ممزوجاً بتمرد أعمى ، وقد حاول الامام عليه السلام أن يغير قناعاته من خلال كسبه عاطفياً ، ثم دعاه للجلوس وشرح له فلسفة الصلح مع معاوية

صعصعة بن صوحان والمواجهة الواعية :

لقد كان دور الشيعة هو دور التصحيح الفكري والمواجهة السياسية الواعية ، تقول الرواية :

خطب الناس يوما معاوية بمنزل دمشق وفي الجامع يومئذ من الوفود علماء قريش وخطباء ربيعه ومدارهما وصناديد اليمن وكان في الجامع من اهل العراق - وهم شيعة علي عليه السلام - الاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان وهنا بدا معاوية بعملية الخداع الفكري قائلاً :

(ان الله تعالى اكرم خلفاءه فاوجب لهم الجنة وابتعد عنهم النار ثم جعلني منهم وجعل انصاري اهل الشام الذابين عن حرم الله المؤيدين بظفر الله المنصورين بالله) .

هنا كان صعصعة بن صوحان والاحنف بن قيس لينهضوا بمهمة التصحيح الفكري

فقال الاحنف لصعصعة : اتكفيني ام اقوم له انا ؟

فقال صعصعة للاحنف : بل اكفيكه انا .

فقام صعصعة وقال : يا ابن أبي سفيان تكلمت فأبلغت ، ولم تقصردون ما أردت ، وكيف يكون ما تقول ، وقد غلبتنا قسرا ، وملكنا تجبرا ، ودنتنا بغير

الحق ، واستوليت بأسباب الفضل علينا ، فأما إطراؤك لأهل الشام فما رأيت أطوع
لمخلوق وأعصى لخالق منهم ، قوم ابتعت منهم دينهم وأبدانهم بالمال ، فان
أعطيتهم حاموا عليك ونصروك ، وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك . .

فقال معاوية : أسكت يا ابن صوحان فوالله لولا أني لم أتجرع غصة غيظ
قط أفضل من حلم وأحمد من كرم سيما في الكف عن مثلك ، والاحتمال
لذويك ، لما عدت إلى مثل مقالتك ،^(١)

هذه الرواية تجسد نموذجاً لمهمة التصحيح الفكري والمواجهة الواعية التي
قادها الشيعة

الفصل الرابع

دور الشيعة على عهد الامام الحسين عليه السلام
من عام ٥٠ للهجرة الى عام ٦١ للهجرة

تحدثنا سابقا عن الشيعة ابطال التاريخ ودورهم في عصر رسول الله ﷺ ثم على عهد الامام علي عليه السلام ثم على عهد الامام الحسن عليه السلام والان وصلنا الى دور وبطولات الشيعة على عهد الامام الحسين عليه السلام من عام ٥٠ للهجرة الى عام ٦٠ للهجرة حيث ان الثورة الحسينية كانت مطلع ٦١ للهجرة .

مرحلة ما قبل كربلاء :

الامام الحسين عليه السلام عاصر امامة الامام الحسن عليه السلام لمدة عشر سنوات من عام ٤٠ للهجرة الى عام ٥٠ للهجرة حيث كان الامام الحسن عليه السلام هو الامام الشرعي والامام الحسين عليه السلام تحت ولايته ، ولايختلف معه في الموقف ، ولكن ماهودور الشيعة ، وموقف الامام الحسين عليه السلام بعد شهادة الامام الحسن عليه السلام الى حين ثورة كربلاء عام ٦١ للهجرة ؟

خلال هذه المدة كان معاوية هو الحاكم المطلق وقبل ان يهلك ويتولى الحكومة يزيد بن معاوية عام ٦٠ للهجرة خلال هذه الفترة بالذات ماهودور الامام الحسين عليه السلام خلال هذه العشر سنوات ؟

وماذا كان دور ابطال التاريخ من شيعة اهل البيت عليهم السلام امثال حجر بن عدي وصعصعة بن صوحان وعمرو بن الحمق الخزاعي في هذه المرحلة ؟

ان الدور الذي لعبه ابطال الشيعة كان يرتبط بموقف الحاكم يومئذ ، حيث حكم معاوية في هذه الفترة وكان الامام الحسين عليه السلام يقول : « فكونوا

أحلاس بيوتكم^(١) الى ان يهلك هذا الطاغية ، فاذا هلك هذا الطاغية نظرنا مايكون » .

سياسة معاوية :

ماهي سياسة معاوية التي ادت بالامام الحسين عليه السلام ان يامرشيعة بان يكونوا أحلاساً في بيوتهم وهو ما عبرنا عنه (بالانكماش السياسي) ، وهو نفسه الموقف الذي اتخذه الامام الحسن عليه السلام كما شرحنا في الفصل السابق ، والى جانب الانكماش السياسي كانت مهمة الدخول في المواجهة الفكرية دفاعاً عن الحقيقة كما سنرى ذلك .

كان هنالك ثلاث خطوات قام بها معاوية هي عبارة عن الاقصاء السياسي ، ثم الاقصاء الديني ، ثم تقديم قراءة تحريفية للدين هي مانعبر عنه ب (القراءة الاموية للدين) .

الخطوة الاولى : الاقصاء السياسي لاهل البيت عليه السلام عن الحكم

وقد سبق أن شرحنا هذه الخطوة في الفصول السابقة من هذا الكتاب .

الخطوة الثانية : الاقصاء الديني لاهل البيت عليه السلام

وهي التي بدأها معاوية بشكل اكثر وضوحاً وجراً بعد شهادة الامام الحسن عليه السلام ، وتوضيح ذلك :

أنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كان هدف القوم إبعاد أهل البيت عليه السلام عن الحكم ، واستمرت هذه الفترة طيلة حكم الخلفاء الثلاثة الى شهادة الامام الحسن عليه السلام ، مع اعتراف السلطة بمنزلة اهل البيت في العلم والفضيلة ولكن مع

(١) المجلس كل ما يوضع على ظهر الدابة ، وهو كناية عن السكون وعدم اظهار المخالفة أو الموافقة .

ابعادهم عن الحكم وهو ما عبرنا بالاقصاء السياسي .

الى ان جاء حكم معاوية فخطا خطوة اخرى أخطر من الاقصاء السياسي وهي الاقصاء الديني لاهل البيت (عليه السلام) ومعناه عدم الاعتراف بالشرعية الفكرية لاهل البيت (عليه السلام) وسلب البعد المعنوي لهم (عليه السلام) وهذا ما خطط له معاوية بعد شهادة الامام الحسن (عليه السلام) حيث اشتد البلاء وتطور الموقف كما يعبر عنه المؤرخون حيث يقولون :

(فلما مات الحسن بن علي (عليه السلام) ازداد البلاء والفتنة فلم يبق لله ولي الا خائف على نفسه ، أو مقتول ، أو طريد ، أو شريد) .^(١)

وكما يرويه ابن ابي الحديد في شرح النهج عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال :

(ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ، ونقصى ونمتهن ، ونحرم ونقتل ، ونخاف ولانأمن على دماء أوليائنا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به الى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة ، فحدثوهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا مالم نقله ولم نقله لئيبغضونا الى الناس ، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام) فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الايدي والارجل على الظنة ، وكان من ذكر بحبنا والانقطاع اليها سجن أو نهب ماله أو هدمت داره)^(٢)

مشروع سب الامام علي (عليه السلام) على المنابر

اصدر معاوية قرارا الزم فيه كل الخطباء وائمة المساجد بسب الامام علي (عليه السلام) بعد كل صلاة .

حتى اصبحت سنة مألوفة لدى كل ائمة المساجد ، ومن ينساها يقال له

(١) بحار الانوار / المجلسي / ج ٤٣ / ص ١٢٧

(٢) بحار الانوار / المجلسي / ج ٤٤ / ص ٦٩

بأنك نسيت السنة ، حيث يروي ان احداً من المساجد نزل من المنبر ونسي سب الامام علي عليه السلام فقام له الحاضرون وقالوا له : يا شيخ السنة السنة .

وهنا يقول الشيخ التيجاني باستناده الى بحث تاريخي ان هؤلاء عندما يسمّون أهل السنة فانه وبحسب المنشأ التاريخي لا يقصد بها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما يقصد بها سنة سب الامام علي عليه السلام .

عدم ذكر فضائل الامام علي عليه السلام

لقد بلغ الامر بمشروع الاقصاء الديني وسلب البعد المعنوي عن اهل البيت عليه السلام ان كتب معاوية الى المحدثين والقصاصين أن برئت الذمة^(١) ممن روى حديثاً في فضل علي عليه السلام ، وكل من يتحدث عن الامام علي عليه السلام وفضائله يقطع لسانه .

وقد روينا في الفصل السابق ان المغيرة بن شعبة وهو والي معاوية على الكوفة خاطب صعصعة بن صوحان وهو من ابطال الشيعة قائلاً : اياك اياك ان تتحدث عن فضائل علي عليه السلام ، ان كان ولا بد اجلس مع اصحابك في بيتك ، اما في المجالس العامة فلا نسمح لك بذلك فان الخليفة لا يرضى بذلك .

وضع الاحاديث المكدوبة :

كتب معاوية كتاباً الى كل الخطباء وأئمة المساجد ان يضعوا احاديث مزورة في فضل الصحابة أمام كل حديث جاء في فضل علي عليه السلام .

وقد ذكرنا في الفصل السابق قصة ابي هريرة حينما جاء الى الكوفة وماذا حدث امام الناس في الطعن بالامام علي عليه السلام كما ذكرنا قصة سمرة بن جندب

مع معاوية حين بذل له اربعمائة الف درهم ليروي ان قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١) نزلت في عبد الرحمن بن ملجم .

في حين يروي المفسرون انها نزلت في الامام علي عليه السلام يوم بات على فراش النبي صلى الله عليه وآله عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة للمدينة .

هذا هو معنى الاقصاء الديني لاهل البيت عليه السلام بعد الاقصاء السياسي لهم عن الحكم والسلطة .

وهنا رسم ابطال الشيعة بطولات في مواجهة الاقصاء الديني ووقفوا بصلافة دفاعاً عن الحقيقة كما سنقرأ ذلك في بعض الصور البطولية .

هذه المرحلة كانت هي مرحلة المواجهة الفكرية ضد التحريف والتزييف للتاريخ والدين .

يروي المغيرة بن شعبة عن ابيه انه كان قد دخل على معاوية وقال له : انك قد كبرت فلورفت ببني هاشم !

فأجابه معاوية : هيهات ! هيهات ! أي ذكر أرجو بقاءه ؟ مَلِكٌ أخوتيم فعدل ، وفعل ما فعل ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : أبوبكر .

ثم مَلِكٌ أخو عدي ، فاجتهد ، وشمر عشرين سنين ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : عمرو إن ابن أبي كبشة (يعني النبي محمد صلى الله عليه وآله) ليصاح به كل يوم خمس مرّات ! أشهد أن محمداً رسول الله .

فأي عمل يبقى ؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا ! لا أبالك ! لا والله إلا دفناً دفناً^(٢)

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٧

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١ : ٨١ ، المسترشد ، للطبري : ١٧٤ .

هذا هو الاقصاء الديني لاهل البيت عليه السلام حيث بدا بعلي والحسن والحسين عليه السلام ليصل الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وامام هذا الاقصاء كان موقف الشيعة هو الدفاع عن الحقيقة وعن منزلة أهل البيت عليه السلام وشأنهم .

شهادة حجر بن عدي وبطولاته :

حجر بن عدي من الصحابة الكبار ، وهو شخصية كبيرة ومن الموالين الاشداء للامام علي عليه السلام .

حيث ان الامام علي عليه السلام عند شهادته دخل عليه حجر قال له عليه السلام : كيف بك يا حجر اذا دعيت للبراءة مني ؟

فقال حجر : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إربا وإربا واضرم لي النار وألقيت فيها ، لآثرت ذلك على البراءة منك .

فقال عليه السلام اما السب فسيبوني ، واما البراءة لاتتبرأوا مني فاني ولدت على الفطرة .

فقال له حجر : لو قطعت ماتبرات منك

فقال له الامام عليه السلام : انك على خير .

هذا هو حجر بن عدي ^(١) لقد كان من الابطال الاشداء ، القي القبض عليه

(١) عرف بحجر الخير ، ويكنى بأبي عبد الرحمن بن عدي بن الحرث بن عمرو بن حجر المقلب بأكل المرار [ملك الكنديين] . وقيل هو ابن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الاكرمين من كندة ومن ذؤابتها العليا .

صحابي من أعيان أصحاب علي وابنه الحسن عليه السلام ، وسيد من سادات المسلمين في الكوفة ومن أبدالها . وفد هو وأخوه هاني بن عدي على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال في الاستيعاب : « كان حجر من فضلاء الصحابة ، وصغر سنه عن كبارهم » ، وذكره بمثل ذلك في أسد الغابة ، ووصفه الحاكم في المستدرک بأنه : « راهب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم » .

من قبل زياد ابن أبيه بعد ما كتب زياد الى معاوية قائلاً اذا بقي حجر في الكوفة فانه سيؤثر على الناس بافكاره .

فامر معاوية بتوثيقه في الحبال وارساله له فارسل ومعه اثنا عشر من اصحابه واهل بيته مكتوفين الى الشام .

حتى وصلوا الى منطقة مرج عذراء من توابع سوريا ، فجاء الامر اليهم بالبراءة من علي عليه السلام .

فاذا بالسياف قال له : يا حجران تبرات من علي فسوف نعفيك

فقال حجر: ان العبور على حد السيف لايسر علينا مما تدعوننا اليه

قال : مدّ عنقك

قال : لأعين على نفسي

فقتل عليه السلام ومن معه وقبره الان في محل قتله في نفس المنطقة في سوريا .

وكان لقتل حجر بن عدي تداعيات اجتماعية كبيرة ضد معاوية حتى انه

وبلغ من عبادته أنه ما أحدث الا توضاً وما توضع الا صلى . وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكان ظاهر الزهد ، مجاب الدعوة ، ثقة من الثقات المصطفين ، اختار الآخرة على الدنيا حتى سلم نفسه للقتل دون البراءة من امامه ، وانه مقام تزل فيه الاقدام وتزيع الاحلام .

كان في الجيش الذي فتح الشام ، وفي الجيش الذي فتح القادسية ، وشهد الجمل مع علي ، وكان أمير كندة يوم صفين ، وأمر المبصرة يوم النهروان ، وهو الشجاع المطرق الذي قهر الضحاك بن قيس في غربي تدمر . وهو القائل : « نحن بنو الحرب وأهلها ، نلقحها وننتجها ، قد ضارستنا وضارستها » .

ثم كان أول من قتل صبراً في الاسلام . قتله وستة من أصحابه معاوية بن أبي سفيان سنة ٥١ في « مرج عذراء » بغوطة دمشق على بعد ١٢ ميلاً منها . وقبره الى اليوم ظاهر مشهور ، وعليه قبة محكمة تظهر عليها آثار التقدم في جانب مسجد واسع ، ومعه في ضريحه أصحابه المقتولون معه وسنأتي على ذكرهم . وهدم زياد ابن أبيه دار حجر في الكوفة .

السبب في قتله أنه كان يرد على المغيرة وزياد حين يشتمان علياً عليه السلام ، ويقول : « أنا أشهد أن من تزدمون أحق بالفضل ، ومن تزكون أولى بالذم ، وكان اذا جهر بكلمته هذه ، واقفه أكثر من ثلثي الناس ، وقالوا : « صدق واللّه حجر وير » . (صلح الحسن /سماحة الشيخ راضي آل ياسين)

عندما ذهب الى الحج لم تستقبله عائشة الابعد وساطات عديدة فلما دخل معاوية عليها قالت له : انت قاتل حجر؟^(١)

قال : دعي ذلك ؟

قالت : كيف قتلته ؟

قال : نقف أنا وهو يوم القيامة ، دعي ذلك ، كيف انا معك ؟

قالت : نعم ، فرضيت عنه .^(٢)

هذه الرواية عندما يقف عليها بعض كبار علماء أهل السنة يحاول ان يبزر موقف معاوية فيقول : (هذا فعل خليفة والخليفة يفعل مايشاء .)

العجب من تفسير هؤلاء والقران يقول : ﴿ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ

(١) ذكر محمد بن سعد : أنهم دخلوا عليه ، ثم ردهم فقتلوا بعذراء ، وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حتى وصل بهم إلى برج عذراء فمن مشير بقتلهم ، ومن مشير بتفريقهم في البلاد ، فكتب معاوية إلى زياد كتابا آخر في أمرهم ، فأشار عليه بقتلهم إن كان له حاجة في ملك العراق ، فعند ذلك أمر بقتلهم ، فاستوهب منه الأمراء واحدا بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة ، وقتل منهم ستة أولهم حجر بن عدي ، وشريك بن شداد ، وصيفي بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة ، ومحرز بن شهاب المنقري ، وكدام بن حيان ، ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون بمسجد القصب في عرفة ، والصحيح بعذراء ، ويذكر أن حجرا لما أرادوا قتله ، قال : دعوني حتى أتوضأ ، فقالوا : توضحأ ، فقال : دعوني حتى أصلي ركعتين فصلاهما وخفف فيهما ، ثم قال : لولا أن يقولوا ما بي جزع من الموت لطولتهما ، ثم قال : قد تقدم لهما صلوات كثيرة ، ثم قدموه للقتل وقد حفرت قبورهم ونشرت أكفانهم ، فلما تقدم إليه السياف ارتعدت فرائضه ، فقيل له : إنك قلت لست بجازع ، فقال : ومالي لا أجزع وأنا أرى قبرا محفورا وكفنا منشورا وسيفا مشهورا ، فأرسلها مثلا ، ثم تقدم إليه السياف ، وهو أبو شريف البدوي ، وقيل تقدم إليه رجل أعور ، فقال له : أمدد عنقك ، فقال : لا أعين على قتل نفسي ، فضربه فقتله ، وكان قد أوصى أن يدفن في قيوده ، ففعل به ذلك ، وقيل : بل غسلوه وصلوا عليه (ابن كثير - البداية والنهاية - الجزء : (١١) - رقم الصفحة : (٢٣٣ ، ٢٣٥) .

(٢) (إن معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلم عليها من وراء الحجاب - وذلك بعد مقتله حجرا وأصحابه - قالت له : أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتلت حجرا وأصحابه ، فقال لها : فقدته حين غاب عني من قومي مثلك يا أمه ، ثم قال لها : فكيف بري بك يا أمه ، فقالت : إنك بي لبار ، فقال : يكفيني هذا عند الله ، وغدا لي والحجر موقف بين يدي الله عز وجل . (ابن الاثير/البداية والنهاية/ج ١١/ص ٢٣٦)

خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١﴾

شهادة عمرو بن الحمق الخزاعي^(٢)

عمرو بن الحمق الخزاعي هو صحابي جليل القدر ومن رفقاء حجر بن عدي ومن تلاميذ أمير المؤمنين عليه السلام من الدرجة الأولى .

شارك في حرب صفين وحرب الجمل والنهروان مع الإمام علي عليه السلام .

فقد بشره رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة قبل أن يسلم ، أما قصة إسلامه التي رواها كل المؤرخين فهي :

(لما بعث رسول الله النبي صلى الله عليه وآله جماعة من الصحابة في سرية ، قال لهم : إنكم ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويهديكم الطريق ، هو من أهل الجنة .

فأقبلوا حتى انتهوا إلى عمرو بن الحمق الخزاعي فأمرفتيانه فنحروا جزورا وحلبوا من اللبن ، فبات القوم يطعمون من اللحم ما شأؤوا ويسقون من اللبن ، ثم

(١) سورة النساء الآية ٩٣

(٢) عمرو بن الحمق صحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين ، والإمام الحسن عليه السلام ، تعلم الأحاديث من النبي صلى الله عليه وآله ، وكان من الصفوة الذين حرسوا حق الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله (فوقف إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام بإخلاص .

عبر عنه الإمام الحسين عليه السلام بـ (العبد الصالح الذي أبلّته العباداة) . (بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - الصفحة ٢١٣)

وعن الإمام الكاظم عليه السلام : (إذا كان يوم القيامة ، ينادي مناد : أين حواري علي بن أبي طالب عليه السلام وصي محمد بن عبد الله رسول الله ؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ، ومحمد بن أبي بكر ، وميثم بن يحيى التمار ، مولى بني أسد ، وأويس القرني) (بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٢ - الصفحة ٣٤٢)

قتل (رضوان الله عليه) سنة (٥٠ هـ) ، بتدبير من معاوية ، بعد أن سجنوا زوجته بُغْيَةَ استسلامه ، وأُرْسِلَ برأسه إلى معاوية ، وهو أول رأس في الإسلام يُحمل من بلد إلى بلد . (المحقق)

أصبحوا ، فقال لهم : ما أنتم بمنطلقين حتى تطعموا أو تزودوا ، فقام رجل منهم وضحك .

فقال عمرو: ولم ضحكت ؟

فقال : أبشرببشرى الله ورسوله ،

فقال عمرو: وما ذاك ؟

فقال : بعثنا رسول الله ﷺ في هذا الفج ، وأخبرناه أنه ليس لنا زاد ولا هداية الطريق ، فقال : ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلّكم على الطريق ، هو من أهل الجنة ، فلم نلق من يوافق نعت رسول الله النبي ﷺ غيرك .

فركب عمرو بن الحمق معهم وأرشدهم على الطريق ، ثم سار عمرو بن الحمق إلى رسول الله ﷺ حتى بايعه وأسلم ، وكان إسلامه بعد الحديبية وشارك مع رسول الله ﷺ في غزواته (١) .

ومما يرويه المؤرخون عن أخباره في عهد رسول الله ﷺ إنه : (ذات يوم سقى عمرو بن الحمق النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : اللهم متعه بشبابه . فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء) . (٢)

كان لعمر من العمريوم أسلم خمسة وعشرون عاماً أما بالنسبة إلى حياته بعد وفاة النبي ﷺ فقد سكن عمرو مصر ثم جاء إلى الكوفة فكانت حياته كسائر حياة أصحاب أمير المؤمنين ﷺ في الانصياع لأوامره بالصبر والثبات لحفظ شرعة الإسلام حتى بدأ دوره الثاني في محاربة الفساد فكان أحد أقطاب الثورة ضد حكومة عثمان التي أطاحت به . حتى بلغ من العمر ثمانين عاماً ولم

(١) نقله المجلسي في البحار المجلد الثامن ص ٧٢٦ عن الكتاب

(٢) أسد الغابة - ابن الأثير - ج ٤ - الصفحة ١٠٠

تبيض له شعرة واحدة .

وان امير المؤمنين عليه السلام اخبره بانه سوف تكون عليك شدة حتى تخرج من الكوفة متوجها إلى حصن الموصل ، فترى رجلاً مقعداً فتقعد عنده ثم تستسقيه فيسقيك ، و يسألك عن شأنك فأخبره و ادعه إلى الإسلام فإنه يسلم ، و امسح بيدك على وركيه فإن الله يمسخ ما به و ينهض قائماً فيتبعك ، و تمر برجل أعمى على ظهر الطريق فتستسقيه فيسقيك ، و يسألك عن شأنك فأخبره و ادعه إلى الإسلام فإنه يسلم ، و امسح يدك على عينيه فإن الله عزو جل يعيده بصيراً فيتبعك ، و هما يواريان بدنك في التراب ، ثم تتبعك الخيل فإذا صرت قريباً من الحصن في موضع كذا و كذا رهقتك الخيل ، فانزل عن فرسك و مر إلى الغار فإنه يشترك في دمك فسقه من الجن و الإنس .

ففعل ما قال أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما انتهى إلى الحصن قال للرجلين : اصعدا فانظرا هل تريان شيئاً ؟

قالا : نرى خيلاً مقبلة .

فنزل عن فرسه و دخل الغار و عار فرسه فلما دخل الغار ضربه أسود - ثعبان - و جاءت الخيل فلما رأوا فرسه عاثراً قالوا هذا فرسه و هو قريب ، فطلبه الرجال فأصابوه في الغار فكلما ضربوا أيديهم إلى شيء من جسمه تبعهم اللحم فأخذوا رأسه فأتوا به معاوية فنصبه على رمح وهو أول رأس نصب في الإسلام .^(١)

ثم أن معاوية بعث برأسه إلى امرأته وهي في السجن فوضع في حجرها فقالت : سترتموه عني طويلاً وأهديتموه إلي قتيلاً فأهلاً وسهلاً من هدية غير قالية ولا مقلية ، بلغ أيها الرسول عني معاوية ما أقول : طلب الله بدمه وعجل الويل من نقمه فقد أتى أمراً فرياً وقتل باراً تقياً ، فأبلغ أيها الرسول معاوية ما قلت .

(١) رجال الكشي ص ٤٦

فبلغ الرسول ما قالت ، فبعث إليها فقال لها : أنت القائلة ما قلت ؟
قالت : نعم غير ناكلة عنه ولا معتذرة منه .
قال لها : اخرجي من بلادي .
قالت : أفعل فوالله ما هولي بوطن ولا أحن فيها إلى سجن ، ولقد طال بها
سهرى واشتد بها عبري وكثر فيها ديني من غير ما قرت به عيني .
فقال عبد الله بن أبي سرح الكاتب : يا أمير المؤمنين إنها منافقة فألحقها
بزوجها .

فنظرت إليه فقالت : يا من بين لحييه كجثمان الضفدع . إنما المارق المنافق
من قال بغير الصواب واتخذ العباد كالآرباب فانزل كفره في الكتاب ،
فأومى معاوية إلى الحاجب بإخراجها .

فقالت : واعجباه من ابن هند يشير إلي بينانه ويمنعي نوافذ لسانه ، أما والله
لابقرنه بكلام عتيد كنواقد الحديد أو ما أنا بآمنة بنت الشريد .^(١)
وقد علل علماء السلفية هذا القتل بقولهم : صحابي قتل صحابيا من اجل
صحابي رضي الله عنهم جميعا) !!!
هذه هي سياسة معاوية في تصفيته شيعة اهل البيت عليه السلام .

الخطوة الثالثة : القراءة الاموية للدين

حيث تقدم معاوية بخطوة ثالثة بعد خطوة الاقصاء السياسي والاقصاء
الديني لاهل البيت عليه السلام وهي تقديم قراءة جديدة للدين بخلاف القراءة النبوية
للدين التي جاء بها رسول الله ﷺ وسار عليها ائمة اهل البيت عليه السلام .
هذه القراءة الاموية لاهي قراءة شيعية ولاهي قراءة سنّية بل هي قراءة

(١) نقله المجلسي في البحار ج ٦ ص ١٨٢

مبتدعة كما هو الحال في الوهابية والداعشية التي نراها اليوم وهي قراءة جديدة تحريفية للإسلام .

ان معاوية عندما اقصى الأئمة من أهل البيت ﷺ سياسيا ودينيا سوف يكون هنالك فراغ ديني لدى الناس لمن ترجع ؟ وماذا تصنع ؟ فابتدع سياسة جديدة وقراءة دينية أموية مبتدعة في الدين الاسلامي لتضليل الامة .

مفردات القراءة الاموية للدين :

ويمكن أن نشير الى مجموعة مفردات في هذه القراءة الاموية للدين منها :

- ١- ان الخليفة سلطان الله في الارض له ان يفعل مايشاء .
- ٢- يجب اطاعة السلطان على كل حال لانه مفروض من عند الله تعالى .
- ٣- ان الشام هي الارض المقدسة .
- ٤- ان اهل الشام هم الابدال .
- ٥- ان معاوية هو كاتب الوحي والامين عليه .

وفي تدعيم هذه النظريات أو عزم معاوية الى الرواة والمحدثين أن يضعوا ماشاؤوا من احاديث على لسان النبي ﷺ وبذلك تحركت ماكنة اعلامية ضخمة مدعمة باموال الدولة الهائلة .

هنا نقرأ في هذا السياق :

مارواه ابو هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال : (الامناء على الوحي ثلاثة أنا - رسول الله - وجبرئيل ومعاوية) .^(١)

وروى المؤرخون : (ان معاوية خطب الناس بعد الهدنة مع الحسن قائلاً : ايها الناس ان رسول الله ﷺ قال لي : انك ستلي الخلافة من بعدي ، فاختر الارض

(١) السيوطي / اللبالي المصنوعة / ١ / ٤٢

المقدسة فان فيها الابدال وقد اخترتكم فalcنوا ابا تراب) .^(١)

وفي رواية اخرى يخطب معاوية بالناس فيقول : (الارض لله وانا خليفة الله ، مما آخْتُ فلي وماتركناه للناس فالفضل مني)^(٢)

ولم تخف الحقيقة على اهل الحديث على اختلاف مذاهبهم حتى ان ابن تيمية يقول (كل ما قيل في فضل معاوية فهو كذب روه على رسول الله) .^(٣)

كما نرى احد كبار علماء السنة صاحب كتاب صحيح النسائي له كتاب عن خصائص الصحابة لم يذكر فضيلة واحدة لمعاوية وكان يسكن في الشام فقال له القوم : لماذا لم تذكر فضيلة لمعاوية .

فقال : والله لا اعرف له منقبة الا قول رسول الله ﷺ : (لا شيع الله له بطنا) . حيث تقول الرواية ان رسول الله ﷺ ارسل على معاوية فقالوا له انه لياكل وفي المرة الثانية هكذا ، وفي المرة الثالثة قال رسول الله ﷺ : (لا اشيع الله له بطنا) .

ولكن النسائي هذا لم ينج من ايدي الحاقدين الامويين في الشام فقد قاموا برفسه بارجلهم فحملة اصحابه وقد اشرف على الهلاك وطلب منهم ان يرحلوه الى المدينة فرحل الى المدينة الى ان مات أثر ذلك .

نظريات جديدة :

وفي هذه الفترة بالذات ظهرت على الساحة الاسلامية افكار ونظريات جديدة حظيت بدعم الحكم الاموي .

(١) ابن ابي الحديد / ج ٤ / ٧٤

(٢) انساب الاشراف للبلاذري / رقم الحديث ١٣١٩

(٣) ابن تيمية / منهاج السنة ٢٠٧/٢

نظرية المرجئة :

من تلك النظريات هي نظرية (الأرجاء) ويسمى اصحاب هذه النظرية ب (المرجئة) استنادا الى قوله تعالى ﴿ وَأَخْرُوزَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) .

يقول اصحاب هذه النظرية (ان الايمان عقد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه وعبد الاوثان أو لزم اليهودية والنصرانية في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عزوجل ومن اهل الجنة)^(٢) .

لقد عمد اصحاب هذه النظرية الى تجريد الايمان عن العمل ، فالايمان الذي يدخل به الانسان الجنة هو الاعتقاد القلبي وان خالفه العمل وارتكب المنكرات .

ومن اجل ذلك قالوا (بتأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يقضى عليه الحكم في الدنيا من كونه من اهل الجنة أو من اهل النار)^(٣) .

لقد وجد الحكم الاموي في هذه الفكرة افضل اطروحة لتخدير الناس وتطويعهم للسلطان الجائرتاركين أمره وحكمه الى الله تعالى يوم القيامة وليس علينا في الدنيا محاسبته ومؤاخذته .

بل يرى بعض المؤرخين المعاصرين ان هذه الفكرة هي من مبتدعات معاوية^(٤) ، وانها ظهرت في دمشق اوائل النصف الثاني من القرن الاول الهجري بعد اشتداد محاربة الشيعة والخوارج لحكم الامويين ، فكان خير مخرج لهم

(١) سورة التوبة الاية ١٠٦

(٢) الفصل في الملل والنحل / لن حزم ٧٢/٥

(٣) الملل والنحل للشهرستاني / ١٣٦/١

(٤) لمحات من الصراع السياسي / السيد محمد بحر العلوم / ج ١ / ٢٣٩

انشاء فرقة (المرجئة) للوقوف ضد الشيعة والخوارج في ميدان النضال السياسي .^(١)

وفي مقابل هذه النظرية الداعية للخضوع للسلطان الجائر وعدم محاسبته كان صوت الامام الحسين عليه السلام يقول :

(قال رسول الله ﷺ : (من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغير ما عليه بيد أو لسان كان حقاً على الله ان يدخله مدخله)^(٢)

نظرية الجبرية :

وفي هذه الفترة التي نؤرخ لها بالذات ظهرت نظرية اخرى هي نظرية (الجبرية) والتي تقول أن الانسان مجبور في أفعاله ولا خيار له أمام التقدير الالهي ، كما ان السلطان هو قدر الهي يجب التسليم له وعدم الاعتراض عليه .

وربما وجدت هذه النظرية اصولها على لسان معاوية حين كان يحدث الناس ان الله تعالى هو الذي منحه الحكم ومكّنه من اعناق الناس فما عليهم الا ان يخضعوا له .

يروى المؤرخون ان معاوية خطب الناس بمسجد دمشق فقال :

(ان الله اكرم خلفاءه فاوجب لهم الجنة وانقذهم من النار ثم جعلني منهم وجعل انصاري اهل الشام الذابين عن حرم الله ، المؤيدين بظفر الله ، والمنصورين على اعداء الله)^(٣)

(١) ثورة الحسين عليه السلام / محمد مهدي شمس الدين ١١٥/١

(٢) الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، المجلد الرابع ، ط دارصادر ، بيروت ١٣٩٩ / ١٩٧٩ ، ص ٤٨ .

(٣) البحار / ج ٤٤ / ١٣٢

نظرية الحكم الوراثي:

بدأ معاوية بمشروع توريث الحكم الى ابنه يزيد ، وهو منهج فيه خروج على كل المقاييس والمفاهيم الاسلامية في الحكم والخلافة .
ولاجل التمهيد لذلك قام معاوية بثلاث خطوات :

الخطوة الاولى :

تصفية الرموز الاسلامية التي يخشى منها .

قال المؤرخون : (واراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن ابي وقاص ، فدس اليهما سمّاً فماتا منه)^(١) .

واما عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فقد قال عنه ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) : (وكان قد عظم ببلاد الشام كذلك حتى خاف منه معاوية ومات وهو مسموم)^(٢)

الخطوة الثانية :

استدعاء الوفود من البلاد الاسلامية الى الشام لدراسة المشروع معهم واقناعهم به .

الخطوة الثالثة :

السفر الى مكة والمدينة واللقاء بالرموز الاسلامية في محاولة اقناعهم بالمشروع .

وسوف نرى ماهو دور الشيعة في مواجهة هذا المشروع .

(١) مقاتل الطالبين ص ٨٠

(٢) البداية والنهاية ص ٥١٢

مواقف بطولية أمام التحريف الفكري والسياسي :

أمام موجة التحريف الفكري والسياسي التي قادها معاوية كان لرجال الشيعة مواقف بطولية سجلها المؤرخون .

اولا : يروي المؤرخون :

(قدم وفد العراقيين على معاوية فقدم في وفد اهل الكوفة عدي بن حاتم الطائي ، وفي وفد اهل البصرة الاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان ، فلما دخلوا عليه قال لهم : اهلا وسهلا قدتم ارض المقدسة والانبياء والرسل والحشر والنشر .

فتكلم صعصعة فقال : يا معاوية ، اما قولك (ارض مقدسة) فان الارض لاتقدس اهلها وانما تقديسهم الاعمال الصالحة .

واما قولك (ارض الانبياء والرسل) فمن بها من اهل النفاق والشرك والفراسة والجباية اكثر من الانبياء والرسل .

واما قولك (ارض الحشر والنشر) فان المؤمن لا يضره بعد المحشر والمنافق لا ينفعه قربه .

فقال معاوية : لو كان الناس كلهم اولدهم ابوسفيان لما كان فيهم الا كيساً رشيداً .

فقال صعصعة : قد اولد الناس من كان خيراً من ابي سفيان فاولد الاحمق والمنافق والفاجر والفاسق والمعتوه والمجنون آدم ابو البشر .

فخجل معاوية ^(١)

ثانيا : وفي مرة اخرى خطب معاوية بمسجد دمشق وكان في الجامع من

اهل العراق الاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان ، فقال معاوية :

(ان الله اكرم خلفاءه فاوجب لهم الجنة وانقذهم من النار ، ثم جعلني منهم وجعل انصاري اهل الشام الذابين عن حرم الله المؤيدين بخلفه الله المنصورين على اعداء الله .

فقام صعصعة وقال :

يا بن ابي سفيان تكلمت فابلغت ، ولم تقصردون ماردت ، وكيف يكون ماتقول وقد غلبتنا قسراً ، وملكتنا تجبراً ، ودنتنا بغير الحق ، واستوليت باسباب الفضل علينا ، فاما اطراؤك لاهل الشام فما رايت اطوع لمخلوق واعصى لخالق منهم ، قوم ابتعت منهم دينهم وابدانهم بالمال)^(١)

ثالثاً : وفي الكوفة قام والي معاوية في الكوفة وهو المغيرة بن شعبة فسبّ علياً فقام اليه زيد بن أرقم فقال :

(يا مغيرة الم تعلم ان رسول الله ﷺ نهى عن سبّ الامراء ؟ فلم تسبّ علياً ؟)^(٢)

وكان صعصعة بن صوحان حاضراً فقال المغيرة : اخرجوه فاقيموه على المصطبة فليلعن علياً .

فقال صعصعة : لعن الله من لعن الله ولعن علي بن ابي طالب . فاخبروه بذلك .

فقال : اقسم بالله لتقيدنه .

فخرج فقال : ان هذا يابى الا علي بن ابي طالب فalcنوه لعنه الله .

(١) بحار الانوار ج ٤٤ / ١٣٢

(٢) لمحات من الصراع السياسي / محمد بحر العلوم / ٢٦٢ نقلا عن الغدير للاميني ج ١ / ٢٦٣ نقلا عن البخاري وغيره .

فقال المغيرة : اخرجوه اخرج الله نفسه^(١)

رابعاً : وكان الاحنف بن قيس وهو من زعماء الشيعة في البصرة جالساً عند معاوية ، فاثاره معاوية بكلام فردّ عليه الاحنف بقسوة قائلاً :

(والله يا معاوية ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا ، وان السيوف التي قاتلناك بها لفي اغمادها ، وان تدن من الحرب فترأ ندن منها شبرا ، وان تمش اليها نهرول لها^(٢) .

خامساً : وحين قال معاوية : (الارض لله وانا خليفة الله ، فما اخذت فلي وماتركته للناس فبالفضل مني ! !

فقام له صعصعة بن صوحان فقال :

ماانت واقصى هذه الامة في ذلك الا سواء ، ولكن من ملك استاثر^(٣)

سادساً : وفي الحجاز حين اراد معاوية ان ياخذ البيعة ليزيد ، قام اليه عبد الله بن عباس فقال :

(ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه اختار محمداً ﷺ لرسالته ، واختاره لوحيه ، وشرفه على خلقه ، فاشرف الناس من تشرف به ، اولاهم بالامر واخصهم به ، وانما على الامة التسليم لنبيها اذ اختاره لها ، فانه انما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير) .

فقام اليه عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب فقال :

(اما بعد فان هذه الخلافة ان اخذ فيها بالقرآن فاولوا الارحام بعضهم اولى

(١) لمحات من الصراع السياسي / محمد بحر العلوم / ٢٦٣ نقلا عن ابن الجوزي والاميني

(٢) لمحات من الصراع السياسي / محمد بحر العلوم / ٢٥٤ عن مصادره

(٣) انساب الاشراف / البلاذري / ١٣١٩ رقم الحديث

ببعض في كتاب الله ، وان اخذ فيها بسنة رسول الله ﷺ فاولوا رسول الله ، وان اخذ فيها بسنة الشيخين ابي بكر وعمر فاي الناس افضل واكمل واحق بهذا الامر من آل الرسول ؟

فاتق الله يا معاوية ^(١)

سابعا : واما الحسين عليه السلام فقد كان يخطب في وجوه المهاجرين والانصار ويندد بالسياسات الانحرافية الحاكمة ، كما يندد بصمتهم وسكوتهم على الباطل ، فكان يقول :

« انتم ايها العصاة عصابة بالعلم مشهودة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وقد ترون عهد الله منقوضة فلا تفزعون . . .

وانتم اعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء ولو كنتم تسمعون ذلك بان مجاري الامور والاحكام على ايدي العلماء بالله الامناء على حلاله وحرامه ، فانتم المسلوبون تلك المنزلة ، وما سلبتم ذلك الا بتفرقكم عن الحق . . . ولو صبرتم على الاذى وتحملت المؤونة في ذات الله كانت امور الله اليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع ، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم ، واسلمتم امور الله في ايديهم ، يعملون بالشبهات ، ويسيرون في الشهوات ، اسلطهم على ذلك فراركم من الموت واعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم . . . » ^(٢)

ثامنا : ومرة اخرى يعقد الامام الحسين عليه السلام مؤتمراً ضخماً حضره اكثر من الف رجل من بني هاشم وشيعتهم ، ولم يدع احداً من اصحاب رسول الله ﷺ وابنائهم والتابعين من الانصار المعروفين بالصلاح والنسك الا جمعهم ، وكان

(١) الامامة والسياسة / ابن قتبية / ١ / ١٧٢-١٧٣

(٢) تحف العقول / بن شعبة الحراني / باب ماروي عن الحسين عليه السلام ص ١٦٨

ذلك في منى ، فقام الحسين عليه السلام خطيباً وقال بعد ان حمد الله واثنى عليه :
(أما بعد فان هذا الطاغية -يقصد معاوية - قد صنع بنا وبشييعتنا ماقد علمتم
ورأيتم وشهدتم وبلغكم .

واني اريد ان اسالكم عن اشياء فان صدقت فصدقوني ، وان كذبت
فكذوني .

اسمعوا مقالتي واکتموا قولی ثم ارجعوا الى انصاركم وقبائلکم من أمتکم
ووثقتم به فادعوه الى ماتعلمون ، فاني اخاف ان يدرس هذا الحق ويذهب والله
متم نوره ولو كره الكافرون) .

يقول المؤرخون :

(فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً انزل الله فيهم من القرآن الا قاله وفسره ،
ولاشيئاً قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في ابيه وامه واهل بيته الا رواه ، وكل ذلك يقول الصحابة
اللهم نعم قد سمعنا وشهدناه .

ويقول التابعون اللهم قد حدثناه من نصدقه ونأتمنه حتى لم يترك شيئاً الا
قاله .

ثم قال عليه السلام : انشدكم بالله الا رجعتم وحدثتم به من تتقون به ، ثم نزل
وتفرق الناس عن ذلك ^(١)

شهداء قبل كربلاء :

واشتد البلاء على الشيعة عند حكومة يزيد بن معاوية ، واشتد الشيعة في
الاستبسال والدفاع عن الحق ، لقد عيّن يزيد على الكوفة والياً عبید الله بن زياد

فدعا الناس للبراءة من علي عليه السلام وبدأ بحملة الاعتقالات والتصفيات برجالات الشيعة .

ميثم التمار نموذجاً:

ميثم التمار كان عنده علم المنايا والبلايا ، وكان يقول للمختار وهو في السجن انا اقتل وانت تخرج وتنتصرون وتقود ثورة وتقتل الذي يقتلنا وهو ابن زياد .

وميثم من اصحاب الامام علي عليه السلام قال له عليه السلام الا ابشرك يا ميثم .

فقال له : بلى

قال عليه السلام : انك تموت مصلوباً .

قال : وانا على الفطرة .

قال عليه السلام : بلى

قال الامام عليه السلام : كيف بك يا ميثم اذا دعاك دعي بني امية الى البراءة مني

فقال : والله لا اتبرا

فقال عليه السلام : اذن يقتلك ويصلبك .

فقال ميثم : اصبر فذاك في الله قليل

فقال عليه السلام : فانت مني في درجتي .

وفي رواية اخرى ان ميثم دخل على ام سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من

النساء الصالحات فقالت له : من انت

قال : انا ميثم

قالت : والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك في جوف الليل

قدم الكوفة ميثم فاخذه ابن زياد حيث كانت الاعتقالات كبيرة قبل

قدوم الامام الحسين عليه السلام .

ف قيل لابن زياد : هذا احب الناس الى علي بن ابي طالب

قال بن زياد له : اين ربك ؟

اجابه : انه لبا مرصاد لكل ظالم

قال : ما خبرك صاحبك اني فاعل بك ؟

قال له : تصلبني وانا عاشر عشرة اقصرهم خشبة اقربهم الى المطحنة

فقال : والله لاخلفنه

فقال : لا يمكنك ذلك .

فقال : خذوه اصلبوه ، فصلبوه ولم يقطعوه لسانه

فصاح ايها الناس اسمعوا مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام ، فاجتمع الناس

ووصل الخبر الى ابن زياد فامر بقطع لسانه .

فقال ميثم : زعم ابن الدعي ان يكذب امامي .

وقطع لسانه والجم وكان اول انسان الجم في الاسلام

رشيد الهجري نموذجاً :

من اصحاب امير المؤمنين المخلصين ، حيث كان يسميه الامام علي عليه السلام

(رشيد البلاء) ، وكان عنده علم البلاء والمنايا ، ويذكر عنه السيد الخوئي في

معجم رجال الحديث في ترجمة رشيد الهجري بقوله : انه مما تسالم الاصحاب

على ان له شأناً جليلاً .

كان لرشيد الهجري بنت اسمها قنواء قالوا لها : اخبرينا عن ابيك .

قالت : سمعت ابي يقول اخبرني امير المؤمنين قال : يارشيد كيف صبرك اذا

ارسل عليك دعي بني امية فقطع رجلك ويديك ولسانك .

فقال رشيد : آخر ذلك الى الجنة .

فقال عليه السلام الجنة ، وانت معي في الدنيا والاخرة .

قالت قنواء : مامضت ايام وليالي واذا بحملة الاعتقالات قبل وصول الامام الحسين عليه السلام الى كربلاء فدعا ابن زياد ابي الى البرائة من علي عليه السلام فابى ، وقال له : كيف اخبرك صاحبك ؟

قال له : تقتلني وتقطع يدي ورجلي ولساني .

قال بن زياد : والله لاكذبني ، وامر بقطع يديه ورجليه وترك لسانه .

تقول قنواء : سألته هل تحس بالم ؟

قال : لا ، كآلم الزحام بين الناس .

ولكنه بالرغم من انه مصلوب كان يحدث الناس بفضائل امير المؤمنين عليه السلام الى ان أمر بن زياد بقطع لسانه .

ورشيد الهجري قبل ان ياتي ابن زياد الى الكوفة كان ملاحقا من قبل السلطات الامنية انذاك ، فيختفي عند ابواراكه وهو رجل شيعي بسيط ، فعندما دخل رشيد الى بيته شعر ابواراكه بالرعب والخوف .

فقل لرشيد : ماذا صنعت بي سوف تيتيم اطفالي .

فقال رشيد : اطمئن لا يوجد من هولاء الشرطة يعلم اني دخلت عليك واذا كنت غير مطمئن اذهب واسالهم .

فقفل عليه باب الغرفة وذهب للسؤال منهم قائلاً : تخيل لي ان احدهم قد دخل بيتي .

فقالوا له : لم نراحداً .

ثم ذهب الى مجلس بن زياد في قصر الامارة لسماع الاخبار ، واذا رشيد الهجري دخل على ابن زياد وكان راكبا فرساً .

فقام له بن زياد واستقبله وقال له : اهلا وسهلا بك يا اخا أهل الشام ، كيف حالكم ؟

ثم اكمل الحديث وودعه بن زياد ، فجئت الى بن زياد وسالته من هذا الشخص ؟

فقال له : انه صديق لي من اهل الشام تفارقنا من زمان .

فيقول هذا الرجل : اطمأنيت ورجعت الى بيتي فوجدت رشيد في الغرفة الموصدة عليه الباب .

ويروى ان قوما كانوا جالسين في الطريق ، واذا بميثم التمار على فرس وحبيب بن مظاهر على فرس فاخذا يتحدثان حتى تعانقت فرسهما .

فقال حبيب بن مظاهر لميثم : كاني برجل يصلب على شجرة .

قال له ميثم : كاني برجل احمر له ظفيران راسه معلق براس الفرس والفرس ياخذه يمينا وشمالا .

ثم ودع احدهما الاخر وذهبا ، وقد سمعهما القوم الجالسين فقالوا : ما كذب الرجلين .

وفي هذا الاثناء جاء رشيد الهجري وسال القوم عن ميثم وحبيب ما خبرهما ؟

فقالوا : الان مروا من هنا رجلين ونقلوا ماروه لرشيد الهجري .

قال رشيد : نعم صحيح ، ولكن ميثم نسي انه يزداد براس حبيب مائة دينار .

فقالوا : ان هذا اكذب منهما .

ومضت الايام واذا بالروايتين تتحقق وينظر اهل الكوفة الى ما حدث .^(١)

(١) شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري ج ١

الامام الحسين عليه السلام يتدد بسياسة معاوية:

ولم يكن من سياسة الامام الحسين عليه السلام ان يخرج على معاوية ويثور على حكمه وذلك التزاماً بالصلح الذي عقده معه الامام الحسن عليه السلام واعتقاداً بان الفرصة غير مؤاتية للثورة ولا تحقق شيئاً من اهدافها .

وقد كانت شيعة العراق قد وفدوا عليه ، وكاتبوه في الثورة ضد معاوية فكان يمتنع عليهم ويقول ان بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لايجوز له نقضه .

وروى المؤرخون : (لما مات الحسن عليه السلام تحركت الشيعة وكتبوا الى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له ، فامتنع عليهم وذكران بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لايجوز نقضه حتى تمضي المدة ، فاذا مات معاوية نظري في ذلك) .^(١)

لكن هذا الموقف السلمي من الحسين عليه السلام لم يكن يمنع من التنديد بسياسة معاوية .

وينقل التاريخ بعض المساجلات التي كانت بين الحسين عليه السلام وبين معاوية ، ونحاول هنا ان ننقل النص الكامل لتلك المساجلة : (أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية وهو عامله على المدينة : أما بعد فان عمرو بن عثمان ذكر أن رجالا من أهل العراق ، ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي ، وذكر أنه لا يأمن وثوبه ، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه لا يريد الخلاف يومه هذا ، ولست آمن أن يكون هذا أيضا لما بعده فاكتب إلي برأيك في هذا والسلام .

وكتب معاوية إلى الحسين بن علي عليه السلام : أما بعد فقد انتهت إلي أمور عنك إن كانت حقا فقد أظنك تركتها رغبة فدعها ، ولعمرك الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء ، فإن كان الذي بلغني باطلا فإنك أنت أعزل الناس

(١) بحار الانوار ج ٣٢٤/٤٤ نقلاً من الارشاد للشيخ المفيد .

لذلك ، وعظ نفسك ، فاذكر ، وبعهد الله أوف فإنك متى ما تنكرني أنكرك ، ومتى ما تكديني أكدك ، فاتق شق عصا هذه الأمة وأن يردهم الله على يديك في فتنة ، فقد عرفت الناس وبلوتهم ، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، ولا يستخفك السفهاء والذين لا يعلمون .

فلما وصل الكتاب إلى الحسين صلوات الله عليه كتب إليه : أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أنه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغب ، وأنا بغيرها عندك جدير فان الحسنات لا يهدي لها ، ولا يسدد إليها إلا الله .

وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني ، فإنه إنما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميمة ، وما أريد لك حربا ولا عليك خلافا ، وأيم الله إنني لخائف لله في ترك ذلك وما أظن الله راضيا بترك ذلك ، ولا عاذرا بدون الاعذار فيه إليك ، وفي أولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة ، وأولياء الشياطين .

ألست القاتل حجرا أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم

ويستعظمون البدع ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة ، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ، ولا يا حنة تجدها في نفسك .

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ العبد الصالح الذي أبْلته العبادة ، فنحل جسمه ، وصفرت لونه ، بعد ما أمتته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل ، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافا بذلك العهد .

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف ، فزعمت أنه ابن أبيك ، وقد قال رسول الله ﷺ " الولد للفراش وللعاهر الحجر " فتركت سنة رسول

الله تعمدا وتبعت هواك بغير هدى من الله ، ثم سلطته على العراقيين :

يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل ،
كأنك لست من هذه الأمة ، وليسوا منك .

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على
دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه أن : اقتل كل من كان على دين علي ،
فقتلهم ومثل بهم بأمرك ، ودين علي ﷺ والله الذي كان يضرب عليه أباك
ويضربك ، به جلست مجلسك الذي جلست ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف
أييك الرحلتين . .

وقلت فيما قلت : " انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، واتق شق عصا هذه
الأمة وأن تردهم إلى فتنة " وإني لأعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك
عليها ، ولأعلم نظرا لنفسي ولديني ولأمة محمد ﷺ علينا أفضل من أن أجاهدك
فان فعلت فإنه قربة إلى الله ، وإن تركته فاني أستغفر الله لذنبي ، وأسأله توفيقه
لإرشاد أمري .

وقلت فيما قلت " إني إن أنكرتك تنكرني وإن أكذك تكذني " فكذني
ما بدا لك ، فاني أرجو أن لا يضرنني كيدك في ، وأن لا يكون على أحد أضرمه
على نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك ، وتحرصت على نقض عهdek ، ولعمري ما
وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهdek بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح
والأيمان والعهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ولم تفعل ذلك
بهم إلا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقنا ، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم
مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا) .^(١)

الامام الحسين عليه السلام في مواجهة الحكم الوراثي :

رفض الامام الحسين عليه السلام الحكم الوراثي ليزيد بن معاوية ، ونؤثر هنا ان ننقل نص الرواية التاريخية في ذلك :

قال المؤرخون : (كتب يزيد إلى الوليد يأمره بأخذ البيعة على أهلها وخاصة على الحسين عليه السلام ويقول : إن أبى عليك فاضرب عنقه ، وابعث إلي برأسه ، فأحضر الوليد مروان واستشاره في أمر الحسين ، فقال : إنه لا يقبل ، ولو كنت مكانك ضربت عنقه ، فقال الوليد ، ليتني لم أك شيئاً مذكوراً .

ثم بعث إلى الحسين عليه السلام فجاءه في ثلاثين من أهل بيته ومواليه .

ثم أقبل على الوليد فقال : أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وبنا فتح الله ، وبنا ختم الله ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر ، قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون ، وننظرون وتنظرون ، أينما أحق بالبيعة والخلافة ، ثم خرج عليه السلام .

فلما أصبح الحسين عليه السلام خرج من منزله يستمع الأخبار فلقاه مروان بن الحكم فقال له : يا أبا عبد الله إني لك ناصح ، فأطعني ترشد .

فقال الحسين عليه السلام : وما ذاك قل حتى أسمع .

فقال مروان : إني آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين فإنه خير لك في دينك ودنياك .

فقال الحسين عليه السلام : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد ، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : الخلافة محرمة على آل أبي سفيان ، وطال الحديث بينه وبين مروان حتى انصرف مروان ، وهو غضبان) .^(١)

عزم الحسين عليه السلام على الهجرة:

وعزم الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة الى مكة ، ثم من مكة الى العراق بعد ان وافته كتب العراقيين يدعونه للقدوم اليه ، وبعد ان اوفد يزيد بن معاوية ثلاثين رجلاً أمرهم بقتل الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً باستار الكعبة .

فكان الحسين عليه السلام يقول لابن الزبير: (لو كنت في جحر هامة لاستخرجوني منها حتى يقضوا في حاجتهم ، ولئن اقتل خارج مكة بشبر أحب اليّ من ان اقتل فيها)^(١)

نظريتان في تفسير الثورة الحسينية:

هل كان الحسين عليه السلام ينطلق من رؤية تحليلية للواقع السياسي والديني يومئذ ، ويرى ان الظروف مساعدة على نجاح الثورة واسقاط الحكم الاموي ؟ أم كان الحسين عليه السلام ينطلق من التكليف الغيبي والامر الالهي الذي اخبره به رسول الله ﷺ رغم علمه بعدم نجاح الثورة ؟

أولاً: نظرية احتمال النصر:

يرى السيد المرتضى وهو من كبار علماء الشيعة في القرن الرابع ان الحسين عليه السلام كان يرى شروط النصر متوفرة لثورته ، وقد تحرك واثقاً بأنه سينجح في الاطاحة بالحكم الاموي وسيطرته على العراق لا اقل .

لنستمع الى السيد المرتضى^(٢) وهو يقول :

(١) الطبري / تاريخ الأمم والملوك / ج ٤ / ص ٢٨٩ ، وطبقات ابن سعد / الحديث رقم ٢٧٨ ، وتاريخ ابن كثير / ج ٨ / ص ١٦٦ ، وابن الاثير / الكامل في التاريخ / ج ٤ / ص ٣٨

(٢) علي بن الحسين بن موسى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) المعروف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى ، سند الشيعة و تقيب الطالبين في بغداد وأمير الحاج والمظالم بعد أخيه السيد الرضي ، وكان منصب أيهم قبل ذلك .

(قد علمنا أن الامام متى غلب على ظنه أنه يصل إلى حقه والقيام بما فوض إليه بضرب من الفعل ، وجب عليه ذلك ، وإن كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها ، وسيدنا أبو عبد الله عليه السلام لم يسر طالبا الكوفة إلا بعد توثق من القوم ، وعهود وعقود ، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين ، وقد كانت المكاتب من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقراءها تقدمت إليه في أيام معاوية ، وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام فدفعهم ، وقال في الجواب ما وجب ، ثم كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باق فوعدهم ومناهم وكانت أيام معاوية صعبة لا يطمع في مثلها .

فلما مضى معاوية وأعادوا المكاتب ، وبذلوا الطاعة وكرروا الطلب والرغبة ورأى عليه السلام من قوتهم على ما كان يليهم في الحال من قبل يزيد ، وتسلبهم عليه

وهو فقيه ومن متكلمي الإمامية ومرجعهم بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد . وكان متعمقا في علم الكلام والمناظرة في كل مذهب . وتشمل سعة تخصصه العلمي في الفقه والأصول والأدب واللغة والتفسير والتاريخ والتراجم ، وله شعر في الطيف أيضا . إن المكانة العلمية للسيد المرتضى غنية عن البيان فهو دون شك من أكبر علماء الشيعة الإمامية ويظهر من مؤلفاته الكثيرة في العديد من علوم عصره كالقواعد والفقه والأصول والتفسير والفلسفة الإلهية والفلك وأقسام الأدب كاللغة والنحو والمعاني والإنشاء والشعر وأمثالها فهو استاذ ماهر بل وحيد عصره . وكان قد انصب أكبر جهده على الفقه والكلام والأدب وقد خدم المذهب الإمامي من خلال هذا الطريق وأدّى إلى استحكام آرائه الأصلية والفرعية .

ويقوم منهجه في الأصول على الدليل العقلي ومن هنا لا يختلف مع الأشاعرة فقط وإنما مع أهل الظاهر من الإمامية . ولم يعمل في الفقه بخبر الواحد وكان يستفيد في استنباط الأحكام من الأدلة الأصولية اللفظية والعقلية وهذا ما يميزه عن المحدثين والأخباريين من الإمامية . إن السيد المرتضى فقيه الإمامية ومتكلمهم ومرجعهم بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد ، وكتابه الشافي في الإمامة أوضح دليل على تعمقه في علم الكلام والمناظرة في كل مذهب .

ورسائله وكتبه في الفقه والأصول شاهد على تسلطه . وبأقني كتابه الأمالي في الأدب واللغة والتفسير والتاريخ والتراجم كبرهان ناصع على سعته المعرفية في العلوم . يقول تلميذه الشيخ الطوسي : هو متوحد في علوم كثيرة ، مجتمعة على فضله ، مقدم في العلوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو الشعر واللغة وغير ذلك (آغا يزرك الطهراني ، طبقات أعلام الشيعة ، ص ١٢٠-١٢١ ، الطوسي ، الفهرست ، ص ٩٩)

وضعه عنهم ما قوي في ظنه أن المسير هو الواجب ، تعين عليه ما فعله من الاجتهاد والتسبب ، ولم يكن في حسبانہ ﷺ أن القوم يغدر بعضهم ، ويضعف أهل الحق (١) .

ثانياً: نظرية التكليف الغيبي

بينما يرى العلامة المجلسي (٢) وهو من علماء القرن الحادي عشر، ان الامام الحسين ﷺ وقد انطلق من التكليف الغيبي مع علمه بانه ﷺ سوف يقتل ، كما كان الامام الحسن ﷺ منطلقاً من التكليف الغيبي ايضاً .

لنستمع اليه وهو يقول مقارناً بين صلح الحسن ﷺ وثورة الحسين ﷺ :

(قد مضى في كتاب الإمامة وكتاب الفتن أخبار كثيرة دالة على أن كلا منهم ﷺ كان مأموراً بأمر خاص مكتوبة في الصحف السماوية النازلة على الرسول ﷺ فهم كانوا يعملون بها . ولا ينبغي قياس الأحكام المتعلقة بهم

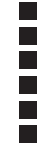
(١) البحار / ج ٤٥ / ص ٩٧

(٢) محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي المعروف بالعلامة المجلسي أو المجلسي الثاني ، من فقهاء الشيعة المعروفين و محدثهم ، صاحب المصنفات الكثيرة منها موسوعة « بحار الأنوار » والتي تعدّ أكبر دائرة معارف روائية شيعية ، كما كان له منزلة ونفوذ في البلاط الصفوي .

عكف على طلب العلم منذ نعومة أظفاره ، فتتلمذ على والده العالم الجليل ، وأنكبّ في عنفوان شبابه على طلب العلوم بأنواعها ، ثمّ صرف همّته إلى تتبع كتب الحديث ، والبحث عن أخبار وآثار أئمة أهل البيت ﷺ وجمعها وتدوينها ودراستها ، وقد أبدى رغبة كبيرة في طلب العلم ووصف تلك الفترة بقوله : إني كنت في عنفوان شبابي حريصاً على طلب العلوم بأنواعها مولعاً باجتناء فنون المعالي من أفنانها بفضل الله سبحانه وردت حياضها وأتبت رياضها وعثرت على صحاحها ومراضها حتى ملأت كمي من ألوان ثمارها واحتوى جيبى على أصناف خيارها وشربت من كل منهل جرعة روية وأخذت من كل بيد حقة .

خاض العلامة المجلسي في موضوعات شتى بلغت أكثر من سبعين عنواناً باللغتين الفارسية والعربية ، وقد سجّل له العلامة آغا بزرگ الطهراني ١٦٩ مؤلفاً (أعيان الشيعة ، ج ٩ ، ص : ١٨٢ ؛ ربحانة الأدب ، ج ٥ ، ص : ١٩٦ ، الذريعة ، ج ١ ، ص : ١٥١ . بحار الأنوار ، ج ١٠٢ ، ص : ١٠٥) .

على أحكامنا ، وبعد الاطلاع على أحوال الأنبياء ﷺ وأن كثيرا منهم كانوا يبعثون فرادى على ألوف من الكفرة ، ويسبون ألتهتهم ، ويدعونهم إلى دينهم ، ولا يبالون بما ينالهم من المكاره والضرب والحبس والقتل والالقاء في النار وغير ذلك ، لا ينبغي الاعتراض على أئمة الدين في أمثال ذلك ، مع أنه بعد ثبوت عصمتهم بالبراهين والنصوص المتواترة ، لا مجال للاعتراض عليهم ، بل يجب التسليم لهم في كل ما يصدر عنهم (١) .



الفصل الخامس

دور الشيعة على عهد الامام السجاد عليه السلام
من عام ٦١ للهجرة الى عام ٩٥ للهجرة

مرحلة الوعي الثوري :

شهدت هذه المرحلة التي استغرقت خمساً وثلاثين عاماً تصاعداً في الوعي الثوري بعد نهضة الامام الحسين عليه السلام .

- وقد كان الحكم الاموي قد تمادى في :
- اولاً : ملاحقة أهل البيت عليه السلام وتجهيل الناس بشأنهم .
- ثانياً : سياسة استعباد الناس واسترقاقهم .
- ثالثاً : سياسة الانحلال الاخلاقي والانهيار الثقافي .
- وكان على الشيعة ان يقوموا في هذه المرحلة بمهمة :
- اولاً : التاكيد على الامامة الحقّة .
- ثانياً : تدعيم الروح الثورية على الطغيان .
- ثالثاً : الترشييد الاخلاقي والتربوي .
- وهذا ما سنعرفه في العرض الاتي :

سياسة الاستعباد

اتخذ الحكم الاموي كل الاساليب لقمع الشيعة واطفاء نورهم .
وكادت الحقيقة ان تضيع بحيث وصل الامر بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام الى درجة ان اقرب الناس لا يعرفون الامامة الشرعية لمن ؟
الارهاب والقمع الذي مارسه السلطة الحاكمة من ناحية ، والخداع

الفكري من ناحية ثانية ، والحرب الاعلامية ثالثاً ، حتى ان الناس اصبوا بانتكاسة دينية عجيبة والتي يعبر عنها ائمتنا عليه السلام بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : (ارتدّ الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة ، وهم أبو خالد الكابلي ، ويحيى ابن أم الطويل ، وجبير بن مطعم ، ثم قال : ثم إن الناس لحقوا وكثروا) .^(١)

لقد بلغ الطغيان لدى الحكم الاموي الى مستوى استعباد الناس واسترقاقهم ، فقد ورد في عدد من كتب التراجم والتاريخ : (أن الحجاج بن يوسف الثقفي ختم في أيدي وأعناق بعض الصحابة . ومن ذلك : بَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ فَقَالَ مَا لَكَ لَمْ تَنْصُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ فَقَالَ قَدْ فَعَلْتُ قَالَ كَذَبْتَ فَخَتَمَ فِي عُنُقِهِ .

وروي أنه " جَاءَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْحَجَّاجِ فَلَمْ يُعْطِهِ يَدَهُ لِلسَّلَامِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْتُمُوا يَدَهُ)^(٢)

وروي ابن الاثير في الكامل في التاريخ :

(لما ظفر مسلم بن عقبة على المدينة واستباحهم دعا الناس الى البيعة ليزيد على انهم خول-عبيد- له يحكم في دمائهم واموالهم واهليهم ماشاء ، فمن امتنع من ذلك قتله ، فقتل لذلك جماعة) .^(٣)

الحصار الاقتصادي على الشيعة

وقد تعرض الشيعة في هذا العصر الى حصار اقتصادي شديد حتى كانت

(١) رجال الكشي ، ترجمة ابن أم الطويل

(٢) المحن " لأبي العرب التميمي (ص ٣٣٣ - ٣٣٤) ، و " الاستيعاب " لابن عبد البر (٢ / ٦٦٤) ، و " البديعة والنهاية " لابن كثير (١٢ / ٢٢٨ - ٢٢٩) .

(٣) بحار الانوار ج ٤٦ ص ١٣٩ عن الكامل لابن الاثير ج ١٠ ص ٥١

الهاشميات يتناوبن على الصلاة بعبادة واحدة !!

وقد بلغ الامر بالامام زين العابدين عليه السلام انه كان عاجزاً عن مساعدة واحد من الفقراء .

تعالوا معاً نقرأ هذه القصة :

(روى سفيان بن عيينة عن الزهري قال : (كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فجاءه رجل من أصحابه فقال له علي بن الحسين عليه السلام : ما خبرك أيها الرجل ؟ فقال : يا ابن رسول الله إني أصبحت وعلي أربعمائة دينار دين لا قضاء عندي لها ولي عيال ثقال ليس لي ما أعود عليهم به . قال : فبكى علي بن الحسين عليه السلام بكاء شديداً . فقلت له : ما يبكيك يا ابن رسول الله ؟ فقال : وهل يعد البكاء إلا للمصائب والمحن الكبار ؟ قالوا : كذلك يا ابن رسول الله .

قال ؟ فأية محنة ومصيبة أعظم على حرمؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها ويشاهده على فاقة فلا يطيق رفعها ؟

قال : فتفرقوا عن مجلسهم ذلك فقال بعض المخالفين -وهو يطعن على علي بن الحسين عليه السلام - عجباً لهؤلاء يدعون مرة أن السماء والأرض وكل شيء يطيعهم وأن الله لا يردهم عن شيء من طلباتهم ، ثم يعترفون أخرى بالعجز عن إصلاح خواص إخوانهم ؟ !

فوصل ذلك الحديث للرجل صاحب القصة فجاء إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له : يا ابن رسول الله بلغني عن فلان كذا وكذا وكان ذلك أغلظ علي من محنتي .

فقال علي بن الحسين عليه السلام : فقد أذن الله في فرجك يا فلانة احملني

سحوري وفطوري فحملت قرصتين .

فقال علي بن الحسين عليه السلام : للرجل خذهما فليس عندنا غيرهما فإن الله يكشف عنك بهما وينيلك خيرا واسعا منهما .

فأخذهما الرجل ودخل السوق لا يدري ما يصنع بهما يتفكر في ثقل دينه وسوء حال عياله ، ويوسوس إليه الشيطان أين مواقع هاتين من حاجتك ؟

فمرَّ بسماك قد بارت عليه سمكته وقد أراحت فقال له : سمكتك هذه بائرة عليك وإحدى قرصتي هاتين بائرة علي ، فهل لك أن تعطيني سمكتك البائرة وتأخذ قرصتي هذه البائرة ؟

فقال : نعم ، فأعطاه السمكة وأخذ القرصة .

ثم مرَّ برجل معه ملح قليل مزهود فيه فقال له : هل لك أن تعطيني ملحك هذا المزهود فيه بقرصتي هذه المزهود فيها ؟

قال : نعم ، ففعل .

فجاء الرجل بالسمكة والملح فقال : أصالح هذا بهذا فلما شق بطن السمكة وجد فيه لؤلؤتين فاخرتين فحمد الله عليهما ، فبينما هو في سروره ذلك إذ قرع بابه فخرج ينظر من الباب ، فإذا صاحب السمكة وصاحب الملح قد جاء يقول كل واحد منهما له : يا عبد الله جهدنا أن نأكل نحن أو أحد من عيالنا هذا القرص فلم تعمل فيه أسناننا ، وما نظنك إلا وقد تناهيت في سوء الحال ومرنت على الشقاء قد رددنا إليك هذا الخبز وطيبنا لك ما أخذته منا ، فأخذ القرصتين منهما فلما استقربعد انصرافهما عنه قرع بابه فإذا رسول علي بن الحسين عليه السلام فقال : إن علي بن الحسين يقول لك : إن الله قد أتاك بالفرج فاردد إلينا طعامنا فإنه لا يأكله غيرنا .

وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله ، فقال بعض المخالفين : ما أشد هذا التفاوت بينا علي بن الحسين عليه السلام لا يقدر أن يسد منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم ؟

كيف يكون هذا وكيف يعجز عن سد الفاقة من يقدر على هذا الغناء العظيم ؟ !

فقال علي بن الحسين عليه السلام : هكذا قالت قريش للنبي صلى الله عليه وآله : كيف يمضي إلى بيت المقدس ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء من مكة ويرجع إليها في ليلة واحدة من لا يقدر أن يبلغ من مكة إلى المدينة إلا في اثني عشر يوماً ؟ ! وذلك حين هاجر منها .

ثم قال علي بن الحسين عليه السلام : جهلوا والله وأمر الله وأمر أوليائه معه إن المراتب الرفيعة لا تنال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه وترك الاقتراح عليه والرضا بما يدرهم به ، إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لم يساوهم فيه غيرهم فجازاهم الله عز وجل عن ذلك بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم ، لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا ما يريدونه لهم ^(١) .

التأكيد على الإمامة الشرعية :

في رواية يرويها السيد الخوئي (رض) ^(٢) في ترجمة ابو خالد

(١) بحار الانوار : ٤٦

(٢) السيد أبو القاسم الخوئي من أبرز فقهاء الشيعة ومراجع التقليد في القرن الرابع عشر الهجري . تتلمذ على يد كبار العلماء في النجف الأشرف وتخرج على يديه الكثير من الأعلام والشخصيات العلمية . قد تستم البعض منهم سدة المرجعية الشيعية بعد رحيل الأستاذ الخوئي ، وكان أستاذاً بارزاً فيها ، وتعد نظرياته الأصولية والفقهية والرجالية والتفسيرية من النتاجات الفكرية التي يشار إليها بالبنان . تستم مقام مرجعية الشيعة العامة لسنين عديدة صب اهتمامه خلالها على نشر الإسلام في سائر بقاع المعمورة ، كما شيد الكثير من المؤسسات العلمية والثقافية في شتى بلدان العالم . (المحقق)

الكابلي^(١) يقول :

(كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهرا وما كان يشك في أنه إمام حتى أتاه ذات يوم فقال له : جعلت فداك ، إن لي حرمة ومودة وانقطاعا ، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلا أخبرتني أنت الامام الذي فرض الله طاعته على خلقه ؟

قال : فقال : يا أبا خالد ، حلفتني بالعظيم ، الإمام علي بن الحسين علي وعليك وعلى كل مسلم .

فأقبل أبو خالد لما أن سمع ما قاله محمد بن الحنفية ، فجاء إلى علي بن الحسين عليه السلام ، فلما استأذن عليه أذن له ، فلما دخل عليه دنا منه .

قال : مرحبا يا كنكر ، ما كنت لنا بزائر ، ما بدا لك فينا ؟

فخبر أبو خالد ساجدا شاكرا لله تعالى مما سمع من علي ابن الحسين عليه السلام .

فقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي .

فقال له علي عليه السلام : وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد ؟

قال : إنك دعوتني باسمي الذي سميتني به أُمِّي التي ولدتني ، وقد كنت في عمياء من أمري ، ولقد خدمت محمد بن الحنفية دهرا من عمري ، ولا أشك إلا وأنه إمام حتى إذا كان قريبا سألته بحرمة الله وبحرمة رسوله وبحرمة أمير المؤمنين فأرشدني إليك ، وقال : هو الإمام علي وعليك وعلى جميع خلق الله كلهم ، ثم أذنت لي فجئت فدنوت منك ، سميتني باسمي الذي سميتني أُمِّي فعلمت أنك الامام الذي فرض الله طاعته على كل مسلم) .^(٢)

(١) أبو خالد ، كنكر أو وردان الكابلي من أصحاب الإمام زين العابدين ، والإمام الباقر ، والإمام الصادق عليه السلام ، كان في بداية أمره يقول بإمامة محمد بن الحنفية ثم استبصر وقال بإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام (المحقق)

(٢) معجم رجال الحديث - السيد الخوئي - ج ١٥ - الصفحة ١٣٥

بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام كان الامام السجاد عليه السلام يخرج الى الصحراء وينصب له بيتاً من الشعر بعيداً عن الناس خوفاً عليهم ، فكانت الظروف هي ظروف صمت عجيب خوفاً من بطش السلطة ولكنهم لم يتركوا شيعتهم فكانوا يعملون بالخفاء من اجلهم .

التأكيد على موقع الامامة :

في حديث للامام زين العابدين عليه السلام انه قال :

(ألا وإن أول ما يسألنك عن ربك الذي كنت تعبده ، وعن نبيك الذي ارسل إليك ، وعن دينك الذي كنت تدين به ، وعن كتابك الذي كنت تتلوه ، وعن إمامك الذي كنت تتولاه ، تم عن عمرك فيما أفنيته ؟ ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته ؟

فخذ حذرک وانظر لنفسك ، وأعد للجواب قبل الامتحان والمسألة والاختبار ، فإن تك مؤمناً تقياً ، عارفاً بدينك ، متبعاً للصادقين ، موالياً لأولياء الله لقاءك الله حجتك ، وأنطق لسانك بالصواب فأحسن الجواب ، فبشرت بالجنة والرضوان من الله ، والخيرات الحسان ، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان ، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك) .^(١)

ذكرنا كانت الاولوية عند شيعة اهل البيت عليه السلام هي الدفاع عن قضية الامامة ، حيث ان المشكلة عند الامة لم تكن هي مشكلة التوحيد بالمعنى العام ، فالكل كان يصلي ويصوم ويعبد الله .

والمشكلة لم تكن مشكلة الاعتقاد بالنبوة بالمعنى العام فالناس ايضا كانت تعتقد برسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) بحار الأنوار ص ٢٢٣ ، وكتب تحف العقول

اذن المشكلة التي اصابته الامّة الاسلاميّة اين تكمن ؟

ان المشكلة كانت في الابتعاد عن الامامة ، والتي سميها اول سرقة كبرى في التاريخ وهي سرقة الامامة من أولياء الله .

والرواية التي ذكرناها للامام السجاد عليه السلام والتي بين لنا فيها عليه السلام ان اول ما يسالك عنه منكرونك في القبر خمسة مسائل يوضحها لنا الامام السجاد عليه السلام في كلامه هذا وهي :

أولاً: عن ربك الذي كنت تعبد .

ثانياً : عن نبيك الذي ارسله الله لك .

ثالثاً : عن دينك الذي تدين به

رابعاً : عن الكتاب الذي تتلوه .

خامساً : عن امامك الذي كنت تتولاه .

وهكذا فان الامام السجاد عليه السلام يوضح لنا ان السؤال في القبر سيكون عن الله ، وعن الدين ، وعن الكتاب ، وعن الرسول صلى الله عليه وآله ، وعن الامام عليه السلام .

لقد كانت المهمة الكبرى في هذه المرحلة هي الدفاع عن الامامة حتى لاتضيع وكان هذا الدفاع في اشد الحالات حتى وصل التشيع اليهنا .

البطولات الادبيّة تدافع عن الامامة :

الفردق^(١) شاعر العرب وبطل من ابطال الشيعة بعد الامام الحسين عليه السلام عاش في زمن الامام السجاد عليه السلام حيث حاول الحكم الاموي في هذا العهد سحب الامامة الشرعية الى آل أمية .

(١) همام بن غالب المعروف بالفردق ، من أشهر شعراء العرب في القرن الأول والثاني والمعروف بموالاته لاهل البيت عليه السلام ، وقد عرف بقصيدته التي مدح فيها الإمام السجاد عليه السلام ارتجالاً ، وكان هشام بن عبد الملك حاضراً عند إنشادها . (المحقق)

وللفرزق مواقف شجاعة وجريئة لنصرة الحق ، منها ما روي . من عدة طرق . أن هشام بن عبد الملك حجَّ في أيام أبيه عبد الملك بن مروان فطاف بالكعبة المشرفة ، فلما أراد أن يستلم الحجر الأسود لم يتمكن بسبب الزحام ، وكان أهل الشام حوله ، وبينما هو كذلك إذ أقبل الامام علي بن الحسين عليه السلام ، فلما دنا من الحجر ليستلم تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيباً واحتراماً حتى استلم الحجر بسهولة ويسر ، وهشام وأصحابه ينظرون والغيظ والحسد قد أخذ منهم مأخذاً عظيماً .

فقال رجل من الشاميين لهشام : من هذا الذي هابه الناس هذه الهبة ؟

فقال هشام . كذباً . : لا أعرفه .

هنا تأتي بطولة الشيعة (بالتعريف بالامام حيث سمع الفرزدق ذلك - وكان حاضراً . فاندفع وقال لهشام : ان كنت لاتعرفه فانا اعرفه . ثم أنشد قصيدته الرائعة :

يَسَائِلِي أَيْنَ حَلَّ الْجُودُ وَالْكَرَمُ	عِنْدِي بَيَانٌ إِذَا طُلِبَهُ قَدِمُوا
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ	هَذَا النَّبِيُّ النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ	يَجِدُهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبُطْحَاءُ وَطَأَتُهُ	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ	وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ	أَلْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
أَللَّهُ شَرَفَهُ قَدْماً وَفَضَّلَهُ	جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ	طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْحَيِّمُ وَالشَّيْمُ

يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ
إِذَا رَأَاهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
يُعْضِي حَيَاءً وَيُعْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
مِنْ مَعَشَرِ حُبُّهُمْ دِينَ وَبَعْضُهُمْ
إِنْ عَدَّ أَهْلُ التُّتَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتْمُ
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسِمُ
كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمُ
أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ
فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتَوْمٍ بِهِ الْكَلِمُ

ثم قال الفرزدق هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

فثار هشام وأمر باعتقال الفرزدق ، فاعتقل وأودع في سجون عسفان ، وبلغ ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام فبعث إليه بإثني عشر ألف درهم ، فردّها الفرزدق ، و قال : إني لم أقل ما قلت إلا غضباً لله ولرسوله ، ولا أخذ على طاعة الله أجراً ، فأعادها الإمام عليه السلام وأرسل إليه : نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما اعطينا ، فقبلها الفرزدق ^(١) .

هكذا كانت تدافع الشيعة عن الامام والامامة .

حوار لمعرفة الامام

يروى المؤرخون عن عالم الاهواز ابن بجيرو كان يقول بإمامة ابن الحنفية قال :

(حججت فلقيت إمامي - محمد بن الحنفية وكنت يوماً عنده فمر به غلام شاب فسلم عليه ، فقام فلتقاه وقبل ما بين عينيه وخاطبه بالسيادة ، ومضى الغلام ، وعاد محمد إلى مكانه .

(١) انظر ترجمته في: الكنى والألقاب ٣: ١٧ ، معالم العلماء : ١٥١ ، تأسيس الشيعة : ٤٦ و ١٨٦

فقلت له : عند الله أحتسب عناي .

فقال : وكيف ذاك ؟

قلت : لأننا نعتقد أنك الامام المفترض الطاعة تقوم تتلقى هذا الغلام وتقول

له : يا سيدي ؟

فقال : نعم ، هو والله إمامي .

فقلت : ومن هذا ؟

قال : علي ابن أخي الحسين عليه السلام اعلم إنني نازعته الإمامة ونازعني .

فقال لي : أترضى بالحجر الأسود حكما بيني وبينك ؟

فقلت : وكيف نحتكم إلى حجر جماد .

فقال : إن إماما لا يكلمه الجماد فليس بإمام .

فاستحييت من ذلك ، وقلت : بيني وبينك الحجر الأسود .

فقصدنا الحجر وصلى وصليت ، وتقدم إليه وقال : أسألك بالذي أودعك

موثيق العباد لتشهد لهم بالموافاة إلا أخبرتنا من الامام منا ؟

فنطق والله الحجر وقال : يا محمد سلم الامر إلى ابن أخيك ، فهو أحق به

منك وهو إمامك وتحلحل حتى ظننته يسقط فأذعنت بإمامته ، ودنت له بفرض

طاعته ؟

قال أبو بجير: فانصرفت من عنده وقد دنت بإمامته علي بن الحسين عليه السلام ،

وتركت القول بالكيسانية ^(١)

من هذه القضية نكتشف أن قضية الامام والامامة بعد الامام الحسين عليه السلام

كانت تواجه ضباية وغموضا كبيرا ، وكان على الشيعة ان يجهدوا للدفاع عنها

والتعريف بصاحبها ، وهو ما قام به الشيعة بأحسن وجه حتى اتضحت الحقيقة

وانتشر التشيع .

التعريف بالحقيقة

سئل امامنا السجاد عليه السلام :

(أيهما افضل الكلام ام السكوت ؟

فقال عليه السلام : لكل واحد منهما آفات ، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل

من السكوت .

قيل : كيف ذلك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت ، إنما بعثهم بالكلام ، ولا استحققت الجنة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ، ولا توقيت النار بالسكوت ، إنما ذلك كله بالكلام ، ما كنت لأعدل القمر بالشمس ، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت ^(١)

في فترة امامة الامام السجاد عليه السلام التي استغرقت اكثر من ثلاثين سنة ، أين

كان الشيعة ؟

الامام السجاد عليه السلام يسئل : ايهما افضل الكلام ام السكوت ؟

وهل ان معرفة الدين بالسكوت ام بالذكر ؟

نحن عندما نصلي هل نصلي بالسكوت ام بالذكر ؟

وعندما نقرا القرآن هل نقراه بالسكوت ام بالذكر ؟

عندما ندعوا بالمناجات هل ندعوا بالسكوت ام بالذكر ؟

والله تعالى لم يبعث الانبياء الا بالكلام ، فكل الانبياء ذهبوا الى قومهم

بالكلام .

استثناء في ظروف التقية :

كان الشيعة في زمن الامام السجاد عليه السلام يعيشون في ظروف تقيّه مكثفة ، فالكلام ممنوع ، وربما خرج من التقية ثلاثة من بعض اصحاب الامام السجاد عليه السلام وهم : أبو خالد الكابلي ، ويحيى بن أم الطويل ، وجبير بن مطعم .

حيث يقول فيهم الشيخ الكليني في الكافي : (كان هؤلاء الاجلاء من خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام مأذونين من قبل الأئمة عليهم السلام بترك التقية لمصلحة خاصة خفية ، أو انهم كانوا يعلمون ان لا تنفعهم التقية ، وانهم يقتلون على كل حال باخبار المعصوم عليهم السلام أو غيره) .^(١)

قصة يحيى بن أم طويل^(٢)

عن اليمان بن عبيد الله قال : رأيت يحيى بن أم الطويل وقف بالكناسة^(٣) ثم نادى بأعلى صوته : معشر أولياء الله ! إنا براء مما تسمعون ، من

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٨٠

(٢) من أصحاب السجاد عليه السلام ، رجال الشيخ وعده البرقي من أصحاب السجاد عليه السلام أيضاً .

حدثني أحمد بن علي ، قال : حدثني أبو سعيد الأدمي ، قال : حدثنا الحسين بن يزيد النوفلي ، عن عمرو بن أبي المقدم ، عن أبي جعفر الأول عليه السلام ، قال : أمّا يحيى بن أم الطويل فكان يظهر الفتوة ، وكان إذا مشى في الطريق وضع الخلق على رأسه ، ويمضخ اللبان ويطول ذيله ، وطلبه الحجاج ، فقال : تلعن أبا تراب ، وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله ، وأمّا سعيد بن المسيّب فنجا ، وذلك أنه كان يفتي بقول العامة وكان آخر أصحاب رسول الله ﷺ فنجا ، وأمّا أبو خالد الكابلي فهرب إلى مكة وأخفى نفسه فنجا . وأمّا عامر بن وائلة ، فكانت له يد عند عبد الملك بن مروان فنهى عنه . وأمّا جابر بن عبد الله الأنصاري فكان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يتعرض له ، وكان شيخاً قد أسنّ . وأمّا أبو حمزة الثمالي وفرات بن أحنف فبقوا إلى أيام عبد الله عليه السلام ، وبقي أبو حمزة إلى أيام أبي الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام . (معجم رجال الحديث - الجزء الحادي والعشرون / الامام الخوئي (رض))

(٣) يحيى بن أم الطويل المطعمي من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام وقال الفضل بن شاذان لم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس وذكر من جملتهم يحيى بن أم الطويل . وروى عن الصادق عليه السلام أنه قال : ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاثة : أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطعم ، ثم إن الناس لحقوا وكثروا وفي رواية أخرى مثله وزاد فيها ، جابر بن عبد الله الأنصاري . وروى عن أبي جعفر عليه السلام أن

سب علياً عليه لعنة الله ونحن براء من آل مروان وما يعبدون من دون الله .

ثم يخفض صوته فيقول : من سب أولياء الله فلا تقاعدوه ومن شك فيما نحن عليه فلا تفاتحوه ومن احتاج إلى مسألتكم من إخوانكم فقد خنتموه .

ثم يقرأ^(١) : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾^(٢)

يقول الكليني في كتابه الكافي الجزء الثاني في حرمة مجالسة اهل المعاصي حول تفسير هذا الموقف :

التفسير الاول : احتمال ان يكون الامام السجاد عليه السلام قد اعطاه اجازة خاصة بالكلام

التفسير الثاني : ان التقيّة انما تجب للمحافظة على النفس ، فاذا علم انه مقتول لامحالة فالتقية تبطل . وفعلا مسكه الحجاج وقطع يديه ثم رجليه ثم قتله .

التفسير الثالث : اذا كان الدين يتعرض للخطر ويتطلب ان تقول الكلمة كما فعلها عبد الله بن عفيف في مسجد الكوفة سقطت التقيّة لان الدفاع عن الدين أهم من النفس .

الحجاج طلبه وقال : تلعن أبا تراب وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله ، و أقول : كان هؤلاء الاجلاء من خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا مأذونين من قبل الأئمة عليهم السلام بترك التقية لمصلحة خاصة خفية . أو انهم كانوا يعلمون أنه لا ينفعهم التقية وأنهم يقتلون على كل حال باخبار المعصوم أو غيره والتقية إنما تجب إذا نعت مع أنه يظهر من بعض الأخبار أن التقية إنما تجب ابقاء للدين وأهله فإذا بلغت الضلالة حدا توجب اضمحلال الدين بالكلية فلا تقية حينئذ وان أوجب القتل كما أن الحسين عليه السلام لما رأى انطماس آثار الحق رأسا ترك التقية والمسألة (آت) والكناسة بالضم موضع بالكوفة . (الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٣٨٠)

(١) سورة الكهف الاية ٢٩

(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٣٨٠

الثورات الشيعية على عهد الامام السجاد عليه السلام:

رغم أن الامام السجاد عليه السلام لم يرفع راية الثورة بعد مقتل أبيه الحسين عليه السلام في كربلاء ، لكن ذلك لم يمنع شيعة أهل البيت عليهم السلام من قيادة حركات ثورية ضد الحكم الاموي

(١) ثورة سليمان بن صرد^(١)

كانت أول ثورة هي ثورة التوابين وذلك بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام بلا فاصلة بدأ الشيعة يتحركون بالكوفة ، وهم يقولون يجب ان تثار للامام الحسين عليه السلام ، وكان يقود هذا التحرك زعيم من الكوفة اسمه سليمان بن صرد الخزاعي وذلك سنة ٦١ للهجرة الى عام ٦٥ للهجرة حيث استغرقت عملية الاعداد لهذه الثورة اربع سنوات فكانت اول ثورة اسمها ثورة التوابين^(٢) ومنطلقها من الكوفة ونظريتها كانت قتال ال اميه والثار للحسين عليه السلام .

فتم جمع قوة تعدادها خمسة الاف نفروتعاهدوا على الموت ثأراً للامام الحسين عليه السلام واول شعار رفع في هذه الثورة هو شعار (يا ثارات الحسين) .

(١) سليمان بن صرد بن جون الخزاعي ، صحابي جليل من سادات العرب ووجهاء الشيعة في الكوفة وكان من الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام وولديه الحسن والحسين عليهما السلام . شارك في بعض المعارك التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام إبان خلافته ، وقاد حركة التوابين المطالبين بثار الإمام الحسين عليه السلام والمتعقبين لقتلته عليه السلام سنة ٦٥ هـ في منطقة عين الوردة أدرك سليمان بن صرد النبي الأكرم ﷺ وسلم ، وصحبه ، وقد علق السيد الخوئي على ذلك بقوله : ما ذكره الشيخ الطوسي من كون سليمان بن صرد من أصحاب رسول الله ﷺ وسلم لعله مأخوذ من بعض كتب العامة والإفقد صرح الفضل بن شاذان بأنه من التابعين . (المحقق)

(٢) ثورة التوابين هي إحدى الثورات الشيعية التي اندلعت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حيث انطلقت الثورة ثأراً لدماء الإمام الحسين عليه السلام والشهداء الذين سقطوا معه . وكانت انطلاقاً ثورة التوابين سنة ٦٥ للهجرة بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي يؤازره في ذلك جمع من المسلمين الموالين لأهل البيت عليهم السلام وقد حارب التوابون الجيش الأموي في معركة عين الوردة نسبة إلى المكان الذي دارت به المعركة . (المحقق)

(٢) ثورة المختار الثقفي^(١)

وبعد فشل ثورة التوابين تصدى المختار الثقفي لقيادة ثورة ثانية ضد الحكم الاموي ، وقد ارسل المختار رسولا الى المدينة لاختذ الموافقة من الامام السجاد عليه السلام على حركته ، ولكن الامام السجاد عليه السلام أحال الامر الى محمد بن الحنفية ، وقال له : يا عم : لو ان احداً من الروم تعصبَ لنا ولأمرنا لأزرناه وقد وليتك هذا الامر .

فقام محمد بن الحنفية بالتوقيع على رسالة المختار وتأييدها .^(٢)

ومن أجل ذلك كان الائمة عليه السلام يترحمون على المختار كما كانوا يترحمون على زيد بن علي عليه السلام لان موقفهما من الامامة الشرعية كان موقفاً صحيحاً .^(٣)

(١) المختار بن أبي عبيد الثقفي من قبيلة ثقف ، ولد في السنة الأولى للهجرة النبوية ، اشترك في شبابه هو وأبوه وأخوته في معركة الجسر . وحينما قدم مسلم بن عقيل الكوفة حلّ ضيفاً في بيته ، وكان أثناء استشهاده الإمام الحسين عليه السلام في سجن عبيد الله بن زياد ، كما اشتهر المختار بأخذ الثأر لدم الإمام الحسين وأهل بيته عليه السلام . قُتل المختار سنة ٦٧ هـ على يد مصعب بن الزبير بعد أن أقام حكمته في الكوفة ثمانية عشر شهراً . يقع قبره جنب مسجد الكوفة ، (المحقق)

(٢) (ذوب النصار - لابن غما الحلي - ص ٩٧) (إن الإمام السجاد عليه السلام كان راضياً بتلك الثورة التي قادها المختار الثقفي الا أنه عليه السلام لم يكن داعياً إليها ولا داعماً لها ولم يعلم رضاه الا من خلال محمد بن الحنفية ، دل على ذلك رواية ابن غما الحلي ، حيث قال : وقد رويت عن والدي إن ابن الحنفية قال لهم قوموا بنا الى امامي وإمامكم علي بن الحسين عليه السلام فلما دخلوا عليه واخبره الخبر قال : (يا عم لو ان عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس موازرتة وقد وليتك هذا الامر فاصنع ما شئت) فخرجوا وهم يقولون اذن لنا زين العابدين ومحمد بن الحنفية)

(٣) ذكر السيد الخوئي (قدس سره) ترجمة المختار في كتابه (معجم رجال الحديث) ، فقال : (والأخبار الواردة في حقّه على قسمين : مادحة وذامّة ، أما المادحة فهي متضافرة ، منها . . . عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت ، حتّى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين " ، وهذه الرواية صحيحة . وعن أبي جعفر عليه السلام قال : " لا تسبوا المختار فإثمه قتل قتلتنا ، وطلب بثأرنا ، وزوج أراملنا ، وقسم فينا المال على العسرة . وعن عمر بن علي بن الحسين : أن علي بن الحسين عليه السلام لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ، ورأس عمر بن سعد قال : فخر ساجداً وقال : " الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي ، وجزى الله المختار خيراً " ثم ذكر السيد الخوئي ثلاث روايات أخرى في هذا المجال ، ثم ذكر بعض الروايات الذامّة وقال : (وهذه الروايات ضعيفة الإسناد جداً) . ثم نقل قول المجلسي في (بحار الأنوار) فقال : (وقال المجلسي عليه السلام : قال جعفر بن غما : أعلم

يقول السيد الخوئي (رض): ويكفي في حسن حال المختار إدخاله السرور في قلوب أهل البيت سلام الله عليهم بقتله قتلة الحسين (عليه السلام)، وهذه خدمة عظيمة لأهل البيت (عليهم السلام) يستحق بها الجزاء من قبلهم، ويستدل السيد الخوئي على ذلك قائلاً: لاشك انه كان مرضياً عند الله وعند رسوله (صلى الله عليه وآله)، وعند الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، ويظهر من بعض الروايات ان حركة المختار كانت باذن وبنص من الامام السجاد (عليه السلام).

أفهل يحتمل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) يغضون النظر عن ذلك، وهم معدن الكرم والاحسان، وهذا محمد بن الحنفية بين ما هو جالس في نفر من الشيعة وهو يعتب على المختار (في تأخير قتله عمر بن سعد) فما تم كلامه، إلا والرأسان عنده فخر ساجداً، وبسط كفيه وقال: اللهم لاتنس هذا اليوم للمختار وأجزه عن أهل بيت نبيك محمد خير الجزاء، فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب. (١)

تنامي الوعي الثوري:

وتصاعد الوعي الثوري بعد شهادة الامام الحسين (عليه السلام) في مختلف الاوساط الاسلامية.

أن كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معاني الأخبار، ولا رؤية تتقلم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ، ولو تدبروا أقوال الأئمة في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين، الذين مدحهم الله تعالى جلّ جلاله في كتابه المبين، ودعاء زين العابدين (عليه السلام) للمختار دليل واضح، وبرهان لا تحصى، على أنه عنده من المصطفين الأخبار، ولو كان على غير الطريقة المشكورة، ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده، لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب، ويقول فيه قولاً لا يستطاب، وكان دعاؤه (عليه السلام) له عبثاً، والإمام منزّه عن ذلك، وقد أسلفنا من أقوال الأئمة في مطاوي الكتاب تكرار مدحهم له، ونهيبهم عن ذمّه ما فيه غيبة لذوي الأبصار، وبغية لذوي الاعتبار، وإثماً أعداؤه عملوا له مثالب، ليباعدوه عن قلوب الشيعة، كما عمل أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) له مساوي، وهلك بها كثير ممن حاد عن محبته، وحال عن طاعته...

(١) معجم رجال الحديث - الجزء التاسع عشر / الامام الخوئي

ثورة أهل المدينة :

فكانت ثورة أهل المدينة^(١) عام ٦٣ للهجرة حين بعثوا وفداً إلى الشام برئاسة عبد الله بن حنظلة للقاء يزيد بن معاوية فلما عادوا قالوا لأهل المدينة :

(جئناكم من عند شخص لادين له ، شراب الخمر ، زانٍ ، قاتل للنفس المحترمة ، ويلعب الكلاب) .

ثم دعوا الناس إلى خلعه من الخلافة ، فجهز لهم يزيد جيشاً عظيماً بقيادة مسلم بن عقبة فاستباح المدينة ثلاثة أيام ، وقتل فيها ثمانين صحابياً وسبعمئة حافظ قرآن .

ثورة عبد الله بن الزبير :

وكانت بعدها ثورة عبد الله بن الزبير^(٢) في مكة المكرمة عام ٦٤ للهجرة .

(١) واقعة الحرّة ، هي المعركة التي وقعت سنة ٦٣ هـ بين النصارى من أهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة وجيش الشام المبعوث من قبل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بقيادة مسلم بن عقبة المري ، وقد قتل الكثير من أهل المدينة في هذه المعركة منهم ٨٠ صحابياً و ٧٠٠ حافظ للقرآن ، كما استبيحت المدينة ثلاثة أيام ، وسلبت خلالها أموال الناس ، وانتهكت الأعراض من قبل جيش الشام . وكان الإمام السجاد عليه السلام محامداً من انتفاضة أهل المدينة ، كما أوى العديد من الناس من جملتهم عائلة مروان بن الحكم .

ذكرت مجموعة من الروايات في بيان أسباب هذه الثورة . هو أن والي المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان أرسل مجموعة من وجهاء المدينة لملاقات يزيد بن معاوية وكان من ضمنهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة . وبعد أن التقى الوفد يزيد عاد إلى المدينة وحدثوا الناس بما شاهدوه من فسق يزيد وفجوره .

وكانوا يقولون جئناكم من عند شخص لا دين له ، شراب للخمر زانٍ قاتل للنفس المحترمة ، ويلعب الكلاب ولا بد أن نزل به من الخلافة . ثم دعوا الناس إلى خلعه من الخلافة . ويقال : أن خلعه يزيد في المدينة له علاقة بثورة عبدالله بن الزبير في مكة ، وأن عبدالله بن حنظلة كان عاملاً لابن الزبير في المدينة

وقد كان لعبدالله بن حنظلة دور كبير في هذه الثورة وقد بايعه الناس وأصبح قائداً لهذه الثورة (الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٤٨٠ - ٤٨٢ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٦٧) .

(٢) بعد موت معاوية بن أبي سفيان لم يبايع ابن الزبير يزيد ونثار على حكومة بني أمية . وكان قد ترك المدينة وتوجه

والذي رفض البيعة ليزيد بن معاوية ودعا الى خلعه ، فارسل له يزيد جيشاً حاصره في مكة المكرمة ، ولم يتمكن من القضاء على ابن الزبير وثورته حيث مات يزيد عام ٦٤ للهجرة فاعلن ابن الزبير نفسه خليفة للمسلمين وبايعه اهل مكة وولايات اخرى .

تفكك البيت الاموي :

وبدأ البيت الاموي بالتفكك الداخلي ، حتى وجدنا معاوية بن يزيد بن معاوية حين آلت اليه الخلافة بعد ممات يزيد يرقى المنبر ويعتزل الحكم قائلاً :
(ان الخلافة حبل الله ، وان جدي نازع الامر لاهله ومن هو احق به منه علي بن ابي طالب وركب منه ماتعلمون حتى اتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه .
ثم قلّد ابي الامروكان غير اهل له ونازع ابن بنت رسول الله ﷺ فقصف الله عمره وانبت رقبته وصار في قبره رهيناً بذنوبه) .

ثم بكى وقال :

ومن أعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه وبؤس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله ﷺ واباح الخمر وخرّب الكعبة ، ولم اذق حلاوة الخلافة فلا اتقلد

الى مكة وأقام فيها لكنه لم يدعي الخلافة اثناء وجود الإمام الحسين (عليه السلام) في مكة ؛ لأن الناس كانوا يقدمون الإمام الحسين عليه ، ولما علم ابن الزبير بأن الإمام الحسين يريد الذهاب الى الكوفة شجعه على ذلك لأنه كان يرى في وجوده في مكة مزاحمة له . [١٠] وكان أبوه الزبير ابن عمة النبي ومن الصحابة البارزين وكان من ضمن أعضاء الشورى الذين عينهم عمر قبل وفاته وكان من واجبه تعيين الخليفة بعده ، وهذا التراث الذي يملكه دعاه الى أن يدعي الخلافة وأنه أحق من الأمويين بها .

ولم يدعي ابن الزبير الخلافة حتى سمع بشهادة الإمام الحسين (عليه السلام) وعندها صعد المنبر في الكعبة والقي خطبة هيجت قلوب الناس الى جانبه لعن فيها بني أمية وبالخصوص يزيد ونادى بخلعه من الخلافة ، وقال بأنه سيثأر للإمام الحسين من يزيد ودعا الناس الى نصرته وكان خلال هذه الخطبة يذرف الدموع ويبكي لما جرا لأهل البيت في

كربلا (أنساب الأشراف ، البلاذري ، ج ٥ ، ص : ٥٦٤)

مرارتها فشأنكم امركم) (١).

وهكذا بدا التفكك في داخل الاسرة الاموية الحاكمة فقد قتل معاوية بن يزيد بعد اربعين يوماً من خلافته ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتاً قبل اتمام الصلاة ، فتقدم عثمان بن عتبة بن ابي سفيان فقالوا نبايعك ؟

قال : على ان لا احارب ولا اباشر قتال ، فابوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل في جملة ابن الزبير .

وحين وصل الحكم الى عبد الملك بن مروان كتب اليه الحجاج بن يوسف الثقفي اذا اردت ان يدوم ملكك فاقتل علي بن الحسين عليه السلام .

فكتب اليه عبد الملك : (اما بعد فجنبتني دماء بني هاشم واحقنها فاني رايت ال ابي سفيان لما اولغوا فيها لم يلبثوا الى ان ازال الله الملك عنهم) (٢)

انتشار التشيع في العراق :

رغم ان المدينة المنورة هي موطن أهل البيت عليه السلام ومسقط رأسهم الا أن التشيع قد انحسر منها عن مكة ، بينما كان العراق هو عاصمة التشيع ومنطلق الحركات الثورية والعلمية للتشيع .

لتقرأ معاً هذه الرواية :

جاء قوم الى الامام زين العابدين عليه السلام وهو في المدينة فسألهم عليه السلام : ممن القوم ؟

قالوا نحن من العراق

(١) ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي - ج ٣ - الصفحة ٣٦

(٢) بحار الانوار ج ٤٦ ص ٢٥

فقال عليه السلام: انتم الشعار^(١) دون الدثار^(٢)

ويعني بقوله هذا عليه السلام انكم يا اهل العراق بمنزلة الشعر اللاصق بالجلد وفوقه الدثار.

لماذا اهل العراق ؟

هنا جوابان في تفسير انتشار التشيع في العراق :

الجواب الاول : الاختيار الالهي اي أن القضية هي تقديرالهي ولأسباب لانعلمها .

حيث تقول الرواية عن عبد الله الصادق عليه السلام قال : (إن الله عزوجل عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة .)^(٣)

وفي كتاب سفينة البحار يروي (ان ابراهيم اراد ان يدعوا على اهل العراق فهبط جبرئيل يقول : ان الله ينهك عن الدعاء على اهل العراق .

قال : لماذا ؟

قال : لقد جعلت فيهم العلم والمودة .^(٤)

وفي مصدر آخر ان رسول الله ﷺ قال : إِنَّ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَمَّ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ لَا تَفْعَلْ ، فَإِنِّي جَعَلْتُ خَزَائِنَ عِلْمِي فِيهِمْ ، وَأَسَكَنْتُ الرَّحْمَةَ قُلُوبَهُمْ^(٥)

(١) الشعار : ما يلي الجسد من الثياب ، والدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - الصفحة ٤٩٨

(٣) بصائر الدرجات : ٢٢ .

(٤) سفينة البحار / حرف ع / عراق / فراجع

(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر - الجزء الأول ص ٦٢

الشعب العراقي مغروس فيه بالغرس الالهي شيئان هما :

الاول : المودة وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(١)

الثاني : هو علم اهل البيت عليهم السلام حيث في العراق انتشار فقه اهل البيت عليهم السلام وعلومهم علوم الاسلام الصحيح والمذهب العالمي ايضا .

الجواب الثاني : الاسباب الموضوعية :

حيث أدت مجموعة عوامل الى انتشار مذهب التشيع في العراق بحيث اصبح العراق محبوب اهل البيت عليهم السلام .

فأهل العراق تربوا على يد عمار ^(٢) وسلمان ^(٣) حيث كانوا ولاية من قبل عمر بن الخطاب حيث ارسل الاول الى الكوفة والثاني الى المدائن .

اذن رجال المذهب الاوائل ودعاة المذهب الاوائل كانوا في العراق .

الجواب الثالث : العداء التاريخي

فيما عدا اسباب اخرى منها موقف قريش الحاقد على اهل البيت عليهم السلام حيث لديهم مشكلة مع الاسلام وكان الامام علي عليه السلام يدعو عليهم كما ورد في نهج

(١) سورة الشورى الاية ٢٣

(٢) عمار بن ياسر ، من صحابي الرسول صلى الله عليه وسلم والسابقين الى الإسلام ومن شيعة الإمام علي عليه السلام . تعرّض هو وأبوه وأمه وأخوه لأشد أنواع التعذيب التي صبّها عليهم المشركون ، فراح ضحيتها أبواه شهيدين تحت سياط الجلاديين . كان من الملازمين للامام علي عليه السلام وقد شهد معه معركة الجمل ، وقد استشهد في معركة صفين سنة ٣٧ هـ على يد جيش معاوية بن أبي سفيان ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار : تقتلك الفئة الباغي (المحقق)

(٣) سلمان الفارسي ، من عيون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والموالين له . حظي بمكانة مرموقة عند المسلمين بجميع مذاهبهم وفرقهم . فقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : سلمان منّا أهل البيت فكان .

(المحقق)

البلاغة حيث قال عليه السلام:

(اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم ، فإنهم قد قطعوا رحمي ، وأكفئوا إنائي ، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري ، وقالوا : ألا إن في الحق أن تأخذَه وفي الحق أن تُمنعه ، فاصبر مغموما ، أو متأسفا . فنظرت فإذا ليس لي رافدٌ ، ولا ذابٌ ولا مُساعدٌ ، إلا أهل بيتي ، فضننت بهم عن المنية ، فأغضيتُ على القذى ، وجرعتُ ريقِي على الشَّجَا ، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم ، وآلم للقلب من وخز الشفار)^(١)

حيث كانت قريش معبأة ضد الاسلام بطريقة نفاقية في مكة والمدينة ، بينما في العراق لا يوجد هكذا تحدٍ . حيث الامة وعت على الاسلام الحقيقي المتمثل باهل البيت عليه السلام .

ملاحظة الحجاج الثقافي للشيعة :

كان الحجاج بن يوسف الثقافي هو الذي حكم العراق والياً عن الخلافة الرومانية مدة عشرين عاماً وقبل ذلك كان والياً على مكة والمدينة .

هذه الفترة بالذات كانت هي الفترة التي نؤرخ لها ، وهي فترة الامام السجاد عليه السلام من عام ٦١ للهجرة وحتى عام ٩٥ للهجرة .

ويجمع المؤرخون على اختلاف مذاهبهم ان الحجاج الثقافي كان قد أولغ في دماء المسلمين بما لانظير له ، وكانت حصّة الشيعة هي الاكبر حتى قال عنه المؤرخ الكبير ابن كثير كما في البداية والنهاية : (كان ناصبياً يبغض علياً وشيعته في هوى آل مروان بني امية ، وكان جباراً

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - الصفحة ٨

عنيدا مقداماً على سفك الدماء بادنئ شبهة (١).

ورروا عن اسماء بنت ابي بكرانها قالت للحجاج : (اما ان رسول الله ﷺ حدثنا ان في ثقيف كذابا ومبيراً ، فاما الكذاب فرايناها ، واما المبير فلا أخالك الا اياه والمبير هو المهلك الذي يسرف في اهلاك الناس) . (٢)

وروى الترمذي في كتابه السنن عن هشام بن حسان قال : احصوا ماقتل الحجاج صبرا فبلغ مائة الف وعشرين الف مقاتل) . (٣)

وقال الذهبي في سير اعلام النبلاء (كان ظلوماً جباراً ناصبياً سفاكاً للدماء) . (٤)

الحجاج هذا هو الذي قاد الجيش المرواني فحاصر ابن الزبير في مكة المكرمة عام ٧٣ هجرية وضرب الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير وبعدها ولاه عبد الملك بن مروان على مكة والحجاز وفي عام ٧٥ للهجرة أمره واليا على العراق وعزله من مكة والحجاز لكثرة الشكاية من أهلها عليه

ولما تولى العراق خطب الناس في مسجد الكوفة وقال فيما قال : إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، والله لأكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللعى .

وأيم الله لألحونكم لحو العود ، ولأقرعنكم قرع المروة ، ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل .

(١) البداية والنهاية ١٥٣/٩

(٢) صحيح مسلم « كتاب فضائل الصحابة » باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها

(٣) البداية والنهاية - ---- (١٣٩-١٣٨/٩)

(٤) سير اعلام النبلاء ٣٤٣ / ٤

سعيد بن جبير نموذجاً :

ومما يسجله المؤرخون على الحجاج قتله الصحابي الجليل سعيد بن جبير
وكان موالياً لعلي بن ابي طالب عليه السلام .

سأله الحجاج : ما اسمك ؟

قال : سعيد بن جبير

قال الحجاج : بل شقي بن كسير

قال سعيد : امي سميتني وهي أعلم باسمي منك ؟

قال الحجاج : شقيت وشقيت امك .

فقال سعيد : لا يعلم الغيب الا الله .

قال الحجاج : والله لا بد لك بدنياك ناراً تلظى .

قال سعيد : لو أعلم ان بيدك ذلك لاتخذتك الهاً .

سأله الحجاج عن الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله ، قال : سيجزون اعمالهم فمسرور
ومشبور ولست عليهم بوكيل .

وحينما سأله عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال : من أولهم إسلاماً واقدمهم
هجرة واعظمهم فضلاً زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله أحب بناته اليه .

قال : أي الجنة هو أم في النار .

قال سعيد : لو ادخلت الجنة وفيها اهلها وادخلت النار وفيها اهلها لعلمت
يا حجاج وقد حجب عنك .

قال الحجاج : أما والله لاقتلنك قتلة لم أقتلها احداً قبلك ولاقتلها احداً
بعدك .

قال سعيد : انك تفسد عليّ دنياي وافسد عليك اخرتك .

قال الحجاج : اختر يا سعيد اي قتلة اقتلك ؟

فقال : اخترلنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في
الآخرة .

فقال الحجاج : اذبحوه ، فذبحوه ^(١)

وفيه يقول الامام الصادق عليه السلام : (ان سعيد بن جبير كان ياتم بعلي بن
الحسين عليه السلام فكان علي عليه السلام يشي عليه ، وما كان سبب قتل الحجاج له الا نفس
هذا الامر وكان مستقيما) ^(٢)

نموذج اخر لبطولات الشيعة :

وروى المؤرخون قالوا : اخذ الحجاج رجلين من شيعة علي عليه السلام فقال لاحدهما
ابراً منه ؟

فقال : ماجزائي ان لم ابرامك ؟

فقال : قتلتني الله ان لم اقتلك فاخرلنفسك قطع يديك او رجليك .

فقال له الرجل : هو القصاص فاخرلنفسك

قال : تالله اني لارى لك لسانا وماظنك تدري من خلقك ، واين ربك ؟

قال : هو بالمرصاد لكل ظالم .

فامر بقطع يديه ورجليه وصلبه .

قال : ثم قدم صاحبه الاخر فقال ماتقول ؟

فقال : انا على رأي صاحبي .

قال : فامر ان يضرب عنقه ويصلب . ^(٣)

(١) الشيخ محمد حرز الدين في مرآة المعارف ج ١ ص ٣٥٠ تسلسل ١١٧ سعيد بن جبير

(٢) بحار الانوار ج ٤٦ ص ١٣٦

(٣) بحار الانوار ج ٤٦ ص ١٤٠

الحجاج يكتب بقتل الامام السجاد عليه السلام:

روي المؤرخون أن الحجاج بن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين عليه السلام.

فكتب عبد الملك إليه : أما بعد فجنبني دماء بني هاشم واحقنها فاني رأيت آل أبي سفيان لما أولعوا فيها لم يلبثوا إلى أن أزال الله الملك عنهم .^(١)

الدفاع عن الاسلام:

ولم يمنع كل ذلك الحقد الاموي والمرواني على أئمة اهل البيت عليه السلام وشيعتهم من وقوف الامام الى جانب النظام حينما يتعرض الى تحدٍ خطريهدد وجود الكيان الاسلامي كله .

اولاً: بناء الكعبة:

يمكن أن نقرأ ذلك في قصة هدم الحجاج للكعبة ثم إرادة بناءها ، حيث يروي المؤرخون أن الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير، ثم اراد اعادة بنائها فلما أعيد البيت وأرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود فكلما نصبه عالم من علمائهم ، أو قاض من قضاتهم ، أو زاهد من زهادهم يتزلزل ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه ، فجاءه علي بن الحسين عليه السلام وأخذه من أيديهم وسمى الله ثم نصبه ، فاستقر في مكانه ، وكبر الناس .^(٢)

ومثل ذلك نقرأ في رواية ثانية تقول لما هدم الحجاج الكعبة فرق الناس ترابها فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنوها ، خرجت عليهم حية ، فمنعت الناس البناء

(١) البحار ج ٤٦ ص ٢٥ الفقرة ١٩

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٦ - الصفحة ٣٢

حتى هربوا فأتوا الحجاج ، فخاف أن يكون قد منع بناها ، فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال : رحم الله عبدا عنده مما ابتلينا به علم لما أخبرنا به .

قال : فقام إليه شيخ فقال : إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى .

فقال الحجاج : من هو ؟

فقال علي بن الحسين عليه السلام

فقال : معدن ذلك

فبعث إلى علي بن الحسين عليه السلام فأتاه فأخبره بما كان من منع الله إياه البناء ، فقال له علي بن الحسين عليه السلام : يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهتبه كأنك ترى أنه تراث لك ، اصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئا إلا رده قال : ففعل وأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شئ إلا رده قال : فردوه .

فلما رأى جمع التراب أتى علي بن الحسين صلوات الله عليه فوضع الأساس وأمرهم أن يحضروا

قال : فتغيبت عنهم الحية ، فحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد .

قال لهم علي بن الحسين عليه السلام : تنحوا ، فتنحوا فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى ثم غطاها بالتراب بيد نفسه ، ثم دعا الفعلة فقال : ضعوا بناءكم

قال : فوضعوا البناء ، فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فألقي في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعا يصعد إليه بالدرج ^(١).

ثانياً: مع ملك الروم:

مثل ذلك نقرؤه في الموقف من ملك الروم حين هدد عبد الملك بن مروان .

يقول المؤرخون كتب ملك الروم إلى عبد الملك : أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة ، لأغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف .

فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين عليه السلام ويتوعده ويكتب إليه ما يقول ففعل .

فقال علي بن الحسين عليه السلام : إن لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة ، ليس منها لحظة إلا يحيي فيها ويميت ، ويعزويذل ، ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة .

فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك ، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم ، فلما قرأه قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .^(١)

ومثل ذلك نقرؤه بشكل أكثر وضوحاً حين هدد ملك الروم الحكم الأموي بقطع السكة النقدية عن المسلمين ، فظل عبد الملك بن مروان متحيراً وقد ضاقت به الأرض كما جاء في الرواية وقال : أحسبني أشأم مولود ولد في الاسلام ، فجمع اهل الاسلام واستشارهم فلم يجد احد منهم رأياً يعمل به . فقال له القوم : انك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الامر .

فقال : ويحكم من ؟

قالوا : الباقي من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

قال : صدقتم .

ففرع الى الامام زين العابدين عليه السلام فارسل عليه السلام ولده الباقر عليه السلام الى الشام وزوده بتعليماته الخاصة ووضع خطة جديدة للنقد الاسلامي وانقذ الموقف .^(١)

الانهيار الثقافي :

كان هذا العهد قد شهد إنهياراً ثقافياً وأخلاقياً واسعاً بفعل فساد السلاطين من ناحية ، والفتوحات التي فتحت على السوق الاسلامية الغنائم والعييد والجواري .

الامر الذي جعل الامام السجاد عليه السلام يقول : (ماندرى مانصنع بالناس ان حدثناهم بما سمعنا عن رسول الله ﷺ ضحكوا وان سكتنا لم يسعنا السكوت)^(٢)
ومن هنا جاءت مواظب الامام التربوية ومناجاة العبادية .
ومن هنا جاءت الصحيفة السجادية .
ومن هنا جاءت رسالة الحقوق .

كيف اصبحت ؟

وهنا كان الامام عليه السلام يستغل كل شاردة وواردة لمواجهة الانهيار الاخلاقي ، فتراه عليه السلام يوجه موعظة الى من سألته . كيف أصبحت يا بن رسول الله ؟

قال : أصبحت مطلوباً بثمان خصال : الله تعالى يطلبني بالفرائض ، والنبي ﷺ بالسنة ، والعيال بالقوت ، والنفوس بالشهوة ، والشيطان بالمعصية ، والحافظان بصدق العمل ، وملك الموت بالروح ، والقبر بالجسد ، فأنا بين هذه الخصال مطلوب .^(٣)

(١) مستدرک الوسائل - الميرزا التوري - ج ٧ - الصفحة ٨٤

(٢) البحار ج ٤٦ ص ١٤٤

(٣) جامع الأخبار ص ١٠٥

الاجتماع الاسبوعي للشيعة:

وفي مواجهة هذا الانهيار الاخلاقي بهدف البناء الخاص للجماعة الصالحة ، كان للإمام السجاد عليه السلام اجتماع اسبوعي مع شيعته حسبما يذكره المؤرخون ، وهو اجتماع يهدف للنصح والموعظة .

وقد ذكر لنا المؤرخون مقاطع من مواعظه في هذا الاجتماع الاسبوعي يقول فيها :

(إعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين ، وإنما يحشرون إلى جهنم زمرا ، وإنما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الاسلام)^(١) فاتقوا الله عباد الله واعلموا ان الله لم يحب زهرة الدنيا لأحد من أوليائه ، ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها ، فانما خلق الدنيا وخلق أهلها ليلونهم فيها أيهم احسن لآخرته)^(٢)

خطر انحراف العلماء :

وكان الخطر الأكبر الذي يراه الإمام السجاد عليه السلام هو حينما يتحول علماء الدين الى وعاظ السلاطين .

ومن هنا كان عليه السلام واضحا وشديداً مع من يستترشده من العلماء ويخاف عليه .

نقرأ ذلك في كتابه الى محمد بن مسلم الزهري حين يقول له في كتاب طويل :

(اعلم أن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت أن آتست وحشة الظالم

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧ - الصفحة ٢٥٠

(٢) تحف العقول / مواعظ علي بن الحسين عليه السلام / مواعظه لأصحابه وشيعته وتذكره إياهم كل يوم جمعة

وسهلت له طريق الغي بدنوك منه حين دنوت وإجابتك له حين دعيت ،
فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غدا مع الخونة ، وأن تسأل عما أخذت
بإعانتك على ظلم الظلمة ، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك ودنوت
ممن لم يرد على أحد حقاً ولم ترد باطلا حين أدناك . وأحببت من حاد الله
أوليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رضى مظالمهم
وجسرا يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلموا إلى ضلالتهم ، داعياً إلى غيهم ،
سالكاً سبيلهم ، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب
الجهال إليهم ، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت
من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم . فما أقل ما أعطوك
في قدرما أخذوا منك . وما أيسر ما عمروا لك ، في قدرما خربوا عليك .
فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول ^(١)

هل سعى الشيعة لتسلم السلطة :

هل كان الشيعة بعد الامام الحسين عليه السلام يسعون لتسلم السلطة ؟ .

وهل كان الهدف الذي كانوا يبتغونه هو استلام السلطة ؟

هنا توجد نظريتان :

النظرية الاولى :

يذكرها سماحة آية الله السيد علي الخامنئي (حفظه الله) في كتابه
المترجم الى العربية واسمه (انسان عمره ٢٥٠ سنة) .

ويقصد في ذلك الانسان ، ان الائمة عليهم السلام كلهم بمثابة انسان واحد بدءاً من

(١) تحف العقول - ابن شعبة الحراني - الصفحة ٢٧٦ / كتابه عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري يعظه

وفاة النبي ﷺ عام ١٠ للهجرة وحتى نصل الى عام ٢٦٠ للهجرة حيث امامة الامام المهدي ﷺ .

اي ان هذه الفترة هي من وفاة النبي ﷺ الى غيبة الامام المهدي ﷺ تحوي على ائمة متعددين ولكن المؤلف يقول كلهم عبارة عن حركة واحدة ومسار واحد واتجاه واحد حتى كانهم انسان واحد .

هذه النظرية تقول : ان هذا الانسان بدءاً من الامام علي ﷺ الى الامام المهدي ﷺ هو انسان واحد ، حيث انهم كلهم كانوا يعملون بهدف مركزي هو تسلم الحكم ، اي ان الحكم يجب ان يكون لائمة الهدى فيجب السعي لذلك ولكن هدف تسلم الحكم والسلطة قد يكون على المدى القريب أو على المدى البعيد .

أي ان اهل البيت ﷺ كانت قضية الحكم لديهم قضية اساسية حيث انه لايمكن للناس ان تهتدي مع وجود الحاكم الفاجر الفاسق وهنا يمكن ان يضيع المجتمع بوجود الحاكم الظالم ، فكانت نظرية مؤلف الكتاب ان كل الائمة ﷺ كانوا يسعون لتسلم السلطة .

اما النظرية الثانية :

فيذكرها استاذنا الشهيد اية الله السيد محمد باقر الصدر (رض) حينما يتحدث عن سيرة اهل البيت ﷺ فيقول : ان اهل البيت ﷺ بعد رسول الله ﷺ كان لديهم ثلاثة مراحل :

المرحلة الاولى :

كانت مرحلة مواجهة الصدمة بوفاة رسول الله ﷺ وحدث انقلاب بعد

وفاته ، فالذي قال عن النبي ﷺ انه ليهجّر^(١) هو نفسه الذي استلم الحكم بعد وفاته ﷺ .

فماذا تقول الامة عندئذ ؟ حتما سوف تحدث صدمة لديهم .

فالشهيد الصدر (رض) يقول : المرحلة الاولى هي مرحلة مواجهة تلك الصدمة في ان تبقى الامة محافظة على املها وعلى اطمئنانها وان لا تنتهي المسيرة . .

وهذه هي مرحلة الامام علي عليه السلام والامام الحسن عليه السلام ، والامام الحسين عليه السلام ، والامام السجاد عليه السلام .

المرحلة الثانية :

وهي مرحلة بناء الكتلة الصالحة ، يعني مرحلة تأسيس الشيعة ، ومرحلة تأسيس المذهب ، وهي مرحلة الامام الباقر عليه السلام ، والامام الصادق عليه السلام حتى

(١) ورد في كتاب سليم بن قيس في ص ٣٢٤ : قال سليم بن قيس : إني كنت عند عبد الله بن عباس في بيته وعنده رهن من الشيعة . قال : فذكروا رسول الله ﷺ وموته ، فبكى ابن عباس ، وقال : قال رسول الله ﷺ يوم الاثنين - وهو اليوم الذي قبض فيه - وحوله أهل بيته وثلاثون رجلا من أصحابه : ايتوني بكتف أكتب لكم فيه كتابا لن تضلوا بعدي ولن تختلفوا بعدي .

فمنعهم فرعون هذه الأمة فقال : (إن رسول الله يهجر) .

فغضب رسول الله ﷺ وقال : (إني أراكم تخالفوني وأنا حي ، فكيف بعد موتي) ؟ فترك الكتف .

قال سليم : ثم أقبل علي ابن عباس فقال : يا سليم ، لولا ما قال ذلك الرجل لكتب لنا كتابا لا يضل أحد ولا يختلف .

فقال رجل من القوم : ومن ذلك الرجل ؟

فقال : ليس إلى ذلك سبيل .

فخلوت بابن عباس بعد ما قام القوم ، فقال : هو عمر .

فقلت : صدقت ، قد سمعت عليا عليه السلام وسلمان وأبا ذر والمقداد يقولون : (إنه عمر) .

فقال : يا سليم ، اكتم إلا ممن تتق بهم من إخوانك ، فإن قلوب هذه الأمة أشربت حب هذين الرجلين كما أشربت قلوب بني إسرائيل حب العجل والسامري .

أصبحت مدرسة كبيرة .

وهنا يجدر ان اشير الى ما كتبه شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم (رض) بعنوان (دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة) .^(١)

يقول الشهيد الصدر (رض) : ان هذه المرحلة تنتهي الى نهاية عهد الامام الصادق عليه السلام .

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة الاعداد لتسلم الحكم وهي التي بدا فيها الامام الكاظم عليه السلام ، حيث اصبح التشيع يملأ الافق ففي الوقت الذي كان يقول الامام السجاد عليه السلام :

(ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاثة : أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطعم ثم إن الناس لحقوا وكثروا . . . ثم يقول ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا) .^(٢)

حتى وصل الدور الى عصر الامام الكاظم عليه السلام حيث ان الشيعة ملات الافاق ووصل الامر حين شهادته عليه السلام انه ارتجت بغداد وامتلا الجسر بالمشيعين بالرغم من وجود السلطة المتجبرة .

وهنا ندرك عمق التشيع والامتداد الشيعي الى اين وصل في هذا العصور هو عصر الامام الكاظم عليه السلام وهي المرحلة التي بدا التفكير فيها باستلام الحكم حيث سُجن الامام الكاظم عليه السلام .

(١) دور أهل البيت عليه السلام في بناء الجماعة الصالحة ، كتاب في مجلدين ، مهم في بابه لدراسة حياة أئمة أهل البيت عليه السلام (المحقق)

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٠٤ و بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٢٩٧ و ج ٤٦ ص ١٤٣ والغارات للنفسي ج ٢ ص ٥٧٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٩٨ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٥٧٩ .

وهنا ناتي الى سؤالنا :

هل ان هدف الائمة المركزي كان تسلم السلطة ؟

او ان التفكير في عملية تسلم السلطة بدأت في مراحل متاخرة ؟

الصحيح عندنا : ان كلتا النظريتين صحيحة باستخدام المرونة فهم جميعا يفكرون بالاعداد النفسي والروحي والثقا في تسلم السلطة فالكل كانت تعد لحكومة الامام المهدي عليه السلام

فعلى النظرية الاولى بان ائمة اهل البيت عليهم السلام جميعا كانوا يفكرون باستلام السلطة هذا الامر صحيح ولكن على المدى البعيد .

حيث كلهم كانوا يفكرون بظهور قائمهم الذي يملأ الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا .^(١)

هذا الهدف تارة تكون الحركة نحوه واضحة المعالم ، وتارة تكون الحركة غير واضحة المعالم . فكل امام عليه السلام كان يعمل بطريقته .

اذن كلتا النظريتين في الخلاصة صحيحة ليس على المدى القريب ، بل على مدى الاعداد النفسي والروحي والثقا في .

حيث اننا شيعة اهل البيت عليهم السلام ننتظر متى يحكم الصالحون هذه الارض ونقرا في دعاء الندبة فنقول : (متى ترانا ونراك و قد نشرت لواء النصر ترى . اترانا نحف بك وانت تؤم الملاء ، وقد ملأت الارض عدلا ، واذقت اعدائك هوانا وعقابا ، وابرت العتاة وجحدة الحق ، وقطعت دابر المتكبرين ، واجتثت اصول الظالمين ،

(١) قوله عليه السلام وسلم : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي ، فقام سلمان الفارسي فقال : يا رسول الله ، من أيّ ولدك ؟ قال : من وُلدي هذا . وضرب يده على الحسين » . (فرائد السمطين ٢ / ٣٢٥ رقم ٥٧٥ عن حذيفة بن اليمان -)

ونحن نقول الحمد لله رب العالمين (١).

اي ان التفكير كله متجه الى الدولة العالمية وان كل ائمة اهل البيت (عليه السلام) كانوا انسانا واحدا بهدف الاعداد الروحي والرسالي ولهذه المهمة الكبرى .

ورسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قد قال لنا : (يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، ولولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم ، حتى يلي) (٢).

اذن الائمة (عليه السلام) عملوا بهذا الاتجاه ايضا ، فالشيعة بعد استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) وعلى عهد الامام السجاد (عليه السلام) لا توجد عندهم امكانية لاستلام السلطة بشكل سريع بالرغم من حصول ثورات لم تلاقي الرفض من ائمتنا (عليه السلام) وكانت تمثل العاطفة الشعبية العامة .

اما الهدف العميق لاهل البيت (عليه السلام) فكان هو الاعداد لمرحلة الامام المهدي (عليه السلام) كل حسب فترته وعهده .

(١) مفاتيح الجنان للقمي / دعاء التوبة

(٢) الشيعة في الميزان - محمد جواد مغنية - الصفحة ٩١

الْفَضْلُ السَّادِسُ

**دور الشيعة على عهد
الامام الباقر والامام الصادق عليه السلام
من عام ٩٥ للهجرة الى عام ١٤٨ للهجرة**

لقد عاصر الامام الباقر عليه السلام نهايات الحكم الاموي فما هو دوره في هذا العصر؟

وما دور شيعة اهل البيت عليه السلام ايضا ؟

ان دور ائمة اهل البيت عليه السلام ودور الشيعة في كل المراحل هو المحافظة على الاسلام اولا ، والمحافظة على الامة الاسلامية ثانيا ، والمحافظة على التشيع والشيعة ثالثا .

كان كل هدف الشيعة وائمتهم عليه السلام هو المحافظة على الاسلام وامة الاسلام . وامير المؤمنين عليه السلام قال : (لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري ، و والله لأُسَلِّمَنَّ ما سلمت أمُور المسلمين) .^(١)

والامام الحسين عليه السلام قال : (أَللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شئ من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الإصلاح في بلادك . فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك)^(٢)

هذا هو هدف الشيعة ، وهذا هو دورهم في مرحلة الامام الباقر عليه السلام ، حيث ان هذه المرحلة كانت مرحلة الملاحقة الامنية الشديدة للشيعة ، وكانت محاولات الشيعة هي التخلص من هذه الملاحقة ، حتى وصل الامر الى ان كبار علماء

(١) نهج البلاغة للامام علي عليه السلام ص ١٠٢ رقم الخطبة : ٧٤ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٦٦ .

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ - الصفحة ١٣

الشيعة كان مستعداً للتظاهر بالجنون من اجل عدم الملاحقة في سبيل ايصال
فقه اهل البيت (عليه السلام) الى الاجيال التي بعده .

صمود أبطال الشيعة في حفظ الشريعة :

جابر بن يزيد الجعفي^(١) هو من كبار اصحاب الامام الباقر (عليه السلام) وقد حفظ
من الامام (عليه السلام) سبعين الف حديثاً ، كان يأتي للامام الباقر (عليه السلام) ويقول :

(جعلت فداك إنك قد حملتني وقرأ عظيمًا بما حدثتني به من سرِّكم الذي
لا أحدث به أحداً ، فربما جاش في صدري حتى يأخذني منه شبه الجنون .

قال : يا جابر فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبانة (الصحراء) فاحضر حفيرة
ودلّ رأسك فيها ثم قل : حدثني محمد بن علي بكذا وكذا^(٢)

هكذا مرّ دور على شيعة اهل البيت (عليه السلام) وهم غير قادرين على قول (حدثني

(١) جابر بن يزيد الجعفي محدث ، تابعي ، مفسر ومؤرخ من أصحاب الإمام الصادق والإمام الباقر (عليه السلام) كانت له
مكانة علمية عظيمة ، وردت روايات في مدحه والترحم عليه من الإمام الصادق (عليه السلام) ووثقه الخاصة والعامة ،
وعده الشيخ المجلسي الأول من أصحاب أسرار الصادقين (عليه السلام)
وذكر أصحاب التراجم أن له من الآثار : كتاب النوادر ، كتاب الفضائل ، كتاب الجمل ، كتاب صفين ، توفي
جابر الجعفي سنة ١٢٨ هـ .

نقل العلماء الكثير من الكلمات التي تبين مكانة جابر الجعفي العلمية ووثاقته من الخاصة والعامة ، ومنها : ما ذكره
الطوسي في اختيار معرفة الرجال رجال الكشي ، ص ١٧٢ : روي عن سفيان الثوري أنه قال : ما رأيت أروع
بالحديث من جابر .

وقال عنه المجلسي الأول في روضة المستقين ، ج ١٤ ، ص ٧٧ : إن جابر الجعفي كان من أصحاب
أسرارهما (عليه السلام) وكان يذكر بعض المعجزات التي لا يدركها عقول الضعفاء حصل به الغلو في بعضهم ونسبوا إليه
افتراء سيما الغلاة والعامة ، . وعده الشيخ المفيد ممن لا مطعن فيهم ، ولا طريق ذم واحد منهم ، وقال ابن
الغضائري : ثقة في نفسه ، وقد روى الكشي روايات في مدحه وجلالته ، وقال عنه السيد الخوئي : إن الرجل لا
بدّ عده من الثقة . . . ولقول الصادق (عليه السلام) في صحبة زياد : إنه كان يصدق علينا . (المحقق)

(٢) إعلام الوري / للشيخ الطبرسي قدس سره

رسول الله ﷺ).

عندما جاء جابر بن يزيد الجعفي الى الكوفة جاءته رساله من الامام محمد الباقر عليه السلام قبل أن يصل الى الكوفة ، فلما قرأها انقبض وجهه ، فما رُئي ضاحكا ولا مسرورا حتى وصل الكوفة .

وفي الصباح التالي لوصوله ظهرت عليه علامات الجنون ، فأخذ يدور في شوارع الكوفة ، راكبا قصبه على أنها حصان وفي عنقه كعاب علقها ، وهو يردد المقولة التالية (أرى منصور بن جمهور اميراً غير مامور) بما يدل على جنونه و اختلاطه ، وكان الصبيان يدورون حوله في الشوارع وهم يقولون : جُن جابر، جُن جابر.

وبعد أيام ورد من هشام بن عبد الملك كتاب إلى واليه على الكوفة : أن انظر رجلا يقال له جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث لي برأسه .

فسأل الوالي عنه فقالوا له : أصلحك الله كان رجلا له علم وفضل وحديث و حج فُجُنَّ وهو ذا في الرحبة مع الصبيان يلعب على القصب .

فنظر الوالي إلى رحبة مسجد الكوفة ، فرآه كما قالوا . فتركه ولم يقتله وقال : الحمد لله الذي لم يتليني بدمه .

وكتب للخليفة واخبره بان جابر بن يزيد الجعفي مجنون يسير في الشوارع والصبيان حوله يضحكون .

وماهي الا ايام مضت واذا بالحاكم الاموي يرسل الوالي الجديد الى الكوفة اسمه منصور بن جمهور وهو ما كان يقوله جابر: أرى منصور بن جمهور اميراً غير مامور.^(١)

(١) الكليني ، الكافي ، ج ١ ص ٣٩٦ - ٣٩٧ * المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٧ ص ٢٣ و ج ٤٦ ص ٢٨٢ * والشيخ المفيد ، الاختصاص ، ص ٦٧ * وابن شهر آشوب ، المناقب ، ج ٤ ص ١٩١ .

الشيء الذي نكتشفه من هذه القصة هو مستوى المطاردة لرجال الشيعة ومستوى صمودهم حتى ان احدهم يتظاهر بالجنون من أجل حفظ دمه وحفظ علومه .

شيعة العراق :

اهل البيت عليه السلام مسكنهم ومسقط راسهم في المدينة المنورة ، ورغم ذلك فان المدينة لم تفتح على اهل البيت عليه السلام بينما كان مذهب التشيع منتشرًا في العراق بالرغم من وجود الائمة عليه السلام في المدينة .

هشام بن عبد الملك ذلك الحاكم المرواني الدكتاتور كان يلقب الامام الباقر عليه السلام بأنه نبي اهل العراق (وفي رواية اخرى كان يقول : (هذا امام اهل العراق) .

فقد روي عن عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال :

(حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متكئاً على يد سالم موله ، ومحمد بن علي بن الحسين عليه السلام جالس في المسجد .

فقال له سالم موله : يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي .

قال هشام : المفتون به أهل العراق ؟

قال : نعم .

قال : اذهب إليه فقل له يقول لك أمير المؤمنين : ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟

قال له أبو جعفر عليه السلام : يحشر الناس على مثل قرص النقي ، فيها أنهار متفجرة ، يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب .

قال : فرأى هشام أنه قد ظفربه .

فقال : الله أكبر .

اذهب إليه فقل له : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ ؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام : هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا : (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)

فسكت هشام لا يرجع كلاماً^(١)

وأبو قتادة^(٢) وهو فقيه من الفقهاء في المدينة رأى أبو حمزة الثمالي^(٣) صاحب الدعاء

المعروف قال :

كنت جالسا في مسجد الرسول ﷺ إذ أقبل رجل فسلم فقال : من أنت يا عبد الله ؟

قلت : رجل من أهل الكوفة .

(١) الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - الصفحة ١٦٤

(٢) أبو قتادة ، الحارث بن ربيع بن رافع الأنصاري أحد كبار أنصار وأصحاب النبي الكريم ﷺ وأحد الفرسان البواسل في جند النبي ﷺ ، وعرف بـ (فارس رسول الله) ، وقد شارك في أغلب الغزوات والسرايا في عهد الرسول ، كما وإنه حضر مع الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل وصفين والنهروان . لقد كان أبو قتادة من الموالين للإمام علي عليه السلام والمدافعين عنه وعن إمامته ومن جملة فرسانه المرافقين له في واقعة الجمل حين دخول الإمام عليه السلام البصرة ، كما كان من قادة جنده في حربه مع الخوارج ، وكان يتولى قيادة الرجال ، كما ولي على مكة لفترة في عهد الإمام علي عليه السلام (المحقق)

(٣) أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي ، المعروف بأبي حمزة الثمالي ، محدث ومفسر ومن الرواة الشيعة في القرن الثاني للهجرة ، وأحد أصحاب الإمام السجاد والإمام الباقر والصادق والإمام الكاظم عليه السلام .
اشتهر بروايته لدعاء الإمام السجاد عليه السلام ، والذي يُعرف بدعاء أبي حمزة الثمالي ، وهو دعاء طويل يحتوي على مفاهيم عالية من الأخلاق والعرفان ، ويُقرأ في ساعات السحر في شهر رمضان المبارك . (المحقق) .

فقلت : ما حاجتك ؟

فقال لي : أتعرف أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ؟

فقلت : نعم فما حاجتك إليه ؟

قال : هيات له أربعين مسألة أسأله عنها فما كان من حق أخذته وما كان من باطل تركته .

قال أبو حمزة : فقلت له : هل تعرف ما بين الحق والباطل ؟

قال : نعم .

فقلت له : فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل ؟ فقال لي : يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون إذا رأيت أبا جعفر عليه السلام فأخبرني .

فما انقطع كلامي معه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريبا منه .

قال أبو حمزة : فجلست حيث أسمع الكلام وحوله عالم من الناس فلما قضى حوائجهم وانصرفوا التفت إلى الرجل فقال له : من أنت ؟

قال : أنا قتادة بن دعامة البصري .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : أنت فقيه أهل البصرة ؟

قال : نعم .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة إن الله جل وعز خلق خلقا من خلقه فجعلهم حججا على خلقه فهم أوتاد في أرضه ، قوام بأمره ، نجباء في علمه ، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه .

قال : فسكت قتادة طويلا ثم قال : أصلحك الله ، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب

قدامك .

قال له أبو جعفر عليه السلام : ويحك أتدري أين أنت ؟

أنت بين يدي (بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) فأنت ثم ونحن أولئك .

فقال له قتادة : صدقت والله جعلني الله فداك ، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين .^(١)

ظاهرة انحراف الامة

قال أبو بصير للإمام الباقر عليه السلام وكان موسم الحج : ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج !

فقال عليه السلام : بل ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج ، أحب أن تعلم صدق ما أقوله ، وتراه عيانا ؟

فمسح يده على عينيه ودعا بدعوات فعاد بصيرا فقال : انظريا أبا بصير إلى الحجيج .

قال : فنظرت فإذا أكثر الناس قردة وخنازير ، والمؤمن بينهم مثل الكوكب اللامع في الظلماء .

فقال أبو بصير: صدقت يا مولاي ما أقل الحجيج وأكثر الضجيج ؟^(٢)

هذه اشارة الى ظاهرة انحراف الامة في زمن الائمة عليهم السلام من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان التضيق والملاحقة العجيبه من قبل السلطة الحاكمة على

(١) الكافي : ج ٦ ، كتاب الأطعمة ، باب ما ينتفع به من الميتة ، جزء من ح ١ ، ص ٢٥٦ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٦ - الصفحة ٢٦١

شيعة اهل البيت عليه السلام ، الامر الذي جعل جابر بن يزيد الجعفي يقول للامام الباقر عليه السلام ؛ (حملتني وقرأ لأطيقه) .

فكان دور الشيعة هو المحافظة على التشيع وعلى تراث ال البيت عليه السلام ، حتى ينقل هذا التراث جيلا بعد جيل الى ان يصل الينا .

إرهاصات سقوط الحكم الاموي :

الامام الباقر عليه السلام في المسجد النبوي مرَّ عليه المنصور الدوانيقي ولم يسلم على الامام عليه السلام تكبرا وترفعاً .

الامام الباقر عليه السلام سأل : من هذا ؟

اجابوه : انه المنصور الدوانيقي

قال الامام عليه السلام : لاتمض ايام الا ويحكم هذا الرجل شرق الارض وغربها فوصل الخبر الى المنصور الدوانيقي وقالوا له : هكذا يقول ابن رسول الله عنك .

فجاء المنصور وقال : يا بن رسول الله تعذرني قبل قليل لم اسلم عليك احتراماً لك واجلالاً لك .

ما الذي قلته ؟

فاعاد له الامام عليه السلام الخبر فقام المنصور الدوانيقي وهو فرحان .^(١)

هكذا كان الامام الباقر عليه السلام يدرك إرهاصات الولادة السياسية والدينية الجديدة وظروف التحول التاريخي .

الإمام الصادق عليه السلام وتأسيسه أول حوزة علمية

تابع الإمام الصادق عليه السلام نهج والده في المدرسة الفقهية والعلمية التي تستقي أحكامها من منابعها الأصلية ، فكانت أول حوزة أسسها الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة فازداد عدد طلابها ، حتى قال الحسن بن علي الوشاء : أدركت في هذا المسجد - أي مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد ، وقد جمع أهل الحديث أسماء الرواة عنه من الثقافة على اختلافهم في الآراء والمقالات ، فكانوا أربعة آلاف رجلاً^(١) .

وما زاد من أهمية هذه المدرسة أنها شملت أتباعاً من غير الشيعة أيضاً ، ما أفسح المجال لنشر التعاليم الإسلامية الصحيحة ، والتقليل من حجم الانحراف ، الذي وقع في الأمة بسبب ما جرى على أهل البيت عليه السلام .

كما اتسعت هذه المدرسة لتشمل مختلف الاختصاصات من فلسفة ، وعلم الكلام ، والطب ، والرياضيات ، والكيمياء ، بالإضافة إلى وضع القواعد ، والأصول الاجتهادية ، والفقهية ، للتشريع الإسلامي ، لكي تضمن بقاء واستمراره .

وفي هذا الدور انتشر الفقه الشيعي الذي كان فقهاء الشيعة ورواة أهل البيت عليه السلام يحافظون عليه ويدفنونونه تحت التراب حتى تلفت قسم من تلك الكتب .

ومحمد ابن أبي عمير كان عنده ثلاثون ألف رواية ، سجن في زمن الإمام الصادق عليه السلام فقامت اخته بدفن كتبه تحت التراب فاكلها الطين والبلل^(٢) .

ولكن رغم كل ذلك حافظ شيعة أهل البيت عليه السلام على الفقه الشيعي والاسلام الصحيح واوصلوه إلينا اليوم .

(١) - المفيد ، الإرشاد ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٢) معجم رجال الحديث الجزء الخامس عشر ، القسم : الرجال ، القراء : ٩٣٣٦

هكذا كان ابطال الشيعة في التاريخ وكان هذا الدور هو امتحان لهم على مرالدهور للاستعداد والنهوض الحقيقي بالامة .

التثقيف على الزيارة :

وكان من الخطوات التي اعتمدها اهل البيت عليه السلام وحافظ عليها شيعتهم واسترخصوا من أجلها الدماء ، هي الارتباط بالامام الحسين عليه السلام وزيارته .

روى محمد بن خالد الطيالسي^(١) عن سيف بن عميرة^(٢) قال :

خرجت مع صفوان بن مهران^(٣) وجماعة من أصحابنا الى الغري بعدما خرج

(١) معجم رجال الحديث - الجزء السابع عشر

(٢) قال النجاشي : (سيف بن عميرة النخعي ، عربي ، كوفي ، ثقة ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام ، له كتاب يرويه جماعات من أصحابنا ، أخبرني الحسين بن عبيد الله ، عن أبي غالب الزراري ، عن جده وخال أبيه محمد ابن جعفر ، عن محمد بن خالد الطيالسي ، عن سيف بكتابه (رجال الشيخ الطوسي)

(٣) صفوان الجمال ، من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته ، وبطانته ، وثقاته الفقهاء الصالحين . قال : دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام ، فقال لي : يا صفوان كل شئ منك حسن جميل ، ما خلا شيئاً واحداً .

قلت : جعلت فداك أي شئ ؟

قال : إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون .

قلت : والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ، ولكني أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاه ولكن أبعث معه غلماني .

فقال لي : يا صفوان أيقع كراك عليهم .

قلت : نعم ، جعلت فداك .

فقال لي : أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك .

قلت : نعم .

قال : فمن أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم كان ورد النار .

فقال صفوان : فذهبت وبعث جمالي عن آخرها ، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني ، وقال : يا صفوان بلغني أنك بعث جمالك ؟

قلت : نعم .

فقال : لم ؟

الصادق عليه السلام فسرنا من الحيرة الى المدينة فلما فرغنا من الزيارة أي زيارة امير المؤمنين عليه السلام صرف صفوان وجهه الى ناحية أبي عبد الله عليه السلام فقال لنا: تزوروا الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس امير المؤمنين عليه السلام.

قال سيف بن عميرة: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن الباقر عليه السلام في يوم عاشوراء.

قال سيف بن عميرة: فسألت صفواناً فقلت له: انّ علقمة بن محمد لم يأتنا بهذا عن الباقر عليه السلام انما أتانا بدعاء الزيارة.

فقال صفوان: وردت مع سيدي الصادق صلوات الله وسلامه عليه الى هذا المكان ففعل مثل الذي فعلناه في زيارتنا ودعا بهذا الدعاء عند الوداع بعد أن صلى كما صلينا وودّع كما ودّعنا ثم قال صفوان: قال الصادق عليه السلام:

(تعاهد هذه الزيارة وادع بهذا الدعاء وزر به فإني ضامن على الله لكل من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بعد انّ زيارته مقبولة وسعيه مشكور وسلامه واصل غير محجوب وحاجته مقضية من الله تعالى بالغة ما بلغت ولا يخيبه ، يا صفوان وجدت هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي وأبي عن أبيه علي بن الحسين مضموناً بهذا الضمان عن الحسين عليه السلام والحسين عليه السلام عن أخيه الحسن عليه السلام مضموناً بهذا الضمان والحسن عليه السلام عن أبيه امير المؤمنين عليه السلام مضموناً بهذا الضمان وامير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ مضموناً بهذا الضمان ورسول الله ﷺ عن جبرئيل عليه السلام مضموناً بهذا الضمان وجبرئيل عن الله تعالى مضموناً بهذا الضمان وقد آلى الله على نفسه عز وجل انّ من زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة

قلت: أنا شيخ كبير ، وأن الغلمان لا يفون بالأعمال .

فقال: هيهات ، إني لأعلم من أشار عليك بهذا ، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر .

قلت: مالي ولموسى بن جعفر .

فقال: دع هذا عنك ، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك (معجم رجال الحديث - الجزء العاشر / الامام الخوئي)

من قرب أو بعد ودعا بهذا الدعاء قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغة ما بلغت واعطيته سؤله ثم لا ينقلب عني خائباً وأقلبه مسروراً قريراً عينه بقضاء حاجته والفوز بالجنة والعق من النار وشفعته في كل من شفع خلا ناصب لنا أهل البيت إلى الله تعالى بذلك على نفسه وأشهدنا بما شهدت به ملائكة ملكوته .

ثم قال جبرئيل : يا رسول الله أرسلني الله إليك سروراً وبشراً لك ولعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولدك وشيعتكم الى يوم البعث لا زلت مسروراً ولا زال علي وفاطمة والحسن والحسين وشيعتكم مسرورين الى يوم البعث .^(١)

ان زيارة الامام الحسين عليه السلام فيها ضمان من الامام الباقر عليه السلام وضمنان من الامام زين العابدين عليه السلام ، وضمنان من الامام الحسين عليه السلام ، وضمنان من الامام الحسن عليه السلام ، وضمنان من الامام علي عليه السلام ، وضمنان من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وضمنان من جبرئيل عليه السلام ، وضمنان من الله تبارك وتعالى بقبولها وقضاء حاجة الزائر والفوز بالجنة والعق من النار .

الشيعة في زمن الامام الباقر عليه السلام : محمد بن مسلم^(٢)

محمد بن مسلم هو واحد اصحاب الامام الباقر عليه السلام وهو فقيه من الفقهاء ، يروي ثلاثين الف رواية عن اهل البيت عليه السلام وهو من ثقافة الكوفة التقى يوماً بالامام

(١) رواها الشيخ أبو جعفر الطوسي في المصباح

(٢) محمد بن مسلم فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم عليه السلام . وهو من أصحاب الإجماع . وردت الكثير من الروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة عليه السلام . التي ذكرت فضله ومنزلته في الدنيا والآخرة ، أجمع العلماء على وثاقته وجلالة قدره وفقاهته ، اتسم بمجموعة من الخصال والصفات الحميدة مما جعله وجهاً من وجهاء الشيعة ، فقد كان من فقهاء الشيعة الذين كان الأئمة عليهم السلام . يرجعون الشيعة إليهم لأخذ معالم دينهم عنهم .

الفصل السادس: دور الشيعة في عهد الإمامين الباقر والصادق

الباقر عليه السلام في موسم الحج ودخل عليه وسلم وهو باك وقبّل يده وراسه .

فقال له الامام عليه السلام : وما يبكيك يا محمد ؟

فقلت : جعلت فداك أبكي على اغترابي وبعد الشقة وقلة القدرة على المقام عندك أنظر إليك .

فقال لي : أما قلة القدرة فكذلك جعل الله أوليائنا وأهل مودتنا وجعل البلاء إليهم سريعا .

وأما ما ذكرت من الغربة فان المؤمن في هذه الدنيا غريب وفي هذا الخلق المنكوس حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله .

وأما ما ذكرت من بعد الشقة فلك بأبي عبد الله عليه السلام أسوة بأرض نائية عنا بالفرات .

وأما ما ذكرت من حبك قربنا والنظر إلينا ، وأنك لا تقدر على ذلك ، فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه .^(١)

محمد بن أبي عمير^(٢)

محمد بن أبي عمير من الفقهاء وأصحاب الإجماع الذي اجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنه حيث كل ما يرويه هو مقبول .

سجنه الرشيد وضربه مئة خشبة وظل محبوسا حيث اراد منه ان يصبح قاضيا عنده .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٨ - الصفحة ١٢١

(٢) ابن أبي عمير ، فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد عليهم السلام . واسمه محمد بن زياد الأزدي ، وهو من أصحاب الإجماع . أجمع العلماء على وثاقته وجلالة قدره وفقاهته ، ، اتسم بمجموعة من الخصال والصفات الحميدة مما جعله وجهاً من وجهاء الشيعة .

تعرض للسجن والتعذيب ومصادرة أمواله من قبل العباسيين بسبب تشيعه ، وذكرت بعض المصادر أن مدة حبسه كانت سبعة عشر عاماً ، له الكثير من الكتب في الفقه والكلام والحديث (المحقق)

لكن محمد بن ابي عمير صمد امام ذلك التعذيب القاسي من اجل عدم اعطاء الشرعية للطغاة اسوة بائمته عليه السلام

واضطر اخيرا الى ان يدفع مائة واحد وعشرين الف درهم فدية لاطلاق سراحه من اجل ان يتخلص من القسوة خوفا من التراخي امام ذلك التعذيب الوحشي .

هذا الرجل كان ثريا جدا قال له الامام الباقر عليه السلام يوما : تواضع

فاخذ تمرا واخذ يبيعه في السوق وهو الفقيه الثري الذي لا يحتاج هذا العمل ولكنه امتثالا لامر الامام الباقر عليه السلام تواضع الى هذا الحد .

فجاء اليه ابناء عشيرته فقالوا له : انت عين العشيرة ولا يمكن ان تجلس في السوق هكذا .

فقال لهم : امرني الامام وانا لا يمكن ان اعصيه .

هكذا كان دور الشيعة في التاريخ هو الحفاظ على تراث اهل البيت عليهم السلام وعدم اعطاء الشرعية للحكومات الظالمة الجائرة .

زرارة بن اعين^(١)

في زمن الامام الباقر عليه السلام كان هناك اتجاهان في داخل الوسط الشيعي هما الاتجاه المحافظ والاتجاه الثوري ، وزرارة بن اعين هو من اصحاب الامام الباقر عليه السلام كان يوما جالس في محضر الامام الباقر عليه السلام وبحضور زيد بن علي عليه السلام .

(١) زرارة بن أعين ، من أصحاب الإجماع ومن أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري ، وثقه كل من ترجم له ، وكان فقيهاً ، متكلماً . يعتبر من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري ، وقد وقع في إسناد كثير من الروايات تبلغ زهاء (٢٢١١) مورداً ، فقد روى أحاديث عن الإمامين الباقر و الصادق . (المحقق)

قال له زيد بن علي عليه السلام: ما تقول يا فتى في رجل من آل محمد استنصرك ؟
فقلت : إن كان مفروض الطاعة نصرته ، وإن كان غير مفروض الطاعة
فلي أن أفعل ، ولي أن لا أفعل .
فلما خرج قال له الامام الباقر عليه السلام : أخذته والله من بين يديه ومن خلفه . وما
تركت له مخرجا .^(١)

هذا هو الوعي السياسي عند كبار أصحاب الأئمة عليهم السلام الى جانب الروح
الثورية لدى الطبقة الشعبية التي شاركت في نهضة زيد بن علي عليه السلام .

التقية والحفاظ على الفكر الشيعي الاصيل

ان الشيعة كانت مسؤوليتهم هي الحفاظ على المذهب ، والحفاظ على
الجماعة الصالحة ان لا تستاصل وتنتهي .
كان هدف شيعة اهل البيت عليهم السلام هو تاصيل وتأسيس فكر المذهب
والمحافظة على وجود اتباع المذهب اجتماعيا .
لقد كان خط الأئمة من اهل البيت عليهم السلام هو خط التقية والذي يقول فيه
القران : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾^(٢)

مبدأ التقية

ان القران الكريم هو الذي اسس لمبدأ التقية في قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ
الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ
إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾^(٣)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٦ - الصفحة ١٩٣

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٨

(٣) نفس المصدر السابق

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١)

الامام علي عليه السلام كان يقول: (إنكم ستدعون إلي سبّي والبراءة منّي فإن دعيتم إلي سبّي فسيبوني وإن دعيتم إلى البراءة منّي فإنّي على دين محمد ﷺ)^(٢)

وعندما أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ.

قال: ما وراءك؟

قال: شرياً رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير.

قال: كيف تجد قلبك.

قال: مطمئناً بالإيمان.

قال: إن عادوا فعد^(٣)

في حديث أن الامام الرضا عليه السلام جفا جماعة من الشيعة وحجبتهم، فقالوا: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا الجفاء العظيم، والاستخفاف بعد الحجاب الصعب؟

قال عليه السلام: لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وأنتم في أكثر أعمالكم مخالفون ومقصرون في كثير من الفرائض، وتتهاونون بعضكم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لاتجب التقية، وتتركون

(١) سورة النحل الآية ١٠٦

(٢) - تفسير العياشي: ٢ / ٢٩٣ ح ٧٣ والبرهان: ٤ / ٤٧٨ ح ٦

(٣) الحاكم في المستدرک في باب التفسير - تفسير سورة النحل.

التقية حيث لابد من التقية ^(١).

هكذا كان الامام الباقر عليه السلام يرسخ هذا المبدأ مبدأ التقية بين اصحابه فيقول في رواية يرويها الكليني في كتابه الكافي: (خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية إذا كانت الامرة صبيانية) ^(٢).

وهكذا كان الواعون من الشيعة ايضا خطهم في هذه المرحلة خط التقية وتركز عندهم مبدأ التقية لان الاخر لم يعيش ظروف القمع والارهاب كما عاش الشيعة .

مذاهب شتى

عن حمزة بن الطيار، عن أبيه محمد قال : جئت إلى باب أبي جعفر الباقر عليه السلام أستأذنت عليه ، فلم يأذن لي وأذن لغيري فرجعت إلى منزلي

وأنا مغموم ، فطرحت نفسي على سرير في الدار وذهب عني النوم ، فجعلت أفكر وأقول : أليس المرجئة تقول كذا ؟ والقدرية تقول كذا ؟ والحرورية تقول كذا ؟ والزيدية تقول كذا ؟

فنفند عليهم قولهم ، فأنا أفكر في هذا حتى نادى لمنادي ، فإذا الباب يدق فقلت : من هذا ؟

فقال : رسول لأبي جعفر عليه السلام يقول لك أبو جعفر عليه السلام أجب

فأخذت ثيابي علي ومضيت معه فدخلت عليه فلما رأيته

قال عليه السلام : يا محمد ^(٣) لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الحرورية ولا إلى

(١) - وسائل الشيعة ج ١١ باب ٢٥ من أبواب الأمر والنهي الحديث ٩ .

(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٢٢١

(٣) محمد والده حمزة الطيار من أصحاب الامام الصادق عليه السلام ، عن حمزة بن الطيار ، قال : سألتني أبو عبد الله عليه السلام ،

ولكن إينا إنما حجتك لكذا وكذا فقبلت وحمدت الله تعالى^(١)
الملاحظة التاريخية هي ان هذه الفترة شهدت تعدداً في المذاهب ، وكان
الشيعة بحاجة الى مزيد من الفحص والبحث والصبر على المذهب الحق

سياسة التعايش السلمي

وهي احدى استراتيجيات شيعة اهل البيت عليهم السلام في زمن الامام الباقر عليه السلام
والامام الصادق عليه السلام ، بل هي منهجهم على طول التاريخ ، بخلاف الخوارج الذين
رفضوا منهج التعايش السلمي حتى قال فيهم ابن أبي الحديد : (وهكذا وقع ، و
صح إخباره عليه السلام أيضاً : سيكون آخرهم لصوصاً سلايين ، فإن دعوة الخوارج
اضحلت ، ورجالهم فنيت ، حتى افضى الأمر إلى أن صار خلفهم قطاع طريق ،
متظاهرين بالفسوق ، والفساد بالأرض)^(٢)

قصة حريز بن عبد الله الأزدي^(٣)

ويمكن أن نقرأ هنا قصة حريز بن عبد الله الأزدي :

في زمن الامام الصادق عليه السلام كان هنالك شخص اسمه حريز بن عبد الله

عن قراءة القرآن ؟ فقلت : ما أنا بذلك . قال : لكن أبوك ، قال : وسألني عن الفرائض ؟ فقلت : وما أنا بذلك .
فقال : لكن أبوك . قال : ثم قال : إن رجلاً من قريش كان لي صديقاً وكان عالماً قارئاً فاجتمع هو وأبوك عند أبي
جعفر عليه السلام وقال : ليقبل كل واحد منكما على صاحبه ويسأل كل واحد منكما صاحبه ففعلاً ، فقال القرشي لأبي
جعفر عليه السلام : قد علمت ما أردت ، أردت أن تعلمني أن في أصحابك مثل هذا ، قال : هو ذاك فكيف رأيت ذلك ؟

(١) رجال الكشي ص ٢٢٣ .

(٢) شرح النهج ، للمعتزلي : ٥ / ٧٣ .

(٣) حريز بن عبد الله السجستاني هو أبو محمد حريز بن عبد الله السجستاني الأزدي الكوفي ، وهو من ثقات الشيعة
الإمامية و من فقهاء الرواة ، وقد روى عن الصادق الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مشافهة و بالواسطة
أخباراً كثيرة . (أنظر ، كتاب الفهرست : ١ / ٥٤ ، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي)



الفصل السادس: دور الشيعة في عهد الإمامين الباقر والصادق

الازدي مولى بني اسد من اهل الكوفة انتقل الى سجستان من ولايات ايران وكان اكثر سكانها يومئذ من الخوارج والمتعصبين ضد اهل البيت عليه السلام.

حريز هذا هو الفقيه الكوفي المتعصب جداً لاهل البيت عليه السلام اصبح سكنه هنالك كان معه ثلاثة او اربعة من الشيعة يواجهون يومياً السب من قبل الخوارج فقرروا مواجهتهم بالعنف ، فشكل حريز مجموعة خاصة بالاغتيالات ، حيث قاموا باغتيال الرموز المعادية لاهل البيت عليه السلام.

وكان اهالي سجستان يتهمون المرجئة ويقتصون منهم ، واستمر هذا الحال اياماً وشهوراً والاغتيالات مستمرة الى ان عثروا على الفاعل الحقيقي وعرفوا ان وراء تلك الاغتيالات هم الشيعة وان حريز واصحابه وراء تلك العمليات .

فاخذوا بمطاردة حريز وباقي الشيعة فلما اجتمعوا في مسجد هدموا عليهم المسجد وهم احياء

ما هو موقف الامام الصادق عليه السلام من حريز؟

المؤرخون يقولون ومنهم الشيخ المفيد والسيد الخوئي في معجم رجال الحديث ان الامام الصادق عليه السلام قد جفا حريزا ولم يستقبله بعد لانه قام بسياسة لم يرض بها الامام الصادق عليه السلام.^(١)

(١) (معجم رجال الحديث - السيد الخوئي - ج ٥ - الصفحة ٢٣٢) : حريز بن عبد الله السجستاني ، ثقة ، كوفي ، سكن سجستان ، له كتب ، منها كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصوم ، كتاب النوادر ، تعد كلها في الأصول ، أخبرنا بجميع كتبه ورواياته الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد عليه السلام ، عن جعفر بن محمد بن قولويه ، عن أبي القاسم جعفر بن محمد العلوي الموسوي عن ابن نهيك ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد ، عن حريز ، وأخبرنا عدة من أصحابنا ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، وعبد الله بن جعفر ، ومحمد بن يحيى ، وأحمد بن إدريس ، وعلي بن موسى بن جعفر ، كلهم عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، وعلي بن حديد ، وعبد الرحمن بن أبي نجران ، عن حماد بن عيسى الجهني ، عن حريز ، وأخبرنا الحسين بن عبيد الله ، عن أبي محمد الحسن بن حمزة العلوي ، عن علي بن إبراهيم عن أبيه ، عن حماد ، عن

وهنا نستذكر مارواه المؤرخون ان جماعة على عهد الامام علي عليه السلام قاموا بسبب الامام علي عليه السلام فنهض اليهم مجموعة من الشباب وارادوا قتلهم ، فقال لهم الامام عليه السلام : (إنما هو سب بسب ، أو عفو عن ذنب)^(١)

براعة الشيعة في الحوار

كان بالكوفة طاق يسمى طاق الحامل ، وكان هناك رجل فقيه رائع من فقهاء الشيعة في زمان الامام الصادق عليه السلام ، كان الاعداء يلقبونه شيطان الطاق ، بينما الشيعة يلقبونه بمؤمن الطاق .^(٢)

حريز . وعده في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام : قائلا : مولى أزد . روى عن أخيره ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، وروى عنه عبد الله بن يحيى (بحر) . كامل الزيارات : الباب ٦ ، في فضل إتيان المشاهد بالمدينة ، وثواب ذلك ، الحديث . وتقدم أن البرقي تعرض للرجل بعنوان جرير . وقد عد الصدوق في أول الفقيه كتاب حريز من الكتب المعتمدة المعول عليها . أقول : إن النجاشي لم يذكر كتاب الزكاة لحريز ، وقد ذكره الشيخ وكذلك الصدوق ، على ما ستعرف ، ولعل الوجه في ذلك ، أن النجاشي عد هذا الكتاب من كتب حماد ، فقال في ترجمته : له كتاب الزكاة ، أكثره عن حريز .

ثم إن الرواية التي أشار إليها النجاشي ، من أن أبا عبد الله عليه السلام جفا حريزا وحجبه عنه ، تقدمت في ترجمة حذيفة بن منصور ، وهذه الرواية وإن كانت صحيحة لأن الظاهر وثاقة محمد بن عيسى إلا أنها لا تنافي وثاقة حريز كما هو ظاهر بل لا تنافي عدالته أيضا ، فإن تجريده السيف من دون إذن الإمام عليه السلام ، وإن كان ذنبا كما يظهر من الصحيحة إلا أنه قابل للزوال بالثوبة ، ولا شك في أن حريزا ندم على فعله حينما ظهر له عدم رضى الامام به ، فإن المحجب كان وقتيا من جهة تأديب حريز ، لئلا يصدر منه مثل ذلك فيما بعد ، فإن المحجب لو كان دائما لشاع وذاع ، مع أنه لم يذكر إلا في هذه الرواية .

ويؤيد ذلك أن الإمام عليه السلام قد أذن لحريز بعد حجبه في الدخول عليه إكثار حريز من الرواية عن الصادق عليه السلام ، واحتمال أن تكون جميع هذه الروايات قد صدرت قبل المحجب بعيد جدا ، كما لا يخفى .

وأما عن يونس ، من أن حريزا لم يرو عن أبي عبد الله عليه السلام إلا حديثا أو حديثين ، فقد رواه محمد بن مسعود ، عن محمد بن نصير ، عن محمد بن عيسى (قيس) ، عن يونس ، ذكره الكشي في ترجمة ابن مسكان ، وحريز بن عبد الله السجستاني وتأتي الرواية في ترجمة عبد الله بن مسكان ، ولكن هذه الرواية لا يمكن تصديقها ، بعدما ثبت بطرق صحيحة ، روايات كثيرة تبلغ موردا كما يأتي عن حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

(١) الشيعة في التاريخ ص ٤٢ ونهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٢) مؤمن الطاق ، هو محمد بن علي بن الثعمان بن أبي طريفة الكوفي البجلي . كنيته أبو جعفر ، وكان يُلقب بالأحول

الفصل السادس: دور الشيعة في عهد الإمامين الباقر والصادق

كان هذا الفقيه في زمان أبو حنيفة وهو امام اهل السنة والمقرب لدى السلطة يومئذ بينما كان الشيعة أقلية ومطاردة .

جرت مباحثة بين أبو حنيفة ومؤمن الطاق حيث قال لمؤمن الطاق إنكم تقولون بالرجعة .^(١)

قال : نعم .

قال أبو حنيفة : فاعطني الآن ألف درهم حتى أعطيك ألف دينار إذا رجعنا .

قال الطاق لأبي حنيفة : فاعطني كفيلا بأنك ترجع إنسانا ولا ترجع خنزيرا .

وقال له يوم آخر: لم لم يطالب علي بن أبي طالب بحقه بعد وفاة رسول الله إن كان له حق ؟

فأجابه مؤمن الطاق : خاف أن يقتله الجن كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة بن شعبه . وفي رواية بسهم خالد بن الوليد .

وكان أبو حنيفة يوما آخر يتماشى مع مؤمن الطاق في سكة من سكك الكوفة ، إذا مناد ينادي من يدلني على صبي ضال ؟

فقال مؤمن الطاق : أما الصبي الضال فلم نره ، وإن أردت شيئا ضالا فخذ هذا ! عني به : أبا حنيفة .

ولما مات الصادق عليه السلام رأى أبو حنيفة مؤمن الطاق فقال له :

مات إمامك ؟

و بمؤمن الطاق ، و صاحب الطاق . و كانت الصيرفة مهنته التي يرتزق منها ، و كان له دكان في طاق المحامل بالكوفة ، و لذلك لقب بمؤمن الطاق أما المخالفون فكانوا يلقبونه بشيطان الطاق نكاية به و حقداً عليه . (المحقق)

(١) كتاب مناظرات في الامامة - ج ٤ - تأليف الشيخ عبدالله الحسن

قال : نعم . أما إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم . . (١)

الخلاص لاهل البيت

لقد أبدى الشيعة أروع صور الاخلاص لاهل البيت وعلى كل المستويات بدءاً من الفقهاء والشعراء والقادة الكبار الى أبسط مستويات الطبقة الشعبية الفقيرة . .

يروى المؤرخون انه جاءت قافلة من خراسان والتقوا بالامام الصادق وكان معهم تاجر كبير، فشاهد غلاماً خادماً للامام الصادق

فجاء ذلك التاجر الخراساني الى الغلام وسأله ماذا تعمل ؟

قال : انا خادم عند الامام الصادق

قال له التاجر: انا تاجر في خراسان ماذا تقول اعطيك كل املاكي مقابل ان تعطيني عملك وانا اقوم مقامك في خدمة الامام وتذهب انت لتأخذ كل املاكي في خراسان

فرح الغلام وقال : هذا رزق ساقه الله ، امهلني حتى أودع الامام الصادق واستاذن منه . ودخل على الامام الصادق قائلاً :

يا بن رسول اذا جاءني رزق من الله هل تمنعني ؟ ثم شرح له قصة التاجر الخراساني واقتراحه

(١) أراد بذلك أن إمام أبي حنيفة هو إبليس ، مشيراً بذلك إلى الآيات التالية : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِسَجْدٍ لِّبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ سورة

فقال له الامام عليه السلام: اما اذا زهدت بنا فاهلاً وسهلاً .

خرج الغلام ولكن قبل ان يصل الى الباب قال له الامام عليه السلام:

يا هذا انت خدمتني ولك حق عليّ ولك عندي نصيحة وهي : اعلم يا هذا اذا كان يوم القيامة كان رسول الله ﷺ متعلقاً بنور الله ، وكان امير المؤمنين عليه السلام متعلقاً برسول الله ﷺ ، وكان الائمة عليهم السلام متعلقين بامير المؤمنين عليه السلام وكان شيعتنا متعلقين بنا يدخلون مدخلنا ويردون موردنا . والان اذا شئت فاذهب فقال الغلام للامام عليه السلام : بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا .

وخرج الغلام الى ذلك الرجل الخراساني وقال له تجارئك لك . (١)(٢)

انحراف الامة عن أهل البيت عليهم السلام :

يقول الامام الباقر عليه السلام : (بلية الناس علينا عظيمة ان دعوناهم لم يستجيبوا لنا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا) (٣)

وقال معروف بن خربوذ سمعته عليه السلام يقول : ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان . وكان عليه السلام يقول بلية الناس علينا عظيمة ان دعوناهم لم يستجيبوا لنا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا .

(١) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة للشيخ عباس القمي : ٢٨٣ .

(٢) عن رسول الله (ﷺ وسلم) قال : " أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه (عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٥ باب ٣١) . وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن وجميع ولده وأهل بيته ، وفيها : (الله الله في ذرية نبيكم ، فلا يظلمن بمحضرتكم وبين ظهرانيتكم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم) (الكافي : ج ٧ ص ٥٢ باب صدقات النبي . . . ح ٠٧)

(٣) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٣ - الصفحة ٣٣٦

بينما كان الأئمة عليهم السلام حريصين على بيان الحقيقة للناس ودعوتهم للإمامة الحقّة .

قال الإمام الباقر عليه السلام : نحن أهل بيت الرحمة وشجرة النبوة ومعدن الحكمة وموضع الملائكة ومهبط الوحي .

قال خيثمة : سمعت الباقر عليه السلام يقول : نحن جنب الله ونحن حبل الله ونحن من رحمة الله على خلقه ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم الله نحن أئمة الهدى ومصاييح الدجى ونحن الهدى ونحن العلم المرفوع لأهل الدنيا ونحن السابقون ونحن الآخرون من تمسك بنا لحق ومن تخلف عنا غرق نحن قادة الغر المحجلين ونحن حرم الله ونحن الطريق والصراط المستقيم إلى الله عز وجل ونحن من نعم الله على خلقه ونحن خلقه المنهاج ، ونحن معدن النبوة ، ونحن موضع الرسالة ، ونحن أصول الدين والينا تختلف الملائكة ، ونحن السراج لمن استضاء بنا ، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا ، ونحن الهداة إلى الجنة ، ونحن عرى الاسلام ، ونحن الجسور ، ونحن القناطر من مضى علينا سبق ومن تخلف عنا محق ، ونحن السنام الأعظم ، ونحن من الذين بنا يصرف الله عنكم العذاب من أبصر بنا وعرفنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا .^(١)

أبو حنيفة والإمام الصادق عليه السلام

أتى أبو حنيفة إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، فخرج إليه يتوكأ على عصا ، .

فقال له أبو حنيفة : ما هذه العصا يا أبا عبد الله ؟ ما بلغ بك من السنّ ما كنت تحتاج إليها .

قال : « أجل ، ولكنّها عصا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأردت أن أتبرّك بها » .

قال : أما إنِّي لو علمت ذلك وأنَّها عصا رسول الله لقمْتُ وقبَلْتُها .

فقال أبو عبد الله : « سبحان الله ، وحسر عن ذراعه وقال : والله يا نعمان ، لقد علمت أنَّ هذا من شعر رسول الله ومن بشره فما قبَلته ! » ، فتناول أبو حنيفة ليقبَل يده ، فاستلَّ كُمه وجذب يده ودخل منزله .^(١)

صناعة الإرادة وبراعة الحوار:

في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان طاغية زمانه وقف امامه رجل من شيعة أهل البيت عليه السلام قال له :

أناظرك وأنا آمن .

قال : نعم .

فقال : أخبرني عن هذا الأمر الذي صار إليك أبنص من الله ورسوله ؟

قال : لا .

قال : اجتمعت الأمة فترضوا بك ؟

قال : لا .

فقال : فكانت لك بيعة في أعناقهم فرضوا بها ؟

قال : لا .

قال : فاخترك أهل الشورى ؟

قال : لا .

قال : أفليس قد قهرتهم على أمرهم ، واستأثرت بضيئهم ، دونهم ؟

قال : بلى .

قال : فبأي شيء سُميت أمير المؤمنين ؟ ولم يؤمرك الله ورسوله ولا المسلمون .

(١) العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

قال له أخرج عن بلادي وإلا قتلتك .

قال : ليس هذا جواب أهل العدل والإنصاف ، ثم خرج عنه ^(١)

وعن أبي حمزة الثمالي قال حدثني من حضر عبد الملك بن مروان وهو يخطب الناس بمكة ، فلما صار إلى موضع العظة من خطبته ، قام إليه رجل فقال له : مهلاً مهلاً ، إنكم تأمرون ولا تأتمرون ، وتنهون ولا تنتهون ، وتعظون ولا تتعظون ، أفاقتداء بسيرتكم أم طاعة لأمركم ؟

فإن قلتم اقتداءً بسيرتنا فكيف يقتدى بسيرة الظالمين ، وما الحجة في اتباع المجرمين الذين اتخذوا مال الله دولاً ، وجعلوا عباد الله خولاً ، وإن قلتم أطيعوا أمرنا ، واقبلوا نصحن ، فكيف ينصح غيره من لم ينصح نفسه ؟ أم كيف تجب طاعة من لم تثبت له عدالة ؟

وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها ، واقبلوا العظة ممن سمعتموها ، فلعل فينا من هو أفصح بصنوف العظات وأعرف بوجوه اللغات منكم ، فتزحزحوا عنها وأطلقوا أفعالها وخلّوا سبيلها ، ينتدب لها الذين شردتهم في البلاد ، ونقلتموهم عن مستقرهم إلى كل واد ، فوالله ما قلدناكم أزمة أمورنا ، وحكمناكم في أموالنا وأبداننا وأدياننا ، لتسيروا فينا بسيرة الجبارين ، غير أننا بصراء بأنفسنا لاستيفاء المدة وبلوغ الغاية وتمام المحنة ، ولكل قائم منكم يوم لا يعدوه ، وكتاب لا بدّ أن يتلوه ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

قال : فقام إليه بعض أصحابه المسالحي ، فقبض عليه ، وكان آخر عهدنا به ، ولا ندري ما كانت حاله ^(٢)

(١) اعلام الدين للدليمي ، الامام الباقر عليه السلام قدوة وأسوة - الفصل الثاني : الامام وعصره محمد تقي المدرسي

(٢) ينقلها الشيخ الطوسي في أماليه عن الشيخ المفيد

الفكرة هنا هي ان أهل البيت عليهم السلام كانوا يريدون صناعة الارادة القادرة على مواجهة الظالم وبناء الامة الصالحة .

تنامي الوعي الثوري :

رغم ان أهل البيت عليهم السلام لم يعلنوا حرباً على الحكم الاموي وبعده العباسي الا انهم لم يقفوا بالصد من تنامي الوعي الثوري لدى الشيعة ، فكانت ثورة زيد بن علي وبعده ثورة محمد وابراهيم ذو النفس الزكية .

ثورة زيد بن علي عليه السلام

ثورة زيد بن علي هي الثورة التي قام بها زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عام (١٢٠ أو ١٢١ أو ١٢٢ هـ) على اختلاف الروايات التاريخية بوجه هشام بن عبد الملك ، وذلك في زمان الإمام الصادق عليه السلام حيث خرج الى الكوفة إبان إمارة يوسف بن عمر عليها ، فلما وصل إليها اجتمع اليه أهلها فلم يزلوا به حتى بايعوه على الحرب ، ثم نقضوا بيعتهم ، بعد أن ألقى القبض على كبار رجال الكوفة وأعلام القوم ، فسلموا زيد بن علي ، وقتل ثم صُلب .

تفيد الروايات بأنه انطلق في غرة شهر صفر وأدى في اليوم الأول إلى انتصار الثوار ، إلا أنه في اليوم الثاني انهزموا وأصيب زيد في المعركة وعلى إثره استشهد في اليوم الثالث من ذلك الشهر .

قد ساعدت الكثير من العوامل على قيام زيد بالثورة منها السياسة الظالمة التي إتبعها الحُكّام في المجتمع الإسلامي وخاصة مع أهل البيت .

وفقاً لبعض الأخبار ، ثار زيد لأجل الأخذ بثأر جده أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واسترداد الخلافة من بني أمية تسليماً إلى الأئمة من أهل البيت . وكانت التصرفات الغير لائقة لهشام بن عبد الملك ،

الخليفة الأموي ، تجاه زيد وعلى مرأى ومسمع من جميع الحاضرين في البلاط الملكي ، أيضاً من الأسباب الأخرى المؤدية إلى هذه الثورة .

وكان سبب ثورته انه حضريوماً مجلس هشام بن عبد الملك حيث قام احدهم بسب رسول الله ﷺ علناً وهشام يسمع ذلك .

فانتهره زيد عليه السلام وقال : يا كافر ، أما والله لئن تمكنتُ منك لاختطفنّ روحك .

فقال هشام : مه يا زيد ، لا تؤذ جليسنا .

فخرج زيد عليه السلام وهو يقول : من استشعر حبّ البقاء استأثر الذل على الفناء .^(١)
فذلك الذي هاجه على الخروج على هشام .

مع كل ذلك كان الامام الباقر عليه السلام يرى ان الثورة لاتملك شروط نجاحها فكان عليه السلام يعتبر هذه المرحلة هي مرحلة تقيّه .

ومنذ اليوم اصبح في المدرسة الشيعية خطان ، الخط الاول يسمى بخط الثورة واصحابه اليوم يسمون بالزيدية .

اما الخط الثاني فهو خط التقيّه الذي سار عليه الامام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام كذلك باقى انتمنا أيضاً ساروا على هذا الخط .

ثورة محمد و ابراهيم النفس الزكية :

بدات فكرة الثورات والمطالبة بالاصلاح تمتد في الذهنية الاسلامية فكانت ثورة محمد و ابراهيم النفس الزكية^(٢) بتوجيه من ابيهما عبد الله بن الحسن

(١) كتاب الشافي / السيد المرتضى

(٢) محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية المقتول عام ١٤٥هـ في أيام أبي جعفر المنصور ، هو الشائر الثاني ، وقد ذكر الشهرستاني أن يحيى بن زيد أوصى إليه ، ولذلك يعد إماماً ثانياً بعده .

وتقدّم أن أباه عبد الله من أكابر بني هاشم وكان الجميع يكنّ له الاحترام ، وكان أكبر سنّاً من الإمام الصادق عليه السلام

وكان ذلك في زمن المنصور العباسي .

لقد دعا عبد الله بن الحسن الناس مبايعة ابنه محمد باعتبار أنه هو المهدي ، حتى كان يطلب من الإمام الصادق عليه السلام مبايعة ابنه محمد لأنه الامام المهدي .

وما أن اقترب سقوط النظام الأموي ورفعت شعارات الرضا من آل محمد بقيادة العلويين والعباسيين ظهرت الدعوة رسمياً الى شخصية محمد ذي النفس

كما تقدم - ومع ذلك كان يدعو الناس لبيعة ولده محمد ، وهذا وما سبق من قبول دعوة أبي سلمة الخلال يكشفان عن روح ثورية أولاً ، وسذاجة في الأمور السياسية ثانياً . ولما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك إثر خلاعته ومجانبته عام ١٢٦ هـ تهيأت الظروف المناسبة للدعوة إلى بني هاشم ، ففي هذا الظرف الهادئ جمع عبد الله بن الحسن ، بني هاشم وألقى فيهم خطبة نقلها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه وقال : إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة ياذرية محمد بن عبد الله بنو عمه وعترته ، وأولى الناس بالفزع في أمر الله ، من وضعه الله موضعكم من نبيه ﷺ وقد ترون كتاب الله معطلاً ، وسنة نبيه متروكة ، والباطل حياً ، والحق ميتاً ، قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم وتهونوا عليه كما هانت بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه ، وقد علمتهم أننا لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم ، فقد قتلوا صاحبهم - يعني الوليد بن يزيد - ، فهلم نبايع محمداً ، فقد علمتم أنه المهدي . فقالوا : لم يجتمع أصحابنا بعد ، ولو اجتمعوا فعلنا ، ولسنا نرى أبا عبد الله جعفر بن محمد . وبعد محاولات حضر الإمام الصادق عليه السلام مجلس القوم فاطلع على أمر القوم وأنهم يريدون بيعة محمد بن إبراهيم ، فقالوا : قد علمت ما صنعوا بنا بنو أمية وقد رأينا أن نبايع لهذا الفتي .

فقال : لاتفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد ، فغضب عبد الله وقال : لقد علمت خلاف ما تقول ، ولكنه يحملك على ذلك الحسد لابني ، فقال : لا والله ، ما ذاك يحملني ، ولكن هذا وإخوانه وأبنائهم دونكم و ضرب يده على ظهر أبي العباس (السفاح) ثم نهض واتبعه عبد الصمد وأبو جعفر المنصور فقالا : يا أبا عبد الله أتقول ذلك ؟ قال : « نعم والله أقوله وأعلمه » .

وفي رواية قال لعبد الله بن الحسن : « إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكتها لهؤلاء وإن ابنك لمقتولان » ففرق أهل المجلس ولم يجتمعوا بعدها .

وقال عبد الله بن جعفر بن المسور ، فخرج جعفر بن محمد يتوكأ على يدي فقال لي : « رأيت صاحب الرداء الأصفر ؟ » يعني أبا جعفر المنصور ، قلت : نعم ، قال : « فإنا والله نجده يقتل محمداً » ، قلت : أو يقتل محمداً ؟ قال : « نعم » فقلت في نفسي : حسده ورب الكعبة . ثم ما خرجت والله من الدنيا حتى رأيته قتله (بحوث في

الملل والنحل لأية الله الشيخ جعفر السبحاني ، ج ٧ ، ص ٣٥١ - ٣٥٦)

الزكية وعلى لسان أبيه عبد الله المحض

والذي عقد إجتماعا علنيا في أيام الحج في منطقة الالبواء لتنصيب ابنه محمد خليفة للمسلمين وفعلا تم أخذ البيعة وحتى أن المنصور العباسي قد بايعه مرتين حينما كانت الحركة التي أطاحت بالأمويين بيد العلويين . ولكن الأمور قد تغيرت فيما بعد .

وفي وقتها أرسل عبد الله المحض الى الإمام الصادق عليه السلام يطلب منه البيعة علنا لمحمد النفس الزكية

ولكن الإمام الصادق عليه السلام بحكم كونه إماما معصوما ومنصوبا من الله تعالى تصرف بحكمة وعقلانية واعية تجاه هذا الطلب .

فقال الإمام الصادق عليه السلام مُعالجا للموقف ومُصححا :

« لاتفعلوه فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد وإن كنت ترى (ويقصد عبد الله المحض) إنّ ابنك هذا هو المهدي فليس به وإن كنت تريد أن تخرجه غضبا لله ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا وبنايك »
فغضب عبد الله المحض من هذا الخطاب الحكيم .

وقال - حسب الرواية - : رادا على الإمام الصادق عليه السلام : (لقد علمتُ خلاف ما تقول والله ما أطلعك الله على غيبه ولكن يملك على هذا الحسد لأبني)

فأجابه الإمام الصادق عليه السلام : « والله ما ذاك يحملني (أي أنا غير حاسد لأبنك) ولكن هذا وأخوته وأبناءهم دونكم وضرب بيده على ظهر أبي العباس (السفاح) . (الذي صار فيما بعد أول خليفة للعباسيين بعد سقوط دولة بني أمية)

ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن المحض

وقال له عليه السلام : والله ما هي إليك ولا الى أبنيك ولكنها لهم (ويقصد عليه السلام بني العباس) وإنّ أبنيك لمقتولان

ثم نهض عليه السلام وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال عليه السلام: (أرأيت صاحب الرداء الأصفر) ويقصد المنصور العباسي ؟

قال : نعم

قال عليه السلام: (فإنّا والله نجده يقتله)

قال له عبد العزيز: أيقتل محمداً ؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: نعم .^(١)

شرعية الخط الثوري :

رغم ان أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا يقرؤون النجاح للخط الثوري الا انهم لم يسلبوه الشرعية . من هنا لم يكن موقف الائمة عليهم السلام رافضا لثورة المختار أوزيد بن علي ومن بعده عبد الله بن الحسن واولاده .

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن الحسن :

إذا كنت تخرج لله فلا تتركك .

ولما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن اغرورقت عيناه بالدموع .

وكان المنصور لما سجن عبد الله بن الحسن يجلده بالسياط ويوميا يضاعف عليه السياط ويقلل عليه الاكل ثم امر بهدم السجن عليه فهدم عليه السجن مع مجموعة من اصحابه .^(٢)

(١) انظر/مقاتل الطالبين/أبوالفرج الأصفهاني/ص ١٤٠ .

(٢) إن أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ، كتب إلى عبد الله بن الحسن - رضي الله عنه - حين حمل هو وأهل بيته يعزبه عما صار إليه : بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه : أما بعد فلإن كنت تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ما انفردت بالحزن والغیظة والكآبة وأليم وجع القلب دوني ، فلقد نالني من ذلك من الجزع ، والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك . . . (الحديث) . (معجم رجال

الحديث - السيد الخوئي - ج ١١ - الصفحة ١٧٤)

حركة ابراهيم الغمر: (١)

إن وقوف بني الحسن عليه السلام في مواجهة المنصور الدوانيقي حدا بهذا الأخير إلى إصدار الأوامر بإلقاء القبض عليهم ومن بينهم السيد ابراهيم الغمر، وأمر الدوانيقي واليه بأن ينقلهم من حبس المدينة الى حبس الهاشمية ، فأخذوهم مكتوفين مقيدون واركبوهم على أغلظ مركب بغير وطاء .

وروي انه لما اخرج بنو الحسن عليه السلام وفيهم ابراهيم الغمر وهم مكتوفون مقيدون بالسلاسل في أرجلهم واعناقهم وقف الامام جعفر الصادق عليه السلام ينظر اليهم وهو يتألف ودموعه تجري على كريمةته وهو يقول : (والله لا تحفظ لله حرمة بعد هؤلاء) . (٢)

وروي ان السيد ابراهيم الغمر استشهد معذبا وله من العمر ٦٧ سنة قبل وصوله الى الحبس في الهاشمية ، لأنهم جردوه من الثياب وكشفوا عنه المحمل وهم في الطريق الطويل ، فسقط من حر الشمس شهيدا محتسبا إلى الباري عز وجل في ربيع الأول سنة ١٤٥ هـ .

بناء المدرسة الفكرية

كان هدف ائمتنا عليه السلام في هذه المرحلة هو بناء المدرسة الفكرية للمذهب سواء على مستوى العقيدة أو الفقه والشريعة .

لقد اراد المنصور العباسي أن يقتل الإمام الصادق عليه السلام عدة مرات وكان

(١) السيد أبو إسماعيل ، إبراهيم بن الحسن المثني بن الإمام الحسن المجتبي بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الملقب بإبراهيم الغمر . كان سيّداً شريفاً ، هو جدّ السادات الطباطبائيين ، لقّب بالغمر لجوده ، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله . حبسه أبو جعفر المنصور مع أخيه الحسن المثلث في منطقة الهاشمية القريبة من مدينة الكوفة ، ثم قتلها (المحقق)

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ١٨/٩ .

يقول عنه (انه شجى في حلقي) . ثم يتراجع عن قتله .

فكان المنصور يخرج مقداراً من سيفه بين الحين والآخر ثم يعيده الى الغمد وفي المرة الاخيرة جرد السيف كله ثم اعاده الى غمده وأطرق برأسه ملياً ثم رفع رأسه وقال : يا جعفر اظنك صادقاً ثم ادناه واجلسه الى جنبه وكرمه وودعه فسئل المنصور بعد ذلك : لم كنت تخرج السيف ثم تعيده الى غمده ؟

قال : كلما هممت بقتله ارى رسول الله صل الله عليه واله وسلم مشمراً عن ذراعيه يحول بيني وبين جعفر بن محمد ، وفي المرة الاخيرة لما جردت السيف كله رأيت النبي مغضباً محمر الوجه وقد قرب مني وكاد ان يمسك بي فخضت وتراجعت عن ما كنت اهم به من قتل ولده جعفر .^(١)

وفي احدى المرات اقسم المنصور على قتل الإمام الصادق عليه السلام فقال له الامام عليه السلام : يا امير ما قرب ان نفترق فتركه المنصور .

فلما خرج الامام عليه السلام ارسل المنصور رسولاً خلفه وقال له قل للصادق : أبي أم بك ؟

فقال له الامام عليه السلام : بي

لقد كان ائمتنا عليه السلام في هذه المرحلة يهدفون الى ارساء أعمدة المذهب فكرياً وفقهياً بعيداً عن المواجهة العسكرية ، لذا كان الامام الباقر عليه السلام يقول لابنه الإمام الصادق عليه السلام : اوصيك بأصحابي خيراً .

فقد أوصى الإمام محمد الباقر عليه السلام ولده الإمام الصادق عليه السلام بتلامذته ، بما يرويه الإمام الصادق عليه السلام نفسه :

(قال عليه السلام : لما حضرت أبي الوفاة ، قال : يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً .

(١) انتهى الامال للشيخ عباس القمي ج ٢ ص ١٥٩

قلت : جعلت فداك ، والله لأدعنهم والرجل منهم في المصر لا يسأل أحداً^(١)
روى ان ابان بن تغلب قال : (سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول : لوددت ان
أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقوا في دينهم) .^(٢)

انواع الملاحقات

تعرض الشيعة في هذه الفترة التي تؤرخ لها وهي فترة نهايات الحكم الاموي
وبدايات الحكم العباسي . وهي فترة الامام الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام ، الى نوعين
من الملاحقة هما :

الملاحقة الاولى :

هي الملاحقة الامنية حيث السجون والاعدامات من قبل الحكومة المستبدة
الظالمة

الملاحقة الثانية :

هي الملاحقة الطائفية في الحرب الثقافية حيث علماء السوء ووعاظ
السلطين

لقد كان الجومشحوناً ضد الشيعة في هذه الفترة ، ولهذا كان الإمام
الصادق عليه السلام يطلب من شيعته التعايش السلمي مع الواقع قائلاً : عاشروهم
بظاهركم وخالفوهم باعمالكم .

وقد وصلت الملاحقة الامنية الى درجة ان الإمام الصادق عليه السلام كان في زمن
المنصور موجوداً في منطقة الحيرة قبل ان تكون بغداد حيث مقر المنصور جاء

(١) الكليني : أصول الكافي ١ / ٣٠ .

(٢) دراسات في الحديث والمحدثين - هاشم معروف الحسيني ص ٢٣٨

رجل لديه مسأله فقهية حيث كان قد طلق زوجته ثلاثاً في حالة العصبية قائلاً لها أنت طالق ثلاثاً .

وسال الناس عن حكمه قالوا ليس عليك حرج ارجع لها .

ولكن زوجته كانت مؤمنة وحريصة على معرفة الحكم الصحيح قالت : والله لا قبل الا ان تسال الإمام الصادق عليه السلام .

فجاء الى الحيرة ليصل الى الإمام الصادق عليه السلام ولكن عيون الرقابة والملاحقة الامنية للشيعة منعه من ذلك ، وبينما هو يتحين الفرص ويبحث عن حيلة للاقتراب من الامام واذا برجل بائع للخيار فقال له : بكم هذا الخيار .

فقال : بدرهم

قال له : اعطني الخيار وبدلة العمل .

فاخذ منه الخيار ولبس بدلة العمل واخذ يصيح الخيار فنظر اليه الامام عليه السلام فارسل غلاماً له وقال : احضر لي بائع الخيار

جاؤوا به فقال له الامام عليه السلام : ما جمل الحيلة التي احتلتها .

ثم سأله بمسئلته واجاب الامام ان : لاعليك شي ارجع اليها . فرجع الى زوجته بعد ان ارجع بدلة صاحب الخيار له .

بناء الشيعة في الاسطوانات

يروى ان المنصور العباسي بنى الشيعة في الاسطوانات والاعمدة وهي روايات ليست مبالغة ، فقد روي عن محمد بن الحسن ، قال :

(حدثني محمد بن إبراهيم ، قال : أتى بهم أبو جعفر فنظر إلى محمد بن

إبراهيم بن الحسن .

فقال : أنت ديباج الأصفر؟

قال : نعم .

قال : أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا من أهل بيتك . ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت ، ثم أدخل فيها فبنيت عليه ، وهو حي ^(١)

وروي انه انه لما بني المنصور الأبنية ببغداد جعل يطلب العلوية طلبا شديدا ويجعل من ظفر منهم في الأسطوانات المجوفة المبنية من الجص والاجر فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه عليه شعرا سود من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام فسلمه إلى البناء الذي كان يبنى له وأمره ان يجعله في جوف أسطوانة ويبني عليه ووكل عليه من ثقاته من يراعى ذلك حتى يجعله في جوف أسطوانة بمشاهدة فجعله البناء في جوف أسطوانة .

فدخلته رقه عليه ورحمه له فترك في الأسطوانة فرجاً يدخل منها الهواء وقال للغلام : لا باس عليك فاصبر فأني سأخرجك من جوف هذه الأسطوانة إذا جنّ الليل .

فلما جن الليل جاء البناء في ظلمة الليل فاخرج ذلك العلوي من جوف تلك الأسطوانة وقال له : اتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي وغيب شخصك فاني إنما أخرجتك في ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الأسطوانة لأنني خفت ان تركتك في جوفها أن يكون جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة خصمي بين يدي الله عزوجل .

ثم أخذ من شعره بآلات الجصاصين ما أمكن وقال : غيب شخصك وانج بنفسك ولا ترجع إلى أمك .

فقال الغلام : فإن كان هذا هكذا فعزّف أُمّي انى قد نجوت وهربت لتطيب نفسها ويقل جزعها وبكاؤها . وان لم يكن لعودي إليها وجه .
فهرب الغلام ولا يدري أين قصد من وجه ارض الله تعالى ولا إلى أي بلد وقع ؟ !

قال ذلك البناء : وقد كان الغلام عرفني مكان أمه وأعطاني العلامة فأنهيت إليها في الموضع الذي دلني عليه فسمعت دويًا كدوي النحل من البكاء فعلمت انها أمه فدنوت منها وعرفتها خبر ابنها وأعطيتها شعره وانصرفت .^(١)

وفي كتاب (مقاتل الطالبين) ومؤلفه رجل سنّي حيث يروي مئات القصص من هذه الظلمات التي جرت على شيعة أهل البيت عليه السلام حيث الملاحقات الطائفية المستمرة لهم من قبل المنصور العباسي ولم يكن أمراً ميسوراً للشيعة التكتّم الكامل على عقيدتهم ومذهبهم في أهل البيت عليه السلام .

روى الصدوق في كتاب صفات الشيعة باسناده قال أبو جعفر الدوانيقي بالحيرة أيام أبي العباس للصادق عليه السلام : يا أبا عبد الله ما بال الرجل من شيعتكم يستخرج ما في جوفه في مجلس واحد ، حتى يعرف مذهبه ؟ ! فقال عليه السلام : ذلك لحلاوة الإيمان في صدورهم ، من حلاوته يبدونه تبدياً .^(٢)

خطة السلطة العباسية :

ومن أجل التعقيم على منزلة أهل البيت عليه السلام عمدت السلطة العباسية الى دعم المذاهب الأخرى والترويج لها . ولأجل ذلك يقول المؤرخون ان الإمام الصادق عليه السلام مرّ بالمسجد وإذا أبو حنيفة عنده حلقة درس وسفيان الثوري كان له حلقة درس

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق - ج ٢ - الصفحة ١٠٢

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٧ - الصفحة ١٦٦

ايضا فقال الامام عليه السلام :

(هؤلاء الصادون عن دين الله ، بلا هدى من الله ، ولا كتاب مبين ، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحدا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى ، وعن رسوله ﷺ ، حتى يأتونا ، فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ) . (١)

لماذا سمي الشيعة رافضة

عن سليمان الديلمي قال كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام إذ دخل عليه أبو بصير وقد حضره النفس العالي فلما ان اخذ مجلسه قال أبو عبد الله عليه السلام : ما هذا النفس العالي ؟

قال : جعلت فداك يا بن رسول الله كبر سني ودق عظمي واقترب أجلي مع ما اني لأدري على ما أرد عليه في آخرتي .

قال له أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمد وانك نقول هذا ؟

قال : قلت جعلت فداك فكيف لأقول .

قال عليه السلام : يا أبا محمد اما علمت أن الله تبارك وتعالى يكرم الشباب منكم

ويستحي من الكهول .

قلت : كيف ؟

قال عليه السلام : الله يكرم الشباب منكم ان يعذبهم ومن الكهول ان يحاسبهم .

قال : قلت جعلت فداك هذا لنا خاص أم لأهل التوحيد .

قال عليه السلام : لا والله الا لكم خاصة دون العامة .

(١) هؤلاء الصادون عن دين الله ، بلا هدى من الله ، ولا كتاب مبين ، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحدا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى ، وعن رسوله ﷺ ، حتى يأتونا ، فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ

(وفي الخبر) ان الله تعالى يقول شيب المؤمنين نوري وانا استحي ان أحرق نوري بناري .

قال : قلت جعلت فداك فانا قد رمينا بشئ انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت به الولاة دماننا في حديث رواه لهم فقهاؤهم .
قال عليه السلام : الرافضة .

قال : نعم .

قال عليه السلام : لا والله ما هم سموكم به بل إن الله سماكم به .

أما علمت (يا أبا محمد) ان سبعين رجلا من بني إسرائيل رفضوا فرعون إذ استبان لهم ضلالتة ولحقوا بموسى إذ استبان لهم هداه فسموا في عسكر موسى الرافضة لأنهم رفضوا فرعون وكانوا أشد ذلك العسكر عبادة وأشد هم حبا لموسى وهارون وذريتهما فأوحى الله إلى موسى ان أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فاني سميتهم به ونحلتهم إياه فأثبت موسى الاسم لهم ثم ادخر الله هذا الاسم حتى نحلكموه .

(يا أبا محمد) رفضوا الخير ورفضتم الشر بالخير تفرق الناس كل فرقة فاستشعوا كل شعبة فانشعبتم مع أهل بيت نبيكم محمد ﷺ وسلم فذهبت حيث ذهب الله واخترت من اختار الله وأردتم من أراد الله فأبشروا ثم أبشروا فأنتم والله المرحومون المتقبل من محسنكم المجاوز عن مسيئكم من لم يأت الله بما أنتم عليه لم يتقبل منه حسنة ولم يتجاوز عنه سيئة .

يا أبا محمد ان لله ملائكة تسقط الذنوب من ظهور شيعتنا كما تسقط الريح الورق عن الشجر في أو ان سقوطه وذلك قول الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (١)

فاستغفارهم والله لكم دون هذا الخلق .

(يا أبا محمد) ، فهل سررتك ؟

قال : جعلت فداك زدني .

قال عليه السلام : (يا أبا محمد) ما استثنى الله أحدا من أوصياء الأنبياء ولا اتباعهم ما خلا أمير المؤمنين وشيعته فقال في كتابه وقوله الحق ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا وهم لا ينجرون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾^(١).

كيف نفهم اهل البيت عليه السلام

ماهي منزلتهم ؟

وما هو موقعهم ؟

هنالك ثلاث نظريات في هذا الامرهما :

النظرية الاولى : نظرية التفوق العلمي

ويرى اصحاب هذه النظرية ان الائمة عليه السلام هم علماء كسائر العلماء وانما يتفوقون عليهم في المستوى العلمي والبعد المعنوي فهم عبارة عن علماء ابرار .

النظرية الثانية : نظرية الاصطفاء الالهي

نظرية الاصطفاء وهي ان الائمة عليه السلام هم رجال مصطفون يخضعون لاصطفاء واختيار من الله تعالى واختلافهم عن باقي العلماء هو اختلاف نوعي وليس اختلافاً كمياً فقط في مستوى المعلومات .

والله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ

إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ .
 وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ
 عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

فهي ليست مجرد امرأة صالحه بل هي اكثر من ذلك ، هي امارة مصطفاة
 ومطهرة من الله تعالى وهذه هي نظرية الاصطفاء الالهي في أهل البيت (عليه السلام) والتي
 يشهد لها قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
 تَطْهِيرًا﴾ (٣)

لقد تبلورت هذه النظريات في زمن الامام السجاد (عليه السلام) والامام والباقر (عليه السلام)
 والإمام الصادق (عليه السلام) والشيعة كانوا يؤكدون على النظرية الثانية .

النظرية الثالثة : الغلو

وهي نظرية الغلو والارتفاع بأهل البيت (عليه السلام) عن مستوى البشرية الى مستوى
 الربوبية ، وكان الائمة من أهل البيت (عليه السلام) ينهاون شيعتهم عن الغلو فيهم .

الفرق بين النظرية الاولى والثانية

ان نظرية علماء ابرار تعني ان علمهم (عليه السلام) هو علم كسبي ، (٤) بينما نحن
 نعتقد ان ائمتنا (عليه السلام) علموا من عند الله بدون معلم فحسب النظرية الاولى يكون
 فرقهم عن الآخرين هو فرق كمي بمعنى زيادة معلوماتهم عن الآخرين .

(١) سورة ال عمران الاية ٣٤

(٢) سورة ال عمران الاية ٤٢

(٣) سورة الاحزاب الاية ٣٣

(٤) العلم اللدني هو ذلك العلم الذي يتوصل اليه الإنسان أحياناً من دون توسط معلم يعلمه بل إنه يُلهمُ به إلهاماً ،
 على خلاف العلم الكسبي الذي لا يحصل عليه الإنسان إلا بتعليم معلم . (المحقق)

بينما النظرية الثانية تقول الفرق بين الائمة عليهم السلام وبين بقية العلماء هو فرق نوعي وليس مجرد الزيادة في العلم بل علمهم من مصدر آخر، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(١) وان ذواتهم مطهرة كما اشارت اليه اية التطهير

وحسب النظرية الاولى فهم علماء والعالم قد يخطيء وقد يصيب ، بينما النظرية الثانية تعتقد ان الائمة عليهم السلام لا يصل اليهم الخطأ .

عن الصادق عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال فيما يقول : (أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني أيها الناس أنا قلب الله الواعي ، ولسانه الناطق ، وأمينه على سرّه ، وحجّته على خلقه ، وخليفته على عبادّه ، وعينه الناظرة في بريّته ، ويده المبسوطة بالرأفة والرحمة ، ودينه الذي لا يصدّقني إلا من محض الايمان محضاً ، ولا يكذبني إلا من محض الكفر محض)^(٢)

وهذا ليس علما كسبياً بل هو علم لدني من الله تبارك وتعالى .

وهذا ما يشير اليه الإمام الصادق عليه السلام في ما روي عن زرارة قال :

(قدمت المدينة وانا شاب أمرد فدخلت سرادقاً لأبي جعفر عليه السلام بمنى فرايت قوماً جلوساً في الفسطاط وصدر المجلس ليس فيه أحد ورايت رجلاً جالساً ناحية يحتجم ، فعرفت برأيي انه أبو جعفر عليه السلام فقصدت نحوه فسلمت عليه فردّ السلام عليّ فجلست بين يديه والحجّام خلفه .

فقال : أمن عين أنت ؟

فقلت : نعم أنا زرارة بن أعين .

فقال : انما عرفتك بالشبه ، أحجّ حمران ؟

قلت : لا وهو يقرئك السلام .

(١) سورة الكهف الاية ٦٥

(٢) مسند الإمام علي عليه السلام - ج ٧ - الشهيد السيد حسن القبانجي

الفصل السادس: دور الشيعة في عهد الإمامين الباقر والصادق

فقال : أنه من المؤمنين حقاً لا يرجع أبداً ، اذا لقيته فاقرأه مني السلام ، وقل له : لم حدثت الحكم بن عيينة عني أن الاوصياء محدثون ، لاتحدثه وأشباهه بمثل هذا الحديث .

فقال زرارة : فحمدت الله تعالى وأثنت عليه ، فقلت : الحمد لله . . . الى آخر الحديث (١)

الاعمش (٢) وابو حنيفة (٣)

ابو حنيفة كان الفقيه للسلطة يومئذ ، وكان احد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام رجل اسمه الاعمش جاءه الموت فزاره ابو حنيفة وقال له :

يا فلان ان هذا اخريوم لك ممن ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة الا تتوب الى الله تعالى وتعديل عما انت فيه !!!
قال : ماذا ؟

قال : انت تقول في علي مقالة غير صحيحة .

قال : وما هي ؟

قال : انت تقول علي قسيم الجنة والنار تب الى الله يا اعمش .

فقام الاعمش من فراشه وهو مريض على فراش الموت قال :

انت الذي تقول هذا ، والله سمعت فلان وهو اوثق الناس عن ابي سعيد

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٢٦٧

(٢) هو سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكاهلي من خواص أصحاب الصادق عليه السلام . يعتبر سليمان بن مهران الاعمش من الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل (المحقق)

(٣) النعمان بن ثابت ، الشهير بأبي حنيفة ، فقيه ويعتبر أول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي ، ويُعد أبو حنيفة من التابعين ، فقد لقي عدداً من الصحابة منهم أنس بن مالك . (المحقق)

الخدري يقول : قال رسول الله ﷺ : علي قسم الجنة والنار. (١)

روى الجويني ، بسنده عن عباية ، عن علي عليه السلام ، قال :

(« أنا قسيم النار ، إذا كان يوم القيامة قلت : هذا لك ، وهذا لي ») (٢)

وفيه يقول الشاعر :

علي حبه جنّة قسيم النار و الجنه

وصي المصطفى حقا إمام الإنس و الجنة (٣)

وهكذا فان اعتقادنا ان الائمة عليهم السلام ليسوا مجرد علماء ، بل لهم شأن اعلى من ذلك بحيث ان الاخرة بيدهم ايضا .

قصة كثيرالنوى

روى جابر بن عبد الله الانصاري ان رجلا جاء الى الامام الباقر عليه السلام واسمه

كثيرالنوى قال : يابن رسول الله يقول المغيرة فيك مقالة

قال عليه السلام : ماذا يقول ؟

قال : المغيرة يقول هنالك ملك يخبركم بالصحيح عن الباطل

قال له الامام عليه السلام : ماشغلك ؟

قال : ابيع حنطة

قال له الامام عليه السلام : كذبت

قال : ابيع الشعير معها

(١) انظر : كتاب ينابيع المودة : المودة في القربى

(٢) ابن عساکر - تاريخ دمشق - حرف العين - ٤٩٣٣ - الجزء : (٤٢) - رقم الصفحة : (٢٩٨)

(٣) . فرائد السمطين ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، ح ٢٥٤ . وأخرج هذا الحديث أيضا في البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص .

قال الامام عليه السلام: كذبت عملك انت تبيع النوى .

قال : من اين علمت ذلك

قال عليه السلام: ذاك الملك اخبرني !!!

ان اعتقادنا بائمتنا عليه السلام انهم يختلفون نوعيا عن باقي العلماء وباقي

الناس .

روي عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام: لئن ظننتم أنا لا نراكم ،

ولا نسمع كلامكم ، لبئس ما ظننتم ، لو كان كما تظنون أنا لا نعلم ما أنتم فيه

وعليه ما كان لنا على الناس فضل .

قلت : أرني بعض ما أستدل به .

قال عليه السلام: وقع بينك وبين زميلك بالريذة حتى عيرك بنا وبحبنا ومعرفتنا .

قلت : إي والله لقد كان ذلك .

قال عليه السلام: فتراني قلت باطلاع الله ، ما أنا بساحر ولا كاهن ولا بمجنون

لكنها من علم النبوة ، ونحدث بما يكون .

قلت : من الذي يحدثكم بما نحن عليه ؟

قال عليه السلام: أحيانا ينكت في قلوبنا ، ويوقر في آذاننا ، ومع ذلك فإن لنا خدما

من الجن مؤمنين وهم لنا شيعة ، وهم لنا أطوع منكم .

قلت : مع كل رجل واحد منهم ؟

قال عليه السلام: نعم ، يخبرنا بجميع ما أنتم فيه وعليه^(١)

المنصور والجاسوس

المنصور العباسي عندما كان قصره في الحيرة قال يوما لأبي محمد بن

الأشعث : يا محمد ابغ لي رجلا له عقل يؤدي عني .

فقال له أبي : قد أصبته لك هذا فلان ابن مهاجر خالي .

قال : فأتني به .

قال : فأتيته بخالي .

فقال له أبو جعفر : يا ابن مهاجر خذ هذا المال وأت المدينة وأت عبد الله بن الحسن بن الحسن وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد فقل لهم : إني رجل غريب من أهل خراسان وبها شيعة من شيعتكم وجهوا إليكم بهذا المال ، وادفع إلى كل واحد منهم على شرط كذا وكذا ، فإذا قبضوا المال فقل : إني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم .

فأخذ المال وأتى المدينة فرجع إلى أبي الدوانيق ومحمد بن الأشعث عنده ، فقال له أبو الدوانيق : ما وراءك ؟

قال : أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم المال خلا جعفر بن محمد ، فإني أتيته وهو يصلي في مسجد الرسول ﷺ فجلست خلفه وقلت حتى ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه ، ففعل وانصرف .

ثم التفت إلي فقال : يا هذا اتق الله ولا تغرأهل بيت محمد فإنهم قريبوا العهد بدولة بني مروان وكلهم محتاج .

فقلت : وما ذاك ؟ أصلحك الله .

قال : فأدنى رأسه مني وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتى كأنه كان ثالثنا .

قال : فقال له أبو جعفر : يا ابن مهاجر ! اعلم أنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيه محدث - بمعنى تحدثه الملائكة - وإن جعفر بن محمد محدثنا اليوم وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة .^(١)

الفصل السابع

دور الشيعة على عهد

الامام الكاظم عليه السلام والامام الرضا عليه السلام

من عام ١٤٨ هـ إلى عام ٢٠٣ هـ للهجرة

تمهيد :

الحديث يستمر عن دور الشيعة في التاريخ ، ومحور حركة الشيعة وماهي محتنتهم ؟ وماهي بطولاتهم ؟

ان تلك البطولات والتضحيات كان هدفها تأسيس امة تريد ان تصنع التاريخ .

وقد سبق الحديث عن دور الشيعة منذ عصر الرسالة وحتى عصر الامام الباقر والصادق عليه السلام ، حيث كان دورهم يتمثل في :

اولا : مواجهة الخطر الخارجي الذي يهدد الاسلام

ثانيا : مواجهة الخطر الداخلي والذي كان يتمثل بالنفاق الذي عمل على ثلاث سرقات كبرى تهدد مستقبل الاسلام ، الاولى سرقة الامة ، والثانية سرقة الشريعة والثالثة سرقة الحكم .

المهمة الاولى / صناعة الفقهاء :

لقد سبق الحديث عن مهمتين اضطلع بهما الشيعة بعد الامام الحسين عليه السلام وهما : صناعة الفقهاء ، والمقاومة السليبية .

صناعة الفقهاء للامساك بالامة خوفا من الضياع حيث عملوا على زراعة فقيه في كل منطقة لتستضيء الناس بنورهم وقد ورد في الحديث الشريف : (العالم والمتعلم يستبقان الى الجنة كفرسي رهان) .

ولكن الشيء الذي امتاز به خط أهل البيت عليهم السلام هو التاكيد على نزاهة هؤلاء الفقهاء وابتعادهم عن السلطة الظالمة .

وقد روى الامام الكاظم عليه السلام :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الْفُقَهَاءُ أَمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا" .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا ؟

قَالَ : "اتِّبَاعُ السُّلْطَانِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ" ^(١)

وهذا الامر لانجده عند غير شيعة أهل البيت عليهم السلام ، حيث كان الائمة عليهم السلام ينهون شيعتهم ويمنعونهم من العمل في دوائر السلاطين الا في حالات خاصة يرونها ضرورة لخدمة المذهب .

علي بن يقطين :

مثل حالة علي بن يقطين الذي اراد ترك عمله في ديوان بني العباس فنهاه الامام الكاظم عليه السلام عن ذلك وقال له :

يا علي كفارة أعمالكم الاحسان إلى إخوانكم .

اضمن لي واحدة اضمن لك ثلاثا اضمن لي أن لا تلقى أحدا من أوليائك إلا قضيت حاجته وأكرمته ، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبدا ولا ينالك حد سيف أبدا ولا يدخل الفقر بيتك أبدا .

يا علي من سر مؤمنا فبالله بدأ وبالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثنى وبنا ثلث . ^(٢)

(١) لكافي : ١ / ٤٦ ، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ، الملقب بثقة الإسلام ، المتوفى سنة : ٣٢٩ هجرية ، طبعة دار الكتب الإسلامية ، سنة : ١٣٦٥ هجرية / شمسية ، طهران / إيران .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ - الصفحة ٣٧٩

الحسن الانباري :

ومثل ذلك قصة الحسن بن الحسين الانباري وهو من اصحاب الامام الرضا عليه السلام قال :

(كتبت إليه أربع عشرة سنة أستأذنه في عمل السلطان فلما كان في آخر كتاب كتبه إليه أذكر أنني أخاف على خيط عنقي وإن السلطان يقول : إنك رافضي ولسنا نشك في أنك تركت العمل للسلطان للرفض . فكتب إلي أبو الحسن عليه السلام : قد فهمت كتابك وما ذكرت من الخوف على نفسك ، فان كنت تعلم أنك إذا وليت عملت في عملك بما أمر به رسول الله ﷺ ثم يصير أعوانك وكتابك أهل ملتك ، فإذا صار إليك شيء واسيت به فقراء المؤمنين ، حتى تكون واحدا منهم كان ذا بذا ، وإلا فلا) .^(١)

قصة صفوان الجمال^(٢)

اما في قصة صفوان الجمال الذي كانت له جمال تخدم البيت العباسي وتعمل هنالك بأجرة تؤخذ عليها .

قال الكاظم عليه السلام : يا صفوان ! كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً .

قلت : جعلت فداك ! أي شيء ؟ . .

قال : إكراءك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون -

قلت : والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ، ولكن أكريته لهذا الطريق ، يعني طريق مكة ، ولا أتولاه بنفسي ، ولكني أبعث معه غلmani

(١) بحار الانوار للمجلسي ج ٤٩ ص ٢٧٧

(٢) صفوان بن مهران بن المغيرة الأسدي الكاهلي من أعلام القرن الثاني من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري ، وهو أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام ومن الرواة عنهم والموثوقين لديهم (المحقق)

فقال لي : يا صفوان ، أيقع كراك عليهم ؟

قلت : نعم جعلت فداك .

فقال لي : أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك ؟ . .

قلت : نعم ،

قال : فمن أحب بقاهم فهو منهم ، ومن كان منهم فقد ورد النار

قال صفوان : فذهبت وبعث جمالي عن آخرها ، فبلغ ذلك إلى هارون

فدعاني ،

فقال لي : يا صفوان بلغني أنك بعث جمالك ؟ . .

قلت : نعم ،

فقال : ولم ؟ . .

فقلت : أنا شيخ كبير ، وإن الغلمان لا يقوون بالأعمال ،

فقال : هيهات . . . هيهات ! . . إني لأعلم من أشار عليك بهذا ، أشار عليك

بهذا موسى بن جعفر ، قلت : ما لي ولموسى بن جعفر ؟ . .

فقال : دع هذا عنك ! . . فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك .^(١)

المهمة الثانية / المقاومة السلبية :

لقد وصف المؤرخ الاسلامي الكبير المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي هذا

الدور بدور المقاومة السلبية وهي تعني العمل على التغيير بطريق غير الثورة المسلحة .

لقد كان الشيعة على مر التاريخ ابطالاً في الفقه ، وابطالاً في الفكر ،

وابطالاً في السياسة ، وابطالاً في القيم الانسانية ، وابطالاً في الصبر ، وابطالاً في الصمت ، وابطالاً في الادب .

ولم نجد على مر التاريخ وحتى يومنا هذا أمة تمتلك نجوماً لامعة في كل المجالات كشيعة أهل البيت عليهم السلام .

الشيعة كانوا ومازالوا هم ابطال التاريخ وهم قطب الرchy في هداية العالم وهم محور حركة الاصلاح في العالم اليوم .

الموقف من الاتجاه الثوري :

ولم يكن الاتجاه الثوري مرفوضاً عند أهل البيت عليهم السلام ، بل كانوا يدركون انه غير قادر على النجاح -رغم شرعيته -

ومن هنا لم يكن موقف الامام الكاظم عليه السلام من ثورة الحسين صاحب فخ ^(١)

(١) عانت الأسرة العلوية في عهد الطاغية موسى الهادي الخوف والإرهاب ، فقد أخاف العلويين خوفاً شديداً ، وألح في طلبهم ، وقطع أرزاقهم وعطاياهم ، وكتب إلى الآفاق بطلبهم . فلاضطهاد الذي لحق العلويين والمعاملة القاسية لهم ، كان من أهم الأسباب التي ثار من أجلها صاحب فخ ، حيث جند العلويين الموجودين في المدينة المنورة ، وخرج بهم مع نساءهم وأطفالهم متوجهاً نحو مكة المكرمة ؛ ليثور على والي مكة المنصوب من قبل الحاكم موسى الهادي ، ولكن الوالي أرسل إليهم جيشاً كبيراً فقاتلوهم في منطقة فخ .

وعندما عزم الحسين صاحب واقعة فخ أن يشور على الأوضاع الفاسدة التي وصلت إلى حد الإذلال والاضطهاد الشديد لكل من هو شيعي وعلوي يوالي الإمام الكاظم عليه السلام ، أقبل الحسين إلى الإمام يستشير في ثورته ، وعرض عليه فكرة الثورة ، فالتفت إليه الإمام عليه السلام قائلاً : « إنك مقتول فأجِدْ الضراب ، فإن القوم فساق ، يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله عز وجل أحسنكم من عَصبة »

وعن إبراهيم بن إسحاق القطان ، قال : « سمعت الحسين بن عليّ ويحيى بن عبد الله يقولان : ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا ، وشاورنا موسى بن جعفر ، فأمرنا بالخروج لقد قُتل في واقعة فخ نحو مئة نفر من ذرية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وقُطعت رؤوسهم ، وسُبيت النساء والأطفال ، ثم أرسلت رؤوس القتلى إلى الطاغية موسى الهادي ومعهم الأسرى ، وقد قيّدوا

موقفاً سليماً وإن كان موقفاً ناصحاً محباً .

يروى المؤرخون : (رأيت موسى بن جعفر عليه السلام بعد عتمة وقد جاء إلى الحسين صاحب فخ ، فانكب عليه شبه الركوع وقال : أحب أن تجعلني في سعة وحل من تخلفي عنك ، فأطرق الحسين طويلاً لا يجيبه ثم رفع رأسه إليه فقال : أنت في سعة .

فقال له موسى بن جعفر عليه السلام : إنك مقتول ، فأجد الضراب ، فان القوم فساق ، يظهرون إيماناً ، ويضمرون نفاقاً وشكاً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون وعند الله عزوجل أحسبكم من عصابة) .^(١)

اذن فالثورة هي حركة مشروعة حينما تكون صادقة وبأهداف صحيحة ، ومن اجل هذا وجدنا الإمام الصادق عليه السلام يتنبأ بثورة الحسين صاحب فخ ويقول وقد نزل في فخ بعد رجوعه من الحج متوضاً وصلى فسأله صاحبه :

جعلت فداك رأيتك قد صنعت شيئاً أفهو من مناسك الحج ؟

قال : لا ، ولكن يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة .^(٢)

وهكذا نجد الامام الجواد عليه السلام يقول في واقعة فخ :

(لم يكن لنا بعد الطف مصرع اعظم من فخ) .^(٣)

بالجبال والسلاسل ، ووضعوا في أيديهم وأرجلهم الحديد ، فأمر الطاغية بقتل السبي حتى الأطفال منهم على ما قيل ، فقتلوا صبراً وصلبوا على باب الحبس) (أعيان الشيعة ٧ / ١٣٣ ، مقاتل الطالبين ٢٩٨ بحار الأنوار ٤٨ / ١٥٠)

(١) بحار الانوار للمجلس ج ٤٨ ص ١٦٩ عن مقاتل الطالبين للصفهاني

(٢) بحار الانوار للمجلسي ج ٤٨ ص ١٧٠ عن مقاتل الطالبين للصفهاني

(٣) بحار الانوار للمجلسي ج ٤٨ ص ١٦٥ عن مصادره

ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن عليه السلام:

وفي عهد الامام الكاظم عليه السلام كانت ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن عليه السلام ويبدو ان الامام الكاظم عليه السلام كان عارفاً بفشل هذه الحركة ، فكتب الى يحيى كتابا فيه تقيّة واضحة حيث قال :

(وأنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة ، وأحثك على بره وطاعته ، وأن تطلب لنفسك أمانا قبل أن تأخذك الأطفار ، ويلزمك الخناق من كل مكان تتروح إلى النفس من كل مكان ولا تجده ، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ، ورقة الخليفة أبقاه الله ، فيؤمنك ويرحمك ، ويحفظ فيك أرحام رسول الله ﷺ والسلام على من اتبع الهدى " إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) .

قال الراوي : (فبلغني أن كتاب موسى بن جعفر وقع في يدي هارون فلما قرأه قال : الناس يحملوني على موسى بن جعفر وهو برئ مما يرمى به) .^(١)

وهكذا يظهر لنا ان خط المقاومة السليبية التي اختارها أهل البيت عليه السلام لم يكن يتقاطع مع الخط الثوري الذي سار عليه الحسنيون ومعهم بعض القواعد الشعبية من الشيعة .

ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام:

ونفس الرؤية والموقف نجده عند الامام الرضا عليه السلام مع عمه محمد بن جعفر الصادق عليه السلام .

يقول المؤرخون : (عن إسحاق بن موسى قال : لما خرج عمي محمد بن جعفر بمكة ، ودعا إلى نفسه ، ودعي بأمير المؤمنين ، وبويع له بالخلافة دخل عليه

(١) بحار الانوار للمجلسي ج ٤٨ ص ١٦٧

الرضا عليه السلام وأنا معه فقال له : يا عم لا تكذب أباك ، ولا أخاك ، فان هذا الامر لا يتم .

ثم خرج وخرجت معه إلى المدينة ، فلم يلبث إلا قليلا حتى قدم الجلودي فلقبه فهزمه ثم استأمن إليه فلبس السواد وصعد المنبر فخلع نفسه وقال : إن هذا الامر للمأمون ، وليس لي فيه حق ، ثم اخرج إلى خراسان فمات بجرجان^(١)

دماء الشيعة في عهد الرشيد :

ومع كل هذا الحذر الذي اتخذه أهل البيت عليه السلام إلا ان ذلك لم يمنع الحكم العباسي من ملاحقة الشيعة تحت كل حجر ومدر .

قصة حميد بن قحطبة :

ويكفي لمعرفة العذابات التي ذاقها الشيعة على عهد هرون الرشيد ان نقرأ قصة حميد بن قحطبة الرجل المقرب من البلاط العباسي .

يروى عبيد الله البزاز قال :

(كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة ، فرحلت إليه في بعض الأيام ، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلي ثياب السفر لم أغيرها ، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر .

فلما دخلت إليه رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلست فاتي بطست وإبريق فغسل يديه ، ثم أمرني فغسل يدي وأحضرت المائدة وذهب عني أني صائم وأنا في شهر رمضان ، ثم ذكرت فأمسكت يدي ، فقال لي حميد : مالك لا تأكل ؟

فقلت : أيها الأمير هذا شهر رمضان ، ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار ، ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الإفطار .
فقال : ما بي علة توجب الإفطار وإني لصحيح البدن ، ثم دمعت عيناه وبكى .

فقلت له بعد ما فرغ من طعامه : ما يبكيك أيها الأمير ؟
فقال : أنفذ إلي هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب ، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تنقد وسيفا أخضر مسلولا وبين يديه خادم واقف فلما قمت بين يديه رفع رأسه إلي فقال : كيف طاعتك لأمر المؤمنين ؟
فقلت : بالنفس والمال .

فأطرق ثم أذن لي في الانصراف .
فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إلي وقال : أجب أمير المؤمنين .
فقلت في نفسي : إنا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وإنه لما رأي استحياني فعدت إلى بين يديه .

فرفع رأسه إلي فقال : كيف طاعتك لأمر المؤمنين ؟
فقلت : بالنفس والمال والأهل والولد .
فتبسم ضاحكا ، ثم أذن لي في الانصراف .

فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إلي فقال : أجب أمير المؤمنين .
فحضرت بين يديه وهو على حاله ، فرفع رأسه إلي فقال : كيف طاعتك لأمر المؤمنين ؟

فقلت : بالنفس والمال والأهل والولد والدين .
فضحك ، ثم قال لي : خذ هذا السيف وامتل ما يأمر بك به هذا الخادم .

قال : فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئري في وسطه ، وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفسا عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون .

فقال لي : إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ، وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم ، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر .

ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضا عشرون نفسا من العلوية من ولد علي و فاطمة عليهما السلام مقيدون .

فقال لي : إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ، فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر ، حتى أتيت على آخرهم ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفسا من ولد علي وفاطمة مقيدون عليهم الشعور والذوائب .

فقال لي : إن أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضا فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر .

حتى أتيت على تسعة عشر نفسا منهم ، وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي : تبا لك يا مشوم أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قتلت من أولاده ستين نفسا ، قد ولد لهم علي وفاطمة عليهما السلام .

فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إلي الخادم مغضبا وزبرني ، فأتيت على ذلك الشيخ أيضا فقتلته ورمي به في تلك البئر .

فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفسا من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لأشك أني مخلص في النار^(١)

الشيعة والشعوبية :

هل ان الشيعة هم مهد الشعوبية ، وهل ان الشعوبية ترعرت في حضن الشيعة ؟

وهذا ماذهب اليه الكاتب المصري احمد امين في كتابه ضحى الاسلام ؟
أولاً لتتعرف على معنى الشعوبية بمدلولها القرآني واللغوي ؟
المدلول القرآني واللغوي للشعوبية هو مدلول واحد .

الشعوبية بمعنى التعارف والتعاون والتلاحم بين الشعوب كما جاء في المدلول القرآني حيث قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(١) ، وهذا هو نفسه المدلول اللغوي للكلمة اذن المقصود بالشعوبية هو الانفتاح على سائر الشعوب وكما ورد في الحديث النبوي الشريف (لافضل لعربي على اعجمي ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى) .

هذا هو الاسلام الحقيقي ، وهذا هو رسول الله ﷺ ، وهذا هو القرآن .
اذا عرفنا معنى الشعوبية بالمعنى القرآني ، فنحن الشيعة نفتخر بذلك ، نفتخر بانفتاحنا على كل الشعوب ولسنا عنصريين أو قوميين .

لقد ترعرت في العالم العربي فكرة القومية العربية ، كما غرس الاستكبار العالمي فكرة القومية الفارسية والقومية التركية وامثالها في الشعوب الاسلامية .

وهنا يرد السؤال ، هل نحن نقبل بها ؟

ان رسول الله ﷺ هو سيد العرب ولكن الله بعثه لكل الشعوب وليس لطائفة دون اخرى ، لذلك نحن لانؤمن بفكرة القومية الضيقة .

ان اول من بدا بفكرة القومية هو الخليفة الثاني حيث كانت رعايته لقريش وتفضيلهم وامتيازهم على غيرهم وقد رفض الامام علي عليه السلام ذلك ، ودعا الى المساواة بين القوميات ، وهذا ما التزم به شيعة أهل البيت عليه السلام .

ومن هنا اتهمنا بالشعوبية ، فاذا كانت الشعوبية معناها الانسانية العالمية فهذه من مفاخرنا نحن الشيعة ، حيث ان ائمتنا عليهم السلام هم من سادات العرب لكنهم انفتحوا على كل الشعوب ، ومن هنا قيل للامام علي عليه السلام وهو في الكوفة (غلبت عليك الحمراء) ويقصدون بذلك العجم والموالي ، فانتفض عليه السلام لهذه الكلمة التي قالها الاشعث . فقال عليه السلام :

(من يعذرني من هؤلاء الضيافة يتخلف احدهم ، يتقلب على فراشه وحشاياه كالعير ويهجر هؤلاء للذكر) .^(١)

اني ان طردتهم لمن الظالمين .

والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (والله ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءاً .

هذا الموضوع يجزنا للحديث عن مصادر القوة عند الشيعة .

مصادر القوة عند الشيعة :

توجد مجموعة مصادر قوة لدى شيعة أهل البيت عليه السلام ، وهذه المصادر هي التي جعلت من الشيعة محور حركة التغيير في العالم . وهي :

المصدر الاول : البعد العالمي والنزعة الانسانية

اما البعد العالمي فمعناه الانفتاح على كل العالم ، هذا المعنى القراني الذي

يقول: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ .

هذا هو معنى الشعوبية التي يؤمن بها الشيعة وليست القومية الضيقة والتي نادى بها سلاطين الجور والطغيان ، فالناس سواسية كاسنان المشط كما قال رسول الله ﷺ ، وهذا هو الاسلام الصحيح الذي جاء به القرآن وأسسهُ رسول الله ﷺ ودافع عنه أهل البيت  وشيعتهم والذي أصبح مصدر القوة لهم برفض النزعة القومية الضيقة والانفتاح على كل القوميات .

المصدر الثاني: الحوار العلمي

اما المصدر الثاني وهو الحوار والبحث العلمي ، وشيعة أهل البيت  مستعدون للحوار وفرصتهم الحقيقية هي في البحث العلمي .

في عصر الامام الكاظم  سمع الخليفة العباسي هرون الرشيد هشام بن الحكم وهو احد فلاسفة الشيعة يحاور يحيى البرمكي في مسألة الامامة ، وقد كان هرون قد جمع المتكلمين من سائر المذاهب . .

فقال الرشيد : (والله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مئة ألف سيف) .

(مثل هذا حي ويبقى ملكي ساعة واحدة !)

المصدر الثالث: رفض العنف

واما العنصر الثالث من عناصر القوة لدى الشيعة هو رفض التطرف والعنف والتزام الاخلاق الاسلامية والانسانية حتى مع العدو في اثناء المعركة .

نلاحظ ذلك على عهد الامام الرضا  حيث ثورة زيد النار عام ١٩٩ هجرية (وهو اخو الامام الرضا ) والذي نهض بثورة ضد العباسيين وهجم فيها على دور بني العباس في البصرة واحرقها ، ومن هنا سمي ب (زيد النار)

ولما جاء به اسيراً الى المامون وعاتبه على فعلته هذه قائلاً : لقد تركت اعداءنا من بني امية وعدوت على دور بني عمكم بني العباس .

قال له : (ان عدت بدأت باعدائنا)

فضحك المامون واطلق سراحه وبعث به الى الامام الرضا عليه السلام قائلاً : وهبت جرمه لك

ولما دخل زيد النار^(١) على اخيه الامام الرضا عليه السلام عاتبه الامام على فعلته قائلاً : يا زيد أغرك قول سفلة أهل الكوفة : إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، ذاك للحسن والحسين خاصة إن كنت ترى أنك تعصي الله وتدخل الجنة ، وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة فأنت إذن أكرم على الله عزوجل من موسى بن جعفر ، والله ما ينال أحد ما عند الله عزوجل إلا بطاعته ، وزعمت أنك تناله بمعصيته فبئس ما زعمت .

فقال له زيد : أنا أخوك وابن أبيك ، فقال له أبو الحسن عليه السلام : أنت أخي ما أطعت الله عزوجل إن نوحا عليه السلام قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾^(٢) . فقال الله عزوجل ﴿ قَالَ يَأْتُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فأخرجه الله عزوجل من أن يكون من أهله بمعصيته .^(٣)

المصدر الرابع : القيادة الدينية

والمصدر الرابع من مصادر القوة لدى شيعة أهل البيت عليه السلام هو القيادة الدينية المتمثلة بمراجع الدين وهذا الامر لا يوجد عند غير شيعة أهل البيت عليه السلام .

(١) هنالك جدل عند علمائنا حول زيد النار هل ان هذا مقبول ام مرفوض في روايته ؟ السيد الخوئي في معجم رجال الحديث وعندما يصل الى ترجمة زيد النار يقول فيه : (لم يرد في زيد هذا توثيق ولا مدح)

(٢) سورة آل عمران « الآية ٦١ »

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - الصفحة ٢٣٢

لذا اهتم أهل البيت عليه السلام بصناعة الفقهاء وربط الامّة بهم وعبروا عنهم بالقول (الفقهاء أمناء الرسل) كما قرأنا ذلك في حديث الامام الكاظم عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

المصدر الخامس: القضية الحسينية والشعائر الحسينية

المصدر الخامس من مصادر القوة لدى الشيعة هي القضية الحسينية وشعائرها والتي تعتبر مصدر الهام ومصدر بطولة ومصدر كرامة ومصدر قيم ومصدر انسانية ومصدر ثورة ومصدر غيرة ومصدر ايثار، ونرى اليوم الالاف يدخلون التشيع بسبب قضية الامام الحسين عليه السلام.

الامتداد الجماهيري وقلق السلطة:

في هذه المرحلة وهي عهد الامام الكاظم عليه السلام حدث امتداد جماهيري كبير لأهل البيت عليه السلام حتى وصل ذلك الامتداد الى داخل القصر العباسي .

يمكن ان نقرأ ذلك في قصة سليمان العباسي وهو ابن عم الرشيد الخليفة العباسي لما شاهد جثمان الامام الكاظم عليه السلام مطروحا على الجسر، أرسل المنادي ينادي : (الا من اراد ان يشهد جنازة الطيب ابن الطيب فليشهد جنازة موسى بن جعفر) .

وقد كان النداء قبل ساعة وعلى العكس من ذلك مما لا يمكن ذكره .^(١)، وهذا يعتبر تحديا للخليفة الذي هو قاتل الامام عليه السلام.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - عن الحسن بن عبد الله الصيرفي ، عن أبيه قال : توفي موسى بن جعفر عليه السلام في يدي السندي ابن شاهك ، فحمل على نعش ونودي عليه هذا إمام الرفض فاعرفوه . فلما اتى به مجلس الشرطة أقام أربعة نفر فنادوا ألا من أراد أن يرى الخبيث ابن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج ، وخرج سليمان بن أبي جعفر من قصره إلى الشط ، فسمع الصياح والضوضاء فقال لولده وغلماؤه : ما هذا ؟ قالوا : السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر على نعش فقال لولده وغلماؤه : يوشك أن يفعل

وايضا يمكن أن نقرأ الامتداد في قصة أم الرشيد حيث نذرت اذا شفي الامين والمامون ان تعطي عشرة الاف درهم للامام الكاظم عليه السلام .

هذا الامتداد الجماهيري هو الذي دعا المامون العباسي اجبار الامام الرضا عليه السلام على قبول ولاية العهد ومدح أهل البيت عليه السلام في داخل القصر العباسي .

حتى وصل ذلك الامتداد الى بلاد المغرب وافريقيا وخراسان ، ويمكن أن نقرأ هنا قصة شعيب العرقوفي :

قصة شعيب العرقوفي :

عن شعيب العرقوفي ،^(١) قال : قال لي أبو الحسن الامام الكاظم عليه السلام مبتدئاً من غير أن أسأله عن شيء :

يا شعيب غداً يلقاك رجل من أهل المغرب يسألك عنى ، فقل له : هو والله الامام الذي قال لنا أبو عبد الله عليه السلام : فإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه منى .

فقلت : جعلت فداك فما علامته ؟ .

قال : رجل طويل جسيم يقال له يعقوب ، فإذا أتاك فلا عليك أن تجيبه عن

هذا به في الجانب الغربي ، فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم فإن مانعكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد . فلما عبروا به نزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم وضربوهم ، وخرقوا عليهم سوادهم ، ووضعوه في مفرق أربعة طرق وأقام المنادين ينادون ألا من أراد الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليخرج ، وحضر الخلق .

(١) قال النجاشي : (شعب العرقوفي أبو يعقوب ، ابن أخت أبي بصير يحيى ابن القاسم ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام ، ثقة ، له كتاب ، يرويه حماد بن عيسى ، وغيره ، وعده الشيخ في رجاله تارة من أصحاب الامام الصادق عليه السلام و أخرى من أصحاب الامام الكاظم عليه السلام قائلا : (شعيب العرقوفي من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام) . (المحقق)

جميع ما سألك فإنه واحد قومه ، وإن أحب أن تدخله علي فأدخله .
قال : فوالله إنني لفي طوافي إذ أقبل إلي رجل طويل من أجسم ما يكون من الرجال .

فقال لي : أريد أن أسألك عن صاحبك .

فقلت : عن أي صاحب ؟

قال : عن فلان بن فلان .

فقلت : ما اسمك ؟

قال : يعقوب .

قلت : ومن أين أنت ؟

قال : رجل من أهل المغرب .

قلت : فمن أين عرفتني ؟

قال : أتاني آت في منامي وقال لي : إلق شعيباً فأسأله عن جميع ما تحتاج إليه ، فسألت عنك ودلت عليك .

فقلت : إجلس في هذا الموضع حتى أفرغ من طوافي وآتيك إن شاء الله .

فطففت ثم أتيته فكلمت رجلاً عاقلاً فاضلاً ، ثم طلب الي أن أدخله على أبي الحسن الكاظم عليه السلام ، فأخذت بيده فاستأذنت على أبي الحسن عليه السلام فأذن لي .

فلما رآه أبو الحسن عليه السلام قال له : يا يعقوب قدمت أمس ووقع بينك وبين أخيك شر في موضع كذا وكذا ، حتى شتم بعضكم بعضاً ، وليس هذا ديني ولا دين آبائي ، ولا نأمر بهذا أحداً من الناس ، فاتق الله وحده لا شريك له ، فإنكما ستفترقان بموت ، أما إن أخاك سيموت في سفره قبل أن يصل إلى أهله ، وستندم أنت على ما كان منك ، أنكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما .

فقال له الرجل : فأنا جعلت فداك متى أجلى ؟

فقال : أما إنَّ أجلك قد حضر حتى وصلت عمّتك بما وصلتها به في موضع كذا وكذا ، فزيد في أجلك عشرون .

قال أخبرني الرجل ولقيته حاجاً ، أن أخاه لم يصل إلى أهله حتى دفن في الطريق .^(١)

من هذه القصة ندرك الى اين وصل التشيع حيث وصل الى بلاد المغرب بينما الامام الكاظم عليه السلام في المدينة المنورة .

المهمة الثالثة: حماية الشيعة :

وبمقدار ما كان الشيعة يبذلون الغالي والنفيس دفاعاً عن ائمتهم عليهم السلام ، كان الائمة الاطهار يحمون شيعتهم ويدفعون عنهم المخاطر .

١- قصة مع الامام الرضا عليه السلام :

يروى احمد بن عمرة قال :

(خرجت إلى الرضا وامراتي حبلى ، فقلت له : إنني قد خلفت أهلي وهي حامل فادع الله أن يجعله ذكراً .

فقال لي : وهو ذكر فسمّه عمراً .

فقلت : نويت أن اسميه عليا وأمرت الأهل به .

قال عليه السلام : سمّه عمراً .

فوردت الكوفة وقد ولد ابن لي وسمي عليا فسميته عمراً .

فقال لي جيرانني : لا نصدق بعدها بشئ مما كان يحكى عنك ، فعلمت أنه كان أنظر إلي من نفسي) .^(١)

ويروي بكربن صالح قال :

(أتيت الرضا عليه السلام وقلت : امرأتي أخت محمد بن سنان بها حمل فادع الله أن يجعله ذكرا .

قال : هما اثنان .

قلت في نفسي : هما محمد وعلي .

وبعد انصرافي دعاني وقال : سم واحدا عليا والأخرى أم عمر .

فقدمت الكوفة وقد ولد لي غلام وجارية في بطن ، فسميت كما أمرني) .^(٢)

وهذه القصص هي نماذج من حماية الائمة عليهم السلام لشيعتهم دفعا للبلاء عنهم .

٢- قصة الامام الكاظم عليه السلام :

وفي قصة اخرى تقول عن رجل من أهل الري قال : ولي علينا بعض كتاب يحيى بن خالد البرمكي وكان علي بقايا دين يطالبني بها ، وقيل لي : إنه يتحل هذا المذهب ، فخفت أن أمضي إليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أحب ، فاجتمع رأيي على أن أهرب إلى الله تعالى فحججت ولقيت مولاي الصابر - يعني موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام - فشكوت حالي إليه فأعطاني مكتوبا الى الوالي نسخته :

(بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أن لله تحت عرشه ظلا لا يسكنه إلا من

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٩ - الصفحة ٥٢

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٩ - الصفحة ٥٢

أسدى إلى أخيه معروفاً أو نفس عنه كربة ، أو أدخل على قلبه سرورا ، وهذا أخوك والسلام) .

قال : فعدت من الحج إلى بلدي ، ومضيت إلى الرجل ليلا ، واستأذنت عليه وقلت : رسول الصابر عليه السلام فخرج إليّ حافيا ماشيا ، ففتح لي بابه ، وقبلني وضممني إليه ، وجعل يقبل بين عيني ، ويكرر ذلك كلما سألتني عن رؤيته عليه السلام وكلما أخبرته بسلامته ، وصلاح أحواله ، استبشر ، وشكر الله ، ثم أدخلني داره وصدرني في مجلسه وجلس بين يدي ، فأخرجت إليه كتابه عليه السلام فقبله قائماً وقرأه ثم استدعى بماله وثيابه ، فقاسمني ديناراً ديناراً ، ودرهماً درهماً ، وثوباً ثوباً ، وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته ، وفي كل شئ من ذلك يقول : يا أخي هل سررتك ؟

فأقول : إي والله ، وزدت على السرور ، ثم استدعى ديوان العمل فأسقط ما كان باسمي وأعطاني براءة مما يتوجب علي منه ، وودعته ، وانصرفت عنه . فقلت : لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلا بأن أحج في قابل وأدعوله وألقى الصابر الامام الكاظم عليه السلام فحججت في العام القادم ولقيت الامام الكاظم عليه السلام وشرحت له ما كان من الوالي وجعلت أحدثه ووجهه يتهلل فرحاً ، فقلت : يا مولاي هل سرّك ذلك ؟

فقال : إي والله لقد سرّني وسرّ أمير المؤمنين ، والله لقد سرّ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولقد سرّ الله تعالى . (١)

استلام حكم أم اعداد للقائم ؟

ومع كل هذا الامتداد الجماهيري ، هل كان أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في هذا العصر - عصر الامام الكاظم والرضا عليهما السلام - يفكرون باستلام السلطة كما

يرى ذلك بعض المؤرخين ؟

كيف نحلل هذه المرحلة ، هل هي مرحلة الأعداد لاستلام حكم ؟

ام انها مرحلة للأعداد للقائم وغيبته ؟

أهل البيت عليه السلام يعرفون انها ليست مرحلة استلام حكم وانما هي مرحلة
الأعداد لغيبة القائم عليه السلام

لنقرأ هنا قصة دعبل الخزاعي مع الامام الرضا عليه السلام :

يقول دعبل :

أنشدت مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام قصيدتي التي أولها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
فلما انتهيت إلى قولي :

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنعيمات
بكى الرضا عليه السلام بكاء شديدا ثم رفع رأسه إلي فقال لي عليه السلام : يا خزاعي
نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين ، فهل تدري من هذا الامام ؟ ومتى
يقوم ؟

فقلت : لا يا مولاي ، إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من
الفساد ويملاها عدلا .

فقال عليه السلام : يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني ، وبعد محمد ابنه علي وبعد علي
ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته ، المطاع في ظهوره ،
ولولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاها عدلا
كما ملئت جورا .

وأما متى ؟ فإخبار عن الوقت ، ولقد حدثني أبي عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليهم الصلاة والسلام أن النبي ﷺ قيل له يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك ؟

فقال ﷺ: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتاكم إلا بغتة (١) .

توقعات الظهور:

العلامة بن طاووس وهو من كبار علماء الشيعة في القرن السابع الهجري كان يعتقد ان الامام عليه السلام يظهر في هذا العصر وهو سيكون وزيره وهذا الامر قبل سبعمائة عام من الان .

كذلك يرى ابن عربي ايضا وهو من كبار علماء السنة وفي نفس القرن عاش مع ابن طاووس كان يتوقع ظهور الامام عليه السلام في عصره ويكون هو وزيراً له ايضا .

شروط ظهور الامام المهدي عليه السلام:

ان مرحلة الامام الكاظم عليه السلام لم تكن مرحلة اعداد لاستلام السلطة ، بل كانت مرحلة الاعداد لغيبة الامام المهدي عليه السلام ذلك ان هنالك ثلاثة امور يتوقف عليها ظهور الامام عليه السلام وهي الشروط الظاهرية وليست العوامل الغيبية ، وهي :

الشرط الاول : الجماعة الصالحة

الشرط الثاني : الامة المؤهلة

الشرط الثالث : العقيدة الصحيحة .

ان الاعتقاد بان مرحلة الامام الكاظم عليه السلام والامام الرضا عليه السلام كانت مرحلة الاعداد لاستلام السلطة هي رؤية يتبناها بعض كبار المعاصرين باستدلاله بجو الثورات التي كان هدفها الاطاحة بنظام الحكم القائم .

من هذه الثورات هي ثورة الحسين شهيد فخ عام ١٩٩ هجرية حيث كانت فاجعة لأهل البيت عليهم السلام ، ورغم انها أخفقت لكن المؤرخين يرونها تمهيداً لاسقاط حكم واستلام حكم اخر .

واقعة فخ ^(١) وبطولات الشيعة :

عانى الشيعة في عهد الحاكم العباسي موسى الهادي الخوف والإرهاب ، فقد أخاف الشيعة خوفاً شديداً ، وألح في طلبهم ، وقطع أرزاقهم وعطاياهم ، وكتب إلى الأفاق بطلبهم .

وكان ذلك من أهم الأسباب التي ثار من أجلها صاحب فخ وهو السيد أبو عبد الله ، الحسين بن عليّ الخير بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام حيث جند الشيعة الموجودين في المدينة المنورة ، وخرج بهم مع نسائهم وأطفالهم متوجهاً نحو مكّة المكرمة ؛ ليثور على والي مكّة المنسوب من قبل الحاكم موسى الهادي ، ولكنّ الوالي أرسل إليهم جيشاً كبيراً فقاتلوهم في منطقة فخ .

عندما عزم الحسين صاحب واقعة فخ أن يثور على الأوضاع الفاسدة التي وصلت إلى حدّ الإذلال والاضطهاد الشديد لكلّ من هوشيعي وعلوي أقبل الحسين إلى الإمام الكاظم عليه السلام يستشيريه في ثورته ، وعرض عليه فكرة الثورة .

فالتفت إليه الامام عليه السلام قائلاً : « إنك مقتول فأجدّ الصّراب ، فإنّ القوم

(١) مراجعة أعيان الشيعة ٧ / ١٣٣

فساق ، يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وعند الله عزوجل أحتبسبكم من عُصبة» (١)

لم يخرج الإمام الكاظم عليه السلام مع الحسين رغم علمه بأن السلطة سوف تحمله مسؤوليتها ، كما حمل هشام بن الحكم الأموي جدّه الباقر عليه السلام مسؤولية ثورة زيد ، وحمل المنصور أباه الصادق عليه السلام مسؤولية ثورة محمد النفس الزكية ؛ وذلك لعلمه مسبقاً بالنتائج وبمآل الثورة ، ولمصالح أخرى يعلمها ويقدرها الامام عليه السلام

لقد قُتل في واقعة فخّ نحو مئة نفر من ذرية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وقُطعت رؤوسهم ، وسُبيت النساء والأطفال ، ثم أرسلت رؤوس القتلى إلى الطاغية موسى الهادي ومعهم الأسرى ، وقد قيّدوا بالحبال والسلاسل ، ووضعوا في أيديهم وأرجلهم الحديد ، فأمر الطاغية بقتل السبي حتّى الأطفال منهم على ما قيل ، فقتلوا صبراً وصلبوا على باب الحبس .

هاجس الثورة :

احد الوشاة جاء يوما الى هرون الرشيد وقال له : يوجد عندنا خليفتان يجمع لهما المال .

قال الرشيد : من ؟

قال : الاول انت والثاني موسى بن جعفر .

هكذا كان ينظر الناس ان الامام الكاظم عليه السلام يريد اسقاط الحكم العباسي .

يروى المؤرخون عن الامام الكاظم عليه السلام انه قال :

(لما أمرهارون الرشيد بحملتي ، دخلت عليه فسلمت فلم يرد السلام ورأيته مغضبا ، فرمى إلي بطومار فقال : اقرأه فإذا فيه كلام ، قد علم الله عزوجل براءتي منه ، وفيه إن موسى بن جعفر يجبى إليه خراج الآفاق من غلاة الشيعة ممن يقول بإمامته ، يدينون الله بذلك ، ويزعمون أنه فرض عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويزعمون أنه من لم يذهب إليه بالعشر ولم يصل بإمامتهم ، ولم يحج بإذنهم ، ويجاهد بأمرهم ، ويحمل الغنيمة إليهم ، ويفضل الأئمة على جميع الخلق ، ويفرض طاعتهم مثل طاعة الله وطاعة رسوله ، فهو كافر حلال ماله ، ودمه

قلت : يا أمير المؤمنين والذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة ما حمل إلي أحد درهما ولا دينارا من طريق الخراج لكنا معاشر آل أبي طالب نقبل الهدية التي أحلها الله عزوجل لنبيه ﷺ في قوله : لو أهدي لي كراع لقبلت ، ولو دعت إلى ذراع لأجبت ، وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه ، وكثرة عدونا ، وما منعنا السلف من الخمس الذي نطق لنا به الكتاب ، فضاق بنا الامر ، وحرمت علينا الصدقة وعوضنا الله عزوجل عنها الخمس واضطررنا إلى قبول الهدية وكل ذلك مما علمه أمير المؤمنين فلما تم كلامي سكت .

ثم قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمه في حديث عن آبائه ، عن النبي ﷺ فكأنه اغتتمها .

فقال : مأذون لك ، هاته !

فقلت : حدثني أبي ، عن جدي يرفعه إلى النبي ﷺ : أن الرحم إذا مست رحما تحركت واضطربت فان رأيت أن تناولني يدك ، فأشاربيده إلي .

ثم قال : ادن .

فدنوت فصافحني وجذبني إلى نفسه ملياً ثم فارقني وقد دمعت عيناه .

فقال لي : اجلس يا موسى ، فليس عليك بأس ، صدقت وصدق جدك وصدق النبي ﷺ لقد تحرك دمي ، واضطربت عروقي وأعلم أنك لحمي ودمي وأن الذي حدثتني به صحيح) .^(١)

نلاحظ من هذه القصة ان السلطان العباسي كان على الدوام قلقاً من ثورة العلويين .

وهذا الهاجس كان في تفكير خلفاء بني العباس الامر الذي جعل المامون العباسي فيما بعد يقترح على الامام الرضا عليه السلام بقوله : (ماذا ترى تكون انت بالعراق وانا في خراسان)

وبالتاكيد كان هذا لاختبار نوايا الامام الرضا عليه السلام في تفكيره باستلام السلطة والثورة على المأمون . .

فرفض الامام الرضا عليه السلام ذلك الامر واضطر المامون ان يجعل الامام الرضا عليه السلام ولياً للعهد .

وهذا شاهد كان يستخدمه بعض المؤرخين للتدليل على نظريته في أن المرحلة كانت هي مرحلة استلام السلطة ، لكن هذه النظرية قابلة للنقاش ، فالعهد لم يكن عهد استلام وانقلاب على السلطة القائمة .

وانما هي مرحلة إعداد الامة لغيبة القائم عليه السلام وتعريف الامة بالقيادة الشرعية في زمن الغيبة ، حيث ان حاكمية الاسلام تحتاج الى امة رشيدة ويجب ان نعمل مئات السنين من اجل خلق امة صالحة وجماعة صالحة وعقيدة صحيحة ومذهب صحيح وحينئذ يمكن أن نتطلع الى حاكمية الاسلام .

نماذج بطولية : .

دعبل الخزاعي :

دعبل الشاعر المعروف زمن الامام الرضا عليه السلام انشد في مجلس المامون قائلاً :
واني من القوم الذي سيوفهم قتلن أخاك وشرفتك بموقع
رفعوا محلّك بعد طول خموله واستنقذك من الحضيض الاوقع
فقال له ابو اسحق : (ما وجدت شخصاً أجسر منك يتكلم هكذا مع
المامون)

فقال دعبل : (مازلت احمل خشبتي على كتفي أربعين سنة أطلب من
يصلبني عليها) .

هذه هي البطولة والعلاقة مع الله وسر الانتصار على الطغاة .

الشاعر ابو نؤاس^(١)

ابو نؤاس شاعر عملاق جدا هو الذي قال في مجلس المامون :

قيل لي أنت أوحّد الناس طرّاً في فنون من كلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت : لا أهتدي لمدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه
فقال له المأمون : أحسنت ! . . ووصله من المال بمثل الذي وصل به كافة
الشعراء وفضّله عليهم^(٢) .

(١) أبو نؤاس أو الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء عصر الدولة العباسية . ويكنى بأبي
علي وأبي نؤاس والنؤاسي .

(٢) العيون ١٤٢/٢

زكريا بن ادم^(١)

زكريا بن ادم من اصحاب الامام الرضا عليه السلام وهو فقيه عملاق مدفون بقم في مقبرة شيخون قال : قلت للرضا عليه السلام : اني أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فيهم ، فقال : لا تفعل ، فإن أهل بيتك يدفع عنهم بك ، كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام^(٢) .

هؤلاء هم شيعة أهل البيت عليه السلام ، وهؤلاء هم فقهاء أهل البيت عليه السلام الذين تجسدت بهم الارادة البطولية والارادة الالهية فجعلتهم ابطال التاريخ .

دور الفقهاء في زمن الامام الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام :

الفقهاء هم الذين قال فيهم الحديث الشريف الذي يرويه الامام الكاظم عليه السلام (الفقهاء امناء الرسل) .

امير المؤمنين الامام علي عليه السلام يقول : (اما والله لولا حضور الحاضروقيام الحجة بوجود الناصر ما فرض الله على العلماء ان لا يقاروا على كفة ظالم ولا سب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها)

الفقهاء الذين يقول الحديث فيهم : (اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه) .

والعلماء الذين قال فيهم الامام الحسين عليه السلام فيهم : (مجاري الامور والاحكام على يد العلماء) .

الفقهاء الذين يقول فيهم امام زماننا عليه السلام : (اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها

(١) زكريا بن آدم الأشعري ، أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام ومن الرواة عنهم والموثوق لديهم ، وثقه كل من ترجم له ، حتى نُقل في حقّه أحاديثٌ عديدة تدلّ على علوّ منزلته .

(٢) رجال الكشي ج ٢ ص ٨٥٧ - ٨٥٨ .

الى رواية حديثنا) .

هذا كله في الجانب النظري . وسؤالنا الآن اين كان دور الفقهاء في التجربة على ارض الواقع في الماضي والحاضر؟

دائماً وعلى طول التاريخ كان الفقهاء يقومون بدورين هما :

الدور الاول : الدفاع عن الشريعة

الدور الثاني : الدفاع عن الامة

محمد بن ابي عمير:^(١)

الفقيه الكبير محمد بن ابي عمير من اصحاب الإمام الصادق عليه السلام والامام الكاظم عليه السلام وامتدت حياته الى ما بعد الامام الكاظم عليه السلام .

وهو علامة فقيه كبير يسمى في الحوزة العلمية من اصحاب الاجماع ومعناه ان الطائفة اجمعت على تصحيح ما يصح عنه من الروايات .

(١) معجم رجال الحديث للإمام الخوئي - الجزء الخامس عشر ، القسم : الرجال ، (محمد بن أبي عمير ، يكتنى بأحمد ، من موالي الازد ، واسم أبي عمير زياد ، وكان من أوثق الناس عند الخاصة والعامة ، وأنسكهم نسكاً ، وأورعهم وأعبدهم ، وقد ذكر الجاحظ في كتابه في فخر قحطان على عدنان بهذه الصفة التي وصفناه ، وذكر أنه كان واحد أهل زمانه في الاشياء كلها ، وأدرك من الائمة عليهم السلام ، ثلاثة : أبا إبراهيم موسى عليه السلام ، ولم يرو عنه ، وأدرك الرضا عليه السلام (وروى عنه) ، والمواد عليه السلام ، وروى عنه أحمد بن محمد بن عيسى ، كتب مئة رجل من رجال الصادق عليه السلام ، وله مصنفات كثيرة ، وذكر ابن بطّة أن له أربعة وتسعين كتاباً ، منها : كتاب النوادر كبير ، حسن ، وكتاب الاستطاعة والافعال والردّ على أهل القدر والجبر ، وكتاب الامامة ، وكتاب البداء ، وكتاب المتعة ، ومسائله عن الرضا عليه السلام وغير ذلك .

التي وصفناه ، وذكر أنه كان واحد أهل زمانه في الاشياء عليهم السلام ، ثلاثة : أبا إبراهيم موسى عليه السلام ، ولم يرو عنه ، وأدرك الرضا عليه السلام (وروى عنه) ، والمواد عليه السلام ، وروى عنه أحمد بن محمد بن عيسى ، كتب مئة رجل من رجال الصادق عليه السلام ، وله مصنفات كثيرة ، وذكر ابن بطّة أن له أربعة وتسعين كتاباً ، منها : كتاب النوادر كبير ، حسن ، وكتاب الاستطاعة والافعال والردّ على أهل القدر والجبر ، وكتاب الامامة ، وكتاب البداء ، وكتاب المتعة ، ومسائله عن الرضا عليه السلام وغير ذلك .

سجنه هرون الرشيد سبعة عشر عاماً ونتيجة التعذيب في السجن يقول
أوشكت على الاعتراف حتى سمعت صوتاً من محمد بن يونس بن عبد الرحمن
يقول لي : يا شيخي اتق الله ولا تعترف .

يقول : تماسكت نفسي ولم اعترف .

وبقيت مؤلفاته مدفونة تحت التراب لمدة أربع سنوات الى ان نزل عليهن ماء
المطر وتلفت كتبه ، ورغم ذلك فانه كان يحفظ تلك الأحاديث ، ومن هنا يعتبر
من عمالقة الفقه الشيعي .

حكى عن الجاحظ انه قال وهو يتحدث عن محمد بن أبي عمير:

(كان أوحدهم أهل زمانه في الأشياء كلها) .

وقال أيضاً :

(وكان وجهها من وجوه الرافضة ، حبس أيام الرشيد ليلي القضاء ، وقيل بل
ليدل على الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر عليه السلام ، وضرب على ذلك ، وكاد يقر
لعظيم الألم ، فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمان يقول له : اتق الله يا محمد
بن أبي عمير فصبر ففرج الله عنه) .

وروى الكشي^(١) ان محمد بن أبي عمير ضرب مائة وعشرين خشبة أيام

(١) أبو عمرو ، محمد بن عمر بن عبد العزيز أحد كبار علماء الشيعة في القرنين الثالث والرابع الهجري ، وكان من
أصدقاء ثقة الإسلام الكليني مؤلف كتاب الكافي ، المتوفى سنة : ٣٢٩ هجرية ، ويشترك معه في كثير من أسانئده
ومشائجه . هذا وقد عاصر الكشي فترة الغيبة الصغرى ، وسكن بغداد ، ويُتوقع أنه التقى بنوآب الإمام المهدي
المنتظر عليه السلام وأخذ عنهم ، لكونهم في بغداد أيضاً في تلك الفترة . إهتم بعلم الرجال و صار ذو معرفة بالأخبار و
الأحاديث و رواها ، فجعل التدقيق في أحوال الرواة باكورة أعماله و كتب في علم الرجال كتابه معرفة الرجال ،
المعروف بـ " رجال الكشي " ، الذي يعتمد عليه الشيخ الطوسي و أملاه على تلامذته ، كما روى عنه هارون بن
موسى التلعكبري و جعفر بن محمد قولويه صاحب كتاب " كامل الزيارة " . توفي الكشي في منتصف القرن الرابع
حدود عام ٣٥٠ الهجري . (راجع : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، للعلامة الشيخ آغا بزرگ الطهراني)

هارون ، وتولى ضربه السندي بن شاهك ، وكان ذلك على التشيع ، وحبس فلم يفرج عنه ، حتى أدى من ماله واحدا وعشرين ألف درهم .

وروى أن المأمون حبسه حتى ولاه قضاء بعض البلاد .

وروى الشيخ المفيد^(١) في الإختصاص أنه حبس سبع عشرة سنة ، وفي مدة حبسه دفنت أخته كتبه فبقيت مدة أربع سنين ، فهلكت الكتب ، وقيل إنه تركها في غرفة فسال عليها المطر^(٢)

يونس بن عبد الرحمن^(٣):

وهو من الفقهاء المجاهدين من تلامذة الامام الكاظم عليه السلام والامام الرضا عليه السلام

(١) هو محمد بن محمد بن النعمان من علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري . كان تلميذ الشيخ الصدوق ، وأستاذ السيد الرضي المرتضى وكذلك الشيخ الطوسي . اشتهرت قبل الشيخ المفيد ظاهرة التمسك بظواهر الحديث ، ولم يكن هناك رواج للاستفادة من العقل كعنصر في عملية الاستنباط بحيث تحول هذا إلى عائق أمام تكامل العلوم وازدهار العلماء . لذلك انتفض الشيخ المفيد مقابل هذا الجو من الجمود الذي هيمن على الواقع آنذاك ، فقام بتدوين أصول الفقه ليؤسس فقهاً جديداً وينطلق صوب اجتهاد صار يمثل الطريق الوسط بين المنهجية الحديثية التي تبناها الشيخ الصدوق والمنهجية القياسية التي ذهب إليها ابن الجنيد في الفقه . دون الشيخ في البداية أصولاً في كتاب التذكرة بأصول الفقه لاستنباط الأحكام . وسار في هذا الخط كل من السيد المرتضى في كتابه الذريعة والشيخ الطوسي في كتاب عدة الأصول معتمدين على ما ابتكره أستاذهما من منهج أصولي . يذكر أن الشيخ نفسه كان قد استلهم هذه المنهجية من أستاذه ابن أبي عقيل العماني .

ويعتبر الشيخ المفيد المؤسس للفقه المقارن ، من خلال تأليفه الذي أطلق عليه عنوان الإعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من أحكام ، واكمل هذا المشروع من خلال كتاب الانتصار للسيد المرتضى ، والخلاف للشيخ الطوسي ، وتذكرة الفقهاء للعلامة الحلي . وبعد الشيخ المفيد من أكبر العاملين على إحياء العلوم الإسلامية ومن المروجين المجاذين للثقافة الشيعية والناشرين للفقه الإمامي . (آغا بزرك الطهراني ، الذريعة ، ص ١٨٦-١٨٧)

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - الصفحة ١٧٩ في هامش الصفحة

(٣) معجم رجال الحديث للإمام الخوئي الجزء الحادي والعشرون ، القسم : الرجال ، يونس بن عبد الرحمن ، مولى آل يقطين ، له كتب كثيرة (أكثر من ثلاثين كتاباً) ، وقيل إنها مثل كتب الحسين بن سعيد وزيادة ،

وقد ضمن له الامام الرضا عليه السلام الجنة ثلاث مرات ، وقد ألف الف كتاب في الرد على المخالفين .

كان له أربعون أخاً وصاحباً يدور عليهم في كل يوم مسلماً في توثيق غلاقاته الاجتماعية والعلمية ثم يرجع الى منزله فياكل ويتهيا للصلاة ثم يجلس للتصنيف والتأليف .

ولقد عانى يونس من خلافات في داخل البيت الشيعي وتعرض الى نقد كبير من أوساط شيعية لم تدرك منزلته ، وقد دخلوا يوماً على الامام الرضا عليه السلام ووقعوا في يونس وطعنوا به ، فلما علم بذلك يونس قال للامام الرضا عليه السلام :
جعلني فداك انا احامي عنكم وهذه حالي عند اصحابي .

فقال له الامام الرضا عليه السلام

ما عليك مما يقولون اذا كان امامك عنك راضياً ، يا يونس حدّث الناس بما يعرفون واتركهم مما لا يعرفون .

يا يونس لو كان في يدك اليمنى درة ، وقال الناس انها بعة ، هل يضرك ذلك ؟

قلت : لا

(وله جامع الآثار) ، وكتاب الشرايع ، وكتاب العلل ، وكتاب اختلاف الحديث ومسائله عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام .

أخبرنا بجميع كتبه ورواياته جماعة عن أبي جعفر بن بابويه ، عن محمد بن الحسن ، وعن أحمد بن محمد ابن الحسن ، عن أبيه . وأخبرنا بذلك ابن أبي جبر ، عن محمد بن الحسن ، عن سعد ، والحميري ، وعلي بن إبراهيم ، ومحمد بن الحسن الصفار ، كلّهم عن إبراهيم بن هاشم ، عن إسماعيل بن مرار ، وصالح بن السندی ، عنه . ورواه أبو جعفر بن بابويه ، عن حمزة بن محمد العلوي ، ومحمد بن علي ماجيلويه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل ، وصالح ، عنه . وأخبرنا بذلك ابن أبي جبر ، عن ابن الوليد ، عن الصفار ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عنه .

قال عليه السلام: هكذا انت يا يونس اذا كنت على الصواب وكان امامك عنك راضيا لم يضرك ما قال الناس^(١)

لقد كان يونس شديد الدفاع عن المذهب ، وحريصا على اظهار الحقيقة ، فحينما مات الامام الرضا عليه السلام ظهر من يرفض امامة الامام الجواد عليه السلام وهم الواقفة الذين وقفوا على الامام الرضا عليه السلام ، وكان يونس يدعو الى امامة الامام محمد الجواد عليه السلام فبعث اليه جماعة وأغروه بالمال الكثير وطلبوا منه السكوت فقال يونس :

انا روينا عن الصادقين عليه السلام قالوا : (اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه فان لم يفعل سلب عنه نور الايمان وما كنت ادع الجهاد وامر الله على كل حال)^{(٢)(٣)}

المتكلم الشيعي هشام بن الحكم:

وهشام بن الحكم هو رمز من رموز الشيعة في علم الكلام والعقيدة وهو من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام والامام الكاظم عليه السلام ، وقد تعرض للملاحقة الامنية من

(١) معجم رجال الحديث / السيد الخوئي / ج ٢ / ترجمة يونس بن عبد الرحمن

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - الصفحة ٢٥٢

(٣) فروى محمد بن يعقوب ، عن محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن أحمد عن محمد بن جمهور ، عن أحمد بن الفضل ، عن يونس بن عبد الرحمن قال :

مات أبو إبراهيم عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير ، و كان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته ، طمعا في الأموال ، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار ، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار ، فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا ما علمت ، تكلمت ودعوت الناس إليه فيعثن إلي وقالوا : ما يدعوك إلى هذا ؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمننا لي عشرة آلاف دينار ، وقالوا لي : كف ، فأبيت وقلت لهما : إنا روينا عن الصادقين عليه السلام أنهم قالوا : إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه ، فإن لم يفعل سلب نور الايمان ، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كل حال ، فناصباني وأضمر لي العداوة .

(بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - الصفحة ٢٥٢)

قبل هرون الرشيد حتى مات فزعاً مخفياً

يقول المؤرخون : (واعتل هشام بن الحكم علته التي قبض فيها ، فامتنع من الاستعانة بالأطباء ، فسألوه أن يفعل ذلك فجاءوا بهم إليه فأدخل عليه جماعة من الأطباء فكان إذا دخل الطبيب عليه وأمره بشئ سأله فقال : يا هذا هل وقفت على عলتي ؟

فمن بين قائل يقول : لا .

ومن قائل يقول : نعم .

فان استوصف ممن يقول نعم وصفها .

فإذا أخبره كذبه ويقول : عলتي غير هذه .

فيسأل عن علته فيقول : عলتي فزع القلب مما أصابني من الخوف ، وقد كان قدم ليضرب عنقه ، ففزع قلبه لذلك حتى مات (عليه السلام)^(١)

يتظاهر بالجنون خوفاً من السلطان :

ومن اجل الدين والمذهب بذل فقهاء الشيعة ومتكلموهم كل حيلة ، وعملوا المستحيل حتى تظاهروا بالجنون وهم اكثر الناس عقلاً وحكمة .

تعالوا معي لنقرأ القصة الكاملة التي يرويها ابو الهذيل العلاف^(٢) وهو من

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - الصفحة ١٩٥

(٢) أبو الهذيل محمد بن الهذيل العبيدي - نسبة إلى عبد القيس - وكان مولاهم وكان يلقب بالعلاف ، لأن داره في البصرة كانت في العلافين ، قال ابن النديم : كان شيخ البصريين في الاعتزال ، ومن أكبر علمائهم ، وهو صاحب المقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات . والمعتزلة هم فرقة إسلامية ظهرت ظهوراً واضحاً في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، وقد آمنوا بأصول خمسة واعتبروا من لم يؤمن بهذه الأصول ، أو بواحد منها ليس من المعتزلة ، وهي : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ . البلخي ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، ص ٢٦٤)

كبار المتكلمين والعلماء في زمن الامام الرضا عليه السلام يقول :

(دخلت الرقة فذكر لي أن فيها رجلاً مجنوناً حسن الكلام ، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالساً على وسادة يسرح رأسه ولحيته ، فسلمت عليه فرد السلام ، وقال : ممن يكون الرجل ؟

قال : قلت : من أهل العراق .

قال : نعم ، أهل الظرف والآداب .

قال : من أيها أنت ؟

قلت : من أهل البصرة .

قال : أهل التجارب والعلم .

قال : فمن أيهم أنت ؟

قلت : أبو الهذيل العلاف .

قال : المتكلم ؟

قلت : بلى .

فوثب عن وسادته وأجلسني عليها ، ثم قال بعد كلام جرى بيننا : ما تقول

في الإمامة ؟

قلت : أي الإمامة تريد ؟

قال : من تقدمون بعد النبي ﷺ ؟

قلت : من قدم رسول الله ﷺ .

قال : ومن هو ؟

قلت : أبو بكر .

قال لي : يا أبا الهذيل ولم قدمتموه ؟

قلت : لان النبي ﷺ قال : قدموا خيركم ، وولوا أفضلكم ، وتراضي الناس

به جميعاً .

قال ، يا أبا الهذيل ههنا وقعت ، أما قولك إن النبي ﷺ قال : قدموا خيركم ، وولوا أفضلكم ، فاني أوجدك أن أبا بكر صعد المنبر ، وقال وليتكم ولست بخيركم ، فان كانوا كذبوا عليه ، فقد خالفوا أمر النبي ﷺ وإن كان هو الكاذب على نفسه فممنبر النبي ﷺ لا يصعده الكاذبون .

وأما قولك إن الناس تراضوا به فان أكثر الأنصار قالوا : منا أمير ومنكم أمير وأما المهاجرون فان زبير العوام قال : لأبابع إلا عليا فأمر به فكسر سيفه ، وجاء أبو سفيان بن حرب فقال : يا أبا الحسن إن شئت لأملأها خيلا ورجالا يعني المدينة وخرج سلمان فقال : " كردند ونكردند ونداند كه چه كردند " والمقداد وأبو ذر فهؤلاء المهاجرون .

أخبرني يا أبا الهذيل عن قيام أبي بكر على المنبر ، وقوله إن لي شيطانا يعتريني فإذا رأيتموني مغضبا فاحذروني لا أقع في أشعاركم وأبشاركم ، فهو يخبركم على المنبر أنني مجنون ، وكيف يحل لكم أن تولوا مجنونا .

وأخبرني يا أبا الهذيل عن قيام عمر على المنبر وقوله وددت أني شعرة في صدر أبي بكر ثم قام بعدها بجمعة فقال : أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، فبينما هو يود أن يكون شعرة في صدر أبي بكر يأمر بقتل من بايع مثله .

فأخبرني يا أبا الهذيل بالذي زعم أن النبي ﷺ لم يستخلف وأن أبا بكر استخلف عمر ، وأن عمر لم يستخلف ، فأرى أمركم بينكم متناقضا .

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر حين صيرها شورى في ستة وزعم أنهم من أهل الجنة ، فقال : إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنين ، وإن خالف ثلاثة لثلاثة فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ، فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنة .

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر لما طعن دخل عليه عبد الله بن العباس قال :
فرأيتَه جزعا فقلت يا أمير المؤمنين ما هذا الجزع ؟ فقال : يا ابن عباس ما جزعي
لأجلي ولكن جزعي لهذا الامر من يليه بعدي .

قال : قلت : ولها طلحة بن عبيد الله .

قال : رجل له حدة كان النبي ﷺ يعرفه ، فلا أولي أمور المسلمين حديدا .

قال : قلت : ولها الزبير بن العوام .

قال : رجل بخيل رأيتَه يماكس امرأته في كبة من غزل ، فلا أولي أمور

المسلمين بخيلا .

قال ، قلت : ولها سعد بن أبي وقاص .

قال : رجل صاحب فرس وقوس ، وليس من أحلاس الخلافة .

قلت : ولها عبد الرحمن ابن عوف .

قال رجل : ليس يحسن أن يكفي عياله .

قال : قلت : ولها عبد الله بن عمر .

فاستوى جالسا وقال : يا ابن عباس ما والله أردت بهذا ، أولي رجلا لم يحسن

أن يطلق امرأته .

قلت : ولها عثمان بن عفان .

فقال : والله لئن وليته ليحملن آل أبي معيط على رقاب المسلمين ، وأوشك

إن فعلها أن يقتلوه - قالها ثلاثا .

قال : ثم سكْتُ لما أعرف من معاندته لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

فقال لي : يا ابن عباس أذكر صاحبك .

قال : قلت : ولها عليا .

قال : والله ما جزعي إلا لما أخذت الحق من أربابه ، والله لئن وليته ليحملنهم

على المحجة العظمى وإن يطيعوه يدخلهم الجنة .

فهو يقول هذا ثم صيرها شورى بين الستة ، فويل له من ربه .

قال أبو الهذيل بينا هو يكلمني إذ اختلط وذهب عقله !!! - وهذا هو التظاهر بالجنون - فأخبرت المأمون بقصته وكان من قصته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدرا ، فبعث إليه المأمون فجاء به وعالجه وكان قد ذهب عقله بما صنع به ، فرد عليه ماله وضياعه وصيره نديما ، فكان المأمون يتشيع لذلك والحمد لله على كل حال ^(١)

العلاقة المتبادلة بين الشيعة وأئمتهم عليهم السلام

الشيعة هم ابطال التاريخ واثبتوا ذلك في كل المجالات ، في الحرب ، في السلم ، في الثقافة ، في السياسة ، في الادب ، في الشعر ، في الكرم ، في البناء الاجتماعي .

١- العلاقة في عالم التكوين

هذه الخصوصية لشيعة أهل البيت عليهم السلام هل هي ذاتية لهم ؟ ام هي مكتسبة ؟

ومن اين جاء لهم هذا التميّز ؟

لقد ورد في الحديث الشريف عن الامام الرضا عليه السلام ان : (شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا) .

يعني هناك يوجد ترابط بين الشيعة وأهل البيت عليهم السلام في أصل التكوين .

فهم خلقوا من طينة زكية طيبة ، هي طينة محمد صلى الله عليه وآله واله عليه السلام وغيرهم خلقوا من طينة أخرى .

ان العلاقة المتبادلة بين الشيعة وائمتهم عليه السلام في العلم ، وفي الحب ، وفي البلاء ، وفي الدعاء ، وفي الادب .

هذه العلاقة المتبادلة تستمر حتى لمابعد الموت حيث نشهد تجانساً وترابطاً عجيباً ، وهذا الترابط هو الذي جعل للشيعة على طول التاريخ موقعا خاصا .

من اين اتى هذا الموقع الخاص ؟

ان هذا الموقع اتى من العلاقة المتبادلة بين الشيعة وبين ائمتهم عليهم السلام ، وهذا هو مانقرؤه في زيارتهم عليهم السلام حيث نقول : (وجعل صلاتنا عليكم وماخصنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا وطهارة لانفسنا) ومصدر كل ذلك هو علوم أهل البيت عليهم السلام كما جاء في زيارتهم الجامعة حيث نقرا قوله : (بكم علمنا الله معالم دينا واصلح ماكان فسد من ديانا وبكم تمت الكلمة وعظمت النعمة واثتلفت الفرقة)

٢- العلاقة العلمية

لقد عكف فقهاء الشيعة على حفظ علوم أهل البيت عليهم السلام ، حتى ان الإمام الصادق عليه السلام يقول : (لولا وزارة لضاعت علوم ابي) .

وزارة هو من كبار الفقهاء عاش في زمن الامام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام وهو تلميذهم الذي جمع احاديثهم ، وهو من الذين سماهم الامام عليه السلام اوتاد الارض .

وقد قرأنا عن يونس بن عبد الرحمن في زمن الامام الكاظم عليه السلام والامام الرضا عليه السلام انه آلف الف كتاب في علومهم عليهم السلام حتى جاء في الحديث الشريف عن الامام العسكري عليه السلام انه قال في تصانيف يونس (اعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة) وحتى قال عنه الامام الرضا عليه السلام (يونس بن عبد الرحمن في زمانه

كسلمان الفارسي في زمانه) اشارة الى كثير علمه وشدة عبادته ومعرفته وزهده ^(١).

العلامة الشهيد السيد حسن القبانجي

واسحوا لي ان انقل هنا نموذجا من عصرنا الحاضر، ضمن العلاقة المتبادلة بين أهل البيت عليه السلام وشيعتهم ، اذكر هنا الوالد العلامة الشهيد السيد حسن القبانجي الذي غيب في سجون النظام البعثي المقبور وقد كان قد كتب احد عشر مجلداً في أحاديث الامام علي عليه السلام أسماء (مسند الامام علي عليه السلام) .

ولهذا الكتاب مع الشهيد السيد حسن القبانجي حكاية حيث انه في زمن الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف أبعد الشهيد القبانجي من النجف الاشرف الى مدينة راوة ، وهي من المناطق المتعصبة و المتشددة ضد أهل البيت عليه السلام فأبعد لها قهراً ، وذلك بعد خطاب له في مدينة القرنة ندد فيه بالسلطة الحاكمة يومئذ .

ولغرض ما في نفس السلطة الحاكمة عملوا للشهيد القبانجي لقاء مع علماء الدين في راوة وجرى حديث معهم وقالوا له :

انتم الشيعة مهتمين بالامام علي عليه السلام وهو الذي لا يملك سوى احد عشر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

يقول السيد حسن القبانجي هزني هذا الكلام ، فنذرت نذرا اذا اخرجني الله من السجن أن أجمع احاديث الامام علي عليه السلام كلها .

ولما فرج الله عنه جلس خلال اثنين وعشرين عاماً يجمع احاديث الامام علي عليه السلام حتى جمع احد عشر مجلداً والتي اسمها (مسند الامام علي عليه السلام) هكذا نجد الشيعة كانوا حريصين على اخذ العلم من ائمتهم عليهم السلام وتدوينها

وحفظها حيث كان بأيديهم اقلام والواح خصوصا في زمن الامام الكاظم عليه السلام حيث يدونون كل مايقوله .

يقول الراوي : كان جماعة من خاصة ابي الحسن الكاظم عليه السلام من اهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في اكمالهم الواح لطاف واميال فاذا نطق ابو الحسن بكلمة وافتي في نازلة اثبت القوم ماسمعوا منه في ذلك .^(١)

كما كان قسم من شيعة أهل البيت عليه السلام يتسللون الى سجن الامام الكاظم عليه السلام بالتعاون مع بعض السجانيين لتلقي دروسا من الامام عليه السلام وهو في السجن ويدونون مايقوله لهم .^(٢)

٣-علاقة الحب المتبادل

هناك علاقة من نوع اخربين ائمة أهل البيت عليه السلام وشيعتهم وهي علاقة الحب المتبادل .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : (شيعتنا خلقوا من فاضل طيبتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا) .

هكذا يقول ائمتنا عليه السلام عن شيعتهم لانهم من طينة واحدة في اصل التكوين واصل الهوية .

والرواية عن الامام الباقر عليه السلام تقول ان الامام الحسين عليه السلام (جالس على يمين العرش ينظر الى زواره ويدعوا لهم) .

كذلك الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام

يقول : يوم القيامة يكون الشيعة عند جوار الامام الحسين عليه السلام ، والامام

(١) بحار الانوار ج ٤٨ ص ١٥٣

(٢) بحار الانوار ج ٤٨ ص ٢٤١

الحسين عليه السلام على يمين العرش ، فترسل لهم زوجاتهم من الحور العين أنا قد اشتقنا لكم .

فيقولون : اننا مشغولون بالنظر الى وجه الحسين .^(١)

هذا هو الحب المتبادل فالامام الحسين عليه السلام وهو في عالم القيامة ، وفي سرادقات الغيب ينظر الى زواره في الدنيا .

فاتتم يا شيعتنا نصرتم اهل البيت عليه السلام ، ولهذا فان اهل البيت عليه السلام بينهم وبينكم علاقة حب متبادلة .

الامام الباقر عليه السلام يقول : (انني والله لاحب ربيكم وارواحكم) .^(٢)

وهذا قَسَم من الامام الباقر عليه السلام لشييعته . وكذلك نقرأ في الزيارة الجامعة لاهل البيت عليه السلام :

(من احبكم فقد احب الله ، ومن ابغضكم فقد ابغض الله) .

دعبل الخزاعي نموذجاً

شاعر من شعراء اهل البيت عليه السلام لما وقف امام الامام الرضا عليه السلام وقال :

فياربي زدني في هواي بصيرة	وزد حبهم يارب في حساني
واني لمولاهم وقاله عدوهم	واني لمحزون بطول حياتي
احب قصي الرحم من اجل حبكم	واهجر فيكم زوجتي وبناتي

(١) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١٢ - الصفحة ٣٧٨ (إذا كان يوم القيامة جلس الحسين عليه السلام في ظل العرش وجمع الله زواره وشيعته ليصيروا من الكرامة والنصرة والبهجة والسرور إلى امر لا يعلم صفته الا الله فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنة فيقولون انا رسل أزواجكم إليكم يقلن انا قد اشتقناكم وأبطأتم علينا فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامة إلى أن يقولوا لرسلكم سوف نجيثكم انشاء الله تعالى) .

(٢) المحاسن ص ١٦٣

فاني من الرحمن ارجوا بحبهم حياة لدى الفردوس غير بتات
لقد خفت في الدنيا وايام سعيها واني لارجو الامن بعد وفاقي
قال له الامام الرضا (عليه السلام): آمنك الله يادعبل
هذا هو الحب المتبادل بين الشيعة وائمتهم (عليهم السلام)

٤- العلاقة المتبادلة في الدعاء

نحن ندعوا لهم ، وهم يدعون لنا ودعاء اهل البيت (عليهم السلام) مصدر تميزنا
وانتصارنا ، كل ذلك ببركة دعائهم (عليهم السلام) .

رسالة الامام المهدي (عليه السلام) للشيخ المفيد

الامام الحجة (عليه السلام) يكتب للشيخ المفيد وهو كبير علماء الطائفة المدفون
قرب مرقد الامام الكاظم (عليه السلام) يكتب له الامام (عليه السلام) رسالة يقول فيها :
بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد : سلام عليك أيها المولى المخلص في
الدين المخصوص فينا باليقين

نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النَّائي عن مساكن الظالمين حسب الذي
أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ، ما دامت دولة الدنيا
للفاسقين ، فإننا نحيط علما بأنبائكم ، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ،
ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم ، مذجنح كثير منكم إلى ما كان السلف
الصالح عنه شاسعاً ، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

إننا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم
اللاؤاء واصطلمكم الأعداء .

فليعمل كل امرئ منكم ما يقرب به من محبتنا وليتجنب ما يدينه من

كراهيتنا ، وسخطنا .^(١)

ونحن نقرأ في الدعاء :

(اللهم كُنْ لَوْلِيكَ الْحُجَّةَ بنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آبائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَ نَاصِرًا وَدَلِيلًا وَ عِيَاذًا حَتَّى تُسَكِّنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا)

الامام الصادق عليه السلام يدعو لزوار الحسين عليه السلام ويقول :

(اللهم ارحم تلك الوجوه التي غيَّرتها الشمس .

اللهم ارحم تلك الصرخة التي كانت لاجلنا)

هي صرخة مجالس البكاء والذكر للامام الحسين عليه السلام والسير الى كربلاء والزيارة المخصوصة

والامام الصادق عليه السلام يقول : (احيوا امرنا رحم الله من احيا امرنا)

ان ائمتنا عليهم السلام يدعون لنا دائما وهذا الدعاء متبادل بينهم وبين شيعتهم

٥- الزيارة المتبادلة

كما ان هناك تبادل في الزيارة بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وبين شيعتهم .

الامام الرضا عليه السلام يقول : (من زارني على بعد داري ، أتيتهُ يوم القيامة في ثلاث مواطن حتى أخلصه من أهوالها : إذا تطايرت الكتب يمينا وشمالاً ، وعند الصراط ، وعند الميزان)^(٢)

٦- العلاقة الادبية المتبادلة

من العلاقات التي تميز بها شيعة أهل البيت عليهم السلام هي العلاقة الادبية المتبادلة

(١) بحار الأنوار / المجلد الثالث عشر / ص ١٧٤

(٢) كامل الزيارات ص ٣٠٤

بينهم وبين أهل البيت عليه السلام ، فلم يعرف التاريخ أروع من ادبيات شيعة أهل البيت عليه السلام ، ولا عرف التاريخ أشعر من شعراء أهل البيت عليه السلام ، ولا جمعت الدواوين أروع من شعر الشيعة .

الشاعر سليمان بن قتته

من شعراء القرن الاول الشاعر سليمان بن قتته والذي نظم قصيدة قرأها الى فاطمة بنت الحسين عليه السلام يقول فيها :

وان قتيل الطف من ال هاشم أذلّ رقاب من قریش فذلي
فقال له : يا سليمان هكذا تقول
فقال لها : اذن ماذا اقول
قالت قل :

وان قتيل الطف من ال هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلي
لان رقاب المسلمين كلها فجعت بمقتل الحسين عليه السلام وليست قریش فقط .

دعبل الخزاعي

من شعراء أهل البيت عليه السلام الشاعر دعبل الخزاعي هذا الشاعر له قصيدة نظمها للإمام الرضا عليه السلام قائلا :

مدارس ايات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

قال له الامام عليه السلام : هل اكمل قصيدتك يا دعبل في بيت مني ؟

فقال له : تشرفني بذلك

قال الامام عليه السلام :

وقبر بطوس يالها من مصيبة ألحّت على الاحشاء بالزفرات

هذا هو التبادل والتواصل بين أهل البيت عليه السلام وبين شيعتهم في الجانب الأدبي .

٧- علاقة البلاء المتبادل

هذه هي صورة أخرى من صور العلاقة المتبادلة بين الشيعة وأئمتهم ، فهم أبطال في البلاء ، وأبطال في الصبر على البلاء .

كان أئمتنا عليه السلام من أشد الناس ابتلاءً ، ، والأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل .

فالإمام الصادق عليه السلام يقول : (إِنَّا صُبْرٌ ، وَشِيعَتُنَا أَصْبَرُ مِنَّا) .

قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، كَيْفَ صَارَ شِيعَتُكُمْ أَصْبَرَ مِنْكُمْ ؟ !

قَالَ : " لِأَنَّا نَصْبِرُ عَلَى مَا نَعْلَمُ ، وَشِيعَتُنَا يَصْبِرُونَ عَلَى مَا لَا يَعْلَمُونَ . ^(١)

ان أهل البيت عليه السلام يعلمون الجنة ، وما فيها والنار وما فيها ، ونحن لانملك مثل مشاهدتهم وعلمهم ، ومن أجل ذلك كان قول الامام الصادق عليه السلام ان شيعتنا اصبر منا .

الامام الباقر عليه السلام في رواية يرويها الطبري وهو من علماء القرن السادس في كتابه (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) .

يروي انه جاء رجل الى الامام الباقر عليه السلام قال له :

والله اني لاحبكم أهل البيت .

قال له الامام عليه السلام : (فاتخذ للبلاء جلبابا ، فوالله إنه لأسرع إلينا والى شيعتنا

(١) الكافي : ٢ / ٩٣ ، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ، المُلقَّب بثقة الإسلام ، المتوفى سنة : ٣٢٩

هجريّة ، طبعة دار الكتب الإسلامية ، سنة : ١٣٦٥ هجريّة / شمسيّة ، طهران / إيران .

من السيل في الوادي ، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم ، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم) .^(١)

وقد ورد في زيارة ائمتنا عليهم السلام :

(من اعتصم بكم فقد اعتصم بالله ، انتم الصراط الاقوم والسيل الاعظم ، وشهداء دار الفناء ، وشفعاء دار البقاء والرحمة الموصولة ، والاية المخزونة والباب المبتلى به الناس) .

لهذا كان علي قسيم الجنة والنار ، حيث يقف يوم القيامة فيسوق شيعته الى الجنة

وقد سئل احمد بن حنبل وهو امام الحنابلة من المذاهب المتشددة لدى السنة ، كيف يكون علي قسيم الجنة والنار ؟

قال : نعم هذا صحيح . نحن نروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان علي حبه ايمان ، وبغضه كفر ، اذن اصبح علي قسيم الجنة والنار .

والإمام الصادق عليه السلام يقول (: بنا يبدأ البلاء ثم بكم ، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم)^(٢)

هذه هي العلاقات المتبادلة في البلاء بين الشيعة وائمتهم .

(١) الأمالي - الشيخ الطوسي - الصفحة ١٥٤

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ١٣٢

الفصل الثامن

دور الشيعة على عهد الامام

(الجواد) و(الهادي) و(العسكري) عليه السلام

تبدأ هذه المرحلة من عام ٢٠٢ للهجرة حيث إمامة الامام الجواد عليه السلام ، وتستمر مع إمامة الامام علي الهادي عليه السلام والى شهادة الامام الحسن العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ للهجرة ، وهي المرحلة التي شهدت أيام خلافة المأمون الاخيرة ثم المعتصم ثم الواثق ثم المنتصر ثم المستعين ثم المعتز ثم المعتد العباسي والاخير هو الذي دس السم الى الامام الحسن العسكري عليه السلام .

لقد استغرقت هذه المرحلة ما يقرب من ستين عاماً ، وكان لهذه المرحلة خصائصها ولشيعة أهل البيت عليهم السلام دورهم المتناسب معها .

مرحلة تصفير الامل الشيعي :

لقد كانت هذه المرحلة من اصعب المراحل التاريخية التي مر بها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم حتى انتهى الامر الى ان يكون امامهم غائباً عن الانظار وذلك عام ٢٦٠ للهجرة .

هي مرحلة تاريخية تقدر بستين سنة وسميت مرحلة (تصفير الامل الشيعي) حيث الهيمنة العباسية المطلقة على الساحة ، الهيمنة السياسية ، والهيمنة الاعلامية ، والهيمنة الثقافية ، والهيمنة الامنية ، بحيث لم يعد هناك أية إمكانية لاي حراك مضاد يمكن أن يحقق نصراً .

مرحلة (تصفير الامل الشيعي) حيث هيمنة الحكم العباسي المطلق بدأت بعد القضاء على الامام الرضا عليه السلام ، فالمامون جاء بالامام الرضا عليه السلام ووضع في القصر ووضع عليه رقابة مطلقة وسمّاه (ولي العهد) ولكنها كانت خطة حجز

واقامة جبرية في القصور الى ان استشهد الامام الرضا عليه السلام على يد المامون العباسي وكان للامام الجواد عليه السلام حينئذ من العمر سبع سنوات ومع ذلك وبرغم سنه الصغير فقد اراد المامون ان يقضي عليه ويقطع جذور الامل لدى الشيعة بتسليم الحكم .

وهنا بدأت خطة المامون العباسي للقضاء على الامام الجواد عليه السلام فقام بتزويجه من ابنته ام الفضل وهو في عمر التاسعة وذلك لوضعه تحت الرقابة وتطويق أية حركة لهذا الصبي حتى اعترض اصحابه على هذا الزواج ولكنه لم يبال بهم .

وبالفعل فقد نجحت خطة المأمون العباسي حيث دست أم الفضل ألسن للامام الجواد عليه السلام على عهد المعتصم العباسي ، واستشهد على اثر ذلك وهو بعمر خمس وعشرين عاما .

اذن الخطة هي (تصفير الامل الشيعي) ، فما هو موقف الشيعة يومئذ ؟

اجتماع فقهاء الشيعة :

حينما استشهد الامام الرضا عليه السلام اجتمع كبار فقهاء الشيعة لمعرفة الامام من بعده حيث كان الامام محمد الجواد عليه السلام في عمر السابعة فكيف يقود الشيعة وهو في هذا العمر الزمني ؟

لقد اجتمع هؤلاء الفقهاء وفيهم يونس بن عبد الرحمن^(١) وهو من كبار

(١) يونس بن عبد الرحمن فقيه ومحدث ومتكلم من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا عليه السلام . . وهو من أصحاب الإجماع ، ووردت الكثير من الروايات عن أهل البيت عليه السلام التي ذكرت فضله ومزنته في الدنيا والآخرة ، أجمع العلماء على وثاقته وجلالة قدره وفقاهته ، اتسم بمجموعة من الخصال والصفات الحميدة مما جعله وجها من وجهاء الشيعة ، فقد كان من فقهاء الشيعة الذين كان الأئمة عليهم السلام يرجعون الشيعة إليهم لأخذ معالم دينهم عنهم . كان له موقف حاسم في الرد على الواقفية وله

الفصل الثامن: دور الشيعة في عهد الإمام الجواد والهادي والعسكري

الفقهاء وصاحب الامام الرضا عليه السلام وتلميذه ، حيث له ألف مجلد وقد شهد له الامام الرضا عليه السلام بالجنة ، وكان الامام الجواد عليه السلام بعد ذلك يترحم عليه عند وفاته ويقول : رحم الله يونس .

فلما اجتمع هؤلاء الفقهاء اشاروا الى الامام الجواد عليه السلام ولكن المشكلة انه صغير ، فقالوا :

ما هو دورنا لحفظ المذهب ؟

وقال يونس بن عبيد الرحمن : من لهذا الامر حتى يكبر هذا الصغير

ولم يكن ذلك على سبيل التشكيك بامامته ولكن لاعتبارات الساحة الخارجية التي لاتقبل هكذا طفل .

فقام اليه فقيه اخر حسب الرواية التي يذكرها الامام الخوئي في (معجم رجال الحديث) في ترجمة (يونس بن عبد الرحمن) ، فقال : اذا كانت الامامة من الله فلا فرق بين الصغير والكبير ، واذا لم تكن الامامة من الله فهذا الصبي حتى لو بلغ الف عام لن ينالها .^(١)

لقد اصبح الشيعة في ازمة حقيقية حيث شهادة الامام الرضا عليه السلام من ناحية ، وعمر الامام محمد الجواد عليه السلام الذي لايسمح له في مقاسات المجتمع بتولي الامامة ، ومن هنا فقد حدث تمزق داخل البيت الشيعي حيث ظهرت الخطوط الانحرافية حتى كان الامام الهادي عليه السلام بعد ذلك يقول : (مأمني احد من ابائي بمثل مأمنيته به من شك هذه العصاة في)^(٢) .

الكثير من الكتب في الفقه والكلام والحديث ، وغيرها . حجّ أربعاً وخمسين حجة ، وآخر حجة كانت عن الإمام الرضا عليه السلام . توفي في المدينة المنورة سنة ٢٠٣ هـ . (المحقق)

(١) معجم رجال الحديث / السيد الخوئي / ج ٢٠ / ص ٩٩ ترجمة يونس بن عبد الرحمن

(٢) بحار الانوار / العلامة المجلسي / ج ٥٠ / حياة الامام الهادي عليه السلام

مهمة المحافظة على الوجود :

هذه المرحلة مرحلة (تصفيرالامل الشيعي) والتي تستمرالى غياب الامام المهدي عليه السلام حيث كان هنا دورابطال الشيعة في المحافظة على الوجود ، وكان أحد أولئك الابطال هو الفقيه (يونس بن عبد الرحمن) الذي كان لديه اربعون صديقا يدور عليهم يوميا يسلم عليهم فردا فردا من اجل التواصل ثم يرجع الى بيته يتوضا ويصلي ويكتب الحديث حيث كتب الف مجلد ،^(١) فكانت مهمة كبير ة وهي (المحافظة على الوجود الشيعي) من خلال التواصل الاجتماعي من ناحية ، وتدوين حديث أهل البيت عليه السلام من ناحية ثانية .

هذه هي مهمة (المحافظة على الوجود الشيعي) حتى وصل المذهب اليينا في هذا العصر ، والعالم اليوم يهتز بصيحات شيعة أهل البيت عليه السلام ، ومنهجهم السياسي والثقافي .

والى جانب ذلك كانت هناك مهمة صيانة الرأي العام ومهمة الدفاع عن الاسلام كما سنتحدث عن ذلك .

تمسك الشيعة بأهل البيت عليه السلام :

جاء وفد للامام الجواد عليه السلام فقالوا له : ما لوليكم في موالاتكم ؟
فروى الامام الجواد عليه السلام لهم رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول :
كان الإمام الصادق عليه السلام جالسا وعنده غلام يخدمه فجاء وفد من خراسان وكان فيهم تاجرثري .

فقال هذا الرجل الثري للخادم : اعطيك كل ماملك من ثروة مقابل ان تعطيني عملا في خدمة الإمام الصادق عليه السلام .

فقال الخادم: قبلت ولكن بعد أن أستاذن من الإمام الصادق عليه السلام، ثم دخل الخادم على الإمام الصادق عليه السلام وقال له: يا بن رسول الله إذا جاءني الخير من غيرك فهل تقبل؟

فقال الامام عليه السلام: انا اتمنى لك الخير مني فكيف اذا جاء من غيري؟ اذا زهدت فينا فلك ذلك.

فقصّ له الخادم قصة الرجل الخراساني، ثم ودّع الامام عليه السلام، ولكن قبل ان يصل الى الباب قال له الامام عليه السلام: يا هذا لك علي حق في خدمتي ولك عندي نصيحة وهي:

اذا كان يوم القيامة اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بنور الله او بحجرة الله وتعلقنا نحن برسول الله صلى الله عليه وآله وتعلق شيعتنا بنا فالى اين يصاربنا؟
والان اذا شئت أن تذهب اذهب برعاية الله.

ففهم الخادم مراد الامام عليه السلام وقال له: اما اذا كان كذلك فلا تترككم يا بن رسول الله.

وخرج من الامام عليه السلام واعتذر من الرجل الخراساني وروى له رواية الامام عليه السلام ^(١)

(١) بحار الانوار / العلامة المجلسي / ج ٥٠ / ص ٨٨ (ن أبا عبد الله عليه السلام كان عنده غلام يمسك بغلته إذا هو دخل المسجد فبينما هو جالس ومعه بغلة إذ أقبلت رفقة من خراسان، فقال له رجل من الرفقة: هل لك يا غلام أن تسأله أن يجعلني مكانك وأكون له مملوكا وأجعل لك مالي كله؟ فاني كثير المال من جميع الصنوف اذهب فاقبضه، وأنا أقيم معه مكانك فقال: أسأله ذلك. فدخل على أبي عبد الله فقال: جعلت فداك تعرف خدمتي وطول صحبتي فان ساق الله إلى خيرا تمنعني؟ قال: أعطيك من عندي وأمنعك من غيري فحكى له قول الرجل فقال: إن زهدت في خدمتنا ورغب الرجل فينا قبلناه وأرسلناك فلما ولى عنه دعاه، فقال له: أنصحك لطول الصبّة، ولك الخيار، فإذا كان يوم القيامة كان رسول الله صلى الله عليه وآله متعلقا بنور الله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام متعلقا برسول الله، وكان الأئمة متعلقين بأمر المؤمنين وكان شيعتنا متعلقين بنا يدخلون مدخلنا، ويردون موردنا. فقال الغلام: بل أقيم في خدمتك وأوثر الآخرة على الدنيا وخرج الغلام إلى الرجل فقال له الرجل: خرجت إلى

الرجوع الى الفقهاء :

هكذا حافظ الشيعة على الوجود واثبتوا للعالم انه حتى وان غاب عنهم الامام فالرجوع الى الفقهاء هو الذي يملأ الفراغ القيادي .

وهنا جاء تأكيد أهل البيت عليهم السلام على فكرة التقليد التي تواجه اليوم حرباً من قبل بعض المشككين .

الرواية تقول ان شخصاً سأل الامام الرضا عليه السلام قال له : ان المسافة بيني وبينكم بعيدة ممّن أخذ معالم ديني ؟

فاجابه الامام عليه السلام : من يونس بن عبد الرحمن^(١) وهنا اشار الامام عليه السلام الى مبدأ الرجوع الى الفقهاء لأخذ معالم الدين .

تأمر الحكم العباسي على الامام عليه السلام :

وفي مخطط تصفير الامل الشيعي دعا المعتصم العباسي وزراءه وطلب منهم ان يشهدوا عنده شهادة زوران الامام الجواد عليه السلام يجمع الاسلحة لاجل الانقلاب على الحكم العباسي .

بغير الوجه الذي دخلت به ، فحكى له قوله وأدخله على أبي عبد الله عليه السلام فقبل ولأه وأمر للغلام بألف دينار ثم قام إليه فودعه وسأله أن يدعو له ففعل) .

(١) يونس بن عبد الرحمان : قال النجاشي : (يونس بن عبد الرحمان ، مولى علي بن يقطين بن موسى ، مولى بني أسد ، أبو محمد : كان وجهاً في أصحابنا متقدماً ، عظيم المنزلة ، ولد في أيام هشام بن عبد الملك ، ورأى جعفر بن محمد عليه السلام ، بين الصفا والمروة ولم يرو عنه ، وروى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام ، وكان الرضا يشير إليه في العلم والفتيا ، وكان ممن بذل له على الوقف مال جزيل ، فامتنع من أخذه وثبت على الحق ، وقد ورد في يونس بن عبد الرحمن مدح وذم . وقال أبو عمرو الكشي . فيما أخبرني به غير واحد من أصحابنا ، عن جعفر ابن محمد ، عنه ، حدثني علي بن محمد بن قتيبة ، قال : حدثني الفضل بن شاذان ، قال : حدثني عبد العزيز بن المهتدي وكان خيراً ما رأيته ، وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته ، فقال : إني سألته فقلت : إني لأقدر على لقاءك في كل وقت ، فمن أخذ معالم ديني ؟ فقال : خذ عن يونس بن عبد الرحمن . . (معجم رجال الحديث / السيد الخوئي / ج ٢ / ترجمة يونس بن عبد الرحمن)

جاء الوزراء وشهدوا ان ابن الرضا يجمع السلاح من اجل المؤامرة على المعتصم وشهدوا بذلك بحضور الامام الجواد عليه السلام .

فقال لهم الامام عليه السلام : من اين لكم هذا الأمر؟
قال الشهود : من غلمانك .

فطلب الامام عليه السلام من الحاكم العباسي إحضارهم ، فلما حضروا رفع الامام عليه السلام يديه بالدعاء قائلاً : اللهم ان كانوا كذبوا فانتقم منهم .

فاهتز القصر الملكي حتى خاف المعتصم وطلب من الامام ان يكف عن الدعاء بعد ان اعترف بزور كلامه ، وكذب شهادتهم .^(١)

التضييق الاقتصادي :

ويشتد الخناق على أهل البيت عليه السلام وشيعتهم في هذه المرحلة ، ولوراجعت كتاب (مقاتل الطالبيين)^(٢) لأبي الفرج الاصفهاني وهو مؤرخ سني حيث يصف

(١) الخرائج : روي عن ابن اروه (٤) أنه قال : إن المعتصم دعا جماعة من وزرائه فقال : اشهدوا لي على محمد بن علي بن موسى زورا وكتبوا أنه أراد أن يخرج ثم دعاه فقال : إنك أردت أن تخرج علي فقال : والله ما فعلت شيئاً من ذلك ، قال : إن فلانا وفلاناً شهدوا عليك فاحضروا فقالوا : نعم هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك ، قال : وكان جالسا في بهو فرجع أبو جعفر عليه السلام يده وقال : اللهم إن كانوا كذبوا علي فخذهم ، قال : فظننا إلى ذلك البهو كيف يرجف ويذهب ويحيى وكلما قام واحد وقع ، فقال المعتصم : يا ابن رسول الله إني تأتب مما قلت ، فادع ربك أن يسكنه فقال : اللهم سكنه إنك تعلم أنهم أعداؤك وأعدائي فسكن (بحار الانوار / المجلسي / ج ٥٠ / ص ٤٦)

(٢) مقاتل الطالبيين ، أو مقاتل آل أبي طالب ، كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد ، المعروف بأبي الفرج الأصفهاني (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ) . أورد فيه مؤلفه أخبار ٥٠٠ نفر من شهداء آل أبي طالب ، ابتداءً من جعفر بن أبي طالب وانتهاءً بمن خرج على الحكم الجائر في عهد بني أمية والعباسيين ، لاسيما خروج الإمام الحسين عليه السلام الثائر على يزيد بن معاوية . حاز الكتاب على أهمية خاصة من ناحية المصادر التي اعتمد مؤلفه عليها ولم يبق منها أثر ، كما اعتمد عليه الكتاب والمحققون وكثرت نقولهم عنه ، لجامعيته ودقته في نقل الروايات ، ومؤلفه هو أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين (٢٨٤ -

ماجرى على بني هاشم من تصفيات ومذابح .

يقول الاصفهاني في كتابه : ان الوالي محمد بن الفرخ الرخجي^(١) والي المتوكل في مكة فرض حصارا اقتصاديا على أهل البيت عليهم السلام حيث منع اي شخص أن يصلهم باي براوهدية .

ووصل الحال ببني هاشم ان العلويات أصبحن لايملكن الاعباء واحدة للصلاة يتناوبن عليها في اللبس .^(٢)

هذه هي مرحلة (تصفيرالامل الشيعي) .

٣٥٦ هـ) ، راو وشاعر مشهور ، مؤرخ وعالم في الأنساب والسيرة . صاحب كتابين مشهورين ؛ مقاتل الطالبين الذي ترجم فيه لنيفٍ ومائتين من شهداء آل أبي طالب . وكتاب الأغاني والذي صُنّف في عداد أمهات المصادر في مجال الفنون ؛ من الموسيقى والأدب والشعر وغيرها عبر قرون متعديدة وعلى مستوي البلدان الإسلامية . كما واشتهر بأن الرجل أموي النسب ، ويصله المؤرخون إلى مروان بن الحكم . وبحسب المشهور أن مولده كان في مدينة أصفهان وأنه كان على العقيدة الزيدية . (المحقق)

(١) عمر الرخجي كان والياً على مكة والمدينة وأنه حاول قتل الإمام الجواد عليه السلام بالسم ، فقد قال كما في « الثاقب في المناقب / ٥١٧ » : « سمعت من أبي جعفر شيئاً لو رآه محمد أخي لكفر ! فقلت : وما هو أصلحك الله ؟ قال : إني كنت معه يوماً بالمدينة إذ قُرب الطعام فقال : أمسكوا . فقلت : فذاك أبي قد جاءكم الغيب ؟ فقال : عليّ بالخُبّاز ، فجئ به فعاتبه وقال : من أمرك أن تسمني في هذا الطعام ؟ فقال له : جعلت فداك ، فلان ! ثم أمر بالطعام فرفع وأتى بغيره » ! يقصد أنه رأى من الإمام الجواد عليه السلام شيئاً لو رآه أخوه محمد لصار من الغلاة فيه ، واعتقد أنه يعلم الغيب ، وكفر بذلك ! أما هو فلا يكفر ويقول إن الجواد عليه السلام ساحر ! ثم ذكر أن الإمام عليه السلام كشف محاولة قتله بالسم ، وأبعد الرخجي التهمة عن نفسه وأنه هو صاحب المحاولة ، مع أنه كان والي مكة والمدينة ! (المحقق)

(٢) قال أبو الفرخ الأصبهاني في مقاتل الطالبين : ص ٣٩٦ : استعمل المتوكل على المدينة ومكة عمر بن الفرخ الرخجي ، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ، ومنع الناس من البر بهم ، وكان يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشئ وان قل إلا أنهكه عقوبة وأثقله غرماً . حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازهن عواري حواسر ، الخ . (بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٠٠)

فلسفة العمر الصغير:

والان هنالك سؤال عن فلسفة العمر الصغير للإمام الجواد عليه السلام ومثله الامام الهادي عليه السلام.

لماذا يختار الله تعالى إماماً بعمر سبع سنوات أو ثمان الامر الذي يسبب مشكلة للناس فلا يقتنعون به ؟

نفس الامر في عيسى بن مريم عليه السلام فقد كان نبياً وهو في المهد .
هنا توجد عدة اجابات :

الجواب الاول :

ان الله أراد ان يختبر العباد ويمتحنهم ويرى مدى تسليمهم الى القرار الالهي ،
والى ذلك تشير آيات الابتلاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ ^(١)

وقد يمكن المناقشة في هذا الجواب بأن الله تعالى من لطفه يريد اقامة
الحجة الواضحة على الناس ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ
بَيِّنَةٍ ﴾ ^(٢) ، وهذا لا ينسجم مع الامامة أو النبوة المحفوظة بالشك والشبهة كما هي
في العمر الصغير.

الجواب الثاني :

ان النبوة والامامة سرٌ غيبي لانعلمه ، ولا يخضع للمقاسات المادية ، بل هو سر
من الاسرار الالهية ، وهذا مانقرؤه في دعاء الافتتاح حيث نقول : (اللهم صلي على

(١) (١) سورة محمد الاية ٣١

(٢) سورة الانفال الاية ٤٢

محمد حبيبك ونجيبك وحافظ شرك) ، اي هنالك سر من الاسرار حيث الله اختار بيتيما فقيراً ليكون نبي الامة فجعل يتيم ال ابي طالب خاتم الانبياء والمرسلين ، وهو سري في عالم السماء قبل ان يخلق الله الدنيا .

والله جعل هذا السرقي ذرية معينة اسماءهم مكتوبة في ساق العرش قبل ان يخلق الله الخلق ، وبالتالي نحن غير قادرين على أن نعرف لماذا اختار الله تعالى الامام الجواد عليه السلام ليكون اماما ، أو اختار عيسى في المهدي ليكون نبياً .

يقبل يد الامام :

هنالك شخص هو عم الامام الجواد عليه السلام اسمه (علي بن جعفر)^(١) له شبيبة محترمة وهو فقيه عالم له حلقة دراسية في المسجد النبوي ، ولكنه عندما دخل الامام الجواد عليه السلام قام اليه وقبل يديه ، ولما خرج فعل مثل ذلك ووضع حذاءه أمامه .

فدهش الحاضرون من هذا التصرف ووبخوه على فعله ! !

فقال لهم : ماذا اصنع وقد اختار الله تعالى هذا الصبي وفضله على هذه

(١) علي بن جعفر الصادق ، المشهور بعلي العريضي هو الابن الأصغر للإمام الصادق عليه السلام ، وعاصر عددا من أئمة أهل البيت بدءاً من أبيه الصادق وصولاً إلى الإمام الهادي عليه السلام . ، فروى عنهم الحديث . وتتسبب إليه عدة مزارات في بعض البلاد كقرية عريض بالقرب من المدينة المنورة وكذلك في مدينتي قم وسمنان في إيران . أدرك علي بن جعفر خمسة من أئمة الشيعة (من الإمام السادس حتي الإمام العاشر) ، وذكر أن علياً العريضي كان يحترم الجواد عليه السلام كما امام ورؤي أنه سوى له عليه السلام تعليقه . كما ذكر في الكليني ، الكافي ، ج ١ ، ص ٣٢٢ أن الجواد عليه السلام دخل يوماً مسجد رسول الله ﷺ وهو صغير فأسرع علي بن جعفر إليه بلا حذاء وعباء وقبل يده وكرمه ، فقال له الإمام الجواد عليه السلام اجلس يا عم ، رحمك الله ، فقال : يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم ؟ وبعدما رجع علي عند أصحابه أخذوا يوبخونه : كيف تُعامله هكذا وأنت عمّ أبيه ؟ فأجاب (وقد أخذ لحيته بيده) « اسكتوا ، فإذا كان الله عزّ وجلّ لم يؤهّل هذه الشبيبة وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه ، أنكر فضله ؟ ! نعوذ بالله عمّا تقولون ، بل أنا له عبد . » (المحقق)

الشيعة ، فيجب عليّ الخضوع للتقدير الالهي .^(١)

الصمت والصبر:

وقف الامام الجواد عليه السلام خابطا في المسجد النبوي وهو صغير فقال :

(لولا تظاهراهل الباطل ، ودولة اهل الضلال ووثوب اهل الشك لقلت قولاً تعجب منه الاولون والآخرين . ثم وضع الامام عليه السلام يده على فمه وقال اصمت يا محمد بن علي كما صمت اباؤك) .^(٢)

فالمرحلة الان هي مرحلة صمت وقد نجح الشيعة في هذه المرحلة ووصلوا الى مبتغاهم في حفظ المذهب والاعداد للامام المهدي عليه السلام .

جاء يونس بن عبد الرحمن^(٣) وهو فقيه كبير من اصحاب الامام الصادق والامام الكاظم والامام الرضا عليه السلام ، جاء للامام الجواد عليه السلام وقال له : ان الشارع

(١) بحار الأنوار ج ٥٠ / حياة الامام الجواد عليه السلام

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٠٨ (قال البرسي في مشارق الأنوار: روي أنه جرى بأبي جعفر عليه السلام إلى مسجد رسول الله ﷺ بعد موت أبيه ، وهو طفل ، وجاء إلى المنبر ورقاً منه درجة ثم نطق فقال : أنا محمد بن علي الرضا ، أنا الجواد ، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب ، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم ، وما أنتم صائرون إليه ، علم منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين ، وبعد فناء السماوات والأرضين ، ولولا تظاهراهل الباطل ، ودولة أهل الضلال ، ووثوب أهل الشك ، لقلت قولاً تعجب منه الأولون والآخرين ثم وضع يده الشريفة على فيه ، وقال : يا محمد اصمت كما صمت آباؤك من قبل .)

(٣) يونس بن عبد الرحمن فقيه ومحدث ومتكلم من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا عليه السلام . . وهو من أصحاب الإجماع ، ووردت الكثير من الروايات عن أهل البيت عليه السلام التي ذكرت فضله ومنزلته في الدنيا والآخرة ، أجمع العلماء على وثاقته وجلالة قدره وفقاهته ، اتسم بمجموعة من الخصال والصفات الحميدة مما جعله وجهاً من وجهاء الشيعة ، فقد كان من فقهاء الشيعة الذين كان الأمة عليه السلام . يُرجعون الشيعة إليهم لأخذ معالم دينهم عنهم . كان له موقف حاسم في الرد على الواقفية وله الكثير من الكتب في الفقه والكلام والحديث ، وغيرها . حجّ أربعاً وخمسين حجة ، وآخر حجة كانت عن الإمام الرضا عليه السلام . توفي في المدينة المنورة سنة ٢٠٣ هـ . (المحقق)

يتهمني بالقول انني زنديق .

فقال له الامام عليه السلام : ما يضرك ان يكون بيدك لؤلؤة وقال الناس انها حصة .

وماذا ينفعك لو كان بيدك حصة وقال الناس انها لؤلؤة .^(١)

قصة ابن السكيت^(٢)

ايام المتوكل العباسي الذي عرف بشدة عدائه لأهل البيت عليه السلام كان هناك شخص اسمه (ابن السكيت) وهو عالم في المنطق واللغة وعنده كتاب مهم اسمه (اصلاح المنطق) حيث ذكر العلماء انه (ماعبر جسر بغداد كتاب أفضل من (اصلاح المنطق) لابن السكيت) .^(٣)

هذا الرجل جاء به المتوكل العباسي لتعليم اولاده (المعتز والمؤيد) وكان ابن

(١) اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - ج ٢ - الصفحة ٧٨٣ (عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس بن عبد الرحمن ، قال :

قال الامام الجواد عليه السلام : يا يونس ارفق بهم فان كلامك يدق عليهم قال ، قلت : انهم يقولون لي زنديق ، قال لي : وما يضرك أن يكون في يدك لؤلؤة يقول الناس هي حصة ، وما كان ينفعك أن يكون في يدك حصة فيقول الناس لؤلؤة .)

(٢) ابن السكيت هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت الدورقي الأهوازي إمام من أئمة اللغة العربية وعالم نحوي وأديب شهير ، وراو إمامي من أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام ، يُعد ابن السكيت من كبار علماء النحو والأدب العربي . من أهم مؤلفاته كتاب اصلاح المنطق ، و أجمعت أكثر المصادر على أنه قتل بسبب ما أعلنه من ولاء لآل علي عليه السلام أمام المتوكل حينما سأله : " من أحب إليك ابناي هذان (المعتز والمؤيد) ، أم الحسن والحسين " ، و رغم عمله بالتيق ، إلا أنه فقد الإختيار فأجاب : " إن قنبر خادم علي خير منك و من ابنك " ، فغضب المتوكل و أمر في الحال بسل لسانه من قفا ، وكان استشهاد في الخامس من شهر رجب سنة ٢٤٤ للهجرة . (المحقق)

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٦٤ (قال ابن خلكان : قال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل اصلاح المنطق ، وقال أبو العباس المبرد : ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن السكيت في المنطق .)

الفصل الثامن: دور الشيعة في عهد الإمام الجواد والهادي والعسكري

السكيت اماميا من ابطال الشيعة وهذا يدل على نفوذ الشيعة داخل البلاط الملكي .

سأل المتوكل يوما ابن السكيت وقال له : ايهما احب اليك اولادي (المعنر والمؤيد) ام الحسن والحسين ؟

فقال له ابن السكيت : والله ان قنبر خادم الامام علي احب اليّ منك ومن ابنيك .^(١)

وهذه جراحة فائقة امام سلطان متجبر ، وعلى الفور أمر المتوكل بقطع لسانه من قفاه فقطع لسانه فمات .

هذا نموذج لبطولات الشيعة في كل التاريخ ونحن بصدد الحديث عن هيمنة الحكم العباسي في فترة الامام الجواد والهادي والعسكري عليه السلام والتي امتدت ستين عاما .

فكيف حافظ ابطال الشيعة على المذهب في أوج عنفوان السلطة العباسية ؟

مهمة صيانة الرأي العام :

لم تكن مهمة (المحافظة على الوجود) هي المهمة الوحيدة لشيعة أهل البيت في هذه المرحلة ، بل كان معها مهمة اخرى هي (صيانة الرأي العام) ، فالمعروف ان الناس على دين ملوكهم ، والرأي العام يتأثر دائماً بالبلاط الملكي ، ولكن

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٦٤ (لزمه المتوكل تأديب ولده المعتز بالله ، فقال له يوما : أيما أحب إليك ؟ ابناي هذان - يعني المعتز والمؤيد - أم الحسن والحسين ؟ فقال ابن السكيت : والله ان قنبرا خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك ، فقال المتوكل للأتراك : سلوا لسانه من قفاه ! ففعلوا فمات . وقيل : بل أننى على الحسن والحسين عليه السلام ولم يذكر ابنه فأمر المتوكل الأتراك فداوسوا بطنه ، فحمل إلى داره فمات بعد غد ذلك .)

قبل الحديث عن دور الشيعة في صيانة الرأي العام أحببت أن أشير إلى كلمة للامام الشهيد الصدر وكلمة للامام الخميني في تقييم الطبقة الشعبية .

فالامام الخميني رحمته الله (١) قبل أربعين عاماً قال : (ان هذا العصر هو عصر الشعوب) حيث (الشعوب هي التي تعلم النخب والكفاءات ، والشعب أكثر وعياً من النخب) .

والشهيدي السيد محمد باقر الصدر رحمته الله (٢) كان يقول : (الجماهير - ويقصد بها الطبقة الشعبية - أقوى من الطغاة وهي قد تصبر ولكنها لا تستلم) .

والامام علي رحمته الله في رسالته إلى مالك الاشر (٣) يقول :

(الله الله في الطبقة السفلى من الناس - ويقصد بها الطبقة الشعبية - فإن

(١) السيد روح الله الموسوي الخميني (١٣٢٠ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٠٢ - ١٩٨٩ م) يُعدّ واحداً من كبار مراجع التقليد في القرن الرابع عشر والخامس عشر . انتصرت الثورة الإسلامية في إيران تحت قيادته سنة ١٩٧٩ م ، والتي أدت إلى إسقاط الشاه وتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران . توفي يوم الرابع عشر من خرداد ٤ حزيران / يونيو سنة ١٩٨٩ م ، وصلى عليه المرجع الديني السيد الكلبايكاني بعد ما حضر تشييعه الملايين ، كما تم تعيين السيد علي الخامنئي بعد وفاته قائدا للثورة الإسلامية وخلفاً له . (المحقق)

(٢) السيد محمد باقر الصدر ، فقيه ومفسر ، ومفكر شيعي ، وقائد عراقي . درس العلوم الدينية عند كبار علماء الحوزة العلمية في النجف من أمثال السيد الخوئي ، والشيخ محمد رضا آل ياسين . واستطاع أن يصل إلى مرتبة الاجتهاد في سنين مبكرة ، وبدأ بتدريس العلوم الدينية في حوزة النجف . وقد كان مؤلفاً في مجالات مختلفة ، فضلاً عن تدريسه للعلوم الإسلامية ؛ كالاقتصاد الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، وتفسير القرآن ، والفقه ، وأصول الفقه ، إضافة لكتابه في نظرية المعرفة وهو الأسس المنطقية للاستقراء .

لم يكن الشهيد الصدر غائباً عن الحياة السياسية حيث أصدر فتواه الشهيرة بحزمة الانتماء لحزب البعث العربي الاشتراكي ، كما أنه أول من دعى إلى إسقاط نظام البعث . (المحقق)

(٣) مالك الأشر هو مالك بن الحارث النخعي الشهير بالأشر أيضاً (ت ٣٩هـ) ، من أبرز قادة جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن وجوه العراق وشجعانه . وبعد الأشر من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام ومن أبرز قادة جيشه في معركة الجمل ، وصفين ، وقد أوكل إليه عليه السلام ولاية مصر التي استشهد في طريقه إليها ، وهو صاحب العهد المشهور الذي كتبه له أمير المؤمنين عليه السلام حينما عبته والياً على مصر .

الفصل الثامن: دور الشيعة في عهد الإمام الجواد والهادي والعسكري

سخط العامة لا يغتفر برضى الخاصة ، وان سخط الخاصة يغتفر برضى العامة (١) .

الطبقة الشعبية لها حالتان :

الحالة الاولى : لو اتبعت الطبقة الشعبية القيادة الدينية فحينئذ ستكون هي الاكثر وعياً وصبراً وصموداً .

الحالة الثانية : لو لم تتبع الطبقة الشعبية القيادة الدينية فهذا يصح فيها القول (الناس على دين ملوكهم) ، والقول (همج رعاع يتبعون كل ناعق) .

ان مقياس النضج والوعي لدى الطبقة الشعبية هو مدى ارتباطها بالقيادة الدينية التي هي (العاصم من كثير من الوان الضياع والانحراف) كما يقول الشهيد الصدر رحمته الله ، وكما شاهدنا ما فعلته الطبقة الشعبية حين صنعت النصر على الارض في العراق وطردت الدواعش وذلك بفضل ارتباطها بالقيادة الدينية .

الطبقة الشعبية في زمن المتوكل العباسي اريد خداعها بعد فرض الرقابة المشددة على الامام الهادي عليه السلام وقطع التواصل بينه وبين جماهير الأمة .

قصة زينب الكذابة : (٢)

هنالك امرأة في زمن المتوكل العباسي اسمها زينب الكذابة حيث خدعت

(١) نهج البلاغة / باب عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشر

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٤٩ (روي أن أبا هاشم الجعفري قال : ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدعى أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال المتوكل : أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت رسول الله ﷺ ما مضى من السنين ، فقالت : إن رسول - الله ﷺ مسح علي وسأل الله أن يرد علي شبابي في كل أربعين سنة ، ولم أظهر للناس إلى هذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت إليهم . فدعا المتوكل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش وعرفهم حالها فروى جماعة وفاة زينب في سنة كذا ، فقال لها : ما تقولين في هذه الرواية ؟ فقالت : كذب وزور ، فان أمري كان مستورا عن الناس فلم يعرف لي حياة ولا موت ، فقال لهم

الناس بانها زينب بنت الامام علي عليه السلام وهذا الامر كان بحدود سنة ٢٠٠ للهجرة في حين أن زينب بنت علي عليه السلام كانت في كربلاء سنة ٦٠ للهجرة ، وادعت هذه الكذابة ان رسول الله ﷺ دعا لها أن يتجدد شبابها كل أربعين سنة .

وصل الخبر للمتوكل العباسي فدعا ال ابي طالب وقال لهم هذه المرأة تدعي الانتساب اليكم ، وقد خدعت الرأي العام ، فما هو الحل ؟ قالوا له : ان يكن أحد يعرف ذلك فهو علي الهادي عليه السلام .

فجيء بالامام الهادي عليه السلام فقال : ان لبني هاشم علامة وهي ان الله تعالى حرّم لحوم بني هاشم على السباع ، فأمر برمي هذه المرأة في بركة السباع ليعرف الناس صدقها من كذبها ، فلما عرض عليها اعترفت بكذبها وانهزمت .

المتوكل : هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية ؟ فقالوا : لا ، فقال : هو برئ من العباس إن لا أنزلها عما ادعت إلا بحجة . قالوا : فأحضر ابن الرضا الامام الهادي عليه السلام ففعل عنده شيئاً من الحجة غير ما عندنا فبعث إليه فحضر فأخبره بخبر المرأة فقال : كذبت فان زينب توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا قال : فان هؤلاء قد رووا مثل هذه وقد حلفت أن لا أنزلها إلا بحجة تلزمها . قال : ولا عليك فهنا حجة تلزمها وتلزم غيرها ، قال : وما هي ؟ قال : لحوم بني فاطمة محرمة على السباع فأثرها إلى السباع فان كانت من ولد فاطمة فلا تضرها فقال لها : ما تقولين ؟ قالت : إنه يريد قتلي قال : فهنا جماعة من ولد الحسن والحسين عليه السلام فأنزل من شئت منهم ، قال : فوالله لقد تغيرت وجوه الجميع فقال بعض المبغضين : هو يحيل على غيره لم لا يكون هو ؟ فقال المتوكل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع فقال : يا أبا الحسن لم لا تكون أنت ذلك ؟ قال : ذاك إليك قال : فافعل ! قال : أفعل فاتي بسلم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسود فنزل أبو الحسن إليها فلما دخل وجلس صارت الأسود إليه فرمت بأنفسها بين يديه ، ومدت بأيديها ، ووضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح على رأس كل واحد منها ، ثم يشير إليه بيده إلى الاعتزال فتعزل ناحية حتى اعتزلت كلها وأقامت يازائه .

فقال له الوزير : ما هذا صوابا فيادر باخراجه من هناك ، قبل أن ينتشر خبره فقال له : يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءا وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت فأحب أن تصعد ، فقام وصار إلى السلم وهي حوله تتمسح بشبابه . فلما وضع رجله على أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع ، فرجعت وصعد فقال : كل من زعم أنه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس ، فقال المتوكل لزينب : انزلي ، قالت : الله الله ادعيت الباطل ، وأنا بنت فلان حملني الضر على ما قلت ، قال المتوكل : ألقوها إلى السباع فاستوهبتها والدته

هكذا فعلت القيادة الدينية في كشف هذا الزيف ، وهكذا كان دورها في تحصين الرأي العام .

وهنا كان احد وعاظ السلاطين في البلاط فقال للمتوكل هذه أفضل فرصة للخلاص من علي الهادي فأمره أن ينزل الى بركة السباع .

وجئ بالامام الهادي عليه السلام بعد تجويع السباع ثلاثة أيام وقيل له ان الله حرم لحومكم على السباع فيجب أن نرى ذلك ونثبتته للرأي العام .

وفتحت بركة السباع ودخل الامام الهادي عليه السلام وكان ظنهم انها ستفتقرسه على الفور ، لكنهم شاهدوا العجب فاذا الامام عليه السلام قائم يصلي والسباع حوله تتمسح برداءه .^(١)

ومحل الشاهد هنا ان تحصين القواعد الشعبية هو أحد مهمات أبطال الشيعة .

الدفاع عن الاسلام:

والى جانب مهمة (صيانة الرأي العام) كانت مهمة ثالثة هي (الدفاع عن الاسلام) وهنا نذكر قصة الفيلسوف الكندي .

كان هنالك فيلسوف في العراق اسمه اسحق الكندي^(٢) في هذه المرحلة

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٢٠٥ (قال علي بن مهزيار فقال علي بن الجهم : جرب هذا على قائله فأجيعت السباع ثلاثة أيام ثم دعا بالامام عليه السلام وأخرجت السباع فلما رآته لاذت و تبصصت بأذانها ، فلم يلتفت الإمام عليه السلام إليها ، وصعد السقف وجلس عند المتوكل ثم نزل من عنده ، والسباع تلوذ به ، وتبصص حتى خرج عليه السلام وقال : قال النبي ﷺ : ان الله حرم لحوم أولادي على السباع)

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي علامة عربي مسلم ، برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق الذي كان يعرف بعلم الكلام . وبعد الكندي أول الفلاسفة المتجولين المسلمين ، كما اشتهر بمجهوده في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية القديمة عاش في البصرة في مطلع حياته ثم انتقل منها إلى بغداد على عهد المأمون والمعتصم (المحقق)

التي نؤرخ لها وبالذات في زمن الامام العسكري عليه السلام ، هذا الرجل أراد تأليف كتاب اسمه (تناقضات القرآن) وتشكيك الناس بالقران الكريم .

وقام بجمع الآيات المتناقضة بحسب ظاهرها لغرض تضليل الراي العام ، ووصل الخبر الى الامام العسكري عليه السلام فارسل على احد تلاميذه وطلب منه الرد على هذا الرجل .

وقال له : ادخل على هذا الرجل وقل له بعد الاستئناس معه اذا جاء لك صاحب هذا الكتاب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لك ان مقصودي غير الذي ذكرته فماذا تقول في ذلك ؟

وهكذا كان ، فاطرق الفيلسوف راسه وقال : نعم صحيح ذلك ممكن .
فقال له : اذا كان ممكناً اذن لا يوجد تناقض في القرآن الكريم .
فقال الكندي : نعم ولكن هذا القول ليس منك اخبرني من صاحب هذا القول ؟

فقال له : علمني إياه الامام الحسن العسكري عليه السلام

فقال له : هؤلاء اهل بيت النبوة .

فأخذ كتابه -تناقضات القرآن- ومزقه .^(١)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٣١١ (أبو القاسم الكوفي في كتاب التبديل أن إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن ، وشغل نفسه ، بذلك ، وتفرد به في منزله ، وإن بعض تلامذته دخل يوما على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال له أبو محمد عليه السلام : أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي فما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن ؟ فقال التلميذ : نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره ؟ فقال أبو محمد عليه السلام : أتؤدي إليه ما ألقبه إليك ؟ قال : نعم ، قال : فصر إليه ، وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله ، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل : قد حضرني مسألة أسألك عنها فإنه يستدعي ذلك منك ، فقل له : إن أذاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها ؟ فإنه سيقول إنه من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع فإذا أوجب ذلك فقل له : فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه ، فتكون واضعا لغير معانيه . فصار الرجل إلى الكندي

هكذا فعل أبطال الشيعة من أجل الحفاظ على المذهب وتحصين الرأي العام والدفاع عن الاسلام .
وهكذا نحن اليوم نحتاج الى تحصين ثقافة الرأي العام خوفا من الانحراف .

ثلاث ظواهر:

ظهرت في هذه الفترة التي نؤرخ لها ثلاث ظواهر وهي :
الامامة المبكرة .
وانتشار التشيع .
والانقسامات الداخلية .

الظاهرة الاولى : الامامة المبكرة أو (أزمة العمر) .

حيث الامام الجواد عليه السلام تولى الامامة وهو بعمر سبع سنين ، والامام الهادي عليه السلام تولى الامامة وهو بعمر تسع سنين ، والامام العسكري عليه السلام بعمر اثنين وعشرين سنة .

ان هذا العمر الصغير سيخلق مشكلة في تقبل الناس للامامة .

فما هي كيفية العبور والتخلص من هذه الازمة ؟ وماهي فلسفة الامامة المبكرة كما كان يعبر عنها الشهيد الصدر؟^(١)

يقول ابن ابي داود^(٢) وهو قاضي القضاة ايام المعتصم العباسي لقد تمنيت

وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة ، فقال له : أعد علي ! فأعاد عليه ، فتفكر في نفسه ، ورأي ذلك محتملا في اللغة ، وساتعا في النظر)

(١) راجع موسوعة الشهيد الصدر / المجلد ٢٠ / أئمة اهل البيت عليه السلام / ص ٦٤٠

(٢) هو أبو عبيد الله أحمد بن أبي دؤاد هو قاض من المعتزلة . نشأ في دمشق ، ثم رحل إلى العراق ، وهناك اتصل

الموت قبل عشرين عاماً ولا أن يغلبني هذا الطفل الصغير، يقصد الامام الهادي عليه السلام، حيث يروى أن المتوكل العباسي قد مرض ونذر نذراً إذا عافاه الله أن يتصدق بمال كثير فلما تعافى سأل الفقهاء بكم أتصدق؟

اختلف الفقهاء في هذا الأمر، فقال بعضهم ألف، وقال بعضهم ألف ألف. وهكذا.

فأشار أحدهم على المتوكل أن يدعو الامام الهادي عليه السلام لحل النزاع. وبالفعل فقد أخبر الامام الهادي عليه السلام بذلك فاجاب ثمانون درهماً! فتعجب الحضور والمتوكل.

فقال المتوكل: ما الدليل؟

قال عليه السلام: الدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾^(١). فلما حسبنا

عدد الغزوات وجدناها ثمانين غزوة فعرفنا أن الكثير عند العرب ثمانون.^(٢)

هنا قال القاضي ابن أبي داود وودت لو اني مت قبل عشرين عاماً.

بالخلفاء المأمون والمعتمد والواثق والمتوكل. اعتقد ابن أبي دؤاد الإيادي بخلق القرآن، وأقنع الخلفاء بفرض هذه الفكرة على الناس. لما ولي المعتمد جعل ابن أبي دؤاد قاضي القضاة مكان يحيى بن أكثم، وكان كذلك قاضي القضاة في أيام الواثق. (المحقق)

(١) سورة التوبة الآية ٢٦

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٦٢ (مناقب ابن شهر آشوب: قال أبو عبد الله الزياتي: لما سم المتوكل، نذر الله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما عوفي اختلف الفقهاء في المال الكثير فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب فما لي عندك؟ قال: عشرة آلاف درهم وإلا ضربتك مائة مفرقة قال: قد رضيت فأتى أبا الحسن عليه السلام فسأله عن ذلك فقال: قال له: يتصدق بثمانين درهماً فأخبر المتوكل فسأله ما العلة؟ فأثابه فسأله قال: إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة" فعدنا مواطن رسول الله ﷺ فبلغت ثمانين موطناً، فرجع إليه فأخبر ففرح وأعطاه عشرة آلاف درهم)

هذا كله والإمام الهادي عليه السلام كان في مقتبل شبابه ، حيث تولى الإمامة وهو بعمر تسع سنوات .

فكيف نفسّر ظاهرة الإمامة المبكّرة ؟

لقد وقفنا عند هذا الموضوع سابقاً واجبنا عليه تحت عنوان (فلسفة العمر الصغير) .

ونؤثر هنا أن ننقل تحليلاً علمياً ودراسة منطقية لهذا الموضوع في تفسير الموقف التاريخي للشيعة تجاه الإمام الجواد عليه السلام وتصديقهم بإمامته رغم عمره الصغير . يقول الإمام الشهيد الصدر رحمه الله :

هذه الظاهرة التي ظهرت لأول مرّة في حياة الأئمة في الإمام الجواد عليه السلام ، لو درسنا بحساب الاحتمالات لوجدنا أنها وحدها كافية للاقتناع بحقانية هذا الخط الذي كان يمثّله الإمام الجواد عليه الصلاة والسلام ، إذ كيف يمكن أن نفترض فرضاً آخرأ غير فرض الإمامة الواقعية في شخص لا يزيد عمره عن سبع سنين ، ويتولّى زعامة هذه الطائفة في كلّ المجالات الروحية والفكرية والفقهية والدينية ؟

الفرض الاول :

في هذا الموضوع لا مجال لافتراض أنّ الطائفة لم يتكشف لديها بوضوح هذا الصبي ؛ لأنّ زعامة الإمام في أهل البيت عليه السلام لم تكن زعامة محوطة بالشرطة ، والجيش ، وأبهة الملك ، والسلطان الذي يحجب بين الزعيم ورعيّته ، ولم تكن زعامة دعوة سرّية من قبيل الدعوات الصوفية أو الفاطمية التي تحجب بين رأس الدعوة وبين قواعد هذه الدعوة لكي يفترض أنّ هذا الرأس كان محجوباً عن رعيّته مع إيمان الرعيّة به .

إمام أهل البيت عليه السلام كان مكشوفاً أمام الطائفة ، وكانت الطائفة بكل طبقاتها تتفاعل معه مباشرة في مسائلها الدينية ، وفي قضاياها الروحية والأخلاقية ، والإمام الجواد عليه السلام نفسه أصرَّ على المأمون حينما استقدمه إلى بغداد في أن يسمح له بالرجوع إلى المدينة ، وسمح له بالرجوع إلى المدينة ، ورجع إلى المدينة ، وقضى بقيّة عمره أو أكثر عمره في المدينة .

إذن قد قضى الإمام الجواد عليه السلام أكثر عمره ، أو كلّ عمره وهو على المسرح ، وهو مكشوف أمام المسلمين ، أمام مختلف طبقات المسلمين بما فيهم الشيعة المؤمنون بزعامته وإمامته ، فافتراض أنّه لم يكن الإمام الجواد عليه السلام مكشوفاً أمام المسلمين وأمام طائفته بالخصوص خلاف طبيعة العلاقة التي أنشئت منذ البداية بين أئمة أهل البيت عليه السلام وقواعدهم الشعبية في المسلمين ، خصوصاً إذا أضفنا إلى ذلك أنّ الإمام الجواد عليه السلام قد سلّطت عليه أضواء خاصّة من قبل الخليفة المأمون في القصة التي تعرفونها .

الفرض الثاني:

يبقى افتراض آخر ، وهو افتراض أنّ المستوى العلمي والفكري للطائفة وقتئذٍ كان يُعبّر عليه هذا الموضوع ، كان بالإمكان على المستوى الفكري والعقلي والروحي للطائفة أن تصدّق هذه الطائفة بإمامة طفلٍ وهو ليس بإمام ، هذا أيضاً ممّا يكذّبه الواقع التاريخي لهذه الطائفة وما وصلت إليه من مستوى علمي وفقهي ، فإنّ هذه الطائفة قد خلفها الإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام وفيها أكبر مدرسة للفكر الإسلامي في العالم الإسلامي على الإطلاق . المدرسة التي كانت تتكوّن من الجيلين المتعاقبين : جيل تلامذة الإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام ، وجيل تلامذة الإمام الصادق والكاظم عليه السلام ، هذان الجيلان كانا على رأس هذه الطائفة في ميادين الفقه والتفسير والكلام والحديث والأخلاق ، وكلّ

جوانب المعرفة الإسلامية .

إذن فليس من الممكن أن نفترض أنَّ المستوى الفكري والعلمي لهذه الطائفة كان يُعبرُ عليه مثل هذا ، لا يمكن أن يعبرُ على طائفةٍ فيها هذه المدرسة التي كانت هي قبلة الفكر الإسلامي في كلِّ ميادين المعرفة ، أن يعبرُ عليها مثل هذا التصوُّر وتتصوَّر أنَّ شخصاً طِفلاً هو إمام وهو ليس بإمام .

إن أمكن لشخصٍ أن يتصوَّر أنَّ رجلاً عالماً كبيراً محيطاً مَطلعاً بلغ الخمسين أو الستين يستطيع أن يقنع مجموعةً من الناس بإمامته وهو ليس بإمام ، لأنَّه يتَّصف بدرجةٍ كبيرةٍ من العلم والمعرفة والذكاء والاطِّلاع ، فليس بالإمكان أن نفترض ذلك في شخصٍ لم يبلغ العاشرة من عمره . وكيف يستطيع أن يقنع بإمامته كذباً طائفةً وهو مكشوف أمامها ؟ وهذه الطائفة تشتمل على مدرسةٍ فكريةٍ من أضخم المدارس الفكرية التي وجدت في العالم الإسلامي يومئذٍ ، مدرسة كان يوجد بعض قِطاعاتها في الكوفة ، وبعض قِطاعاتها في قم وبعض قِطاعاتها في المدينة ، هذه المدرسة التي كانت موزَّعةً في حواضر العالم الإسلامي ، والتي كانت كلُّها على صلةٍ مباشرةٍ بالإمام الجواد عليه السلام تستفتيه وتسأله ، وتنقل إليه الأموال من مختلف الأطراف من شيعته ، مثل هذه المدرسة لا يمكن أن نتصوَّر فيها أن تغفل عن حقيقة طفل لا يكون إماماً .

الفرض الثالث :

يبقى افتراض آخر ، وهو: أنَّ الطائفة لم يكن عندها مفهوم صحيح عن الإمام والإمامة ، كانت تتصوَّر أنَّ الإمامة مجرد تسلسلٍ نسبيٍّ ووراثيٍّ ولم تكن تعرف ما هو الإمام ؟ وما هي قيمة الإمام ؟ وما هي شروط الإمام ؟ هذا الافتراض أيضاً يكذِّبه واقع التراث المتواتر المستفيض من أمير المؤمنين إلى الإمام الرضا عليه السلام عن شروط الإمام ، ومحصول الإمام ، وعلامات الإمام .

التشيع قام بصورة أساسية على المفهوم الإلهي المعمق للإمامة ، هذا هو أوضح وأبده وأول مفهوم من مفاهيم التشيع ، وهو: أنَّ الإمام إنسان فذ فريد في معارفه وأخلاقه وقوله وعمله ، هذا هو المفهوم الأساسي للتشيع الذي بشرت به آلاف النصوص من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد الإمام الرضا عليه السلام ، كل الخصوصيات وكل التفاصيل أصبحت بالتدريج واضحة في ارتكاز الطائفة وذهنيتها حتى بعض التفاصيل الثانوية .

الفرض الرابع :

يبقى افتراض أخير ، وهو أن يكون هذا تبانياً على الزور والباطل من قبل هذه الطائفة ، وهذا أيضاً ممّا لا يكذّبه إيماننا الشخصي فقط بورع هذه الطائفة وقدسيّتها ، وإنّما يكذّبه - إضافةً إلى إيماننا الشخصي بذلك - الظرف الموضوعي لهذه الطائفة ، لم يكن التشيع في يوم من الأيام في حياة هذه الطائفة طريقاً إلى الأمجاد ، إلى المال ، إلى الجاه ، إلى السلطان ، إلى المقامات العالية .

التشيع طيلة هذه المدة كان طريقاً إلى التعذيب ، إلى السجون ، إلى الحرمان ، إلى الويل ، إلى الدمار . كان طريقاً إلى أن يعيش الإنسان حياة الخوف والذلّ والتقية في كل حركاته وسكناته ، لم يكن التشيع في يوم من الأيام طريقاً إلى مالٍ ، أو جاهٍ ، أو ثراءٍ حتى يكون هذا التباني من قبل هذه الطائفة على ذلك في سبيل مطمع ، لماذا يتباني عقلاء هذه الطائفة ووجهائوها وعلمائوها على إمامة باطلة ، مع أنَّ تبانيهم على هذه الإمامة الباطلة يكفّهم كثيراً من ألوان الحرمان ؟ ولو أنَّ هؤلاء الوجهاء والعلماء والأعلام تركوا هذه الطريقة وأتبعوا الطريق الرسمي المكشوف وقتئذ المتبع من قبل سائر المسلمين لكانوا في طليعة سائر المسلمين ، فالظروف الموضوعية للطائفة كانت بنفسها تشهد على أنَّ هذا التباني على إمامة يكفّهم الاعتقاد بها ألوان العذاب ، وألوان

الحرمان لا يمكن أن يكون ناشئاً إلا عن اعتقادٍ حقٍّ بهذه الإمامة .

إذن فكل هذه الافتراضات الأخرى لا يمكن أن تكون مقبولةً عند أيِّ إنسانٍ يطلع على تأريخ الطائفة ، وتأريخ الإسلام وقتئذٍ ، وعلى الظروف الموضوعية التي تكتنف إمامة الجواد عليه السلام ، ولا يبقى إلا الفرض الوحيد المطابق للواقع ، وهو: أن يكون الإمام الجواد إماماً حقّاً .^(١)

الظاهرة الثانية: انتشار التشيع

انتشار التشيع وامتداده في طول البلاد الإسلامية وعرضها ، بحيث أنتشر وكلاء الائمة وأصحابهم في كل انحاء العالم ، من مكة والمدينة ، وبغداد ، وخراسان ، والكوفة ، وهمدان ، والاهواز ، وجرجان ، والمدائن ، ونيشابور ، وقم ، وطبرطوس ، وكابل وهمدان من بلاد افغانستان اليوم وغيرها .

وهذه الظاهرة اربعبت الطغاة ، ولعل الى ذلك يشير قول للإمام الرضا عليه السلام بعد ولادة الامام الجواد عليه السلام يقول فيه : ماولد في الاسلام مولود اعظم بركة منه^(٢) ، دلالة على ان التشيع سوف ينتشر على يديه في الآفاق .

فماهي عناصر القوة عند ائمتنا عليه السلام في نشر التشيع رغم ان عمرهم صغير؟

لاشك أن العناية الالهية هي السبب في ذلك ، كحفظ الله تعالى موسى في بيت فرعون ، لكن نحاول هنا أن نبحث عن عناصر القوة البشرية المشهوددة لنا في الائمة من أهل البيت عليه السلام .

(١) موسوعة الشهيد السيد محمد باقر الصدر / الجزء ٢٠ / أئمة اهل البيت عليه السلام / ص ٦٤٠

(٢) الكافي / الكليني ٦٣٦٠ (عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَصْبَاطٍ عَنْ يَحْيَى الصَّغَانِيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَهُوَ يَقْشُرُ مَوْزاً وَ يُطْعِمُهُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا الْمَوْلُودُ الْمُبَارَكُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا يَحْيَى! هَذَا الْمَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ مَوْلُودٌ أَكْبَرُ بَرَكَةً عَلَى شَيْعَتِنَا مِنْهُ) .

عناصر القوة والجذب :

ماهي عناصر القوة عند ائمتنا عليه السلام في مرحلة التصفير الشيعي :

اولا / العلم اللامحدود :

بحيث أن القضاة يسألون الامام الجواد عليه السلام ثلاثين الف مسألة كلها ويجب عليها جميعاً^(١) ، ورغم ما يبدو في هذا الرقم من المبالغة الا انه بكشف على كل الاحوال عن علمية واسعة للامام الجواد عليه السلام .

كما نستذكر هنا ماروي عن الامام الجواد عليه السلام ، حيث روي عن عمر بن فرج الرخجي قال :

قلت لأبي جعفر: إن شيعتك تدعي أنك تعلم كل ماء في دجلة ووزنه ؟
وكنا على شاطئ دجلة .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٩٣ (علي بن إبراهيم ، عن أبيه قال : استأذن على أبي جعفر عليه السلام قوم من أهل النواحي فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب وله عشر سنين) .

وقد ذكر العلامة المجلسي ستة فروض لتصوير هذا الامر فقال :

بيان : قوله : عن ثلاثين ألف مسألة أقول : يشكل هذا بأنه لو كان السؤال و الجواب عن كل مسألة بيتا واحدا أعني خمسين حرفا لكان أكثر من ثلاث ختمات للقرآن فكيف يمكن ذلك في مجلس واحد ، ولو قيل : جوابه عليه السلام كان في الأكثر بلا ونعم ، أو بالاعجاز في أسرع زمان ، ففي السؤال لا يمكن ذلك ، ويمكن الجواب بوجوه :
الأول أن الكلام محمول على المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة ، فان عدم مثل ذلك مستبعد جدا .
الثاني يمكن أن يكون في خواطر القوم أسئلة كثيرة متفقة فلما أجاب عليه السلام عن واحد فقد أجاب عن الجميع .
الثالث أن يكون إشارة إلى كثرة ما يستنبط من كلماته الموجزة المشتملة على الاحكام الكثيرة ، وهذا وجه قريب .

الرابع أن يكون المراد بوحدة المجلس الوحدة النوعية أو مكان واحد كمنى وإن كان في أيام متعددة .
الخامس أن يكون مبنيا على بسط الزمان الذي تقول به الصوفية لكنه ظاهرا من قبيل الخرافات .
السادس أن يكون إعجازه عليه السلام أثر في سرعة كلام القوم أيضا أو كان يجيبهم بما يعلم من ضمائرهم قبل سؤالهم .
السابع ما قيل : إن المراد السؤال بعرض المكتوبات والظومارات فوق الجواب بخرق العادة .

فقال عليه السلام لي: يقدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه أم

لا ؟

قلت : نعم ، يقدر .

فقال : أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه .^(١)

ويمكن ان نقرأ النص التالي عن الامام الهادي عليه السلام وهو ما رواه علي بن محمد

النفلي قال : سمعته عليه السلام يقول :

(اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفا وإنما كان عند آصف منه حرف واحد ، فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبا ، فتناول عرش بلقيس حتى صيرة إلى سليمان ثم بسطت له الأرض في أقل من طرفة عين ، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفا ، وحرف واحد عند الله عز وجل استأثر به في علم الغيب) .^(٢)

ثانياً / الكرامات العجيبة للائمة الاطهار عليهم السلام :

روي عن مناقب ابن شهر آشوب بالاسناد عن سلمة الكاتب قال : قال خطيب يلقب بالهريسة للمتوكل : ما يعمل أحد بك ما تعمله بنفسك في علي بن محمد الهادي عليه السلام ، فلا في الدار إلا من يخدمه ، ولا يتعبونه يشيل السترنفسه .

فأمر المتوكل بان لا يرفع أحد الستر للهادي اذا دخل ، فرفع صاحب الخبر أن علي بن محمد دخل الدار ، فلم يخدم ولم يشل أحد بين يديه السترفهب هواء فرفع الستر حتى دخل وخرج .

فقال للمتوكل : شيلوا له الستر بعد ذلك فلا نريد أن يشيل له الهوا^(٣)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٠٠

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٧٦

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٢٠٣ (وكان أحد الأشرار فقال يوما للمتوكل : ما يعمل أحد بك أكثر مما تعمله بنفسك في علي بن محمد فلا يبقى في الدار إلا من يخدمه ولا يتعبونه بشيل ستر ، ولا فتح

هذه الكرامات التي جعلت أم المتوكل العباسي - وهو الأكثر نصباً وعداوة لأهل البيت (عليه السلام) - أن تنذر إذا وهب الله العافية للمتوكل مალًا للامام الهادي (عليه السلام)، حيث ورد في الرواية :

(ان المتوكل مرض من خراج ^(١) خرج به ، فأشرف منه على التلف ، فلم يجسر أحد أن يمسه بحديدة ، فنذرت أمه إن عوفي أن يحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) مالا جليلا من ماله) . ^(٢)

قصة الجاثليق : ^(٣)

يروى المؤرخون :

(قحط الناس بسُرٍّ من رأى قحطاً شديداً ، فأمر المعتمد على الله (العباسي) ابن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء ، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون . . فلم يُسَقُوا ، فخرج الجاثليق (من علماء النصارى) في اليوم الرابع إلى الصحراء ، وخرج معه النصارى والرهبان ، وكان فيهم راهب كلما مدَّ يده إلى

باب ، ولا شيء ، وهذا إذا علمه الناس قالوا : لو لم يعلم استحقاؤه للامر ما فعل به هذا ، دعه إذا دخل يشيل الستر لنفسه ويمشي كما يمشي غيره ، فتمسه بعض الجفوة فتقدم أن لا يخدم ولا يشال بين يديه ستر ، وكان المتوكل ما رئي أحد ممن يهتم بالخبر مثله . قال : فكتب صاحب الخبر إليه : أن علي بن محمد دخل الدار فلم يخدم ولم يشل أحد بين يديه ستر فهب هواء رفع الستر له ، فدخل فقال : اعرفوا خبر خروجه ، فذكر صاحب الخبر هواء خالف ذلك الهواء شال الستر له حتى خرج . فقال : ليس نريد هواء يشيل الستر ، شيلوا الستر بين يديه) .

(١) خراج هو الجرح والقيح ، وجاء في اللغة هو (ورمٌ كالدمل يخرج بالبدن)

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٩٨

(٣) جاثليق كلمة عبرية تعني "متقدم الأساقفة" أي المشرف على أكثر من أسقفية محلية ، ويكون تابعاً للبطريرك الذي هو رئيس جميع الإكليروس . وكانت كلمة "جاثليق" تُطلق على كبار الأساقفة الذين يمنعهم طول المسافات بين مقرهم ومقر البطريرك الذي يتبعونه من الاتصال به في كل أمر ، فصار لهم التصرف شبه المطلق في تدبير شؤون رعيته (المحقق)

السماء ورفعها هطلت بالمطر.

ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم ، فهطلت السماء بالمطر وسُقُوا سَقِيًّا شَدِيداً حَتَّى اسْتَعْفُوا ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَدَاخَلَهُمُ الشَّكُّ وَصَغَا بَعْضُهُمْ إِلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْحَاكِمِ ، فَأَنْفَذَ إِلَى صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ -وهو المسؤول عن سجن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) - أن أخرج أبا محمد الحسن بن علي (العسكري) من السجن وأُتْبِيَ بِهِ .

فلَمَّا حَضَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ عِنْدَ الْمُعْتَمِدِ قَالَ لَهُ : أَدْرِكُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ فِيمَا لَحِقَ بَعْضُهُمْ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ !

فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : دَعُهُمْ يَخْرُجُونَ غَدًا الْيَوْمَ الثَّالِثَ .

قال : قد استعفى الناس من المطر واستكفوا ، فما فائدة خروجهم ؟ !
قال : لأزِيلَ الشَّكَّ عَنِ النَّاسِ وَمَا وَقَعُوا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْوَرُطَةِ الَّتِي أَفْسَدُوا فِيهَا عَقُولاً ضَعِيفَةً .

فَأَمَرَ الْمُعْتَمِدُ الْجَائِلِيَّ وَالرَّهْبَانَ أَنْ يَخْرُجُوا أَيْضاً فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ عَلَى جَارِي عَادَتِهِمْ ، وَأَنْ يُخْرِجُوا النَّاسَ . . فَخَرَجَ النَّصَارَى ، وَخَرَجَ لَهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ (الْعَسْكَرِيُّ) وَمَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَوَقَفَ النَّصَارَى عَلَى جَارِي عَادَتِهِمْ يَسْتَسْقُونَ ، إِلَّا ذَلِكَ الرَّاهِبَ ، مَدَّ يَدَيْهِ رَافِعاً لِهَمَا إِلَى السَّمَاءِ ، وَرَفَعَتْ النَّصَارَى وَالرَّهْبَانُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى جَارِي عَادَتِهِمْ ، فَغِيَمَتِ السَّمَاءُ فِي الْوَقْتِ وَنَزَلَ الْمَطَرُ ، فَأَمَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ الْقَبْضَ عَلَى يَدِ الرَّاهِبِ وَأَخَذَ مَا فِيهَا ، فَإِذَا بَيْنَ أَصَابِعِهِ عَظْمٌ آدَمِيٍّ ، فَأَخَذَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ وَلَفَّهُ فِي خُرْقَةٍ وَقَالَ : اسْتَسْقِ ! فَاُنْكَشِفَ الْحِجَابُ ، وَانْتَشَعَ الْغَيْمُ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ . . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ .

وقال المعتمد : ما هذا يا أبا محمد ؟ !

فقال : عَظْمُ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، ظَفَرَبِهِ هَؤُلَاءِ مِنْ بَعْضِ قُبُورِ

الأنبياء ، وما كُشِفَ عِظْمُ نَبِيِّ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَّا هَطَلَتْ بِالْمَطَرِ . واستحسنوا ذلك فامتحنوه فوجدوه كما قال : فرجع أبو محمد الحسن إلى داره بِسُرْمَنْ رَأَى وَقَدْ أزال عن الناس هذه الشبهة ، وقد سُرَّ المعتمد والمسلمون بذلك ، .^(١)

ثالثاً: قدسية أهل البيت عليهم السلام:

وقد بلغت قدسيّتهم لمستوى أن المعتمد العباسي يطلب من الامام العسكري عليه السلام أن يدعوله بطول العمر ، كما ورد في الرواية ان المعتمد دخل على الامام العسكري عليه السلام وتضرع إليه وسأل أن يدعوله بالبقاء عشرين سنة في الخلافة .

فقال عليه السلام : مد الله في عمرك فأجيب وتوفي بعد عشرين سنة .^(٢)

وهنا اراد السلاطين سلب هذه الصفة عن أهل البيت عليهم السلام امام الناس فاستقدم المتوكل العباسي الامام الهادي عليه السلام وكان المتوكل جالسا في مجلس الشرب فدخل عليه الامام عليه السلام والكاس في يد المتوكل .

فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكاس التي كانت في يده .

فقال عليه السلام : واللّٰه ما يخامر لحيي ودمي قط ، فاعفني فأعفاه .

فقال : أنشدني شعرا .

فقال عليه السلام : إني قليل الرواية للشعر .

فقال : لا بد .

فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده :

باتوا على قُللِ الاجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

(١) راجع الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة لابن الصبّاح المالكي ٢٦٩

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٣٠٩

واستنزلوا بعد عز من مواقعهم واودعوا حفرا يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من بعد ماقبروا ابن الاسرة والتيجان والحلل
فافصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل^(١)

رابعا / الانتساب لرسول الله ﷺ:

فهم ذرية الرسول ﷺ وهذا يكفي ليكون مصدر قوة عندهم .
ونقرأ في هذا الخصوص ما يرويه المؤرخون ان هرون الرشيد أراد ان يلفت نظر
الناس اليه فمرَّ على قبر الرسول ﷺ وقال له السلام عليك يا بن العم .
فشعر الامام الكاظم عليه السلام بما يبغيه الرشيد من كلامه ، فتقدم الى القبر
الشريف وقال : السلام عليك يا ابتاه . .^(٢)
الفكرة : لقد ارادت السلطة العباسية سلب خصوصية القرابة من رسول
الله ﷺ من انتمنا عليه .

أحد الخلفاء العباسيين استقدم يوماً ما أحد شيعة أهل البيت عليه السلام وقال له :
اثبت لي ان الحسن والحسين اولاد رسول الله ، فهم اولاد فاطمة وليس اولاد رسول
الله .

قال له : اسمع قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ ، الى ان يقول :
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ، الى ان يقول : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ ، الى ان يقول : ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾ .^(٣)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٢١١

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - الصفحة ١٠٣

(٣) سورة الانعام الاية ٨٤ و ٨٥

فقال له عيسى من ابوه ؟

فرغم أن عيسى ليس له أب ، إلا أن القرآن الكريم اعتبره من ذرية ابراهيم عليه السلام ، وذلك إنما كان عن طريق مريم بنت عمران .

فكيف اعتبر القرآن عيسى من ذرية ابراهيم عليه السلام ، وذلك يعني أن ابن البنت يصبح ابناً .

الظاهرة الثالثة : الانقسامات الداخلية

شهدت هذه المرحلة انقسامات داخلية واسعة ، حتى ان الامام الهادي عليه السلام كان يقول اثرتلك الانقسامات : (ما مُني أحد من آبائي بمثل ما مُنيْتُ به من شك هذه العصاة في) .^(١)

ويمكن أن نذكر على سبيل المثال :

١/ قصة موسى بن محمد الجواد عليه السلام :

وهو أخو الامام الهادي عليه السلام ولكنه انحرف عن الامام ، وكان يطلب الزعامة الدينية لنفسه ويتوسل الى ذلك بالتقرب الى الحاكم العباسي .

فقد روي عن يعقوب بن ياسر قال :

(كان المتوكل يقول : ويحكم قد أعيانني أمر ابن الرضا ، وجهدت أن يشرب معي وينادمني فامتنع ، وجهدت أن أجد فرصة في هذا المعنى فلم أجدها .

فقال له بعض من حضر: إن لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذا الحال ، فهذا أخوه موسى قصاف عزاف ، يأكل ويشرب ويعشق ويتجالع فأحضره وأشهره فان الخبر يشيع عن " ابن الرضا " بذلك ، ولا يفرق الناس بينه

وبين أخيه ، ومن عرفه اتهم أخاه بمثل فعالة .

فقال : اكتبوا بإشخاصه مكرما .

فأشخص مكرما ، فتقدم المتوكل أن يتلقاه جميع بني هاشم والقواد وسائر الناس وعمل على أنه إذا رآه أقطعه قطيعة وبنى له فيها ، وحول إليه الخمارين والقيان ، وتقدم لصلته وبره ، وأفرد له منزلا سريرا يصلح أن يزوره هو فيه .

فلما وافى موسى تلقاه أبو الحسن عليه السلام في قنطرة وصيف ، وهو موضع يتلقى فيه القادمون ، فسلم عليه ووفاه حقه ، ثم قال له : إن هذا الرجل قد أحضرك ليهتكك ويضع منك ، فلا تقر له أنك شربت نبذا واتق الله يا أخي أن ترتكب محظورا .

فقال له موسى : إنما دعاني لهذا فما حيلتي ؟

قال : ولا تضع من قدرك ولا تعص ربك ، ولا تفعل ما يشينك ، فما غرضه إلا هتكك . فأبى عليه موسى ، وكرر عليه الامام الهادي عليه السلام القول والوعظ وهو مقيم على خلافه ، فلما رأى أنه لا يجيب قال عليه السلام له : أما إن المجلس الذي تريد الاجتماع معه عليه ، لا تجتمع عليه أنت وهو أبدا .

قال : فأقام موسى ثلاث سنين يبكر كل يوم إلى باب المتوكل فيقال :

قد تشاغل اليوم ، فيروح فيبكر فيقال له قد سكر ، فيبكر فيقال له : قد شرب دواء فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكل ، ولم يجتمع معه على شراب ^(١)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٤

٢/ قصة عبد الله بن موسى مع الامام الجواد عليه السلام :

كان عبد الله بن موسى ينازع الامام الجواد عليه السلام في الامامة فقد روي انه كان وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام فلما وافوا أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة ، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير ، وخرج إليهم عبد الله بن موسى ، فجلس في صدر المجلس وقام مناد وقال : هذا ابن رسول الله فمن أراد السؤال فليسأله .

فسئل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب فورد على الشيعة ما حيرهم وغمهم ، واضطربت الفقهاء ، وقاموا وهموا بالانصراف .

وقالوا في أنفسهم : لو كان أبو جعفر الجواد عليه السلام قادراً على جواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان ، ومن الجواب بغير الواجب .

ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق وقال : هذا أبو جعفر!

فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلموا عليه فدخل صلوات الله عليه وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين وفي رجليه نعلان وجلس وأمسك الناس كلهم ، فقام صاحب المسألة فسأله عن مسألة فأجاب عنها بالحق ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له : إن عمك عبد الله أفتى بكيت وكيت ، فقال : لا إله إلا الله يا عم إنه عظيم عند الله أن تقف غدا بين يديه فيقول لك : لم تفتي عبادي بما لم تعلم ، وفي الأمة من هو أعلم منك .^(١)

٣/ قصة جعفر بن علي الهادي عليه السلام :

وهو أخو الامام الحسن العسكري عليه السلام وكان يطلب الزعامة الدينية ويخالف

أخاه الامام العسكري عليه السلام .

وفي الرواية عن فاطمة ابنة الهيثم قالت :

كنت في دار أبي الحسن عليه السلام في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدار قد سروا به ، فقلت : يا سيدي مالي أراك غير مسرور ؟

فقال : هوني عليك فسيضل به خلق كثير .^(١)

كما ورد عن ن إسحاق بن يعقوب قال :

سألت محمد بن عثمان العمري عليه السلام أن يوصل إليهِ ، سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام :

" أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك الله من أمر المنكرين من أهل بيتنا وبني عمنا اعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة ، ومن أنكرني فليس مني ، وسيله سبيل ابن نوح ، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام " .^(٢)

وعن احمد بن اسحق قال : كتبت الى صاحب الزمان عليه السلام كتاباً عن ما كتبه جعفر بن علي من كتاب يعرف فيه نفسه انه القيم بعد أخيه وان عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج اليه وغير ذلك من العلوم كلها ، فخرج الجواب من الامام صاحب الزمان عليه السلام يقول : (بسم الله الرحمن الرحيم أتاني كتابك أبقاك الله والكتاب الذي في درجه وأحاطت معرفتي بما تضمنه ...)

وقد ادعى هذا المبطل المدعي على الله الكذب بما ادعاه ، فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتم دعواه أبفقه في دين الله ، فوالله ما يعرف حلالاً من

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٧٦

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٢٢٧

حرام ولا يفرق بين خطأ وصواب ، أم بعلم فما يعلم حقاً من باطل ، ولا محكماً من متشابه ولا يعرف حد الصلاة ووقتها ، أم بورع فالله شهيد على تركه لصلاة الفرض أربعين يوماً يزعم ذلك لطلب الشعبذة ، ولعل خبره تأدى إليكم ، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة ، وأثار عصيانه لله عزوجل مشهودة قائمة ، أم بآية فليأت بها أم بحجة فليقمها أم بدلالة فليذكرها .

قال الله عزوجل في كتابه العزيز: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون * قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات اثبتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين * ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾^(١) .

فالتمس تولى الله توفيقك من هذا الظالم ما ذكرت لك ، وامتحنه واسأله آية من كتاب الله يفسرها أو صلاة يبين حدودها ، وما يجب فيها لتعلم حاله ومقداره ويظهر لك عواره ونقصانه والله حسيبه .

حفظ الله الحق على أهله ، وأقره في مستقره ، وقد أبى الله عزوجل أن يكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحق واضحل الباطل وانحسر عنكم ، وإلى الله أرغب في الكفاية ، وجميل الصنع والولاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .^(٢)

(١) الأحقاف : ١ - ٦ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٢٢٩

مذهب الواقفة:

في هذه المرحلة بالذات انتشر داخل الوسط الشيعي مذهب الواقفة^(١) ، وهم الذين رفضوا طاعة الامام الرضا عليه السلام ووقفوا على الامام موسى بن جعفر عليه السلام .

وقد ورد عن جعفر ابن محمد النوفلي قال :

(أتيت الرضا عليه السلام وهو بقمطرة إبريق فسلمت عليه ، ثم جلست وقلت : جعلت فداك إن أناسا يزعمون أن أباك حي .

فقال : كذبوا لعنهم الله لو كان حيا ما قسم ميراثه ، ولا نكح نساؤه ، ولكنه والله ذاق الموت كما ذاقه علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال : فقلت له : ما تأمرني ؟

قال : عليك بابني محمد من بعدي ، وأما أنا فاني ذاهب في وجه لا أرجع .^(٢)

كما روي ايضا عن الحسين بن يسار قال :

(استأذنت أنا والحسين بن قياما على الرضا عليه السلام في صريا فأذن لنا ، فقال : أفرغوا من حاجتكم .

فقال له الحسين : تخلو الأرض من أن يكون فيها إمام ؟

فقال : لا .

قال : فيكون فيها اثنان ؟

قال : لا إلا وأحدهما صامت لا يتكلم .

(١) الواقفية ، هم الجماعة الذين توقفوا عند إمامة موسى الكاظم عليه السلام حين وفاته ، ولم يؤمنوا بإمامة ولده علي بن موسى الرضا عليه السلام ، بل قالوا إن الإمام الكاظم حي يرزق ، وإثمه هو القائم من آل محمد عليه السلام ، وإن غيبته كغيبته موسى بن عمران عن قومه ، وأنه لم يمت وإنما يعيش في الغيبة وسيرجع حينما يأذن الله له ، وهذه الجماعة هم الذين يدعون بالواقفة (المحقق)

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٨

قال : فقد علمت أنك لست بامام .

قال : ومن أين علمت ؟

قال : إنه ليس لك ولد وإنما هي في العقب .

قال : فقال له : فوالله لا تمضي الأيام والليالي حتى يولد لي ذكر من صليبي ، يقوم مثل مقامي ، يحق الحق ويحق الباطل .^(١)

يقول المؤرخون ان الشيعة في هذه المرحلة افترقوا على عشرين فرقة^(٢) ، ويقول المؤرخون ايضاً ان موجة الشك أصابت أكثر الشيعة بعد شهادة الامام الجواد عليه السلام^(٣)

انشقاقات داخل البيت الشيعي :

في هذه المرحلة بالذات كان انشقاق عدد من وكلاء الأئمة مثل ابن هلال فقد ورد عن أحمد بن إبراهيم المراغي قال :

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٣٤

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٣٣٦ (مروج الذهب : في سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام في خلافة المعتمد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وهو أبو المهدي المنتظر ، والامام الثاني عشر ، عند القطعية من الامامية ، وهم جمهور الشيعة ، وقد تنازع هؤلاء في المنتظر من آل محمد بعد وفاة الحسن بن علي عليه السلام وافترقوا على عشرين فرقة)

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٢٠ (فلما مضى أبو جعفر عليه السلام لم أخرج من منزلي حتى علمت أن رؤوس العصابة قد اجتمعوا عند محمد بن الفرج بنفائوضون في الامر ، فكتب إلي محمد بن الفرج يعلمني باجتماعهم عنده يقول : لولا مخافة الشهرة لصرت معهم إليك ، فأحب أن تركب إلي ! فركبت وصرت إليه فوجدت القوم مجتمعين عنده فنجارينا في الباب فوجدت أكثرهم قد شكوا .

فقلت لمن عنده الرقاع وهو حضور : أخرجوا تلك الرقاع فأخرجوها فقلت لهم : هذا ما أمرت به ، فقال بعضهم : قد كنا نحب أن يكون معك في هذا الامر آخر ليتأكد هذا القول فقلت لهم : قد أتاكم الله بما تحبون هذا أبو جعفر الأشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة فسألوه القوم ، فتوقف عن الشهادة فدعوته إلى المبالهة فخاف منها وقال : قد سمعت ذلك ، وهي مكرومة كنت أحب أن يكون لرجل من العرب فأما مع المبالهة فلا طريق إلى كتمان الشهادة ، فلم يرح القوم حتى سلموا لأبي الحسن عليه السلام)

(ورد على القاسم بن العلا نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال ، وكان ابتداء ذلك أن كتب عليه السلام إلى قوامه بالعراق : احذروا الصوفي المتصنع .

قال : وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد كان حج أربعاً وخمسين حجة عشرون منها على قدميه ، قال : وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه .

فأنكروا ما ورد في مذمته ، فحملوا القاسم بن العلا على أن يراجع في أمره .

فخرج إليه : " قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنع ابن هلال - لارحمه الله - بما قد علمت لم يزل لا يغفر الله له ذنبه ، ولأقاله عشرته ، دخل في أمرنا بلا إذن منا ولا رضى يستبد برأيه فيتحامى من ديوننا ، لا يمضي من أمرنا إياه إلا بما يهواه ويريد أرداه الله في نار جهنم ، فصبرنا عليه حتى بتر الله عمره بدعوتنا .

وكنا قد عرفنا خبره قوما من مواليها في أيامه - لارحمه الله - ، أمرناهم بالقاء ذلك إلى الخلف من مواليها ، ونحن نبأ إلى الله من ابن هلال - لارحمه الله - ، وممن لا يبرء منه .

وأعلم الإسحاقى سلمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال أمر هذا الفاجر وجميع من كان سألك ويسألك عنه ، من أهل بلده ، والخارجين ، ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك ، فإنه لا عذر لاحد من مواليها في التشكيك فيما يؤديه عنا ثقافتنا ، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنا ، ونحمله إياه إليهم ، وعرفنا ما يكون من ذلك إنشاء الله " .

هذه نماذج من الانقسامات الداخلية في صفوف الشيعة في هذه المرحلة ،

وهي مرحلة الامام الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام

وقد نسأل هنا عن الاسباب التاريخية لهذه الظاهرة ، كما قد نسال عن

التفسير الديني لهذه الظاهرة .

فهنا اذن سؤالان :

الاول : عن الاسباب التاريخية لظاهرة الانقسامات .

الثاني : عن التفسير الديني لظاهرة الانقسامات .

الاسباب التاريخية :

ربما ترجع ظاهرة الانقسامات الداخلية الى مجموعة اسباب هي :

السبب الاول : هو الانتشار الواسع للتشيع والى اقصى بلاد العالم الاسلامي ، الامر الذي يصعب السيطرة فيه على الخروقات الثقافية التي تحدث هنا وهناك .

السبب الثاني : الحصار المفروض على أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ومراقبة حركتهم ، الامر الذي لايسمح لهم بالتواصل المريح مع اتباعهم وشيعتهم ، فقد كان الامام الهادي عليه السلام في الحبس ، وكان الامام العسكري عليه السلام في الحبس ، وكان الامام الجواد عليه السلام تحت الرقابة المشددة وهو في داخل القصر العباسي .

وقد بلغت الرقابة المشددة عليهم ان الامام العسكري عليه السلام يمنع شيعته من السلام عليه ، وقد روي عن أبي بكر الفهفكي قال :

(أردت الخروج بسر من رأى لبعض الأمور وقد طال مقامي بها فغدوت يوم الموكب ، وجلست في شارع أبي قطيعة ابن داود إذ طلع أبو محمد عليه السلام يريد دار العامة فلما رأيته قلت في نفسي : أقول له : يا سيدي إن كان الخروج عن سر من رأى خيرا فأظهر التبسم في وجهي .

فلما دنا مني تبسم تبسما جيدا فخرجت من يومي فأخبرني أصحابنا أن غريما كان له عندي مال قدم يطلبني ولو ظفربي يهتكني لان ما له لم يكن عندي) .^(١)

كما روي عن عن محمد بن عبد العزيز البلخي قال :

(أصبحت يوماً فجلست في شارع الغنم فإذا بأبي محمد عليه السلام قد أقبل من منزله يريد دار العامة ، فقلت في نفسي : ترى إن صحت أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه ، يقتلونني ؟ فلما دنا مني أوماً بأصبعه السبابة على فيه أن اسكت ! ورأيتك تلك الليلة يقول إنما هو الكتمان أو القتل فاتق الله على نفسك) .^(١)

السبب الثالث : تراكم الاموال لدى بعض وكلاء أهل البيت عليهم السلام ، والتي تصلهم من الشيعة بهدف إيصالها للإمام المعصوم عليه السلام ، وحيث لم يكن سهلاً مراقبتهم فيها أو محاسبتهم فقد سؤل الشيطان لبعضهم وبهدف الاستيلاء على هذه الاموال ابتداع مذاهب أخرى مثل الوقوف على موسى بن جعفر عليه السلام ، وانكار إمامة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام .

والى هذا السبب يشير يونس بن عبد الرحمن حين قال :

(مات ابو ابراهيم موسى بن جعفر وليس في قوامه أحد الا وعنده المال الكثير ، وكان ذلك بسبب وقفهم وجحدهم موته طمعاً في الاموال) .

ونستطيع أن نقرأ على سبيل المثال هنا قصة صالح بن محمد السهلاني مع الامام الجواد عليه السلام : روي عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه قال :

(كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام إذا دخل إليه صالح بن محمد بن سهل الهمداني وكان يتولى له .

فقال له : جعلت فداك اجعلني من عشرة آلاف درهم في حل فاني أنفقتها .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : أنت في حل .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٢٩٠

فلما خرج صالح من عنده قال أبو جعفر عليه السلام : أحدهم يثب على مال آل محمد عليه السلام وفقرائهم ومساكينهم وأبناء سبيلهم فيأخذه ثم يقول : اجعلني في حل . أتراه ظن بي أنني أقول له لا أفعل ، والله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً ^(١) .

لقاءات سرّية : وربّما تحكي لنا بعض الروايات الاعجازية طبيعة اللقاءات السريّة بين الائمة عليهم السلام وشيعتهم فقد روي :

(انه كان أبو محمد عليه السلام يبعث إلى أصحابه وشيعته صيروا إلى موضع كذا وكذا ، وإلى دار فلان بن فلان العشاء والعتمة في ليلة كذا فإنكم تجدوني هناك وكان الموكلون به لا يفارقون باب الموضع الذي حبس فيه عليه السلام بالليل والنهار وكان الخليفة العباسي يعزل في كل خمسة أيام الموكلين ويولي آخرين بعد أن يجدد عليهم الوصية بحفظه ، والتوفر على ملازمة بابه .

فكان أصحابه وشيعته يصيرون إلى الموضع وكان عليه السلام قد سبقهم إليه ، فيرفعون حوائجهم إليه ، فيقضيها لهم على منازلهم وطبقاتهم ، وينصرفون إلى أماكنهم بالآيات والمعجزات وهو عليه السلام في حبس الأضداد ^(٢) .

ومثل ذلك تأتي قصة إجابة الامام عليه السلام على رسائل شيعته بطريقة إعجازية حيث روي عن وي عن محمد بن الفرّج قال : (قال لي علي بن محمد عليه السلام إذا أردت أن تسأل مسألة فاكتبها ، وضع الكتاب تحت مصلاك ، ودعه ساعة ، ثم أخرجه وانظر .

قال : ففعلت فوجدت جواب ما سألت عنه موقعا فيه ^(١) .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٠٥

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٣٠٤

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ١٥٥

التفسير الديني للظاهرة:

كل حركة الانبياء ﷺ شهدت إنقسامات داخلية ، فذاك موسى عليه السلام وقومه إذ يتحدث القرآن الكريم عنه قائلا :

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَيسَفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَفْقُتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِثْ بِئِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ومثل ذلك مع رسول الله ﷺ حيث كان ابولهب يمشي خلف النبي ﷺ ويقول : انه كذاب لاتصدقوه ، فنزل قوله تعالى :

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾^(٢).

ويقول رسول الله ﷺ :

(إِنَّ أُمَّةَ مُوسَى افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية ، وسبعون في النار ، وافترت أمة عيسى بعده على اثنتين وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية ، واحدة وسبعون في النار ، وإن أمتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية ، واثنان وسبعون في النار)^(٣)

هكذا كان الحال مع الائمة ﷺ .

والسؤال الان : ماهو التفسير الديني لذلك ؟

الجواب : هو نظرية الابتلاء والامتحان ، فلو شاء الله لهدى الناس جميعاً ،

(١) سورة الاعراف الاية ١٥٠

(٢) سورة المسد الاية ٢١

(٣) سفينة البحار / الشيخ عباس القمي ، ٢ / ٣٥٩

ولكنه تعالى يقول :

﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

كيف حافظ الشيعة على المذهب ؟!

أمام الملاحقات المستمرة طوال الحكم الأموي والعباسي وإمام الماكنة الاعلامية الضخمة التي تمتلكها السلطة يومئذ ووظيفتها ضد أهل البيت (عليه السلام) وشيعتهم ، وأمام سياسة التصفية والاختذ على الظنة ، وأمام سياسة الاقصاء والتهميش ، والحبس والتشريد .

أمام كل ذلك (حتى كان يقال لرجل زنديق أحب اليه من أن يقال له علوي) ، كيف استطاع شيعة أهل البيت (عليه السلام) أن يحافظوا على المذهب ، عقيدة ، وشريعة ، وجماعة ، وانصاراً ، وأماماً وافراداً ، وشعائروطقوساً ، ونفوذاً وتأثيراً؟؟؟
لعل هذا السؤال هو من أخطر الاسئلة التاريخية التي تواجه الباحث والمؤرخ ، فلا يعرف تاريخ البشرية مذهباً ، أو فكراً ، أو جماعة واجهت مثل هذه الملاحقات .

ثم لم تنزل صامدة قوية راسخة ومحافظة على كل مقومات وجودها ، وقدرتها على الحراك والتأثير في مسار الانسانية .

التشيع وحده كان هو النموذج لذلك ، فكيف كان ؟ وماذا فعل الشيعة من أجل الانتصار في معركة الوجود أمام ماكنة السحق والمحق المتواصل ؟

عناصر النصر العظيم:

هنا نستطيع أن نشير إلى أربع عناصر تمتع بها أبطال الشيعة هي التي كانت وراء هذا الانتصار العظيم والبناء العظيم .
التقوى ، والعلم ، والوعي ، والارادة .

١/ التقوى والعبادة:

تمتع أبطال الشيعة بأعلى مستويات التقوى والارتباط بالله تعالى ، ونقل بعض النماذج لذلك :

عبد الرحمن يدعو لآخوانه :

روي عن ابراهيم بن هاشم انه قال :

(رأيت عبد الله بن جندب^(١) بالموقف فلم أرموقفا كان أحسن من موقفه ما زال ماداً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض فلما انصرف الناس قلت له : يا أبا محمد ما رأيت موقفا قط أحسن من موقفك .

قال : والله ما دعوت إلا لآخواني وذلك أن أبا الحسن موسى بن جعفر^(عليه السلام) أخبرني أنه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش : ولك مائة ألف ضعف مثله ، فكرهت أن أدع مائة ألف ضعف مضمونة لواحد لا أدري يستجاب أم لا) .^(١)

(١) فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا^(عليه السلام) ، وقد كانت له منزلة عظيمة ، وهو من أصحاب الإجماع . ورد اسمه في سند كثير من الروايات عن أئمة أهل البيت^(عليهم السلام) تبلغ ٥٩٠ رواية ، صنف ثلاثين كتاباً ، ومنها : كتاب الوضوء ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الزكاة وكتاب الفرائض وكتاب في أصناف الكلام . كان من الواقفية ، ثم رجع عن وقفه ، وآمن بإمامة الإمام الرضا^(عليه السلام) ، ونقل عنه الكثير من الروايات ، لم تذكر سنة وفاته وقالوا : أنه كان حياً بعد سنة ١٨٣ هـ . (المحقق)

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٣٨٥

يونس لا يبيع دينه :

روي عن يونس بن عبد الرحمن أنه قال :

(مات أبو ابراهيم عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير وكان ذلك سبب وقضهم وجدهم موته ، طمعا في الاموال ، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون الف دينار ، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون الف دينار ، فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت ، تكلمت و دعوت الناس إليه فبعثنا إلي وقالوا : ما يدعوك إلى هذا ؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك ، وضمننا لي عشرة آلاف دينار ، وقالوا لي : كف ؛ فأبيت وقلت لهما : أنا رويانا عن الصادقين عليه السلام أنهم قالوا : إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الايمان وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كل حال ، فناصباني وأضمرا لي العداوة) .^(١)

ثلاثة كل منهم يصلي واحد وخمسين :

قال ابو عمرو الكشي :

(أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن صفوان بن يحيى ببيع السابري^(١) والاقرار له بالفقه ، كان شريكاً لعبد الله بن جندب^(٢) وعلي بن النعمان ، فكان كل منهم يصلي في كل يوم احدى وخمسين ركعة ، وتعاهدوا على ان

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٣٩٧

(١) أبو محمد ، صفوان بن يحيى البجلي الكوفي ، المعروف ببيع السابري . كان من أعلام القرن الثاني الهجري ، ومن المحتمل أنه ولد في الكوفة كان (رضي الله عنه) من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد عليه السلام . (المحقق)

(٢) أبو محمد ، عبد الله بن جندب البجلي الكوفي . من أعلام القرن الثاني الهجري ، ومن المحتمل أنه ولد في الكوفة كان (رضي الله عنه) من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا عليه السلام كان وكيلاً للإمامين الكاظم والرضا عليه السلام .

من بقي منهم يصلي عن الماضي صلاته ويزكي زكاته ويصوم صومه ، فتاخر صفوان عنهما فصار يصلي كل يوم مائة وثلاثة وخمسين ركعة ، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ، ويزكي زكاته ثلاث دفعات ، وكل ما يتبرع به عن نفسه يعمل لهما مثله (^(١)).

تحت السياط ولا يقبل القضاء :

(لقد أدرك ابن أبي عمير ^(٢) الامام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام وصنف ٩٤ كتابا ، وكان في زمن الرشيد والمأمون في محنة عظيمة فقد حبساه عدة سنوات و ضرباه بالسياط لكي يتسلم منصب القضاء ويعرفهم على الشيعة لأنه كان يعرف شيعة العراق ، ولما ضرب مائة سوط لم يتحمل وأراد أن يسمى بعض الشيعة ، فسمع صوت محمد بن يونس بن عبد الرحمن يناديه : يا محمد بن أبي عمير اذكرموقفك بين يدي الله فأمسك نفسه ولم يتفوه باسم أحد منهم) . ^(١)

لا يقبل بيع الدار :

روى الشيخ الصدوق عن ابن الوليد ، عن علي بن ابراهيم عن ابيه انه قال :
(كان ابن أبي عمير رجلا بزازا وكان له على رجل عشرة آلاف درهم ، فذهب ماله ، وافتقر فجاء الرجل فباع دار اله بعشرة آلاف درهم وحملها إليه فدق عليه الباب ، فخرج إليه محمد بن أبي عمير عليه السلام فقال له الرجل : هذا مالك الذي لك

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥١٥

(٢) ابن أبي عمير ، فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد عليهم السلام . واسمه محمد بن زياد الأزدي ، وهو من أصحاب الإجماع . أجمع العلماء على وثاقته وجلالة قدره وفقاهته ، وذهب بعضهم إلى أن مراسيله في الحديث كالمسانيد ، اتسم بمجموعة من الخصال والصفات الحميدة مما جعله وجيهاً من وجهاء الشيعة . تعرض للسجن والتعذيب ومصادرة أمواله من قبل العباسيين بسبب تشيعه ، وذكرت بعض المصادر أن مدة حبسه كانت سبعة عشر عاماً ، له الكثير من الكتب في الفقه والكلام والحديث . (المحقق)

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥٨٣

علي فخذہ .

فقال ابن أبي عمير: فمن أين لك هذا المال ؟ ورثته ؟

قال : لا .

قال : وهب لك ؟

قال : لا ولكني بعث داري الفلاني لاقضي ديني .

فقال ابن أبي عمير عليه السلام : حدثني ذريح المحاربي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : لا يخرج الرجل عن مسقط رأسه بالدين (^(١)) .

يسجد من الفجر حتى الزوال :

روي عن الفضل بن شاذان يقول : (دخلت العراق فرايت واحدا يعاتب صاحبه ويقول له : انت رجل عليك عيال وتحتاج ان تكتسب عليهم ، وما امن ان تذهب عيناك لطول سجودك ، فلما اكثر عليه ، قال : اكثرت على ، ويحك ! لو ذهبت عين احد من السجود لذهبت عين ابن ابي عمير ، ما ظنك برجل سجد سجده الشكر بعد صلاة الفجر فما رفع راسه الا عند زوال الشمس) . (^(١))

الطيريقع من ظهره :

نقل في كتاب النجاشي عن الفضل بن شاذان انه قال :

(كنت في قطيعة الربيع في مسجد الربيع أقرأ على مقرئ يقال له : إسماعيل بن عباد ، فرأيت قوما يتناجون ، فقال أحدهم : بالجبل رجل يقال له ابن فضال (^(٢)) أعبد من رأينا أو سمعنا به .

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥٨٤

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥٨٥

(٢) فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ، وقد كانت له منزلة عظيمة ، وهو من أصحاب الإجماع . ورد اسم

قال : فإنه ليخرج إلى الصحراء فيسجد السجدة ، فيجئ الطير فيقع عليه فما يظن إلا أنه ثوب أو خرقة ، وإن الوحش لترعى حوله فما تنفر منه لما قد أنست به ، وإن عسكر الصعاليك ليجيئون يريدون الغارة أو قتال قوم فإذا رأوا شخصه طاروا في الدنيا فذهبوا)^(١).

٢/ العلم والاهتمام بتدوين الحديث :

لقد حرص أصحاب أهل البيت عليه أشد الحرص وفي أصعب الظروف على تدوين حديث أهل البيت عليه ، وفي خهذا الصدد نقراً مايلي :

أبان بن تغلب له ثلاثين ألف حديث :

في كتاب ابن داود : (روى أبان بن تغلب^(١) عن الإمام الصادق عليه ثلاثين ألف حديث) .^(٢)

زرارة بن أعين :

يقول عنه الإمام الصادق عليه : (لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب) .
روي ان ابا عبد الله الصادق عليه قال للفيض بن المختار^(٣) :

الحسن بن علي بن فضال في سند كثير من الروايات عن أئمة أهل البيت عليه . تبلغ ٢٩٧ رواية ، وله من الآثار : كتاب الصلاة ، كتاب الديات ، كتاب التفسير ، كتاب الابتداء والمبتدأ ، كتاب الطب . توفي سنة ٢٢٤ هـ .
(المحقق)

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥١٠
(١) أديب وقارئ وفقه ومفسر ومن مشاهير محدثي الإمامية أدرك الإمام علي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليه . ، ودرس على أيديهم العلوم المتداولة آنذاك كالحديث ؛ وبلغ منزلة عظيمة في مدرسة الإمام الصادق عليه ، وورد إله روى ٣٠ ألف رواية عن الإمام الصادق عليه . (المحقق)

(٢) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٢٦١

(٣) قال النجاشي : " الفيض بن المختار الجعفي : كوفي ، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن عليه ، ثقة ،

(فاذا اردت بحدیثنا فعليك بهذا الجالس ، واوما بيده الى زرارة بن أعین)^(١) .
وروي ايضا انه قال عليه السلام : (لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي عليه السلام ستذهب) .^(٢)

يونس ونشر الفقه :

روي عن الفضل بن شاذان انه قال : (حدثني عبد العزيز بن المهدي وكان خير قمي رأيته ، وكان وكيل الامام الرضا عليه السلام وخاصته .
قال : سألت الرضا عليه السلام فقلت : اني لالقاءك في كل وقت فعن من أخذ معالم ديني ؟

قال عليه السلام : خذ من يونس بن عبد الرحمن .^(١)

يونس يطوف على اخوانه ثم يجلس للكتاب :

روي انه كان ليونس بن عبد الرحمن اربعون اخاً يدور عليهم في كل يوم مسلماً ، ثم يرجع الى منزله فيأكل ويتهيأ للصلاة ثم يجلس للتصنيف وتاليف الكتب .^(٢)

يطلبون تدوين الحديث :

روى الشيخ الطوسي عن أحمد بن محمد بن عيسى القمي انه قال :
(خرجت الى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي

عين ، له كتاب يرويه ابنه جعفر (المحقق)

(١) زرارة بن أعين ، من أصحاب الإجماع ومن أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليه السلام . من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري ، وثقه كل من ترجم له ، وكان فقيهاً ، متكلماً .

(٢) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٢٦٩

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٣٩٧

(٢) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٣٩٨

الوشاء^(١)، فسألته ان يخرج اليّ كتاب (العلاء بن رزین القلا)^(٢) وابان بن عثمان الاجمر^(٣) فاخرجهما اليّ .

فقلت له : أحب ان تجيزهما لي .

فقال لي : يا احمد رحمك الله ماعجلتك ؟ اذهب فاكتبهما واسمع من بعد .

فقلت : لا ، أمن الحدثان .

قال : لو علمت ان هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه ، فاني ادركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد .^(١)

الحسن بن محبوب^(٢) يعطيه ابوه درهماً :

يروى عن الامام الرضا عليه السلام ، وروى أيضا عن ستين نفرا من أصحاب الإمام

(١) الشيخ المحدث الكبير أبو محمد الوشاء أخذ العلم عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام وروى عنه وعن كبار المشايخ من أصحاب أئمة أهل البيت كثيراً من الروايات ، بلغت في الكتب الأربعة أكثر من خمسمائة وثمانين مورداً ، وكان عيناً من عيون الشيعة ، ووجهاً من وجوهها ، وقد عُذَّ من أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام (المحقق)

(٢) من أصحاب الصادق عليه السلام . جليل القدر ثقة بالاتفاق . وله كتاب وهو أربع نسخ : منها رواية الحسن بن محبوب . ومنها رواية محمد بن خالد الطيالسي . ، ومنها رواية محمد بن أبي الصهبان . ومنها رواية ابن فضال . وبالجمله صحب العلاء محمد بن مسلم وتفقه عليه . (المحقق)

(٣) أبان بن عثمان فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام وقد كانت له منزلة عظيمة ، وهو من أصحاب الإجماع . عدّه العلماء من الذين أجمعوا على تصحيح ما يصح منهم وتصديقهم لما يقولون ، وأقروا لهم بالفقه . ورد اسم أبان بن عثمان في سند كثير من الروايات عن أئمة أهل البيت عليه السلام . تبلغ ٧٠٠ رواية في الكتب الأربعة ، وعن آثاره كتاب جمع المبدأ والمبعث والمغازي والوفاء والسقيفة والردة . (المحقق)

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥٠٩

(٢) الحسن بن محبوب فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد عليه السلام . ، وقد كانت له منزلة عظيمة ، وهو من أصحاب الإجماع . ورد اسم الحسن بن محبوب في سند كثير من الروايات عن أئمة أهل البيت عليه السلام . تبلغ ١٥١٨ رواية ، له من الآثار : كتاب المشيخة ، كتاب الحدود ، كتاب الديات ، كتاب الفرائض ، كتاب النكاح ، كتاب الطلاق ، كتاب النوادر نحو ألف ورقة . توفي الحسن بن محبوب في آخر سنة ٢٢٤ هـ ، وكان له من العمر خمس وسبعين سنة .

الصادق عليه السلام، حكى أنّ أباه كان يهتم كثيرا بتربيته وتعليمه ومن ذلك أنّه تعاقد معه أن يعطيه درهما بازاء كلّ حديث يسمعه عن عليّ بن رثاب^(١) و يكتبه .

وعليّ بن رثاب هذا من الثقات وأجلّة علماء الشيعة بالكوفة ، يروي عن الامام الصادق والكاظم عليه السلام ، وكان أخوه يمان بن رثاب من رؤساء الخوارج و كانا يجتمعان في كلّ سنة ثلاثة ايام للمناظرة ، ثم يفترقان بعد هذا المجلس ولا يكلم أحدهما الآخر حتى بالسلام .^(١)

الفضل بن شاذان له ١٨٠ كتابا :

الفضل بن شاذان بن الخليل النيسابوري^(٢) ثقة جليل القدر من فقهاء ومكلمي الشيعة ، شيخ الطائفة ، عظيم الشأن ، وهو أجلّ من ان يوصف ، يروي عن الامام الجواد عليه السلام ، وقيل انه روى عن الامام الرضا عليه السلام ايضا ، وكان ابوه من اصحاب يونس .

وقد ألف الفضل مائة وثمانين كتاباً ، وترحم عليه الامام ابو محمد العسكري عليه السلام مرتين أو ثلاث مرات ، وروى الشيخ الكشي روايات في مدحه .^(٣)

(١) علي بن رثاب أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام كما ويعد أحد أصحاب الأصول الأربعمئة . لقد ذكر اسمه في سند ما يقارب ٥٠٠ حديثا . كما مدحه علماء الرجال في كتبهم ، فوصفه الشيخ الطوسي بالثقة وجليل القدر (المحقق)

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥١١

(٢) أبو محمد الفضل بن شاذان بن خليل الأزدي النيسابوري ، (ت ٢٦٠ هـ) متكلم وفقهه إمامي ، وعده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام . درس في بغداد عند مشايخها كـ محمد بن أبي عمير (٢١٧ هـ) وتعرف على الحسن بن علي بن فضال فيها . ثم أقام في الكوفة وحضر مجالس درس المشايخ منهم : حسن بن محبوب ، وأحمد بن محمد بن أبي نصر ، وصفوان بن يحيى ، ونصر بن مزاحم المنقري . (المحقق)

(٣) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥٧٨

محمد بن أبي عمير^(١) له ٩٤ كتاب :

ولقد أدرك بن أبي عمير الإمام الكاظم عليه السلام ، والإمام الرضا عليه السلام ، والإمام الجواد عليه السلام ، وصنف ٩٤ كتاباً وكان في زمن الرشيد والمأمون في محنة عظيمة فقد حبسناه عدة سنوات وضرباه بالسياط لكي يتسلم منصب القضاء ويعرقهم على الشيعة لانه كان يعرف شيعة العراق .

ولما ضرب مائة سوط لم يتحمل واراد ان يسمى بعض الشيعة ، فسمع صوت محمد بن يونس بن عبد الرحمن يناديه : يا محمد بن أبي عمير اذكر موقفك بين يدي الله .

فامسك نفسه ولم يتفوه بأسم أحد منهم .^(١)

وروي عن الكشي^(٢) : (ان محمد بن أبي عمير أخذ وحُبس واصابه من الجهد والضيق والضرب أمر عظيم ، واخذ كل شيء كان له ، وذلك بعد موت الامام الرضا عليه السلام ، وذهبت كتب ابن ابي عمير فلم يخلص كتب احاديثه ، فكان يحفظ

(١) يعتبر من رواة الحديث في القرن الثالث الهجري ، وقد وقع في إسناد كثير من الروايات تبلغ زهاء (٦٤٥) مورداً ، فقد روى أحاديث عن الإمامين الكاظم والرضا عليه السلام . من مؤلفاته الاحتجاج في الإمامة ، اختلاف الحديث ، الاستطاعة ، البداء ، التوحيد ، الرضاع ، الطلاق ، فضائل الحج ، الكفر والإيمان ، المعارف ، المغازي . (المحقق)

(٢) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥٨٣

(٢) الكشي هو : ابو عمرو ، محمد بن عمر بن عبد العزيز عليه السلام أحد كبار علماء الشيعة في القرنين الثالث و الرابع الهجري ، و كان من أصدقاء ثقة الإسلام الكليني مؤلف كتاب الكافي ، المتوفى سنة : ٣٢٩ هجرية ، و يشترك معه في كثير من أسانئده و مشايخه .

هذا و قد عاصر الكشي عليه السلام فترة الغيبة الصغرى ، و سكن بغداد ، و يُتوقع أنه التقى بنوآب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام و أخذ عنهم ، لكونهم في بغداد أيضاً في تلك الفترة .

إهتم بعلم الرجال و صار ذو معرفة بالأخبار و الأحاديث و رواها ، فجعل التدقيق في أحوال الرواة باكورة أعماله و كتب في علم الرجال كتابه معرفة الرجال ، المعروف بـ " رجال الكشي " ، و هو الذي إعتد عليه الشيخ الطوسي عليه السلام و أملاه على تلامذته ولخصه وأسماء بـ « اختيار معرفة الرجال » ، كما روى عنه هارون بن موسى التلعكبري و جعفر بن محمد قولويه صاحب كتاب " كامل الزيارات

أربعين جلدًا فسماه نوادر، فلذلك تؤخذ أحاديثه منقطعة الاسانيد (١).

الحسين بن سعيد الف ٣٠ كتاباً واخوه ٥٠ كتاباً:

الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد مولى علي بن الحسين عليه السلام الاهوازي (٢)، ثقة جليل القدر، يروي عن الامام الرضا عليه السلام والامام الجواد عليه السلام الهادي عليه السلام، أصله من الكوفة لكنه ذهب الى الاهواز مع اخيه الحسن ثم جاء الى قم ونزل عند الحسن بن أبان وتوفي فيها .

آلف ثلاثين كتاباً، وآلف اخوه الحسن خمسين كتاباً، وشارك اخاه في تأليف تلك الكتب أيضاً (١).

وكما اهتم اصحاب الائمة عليهم السلام بتدوين الحديث اهتموا أيضاً بضبط العقيدة وتصحيحها على يد الائمة الاطهار عليهم السلام .

ويمكن أن نقرأ بهذا الصدد :

صفوان (٢) يعرض عقيدته :

صفوان بن مهران الجمال الاسدي الكوفي، وهو ثقة جليل القدير يروي عن

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥٨٣

(٢) الحسين بن سعيد الأهوازي فقيه ومحدث إمامي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، أي في عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد كان مؤلفاً خلف الكثير من الآثار الفقهية والحديثية . وقد عاصر الأهوازي الإمام الرضا عليه السلام والإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام . يرى السيد الخوئي : إن للحسين بن سعيد الأهوازي منزلة رفيعة بين المحدثين إذ ورد اسمه في إسناد خمسة آلاف حديث، وقد وثقه البرقيوالشيخ الطوسي ويقول المحقق الحلي في حقه : إنه من الفقهاء المعتبرين، أما ابن النديم فيقول بحقه وأخيه الحسن : إنهما الأكثر إطلاعا على فقه وراث الشيعة في عصرهم . (المحقق)

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٦٤١

(٢) صفوان بن مهران الأسدي، من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري، ومن أصحاب الإمامين الصادق و الكاظم عليهم السلام . وقع في إسناد كثير من الروايات تبلغ قرابة الـ (٧١) رواية (المحقق)

الإمام الصادق عليه السلام ، وقد عرض عليه إيمانه واعتقاده بالائمة عليه السلام فقال الامام عليه السلام له : رحمك الله .

وهو الذي أكرى جماله لهارون الرشيد في سفره الى الحج ، فلما دخل على الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال له : ياصفوان كل شيء منك حسن وجميل ما خلا شيء واحداً .

قلت جعلت فداك واي شيء .

قال : اكرؤك جمالك من هذا الرجل .

قال : والله ماكريته اشرا ولابطرا ولاصيد اولهو ، ولكنني اكريته لهذا الطريق -يعني مكه- ولااتولاه بنفسي ولكن انصب غلmani .

فقال لي : ياصفوان ايقع كراؤك عليهم ؟

قلت : نعم ، جعلت فداك .

فقال لي : اتحب بقاؤهم حتى يخرج كراؤك ؟

قلت : نعم .

قال : فمن احبّ بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم كان ورد النار.^(١)

يونس يعرض كتابه على العسكري :

روى الشيخ المفيد بسند معتبر عن ابي هاشم الجعفري انه قال :

(عرضت على ابي محمد صاحب العسكر عليه السلام كتاب يوم ولية ليونس .

فقال لي : تصنيف من هذا ؟

فقلت : تصنيف يونس مولى آل يقطين .

فقال : اعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة .)^(٢)

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٢٧١

(٢) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٣٩٦

وفي رواية أخرى ان الامام عليه السلام نظرفيه وتصفحه كله ثم قال :
(هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله) .^(١)

عبد العظيم^(١) يعرض دينه :

روى الشيخ الصدوق وغيره عن عبد العظيم انه قال :

دخلت على سيدي علي بن محمد عليه السلام فلما بصربي قال لي : مرحبا بك يا ابا القاسم انت وليتنا حقاً .

قال : فقلت له : يا ابن رسول الله اني اريد ان اعرض عليك ديني فان كان مرضياً ثبت عليه حتى القى الله عزوجل .

فقال لي : هات يا ابا القاسم

فقلت : اني اقول ان الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء خارج عن الحدّين حدّ الابطال وحدّ التشبيه وانه ليس بجسم ولاصورة ولاعرض ولاجوهر بل هو مجسم الاجسام ، ومصوّر الصور ، وخالق الاعراض والجواهر ، ورب كل شيء ومالكه وجاعله ومحدّثه ، وان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، فلانبي بعده الى يوم القيامة ، وان شريعته خاتم الشرائع ، فلاشريعة بعدها الى يوم القيامة واقول ان الامام والخليفة وولي الامر بعد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ثم الحسن والحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٣٩٦

(١) عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، من علماء السادة الحسينيين ، ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بأربع وسائط . ويعد من كبار المحدثين ، وقد عاصر أربعة من أئمة الشيعة عليه السلام في القرنين الثاني والثالث الهجري . مدفنه في مدينة الري في إيران . ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ، قال التجاشي : لما مات عليه السلام وجرد ليغسل ، وجد في جيبه رقعة فيها ذكر نسبه ، فإذا فيها : أنا أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم انت يامولاي .
فقال عليه السلام : ومن بعد الحسن ابني فكيف الناس بالخلف من بعده .
قال : فقلت : وكيف ذاك يامولاي ؟
قال : لانه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الارض
قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .^(١)

٣ / التضحية من اجل بناء المذهب :

وكان من خصائص رجالات الشيعة التي حفظت المذهب هي الارادة
العالمية والاستعداد الكبير للتضحية والفداء وفي أقسى ظروف التقية والملاحقة ،
وذلك من أجل حفظ التشيع ونقله الى الاجيال القادمة سالماً نقياً .
نستطيع أن نقرأ في هذا الصدد :

نموذج هشام بن الحكم :

يقول المؤرخون :

(ومناظرات هشام بن الحكم ومباحثاته مشهورة ، منها مناظرته مع الشامي
عند الامام جعفر الصادق عليه السلام ومحاجته مع عمرو بن عبيد المعتزلي وبريهة ،
ومناظرته مع المتكلمين في مجلس يحيى بن خالد البرمكي ، والتي صارت سببا
لعزم هرون الرشيد على قتله ، فلما علم هشام ذلك فرأى الكوفة ونزل على
بشير النبال فاخبره الخبر ثم اعتلّ علة شديدة .

فقال له بشير: اتيك بطيب ؟

قال : لا انا ميت) .^(٢)

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٦٤٣

(٢) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٣٩٦

نموذج محمد بن أبي عمير:

يقول المؤرخون :

(ولقد أدرك بن أبي عمير الامام الكاظم عليه السلام ، والامام الرضا عليه السلام ، والامام الجواد عليه السلام ، وصنف ٩٤ كتاباً وكان في زمن الرشيد والمأمون في محسنة عظيمة فقد حبساه عدة سنوات وضرباه بالسياط لكي يتسلم منصب القضاء ويعرقهم على الشيعة لانه كان يعرف شيعة العراق .

ولما ضرب مائة سوط لم يتحمل واراد ان يسمى بعض الشيعة ، فسمع صوت محمد بن يونس بن عبد الرحمن يناديه : يا محمد بن أبي عمير اذكر موقفك بين يدي الله .

فامسك نفسه ولم يتفوه بأسم أحد منهم .

ولقد تضرراكثر من مائة الف درهم في ماله وحبس اربع سنين ، وجمعت اخته كتبه ووضعتها في بيت لكنها تلفت بسبب الامطار ، فكان بن ابي عمير يروي ما حفظ من الاحاديث أو الاوراق التي استنسخها الناس عن كتبه قبل تلفها فلذا اعتمد اصحابنا على مراسيله وجعلوها كالمسندة واختاه سعيدة ومئة تُعدان من الرواة .

وعن الكشي ان محمد بن ابي عمير اخذ وحبس واصابه من الجهد والضيق والضرب امر عظيم واخذ كل شيء كان له وصاحبه المامون ، وذلك بعد موت الرضا عليه السلام وذهبت كتب بن ابي عمير فلم يخلص كتب احاديثه ، فكان يحفظ اربعين جلدًا فسماه نوادر ، فلذلك تؤخذ احاديثه منقطعة الاسانيد .

وروي ايضا عن علي بن الحسن بن فضال انه قال : ضرب ابن ايس عمير مائة خشبة وعشرين خشبة ايام هرون لعنه الله تولى ضربه السندي بن شاهك على التشيع وحبس فادى مائة واحدا وعشرين الفاً حتى خلى عنه . فقلت :

وكان متمولاً؟

قال : نعم : كان رب خمسمائة الف درهم) .^(١)

قصة دعبل الخزاعي:^(٢)

قال ابن المدبّر:

(قد بلغني أن دعبل بن علي الخزاعي وفد على أبي الحسن الرضا عليه السلام بخراسان فلما دخل عليه قال إني قد قلت قصيدة قلت في نفسي أن لا أنشدّها أحداً أولى منك . فقال : هاتها .

فأنشد قصيدته التي يقول فيها :

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات
فلما فرغ من إنشاده قام أبو الحسن عليه السلام ودخل منزله وبعث بخرقه فيها ست مائة دينار ، وقال للجارية : قولي له يقول لك مولاي استعن بهذه على سفرك وأعذرنا .

فقال لها دعبل : لا والله ما هذا أردت ولاله خرجت ، ولكن قولي له : هب لي ثوباً من ثيابك .

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / الشيخ عباس القمي / ص ٥٨٣ و٥٨٤

(٢) دعبل بن علي الخزاعي ، (١٤٨ - ٢٤٦ هـ) من أشهر شعراء الشيعة في القرن الثاني والثالث ، كان من أصحاب الإمام الكاظم والرضا عليه السلام ، وأدرك الإمام الجواد عليه السلام أيضاً ، وعندما كان الإمام الرضا عليه السلام بمرو قصده ، وقرأ قصيدته التائية عنده ، وآل على نفسه أن لا يسمعها قبل الإمام الرضا عليه السلام أحداً . كان دعبل هجاءً حاد اللسان ، الأمر الذي جعله لا يستقر بمكان ، فكان دائماً يطارد من قبل الحكام ، وكانت هذه الصفة من الأسباب التي أدت إلى مقتله . لدعبل مؤلفات ، منها : "الواحدة في مناقب العرب ومثالبها" ، و"طبقات الشعراء" ، فضلاً عن ذلك فقد كان دعبل راوياً للحديث ، فورد اسمه في كتب الحديث والروايات

فردھا أبو الحسن عليه السلام وقال له خذھا وبعث إلیه بجبة من ثیابه ، فخرج دعبل حتی ورد قم فنظروا إلی الجبة فأعطوه فیھا ألف دینار فأبى علیهم وقال : لا والله ولا خرقة منها بألف دینار ثم خرج من قم فاتبعوه وقد جمعوا علیه وأخذوا الجبة ، فرجع إلی قم وكلمهم فیھا .

فقالوا : لیس إلیھا سبیل ولكن إن شئت فهذه ألف دینار .

فقال : نعم وخرقة منها فأعطوه ألف دینار وخرقة منها ^(١) .

عوامل انتصار المذهب :

هنالك ثلاث عوامل لانتصار اي مذهب من المذاهب :

١- المذهب الصحيح

٢- القيادة الصحيحة

٣- الامة الصحيحة ^(٢)

هذه العناصر الثلاثة متوفرة في مذهب اهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وهذا سر نجاح هذا المذهب ، ورغم ان النصر هو من عند الله تعالى الا انه مشروط بشروط .

يقول الامام علي عليه السلام : (فلما رأى الله صدقنا انزل علينا النصر) ^(٣) .

والقران الكريم يقول : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ ^(٤) .

(١) بحار الانوار / المجلسي / ج ٤٩ / ص ٢٦٠

(٢) من الجدير أن نستذكر هنا مكتبة شهيد المحراب اية الله السيد محمد باقر الحكيم رحمته الله تحت عنوان (دور أهل

البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة)

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ٢٥٧٧

(٤) سورة محمد الاية ٧

اذن فالعناية الالهية هي الكفيلة بالنصر، ولكنها مشروطة باستحقاق الانسان، ومعنى ذلك أنه لا بد من جماعة صالحة مؤمنة هي التي ينزل عليها النصر.

الشيعة هم الجماعة الصالحة الموعودة بنصر الله تعالى، لاحظوا ماذا قالت زينب عليها السلام في يوم عاشوراء للإمام السجاد عليه السلام: لما راته يجود بنفسه:

(ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي !!)

فقال: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مصرعين بدمائهم، مرملين بالعري، مسلبين، لا يكفنون ولا يُوارون، ولا يُعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الدّيلم والخزر!!

فقالت: لا يُجزعنك ما ترى، فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعته هذه الأمة وهم معروفون في أهل السموات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون بهذا الطّف علماً لقبر أليك سيّد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفورسّمه على كرور الليالي والآيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميمه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره الأعلى). (١)

اذن نحن امام تقدير الهى في حفظ هذا المذهب، وحفظ هذه الجماعة الصالحة، كما ان الشيعة لديهم نظرية صحيحة في الامامة وانها بالتعيين من رسول الله صلى الله عليه وآله، بينما الامامة عند اهل السنة أنها لمن غلب بالسيف، وان كان جائراً فاسقاً.

الشيعة لديهم شروط في الامامة التي تعتبر عندهم منزلة الهية بعد النبوة،

فالامام الحسين عليه السلام يقول : (ما الامام الا العامل بالكتاب والاخذ بالقسط والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله) .^(١)

هذه هي النظرية الصحيحة في الامام المعصوم ونائب الامام وهو المجتهد الجامع للشروط ، وهذه الشروط هي أهم قضية عندنا في اتباع المرجعية ، والشروط هي :

١-العلمية والاجتهاد بحيث يصل الى مستوى استنباط الاحكام الشرعية من القرآن والسنة .

٢-الورع والتقوى والزهد في الدنيا .

٣-الكفاءة الاجتماعية .

*اذن تتوفر جميع شروط النصرة في شيعة أهل البيت عليه السلام ، النظرية الصحيحة ، والقيادة الصحيحة ، والامامة الصحيحة .

لا توجد امة اعظم من شيعة اهل البيت على كل المستويات العلمية والاخلاقية والانسانية ، والنصر الالهي يعتمد على المقومات البشرية .

والامام الصادق عليه السلام هنا يقول : (نحن صبر وشيعتنا اصبر منا .

قيل له : كيف ؟

قال عليه السلام : نحن نصبر على ما نعلم وهم يصبرون على ما لا يعلمون) .^(٢)

٤/ الوعي والرصد المعرفي :

ولنعد الى استعراض عناصر القوة لدى الشيعة ، وقد ذكرنا منها التقوى ، والعلم ، والارادة ، والعنصر الرابع من عناصر القوة لدى الشيعة هو الوعي المعرفي

(١) الطبري ٦ / ١٩٧ .

(٢) الكافي ٢ / ٩٣

لدى شيعة أهل البيت عليه السلام ، وحرصهم على تحصيل المعلومة بشكل دقيق .
فالشيعية ليسوا إمعة يصفقون مع كل شخص ، وينعقون مع كل ناعق ،
فالرصد العلمي والمتابعة المعرفية هي منهجهم .

قصة الشاب الغفاري :

روي عن علي بن جعفر أنه قال :

(اجتمعنا بالعسكر - سامراء - وترصدنا لأبي محمد العسكري عليه السلام يوم
ركوبه ، فخرج توقيعه : ألا لا يسلمن علي أحد ، ولا يشير إلي بيده ولا يومئ
فإنكم لا تؤمنون على أنفسكم .

قال : كان إلى جانبي شاب فقلت : من أين أنت ؟

قال : من المدينة .

قلت : ما تصنع هنا ؟

قال : اختلفوا عندنا في أبي محمد - العسكري عليه السلام - فجئت لأراه وأسمع
منه أو أرى منه دلالة ليسكن قلبي وإني لولد أبي ذر الغفاري .

فبينما نحن كذلك إذ خرج أبو محمد - العسكري عليه السلام - مع خادم له - في
موكب الناس - فلما حاذانا نظر إلى الشاب الذي بجنبي .

فقال : أغفاري أنت ؟

قال : نعم .

قال : ما فعلت أملك حمدوية .

فقال : صالحة ، ومز .

فقلت للشاب : أكنت رأيته قط وعرفته بوجهه قبل اليوم ؟

قال : لا .

قلت : فينفعك هذا ؟

قال : ودون هذا) . (١)

لاحظوا اذن كيف أن هذا الشاب يأتي من المدينة المنورة الى سامراء ليتأكد من معرفة إمامه الشرعي رغم الظروف الصعبة ، والطرق البعيدة ، والمخاطر الأمنية ، وهذا هو ما عثرنا عنه بالوعي والرصد المعرفي للحقيقة لدى شيعة أهل البيت عليه السلام .

قصة أبو الأديان :

قال أبو الأديان :

(كنت أخدم الحسن بن علي العسكري وأحمل كتبه إلى الأمصار فدخلت إليه في علة التي توفي فيها صلوات الله عليه ، فكتب معي كتابا وقال : تمضي بها إلى المدائن فإنك ستغيب خمسة عشر يوما فتدخل إلى سرمن رأى يوم الخامس عشر ، وتسمع الواعية في داري وتجديني على المغتسل .

قال أبو الأديان : فقلت : يا سيدي فإذا كان ذلك فمن ؟

قال : من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي .

فقلت : زدني .

فقال : من يصلي علي فهو القائم بعدي .

فقلت : زدني .

فقال : من أخبر بما في الهيمان فهو القائم بعدي .

ثم منعتني هيئته أن أسأله عما في الهيمان ، وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ، ودخلت سرمن رأى يوم الخامس عشر كما قال لي عليه السلام فإذا أنا بالواعية في داره وإذا أنا بجعفر بن علي - وهو المعروف بجعفر

الفصل الثامن: دور الشيعة في عهد الإمام الجواد والهادي والعسكري

الكذاب - أخيه بباب الدار، والشيعة حوله يعزونه بوفاة أخيه العسكري ويهنؤونه بالامامة بعده، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الامام، فقد حالت الإمامة لأنني كنت أعرفه بشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور.

فتقدمت فعزيت وهنيت فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد - وهو الخادم - فقال: يا سيدي قد كفن أخوك فقم للصلاة عليه، فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله.

فلما صرنا في الدار إذا نحن بجنازة الحسن بن علي عليه السلام على النعش مكفنا فتقدم جعفر ليصلي على أخيه فلما همم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره ققط، بأسنانه تفلج، فجذب رداء جعفر وقال: تأخريا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي.

فتأخر جعفر وقد أربد وجهه فتقدم الصبي فصلى عليه، ثم التفت الى ابو الاديان وقال: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك.

فدفعتها إليه، وقلت في نفسي: هذه اثنتان - العلامة الاولى هي الصلاة على الامام، والعلامة الثانية هي المطالبة بجوابات الكتب - بقي الهميان وهي العلامة الثالثة.

ثم خرجت إلى جعفر وهو يزفر، فقال له: حاجز الوشاء: يا سيدي من الصبي؟ - ليقم عليه الحجة -

فقال: والله ما رأيته قط ولا عرفته.

فنحن جلوس إذ قدم نصر من قم فسألوا عن الحسن بن علي صلوات الله عليه فعرفوا موته فقالوا: فمن (نعزي)؟

فأشار الناس إلى جعفر فسلموا عليه وعزوه وهنؤوه وقالوا: معنا كتب ومال

- في الهيمان - فتقول ممن الكتب وكم المال ؟

فقام ، ينفذ أثوابه ، ويقول : يريدون منا أن نعلم الغيب .

قال : فخرج الخادم فقال : معكم كتب فلان وفلان ، وهيمان فيه ألف دينار عشرة دنائير منها مطلية فدفعوا الكتب والمال وقالوا : الذي وجه بك لأجل ذلك هو الامام) .^(١)

اذن نحن أمام أمة واعية لاتمشي على عمى ، ولاعن هوى ، وانما تطلب المعلومة الدقيقة وتتأكد منها .

وهكذا تكون النظرية الصحيحة والامة الصحيحة والقيادة الصحيحة هي التي تحفظ المذهب وكل ذلك متوفر عند شيعة اهل البيت ، وحينئذ سوف ياتي النصر الالهي .

الموقف تجاه الفتنة الطائفية :

ماهو موقف اهل البيت عليه السلام تجاه الفتنة الطائفية ؟

لقد كان موقف أهل البيت عليه السلام وشيعتهم دائماً ضد الفتنة الطائفية ، ورغم كل الاضطهاد الطائفي الذي تحمّلوه .

(قيل للمتوكل العباسي ان علياً الهادي عليه السلام يقول : ان قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ .^(٢) الآيتين نزلتا في الأول والثاني (يعني أبا بكر وعمر) .

قال المتوكل : فكيف الوجه في أمره ؟

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٣٣٢

(٢) سورة الفرقان الاية ٢٧ - ٢٩

قالوا : تجمع له الناس وتساءله بحضرتهم فان فسرهما بهذا كفاك الحاضرون أمره وإن فسرهما بخلاف ذلك افتضح عند أصحابه .

قال : فوجه إلى القضاة وبنو هاشم والأولياء ثم سأل الامام الهادي عليه السلام عن ذلك .

فقال عليه السلام : هذان رجلان كنى الله عنهما ، ومن بالستر عليهما ، أفيحب أمير المؤمنين أن يكشف ما ستره الله ! !

فقال المتوكل : لا أحب . (١)

هكذا تخلص الامام عليه السلام والكل سعدوا بالجواب ، وبذلك أطفأ نار الفتنة الطائفية .

قضية لعن الاعداء :

وقد يثار أمام هذا الموقف الوجداني لدى أهل البيت عليه السلام وشيعتهم سؤال عن فلسفة اللعن الوارد في العديد من نصوص أهل البيت عليه السلام ، كيف نفسر ذلك ؟ أليس هولاء من ألوان الطائفية ؟

لننقل هنا هذه الرواية وفي هذه المرحلة التاريخية عن علي بن عاصم الكوفي قال :

قبلت يد الإمام العسكري عليه السلام وقلت له : إني عاجز عن نصرتك بيدي ، وليس أملك غير مواليتكم والبراءة من أعدائكم ، واللعن لهم في خلواتي ، فكيف حالي يا سيدي ؟

فقال عليه السلام : حدثني أبي عن جدي رسول الله ﷺ قال :

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٢١٤

(من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعداءنا بلغ الله صوته إلى جميع الملائكة ، فكلما لعن أحدكم أعداءنا صاعدته الملائكة ، ولعنوا من لا يلعنهم ، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة استغفروا له وأثنوا عليه) .^(١)

السؤال الان كيف يتفق هذا الحديث مع رفض الفتنة الطائفية ؟

الجواب : عند شيعة اهل البيت عليهم السلام توجد خصوصية مهمة وهي مبدأ الولاية والبراءة ، الولاء لله وأوليائه الله ، والعداء لاعداء الله .

في القرآن الكريم وفي أكثر من اثنين واربعين آية جاءت مفردة اللعن مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .^(٢)

ويقول الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ .^(٣)

ويقول في آية المباهلة : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .^(٤)

ومثل ذلك جاءت النصوص القرآنية عن البراءة مثل قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .^(٥)

ومثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ .^(٦)

ومثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٣١٦

(٢) سورة الاحزاب الاية ٥٧

(٣) سورة البقرة الاية ١٥٩

(٤) سورة ال عمران الاية ٣

(٥) سورة المجادلة الاية ٢٢

(٦) سورة الممتحنة الاية ١٣

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴿١﴾ .

أما الولاية فان القرآن الكريم يقول : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٢) .

ويقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٣) .

ويقول الحديث النبوي الشريف (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) . (٤)

والامام العسكري عليه السلام : (المؤمن اخو المؤمن لا يبه واهه) . (٥)

فالطائفة مرفوضة ، ولكن العداء لأعداء الله ، والولاية لأولياء الله مطلوبة ، فمن فروع الدين الولاية والبراءة ، فبدونهما نقص في إيمان الانسان .

لقد كان الامام العسكري عليه السلام يلعن ابن هلال المنحرف ويقول :

(احذروا الصوفي المتصنع ابن هلال لارحمه الله ، ولا أقاله عثرته) . (٦)

ويجب أن نلاحظ أن جواز اللعن مشروط بان لا يؤدي الى فتنة في الدين ، فذاك خلاف التقية التي أمرنا بها أهل البيت عليه السلام ، ولذا كانت الرواية التي قرأناها عن علي بن عاصم الكوفي عن الامام العسكري عليه السلام تؤكد على (اللعن في

(١) سورة المائدة الاية ٥١

(٢) سورة الشورى الاية ٢٣

(٣) سورة التوبة الاية ٧١

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، (٤ / ١٩٩٩) ،

برقم : (٢٥٨٦) ، والبخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، (٨ / ١٠) برقم : (٦٠١١) ،

(٥) بحار الانوار / المجلسي / ج ٥٠ / ص ٣١٧

(٦) بحار الانوار / المجلسي / ج ٥٠ / ص ٣١٨

خلواته) ، أما اللعن جهاراً وعلناً فإنه القاء للنفس في التهلكة وخطر على الدين والمذهب .

الفقهاء هم الدليل :

والسؤال الان ماهي البوصلة التي تؤمننا من الوقوع في الانحرافات ؟

الامام العسكري عليه السلام يحدد لنا البوصلة وطريق النجاة وهي المرجعية الدينية والفقهاء فيقول : (لا عذر لاحد من موالينا في التشكيك فيما يؤديه عنا ثقاتنا قد عرفوا انا نفاوضهم سرنا ونحملة إياهم إليهم) .^(١)

نظرية البداء عند الشيعة :

انتقلت الامامة من الامام علي الهادي عليه السلام الى الامام الحسن العسكري عليه السلام ، ولكن الشيعة آنذاك كانت عيونهم ترنوا الى سيد محمد^(٢) ابن الامام علي الهادي عليه السلام باعتبار انه هو الامام بعد أبيه ، لانه كان وجيها صالحا عابدا مخلصا ، وكان اكبر اولاد الامام الهادي عليه السلام ، وقد جاء في الاحاديث الشريفة ان الامامة تكون في أكبر الاولاد .

ولكن السيد محمد لما ودّع والده في سامراء للذهاب الى المدينة مرض في

(١) بحار الانوار / المجلسي / ج ٥٠ / ص ٣١٨

(٢) أبو جعفر محمد بن علي الهادي ، المعروف بالسيد محمد (وفي الاصطلاح المحلي بسبع الدُجَل) ، أكبر أبناء الإمام الهادي عليه السلام . شخصية فذة ترقبها الأنظار لخلافة أبيه ؛ لسمو شأنه وعظيم أخلاقه ومكانته عنده وعند أخيه الحسن العسكري . قدم سامراء لزيارة أبيه إلا أن الأجل وافاه ودفن فيها . شكك البعض في سبب وفاة محمد ، وأعزوا باحتمال مقتله على يد العباسيين الذين أشخصوا رؤساء بني هاشم وساداتهم من البلدان وفرضوا عليهم الإقامة الجبرية في سامراء . يقع مدفن السيد محمد في مدينة بلد على نحو ٥٠ كم جنوب سامراء ، ويقصده محبو أهل البيت لاسيما شيعة العراق ، وله مكانة خاصة في قلوبهم ويكنون له فائق الاحترام وتشهد له الذاكرة الشعبية بكرامات . وتعرض مرقده إلى هجوم إرهابي سنة ٢٠١٦ م .

(المحقق)

الطريق ودفن حيث مرقدہ الان في بلد .

وبعد وفاة السيد محمد التفت الامام الهادي عليه السلام الى ولده الحسن العسكري عليه السلام وقال له : (احدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً)^(١).

وفي رواية رواها الطوسي في كتابه (الغيبة) عن سعد بن عبد الله عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري ، قال :

« كنت عند أبي الحسن العسكري عليه السلام وقت وفاة ابنه محمد ، وقد كان أشار إليه ودل عليه وإني لافكر في نفسي فأقبل عليّ أبو الحسن العسكري عليه السلام وقال : نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي جعفر - سيد محمد - وصير مكانه أبا محمد (الحسن العسكري - كما بدا له في إسماعيل بعدما دل عليه أبو عبد الله عليه السلام ونصبه وهو كما حدثتك نفسك وان كره المبتطلون ، أبو محمد ابني الخلف من بعدي ، عنده ما تحتاجون إليه ، ومعه آلة الإمامة والحمد لله) .^(٢)

هذا الموضوع ينقلنا للحديث عن نظرية البداء^(٣) عند الشيعة وهو احد

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٠٢ - الصفحة ٢٧٤ (وكتب العلامة الخبير الميرزا حسين النوري قدس سره حول شباهه (هذا مرقد السيد الجليل أبي جعفر محمد بن علي ابن الإمام علي الهادي عليه السلام) فلما توفي نص أبوه علي أخيه أبي محمد الزكي عليه السلام وقال : أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً خلفه أبوه في المدينة طفلاً وقدم إليه في سامري مشتدا ونهض إلى الرجوع ، فلما بلغ علي تسعة فراسخ من سامري مرض وتوفي ومشهده هناك فلما توفي شق أبو محمد عليه السلام جيبه وقال في جواب من عاتبه عليه قد شق موسى علي أخيه هارون عليه السلام وكانت وفاته في حدود سنة ٢٥٢) .

(٢) كتاب الغيبة ص ٢٠١ .

(٣) جاء في كتاب المحاسن ص ١١٠ (قال الصدوق رحمه الله في التوحيد : ليس البداء كما تظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ولكن يجب علينا أن نقرّ الله عز وجل بأنّ له البداء .. معناه : أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ، ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله ، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ،

العقائد المهمة ولكن بالمعنى الصحيح ، وهو أن الأمور ثابتة في علم الله تعالى منذ الازل ، ولكنه تعالى قد يظهر للناس ما كان خافياً منها عليهم ، وهذا هو معنى البداء المشار اليه في قضية السيد محمد بن الامام الهادي عليه السلام ، فقد كان الظاهر لدى الناس أنه هو الامام بعد أبيه ، ولم يكن ذلك مقدرًا عند الله تعالى وإنما أظهر الله تعالى إرادته في الحسن العسكري عليه السلام بعد وفاة السيد محمد عليه السلام .

فهو اظهر بعد خفاء وليس جهلاً بعد علم ، ولا تغييراً في القرار الالهي ، لان اسماء الائمة عليهم السلام ثابتة منذ خلق الله آدم وبها أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تغيير فيها .

والمعنى الصحيح للبداء الذي يؤمن به شيعة أهل البيت عليهم السلام هو ان الله تعالى اظهر هذا الامر بعد خفائه .

وذلك مثل نسخ الشرائع ، وتحويل القبلة ، وعدة المتوفى عنها زوجها .

ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت ما ، إلا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك ، ويعلم أن في وقت آخر الصلاح في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به ، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم ، فمن أقر الله عز وجل : بأن له أن يفعل ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، ويخلق مكانه ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء كيف يشاء ، فقد أقر بالبداء ، وما عظم الله عز وجل بشيء أفضل من الإقرار بأن له الخلق والأمر ، والتقديم والتأخير ، وإثبات ما لم يكن ، ومحو ما قد كان . .

والبداء هو ردُّ على اليهود لأنهم قالوا : إن الله قد فرغ من الأمر ، فقلنا : إن الله كل يوم في شأن ، يحيي ويميت ، ويرزق ويفعل ما يشاء ، والبداء ليس من ندامة إنما هو ظهور أمر ، تقول العرب : بدا لي شخص في طريقي أي ظهر ، وقال الله عز وجل : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ أي ظهر لهم ، ومتى ظهر لله - تعالى ذكره - من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ، ومتى ظهر له قطعة رحم نقص من عمره ، ومتى ظهر له من عبد إتيان الزنا نقص من رزقه وعمره ، ومتى ظهر له منه التعفف عن الزنا زاد في رزقه وعمره ، ومن ذلك قول الصادق عليه السلام : ما بدا لله بدء كما بدا له في إسماعيل ابني يقول : ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني ، إذ اخترمه (أي أماته) قبلي ، ليُعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي)

يقول الشيخ المظفر:^(١)

(البداء في الانسان : أن يبدو له رأي في الشيء لم يكن له ذلك الرأي سابقاً .

وبالبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى . لأنه من الجهل والنقص ، وذلك محال عليه تعالى ، ولا تقول به الامامية .

والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) .

ومعنى ذلك : أنه تعالى قد يُظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه ، أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الإظهار ، ثم يحوه فيكون غير ما قد ظهر أولاً ، مع سبق علمه تعالى بذلك^(٣) .

الرواية تقول :

(ان الله ما بعث نبيا حتى اخذ عليه القول بالبداء) .^{(٤)(٥)}

(١) الشيخ محمد رضا المظفر من علماء الشيعة في القرن الرابع عشر الهجري ، والمعروف بالمجهد ؛ وذلك للأعمال التجديدية التي قام بها على مستوى الدراسات الدينية ، والقضايا الاجتماعية والثقافية . ولد المظفر في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢ هـ . فأتى دراسته الدينية فيها وترقى عند الفطاحل من علمائها ، أمثال الميرزا حسين النائيني ، وضياء الدين العراقي ، والشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني ، والسيد علي القاضي الطباطبائي . وقد روى الكثير من الطلاب الذين أصبحوا فيما بعد امتدادا لفكره التجديدي .

(٢) - سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٣) عقائد الامامية / الشيخ محمد رضا المظفر / ص ٤٠

(٤) الغيبة - الشيخ الطوسي - ج ١ - الصفحة ٤٥٠

(٥) جاء في كتاب عقائد الامامية للشيخ محمد رضا المظفر / ص ٤٠ حول عقيدتنا في البداء مانصه (البداء في الانسان : أن يبدو له رأي في الشيء لم يكن له ذلك الرأي سابقاً ، بأن يتبدل عزمه في العمل الذي كان يريد أن يصنعه ؛ إذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه به ، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله ، وذلك عن جهل بالمصالح ، وندامة على ما سبق منه .

وهذا يعني أن إرادة الله تعالى تتغير في ظاهر الحال عندنا ، فالمرضى الذي يدعوا يشفى وذلك قوله تعالى : ﴿ اَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(١) ، ولكن ذلك معلوم عند الله تعالى منذ الازل ، فلا تتغير في علم الله تعالى ، ولا تتغير في ارادته الازلية المقدرة في أم الكتاب ، وانما يتغير ما يظهر منها لنا بحسب تغير الواقع الخارجي ، مثل (صدقة السر تدفع ميتة السوء) ، و (صلة الرحم تطيل في العمر) فقد يبدو لنا ان الامر قد تغير بعد الصدقة وبعد صلة الرحم لكنه معلوماً ومقدراً ذلك عند الله تعالى ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢)

والبدء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى . لأنه من الجهل والنقص ، وذلك محال عليه تعالى ، ولا تقول به الامامية .

قال الصادق عليه السلام : « مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَدَأَ لَهُ فِي شَيْءٍ بَدَأَ نَدَامَةً فَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ » وقال أيضاً : « مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بَدَأَ لَهُ فِي شَيْءٍ وَلَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسَ فَأَبْرَأَ مِنْهُ » .

غير أنه وردت عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام روايات توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدم ، كما ورد عن الصادق عليه السلام : « ما بدا لله في شيء كما بدا له في اسماعيل ابني » ولذلك نسب بعض المؤلفين في الفرق الاسلامية إلى الطائفة الامامية القول بالبداء طعناً في المذهب وطريق آل البيت ، وجعلوا ذلك من جملة التشنيعات على الشيعة .

والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾

ومعنى ذلك : أنه تعالى قد يُظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه ، أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الإظهار ، ثم يحوه فيكون غير ما قد ظهر أولاً ، مع سبق علمه تعالى بذلك ، كما في قصة اسماعيل لما رأى أبوه إبراهيم أنه يذبحه .

فيكون معنى قول الامام عليه السلام : أنه ما ظهر لله سبحانه أمر في شيء كما ظهر له في اسماعيل ولده ؛ إذ اخترمه قبله ليعلم الناس أنه ليس بإمام ، وقد كان ظاهر الحال أنه الامام بعده ؛ لأنه أكبر ولده .

وقريب من البداء في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشريعة نبينا ﷺ ، بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا ﷺ .

(١) سورة غافر الآية ٦٠

(٢) سورة الرعد الآية ٣٩

مواجهة الخطوط الانحرافية:

لقد كان الشيعة ملاحقين على طول التاريخ ، وفي هذه المرحلة التي نؤرخ لها بالذات ، ولكن ذلك لم يمنعهم من مواجهة الخطوط الانحرافية ، وذلك دفاعاً عن الاسلام وصيانة للرأي العام كما ذكرنا في مهماتهم .

قصة الحلاج: (١)

كان شخص يدعى الحلاج وهو رجل مختلف فيه ، فبعضهم قال أنه اعبد العباد وبعضهم قال أنه زنديق كافر .
الحلاج يقول وهو يتحدث عن الله :

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصررتني ابصرته واذا ابصرته ابصررتنا
وعنده شعر غزل مع الله تعالى :

لي حبيب به وسط الحشى ان يشا يمشي على خدي مشى
روحه روحي وروحي روحه ان يشا شئت وان شئت يشا
وقد أعدم الحلاج بسبب هذا الكلام باعتباره كافراً .

هذا الحلاج حسب ما نسب اليه المؤرخون أرسل رسالة الى احد اصحاب

(١) الحسين بن منصور بن حمى الملقب بالحلاج يعتبر من أكثر الرجال الذين اختلف في أمرهم ، وهناك من وافقوه وفسروا مفاهيمه . فإنه عراقي المولد والمنشأ انتقل من واسط إلى البصرة قبل وروده بغداد وهو في الثامنة عشر من عمره لم ترض فلسفته التي عبّر عنها بالممارسة الفقيه محمد بن داود قاضي بغداد ، فقد رآها متعارضة مع تعاليم الإسلام بحسب رؤيته لها ، فرفع أمر الحلاج إلى القضاء طالباً محاكمته أمام الناس والفقهاء فلقي مصرعه مصلوباً بباب خراسان المطل على دجلة على يدي الوزير حامد بن العباس ، تنفيذاً لأمر الخليفة المقتدر في القرن الرابع الهجري . (المحقق)

الامام الجواد عليه السلام هو الشيخ الجليل ابو سهل النوبختي وقال له انا وكيل الامام المهدي عليه السلام وقد امرت بمراسلتك واظهار ماتريد من النصرة لك .

وهذا الشيخ الجليل كان سبباً لافتضاح أمر الحلاج ، وذلك ان الحلاج ظن أن ابا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الامر ، وقدّر ان يستجره اليه فيتمخرق به ويخدعه ويقول في مراسلته آياه : اني وكيل المهدي عليه السلام ، وقد أمرت بمراسلتك واظهار ماتريده من النصرة لك لتقوي نفسك ولا ترتاب بهذا الامر .

فارسل اليه ابو سهل يقول له : اني اسالك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ماظهر على يديك من الدلائل والبراهين وهو أني رجل أحب الجواري واصبوا اليهن ولي منهن عدة اتخطاهن والشيب يبعدي عنهن واحتاج أن اخضبه في كل جمعة واتحمل منه مشقة شديدة لاسترعنهن ذلك ، والا انكشف امري عندهن ، فصار القرب بعداً والوصال هجراً واريد ان تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته وتجعل لحيتي سوداء فاني طوع يديك وصائر اليك وقائل بقولك وداع الى مذهبك مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة .

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم انه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج اليه بمذهبه وامسك عنه ولم يرد اليه جواباً ، ولم يرسل اليه رسولاً وصيّره ابو سهل احدثة وضحكة عند كل احد وشهر أمره عند الصغير والكبير^(١) .

وهكذا كان دور علماء الشيعة في مواجهة الانحرافات وانهم بالمرصاد لهم .

نصرة الأئمة عليه السلام :

ومما يسجل لشيعة أهل البيت عليه السلام هو نصرة الأئمة عليه السلام وتدعيم حركتهم

والوقوف الى جانبهم ونصرتهم ماديا ومعنويا ، اي أنهم لزموا اهل البيت عليه السلام في كل الظروف الصعبة ، وكانت تصل للائمة الاطهار عليه السلام من شيعتهم أخماس أموالهم وزكاتها ، وهم يسلكون كل السبل من أجل إيصالها لائمة الاطهار عليه السلام .

روي عن أحمد بن أبي روح قال :

(وجهت إلي امرأة من أهل دينور فأتيتها فقالت : يا بن أبي روح أنت أوثق من في ناحيتنا دينا وورعا واني أريد أن أودعك أمانة أجعلها في رقبتك تؤديها وتقوم بها .

فقلت : أفعل لإنشاء الله تعالى .

فقالت : هذه دراهم في هذا الكيس المختوم لا تحله ولا تنظر فيه حتى تؤديه إلى من يخبرك بما فيه ، وهذا قرطي يساوي عشرة دنانير وفيه ثلاث حبات يساوي عشرة دنانير ، ولي إلى صاحب الزمان حاجة أريد أن يخبرني بها قبل أن أسأله عنها .

فقلت وما الحاجة ؟

قالت : عشرة دنانير استقرضتها أُمي في عرسي لا أدري ممن استقرضتها ولا أدري إلى من أدفعها فان أخبرك بها فادفعها إلى من يأمرك بها .

فحملت المال وخرجت حتى دخلت بغداد فأتيت حاجز بن يزيد الوشاء - وهو وكيل الامام العسكري عليه السلام - فسلمت عليه وجلست .

قال : ألك حاجة ؟

قلت : هذا مال دفع إلي لادفعه إليك حتى تخبرني كم هو ومن دفعه إلي ؟ فان أخبرتني دفعته إليك .

قال : يا أحمد بن أبي روح توجه به إلى سر من رأى .

فقلت : لا إله إلا الله فخرجت ووافيت سر من رأى ، فدنوت من دار أبي محمد فخرج إلي خادم . فقال : أنت أحمد بن أبي روح ؟ قلت : نعم .

قال : هذه الرقعة اقرأها فإذا فيها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم يا بن أبي روح أودعتك عاتكة بنت الديراني كيسا فيه ألف درهم بزعمك ، وهو خلاف ما تظن وقد أديت فيه الأمانة ، ولم تفتح الكيس ولم تدر ما فيه ، وفيه ألف درهم وخمسون دينارا ، ومعك قرط زعمت المرأة أنه يساوي عشرة دنانير ، صدقت مع الفصين اللذين فيه ، وفيه ثلاث حبات لؤلؤ شراؤها عشرة دنانير وتساهي أكثر فادفع ذلك إلى خادمتنا إلى فلانة فانا قد وهبناه لها ، وصر إلى بغداد وادفع المال إلى الحاجز وخذ منه ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك ، وأما عشرة الدنانير التي زعمت أن أمها استقرضتها في عرسها وهي لا تدري من صاحبها بل هي تعلم لمن هي لكثوم بنت أحمد وهي ناصبية فخرجت أن تعطيها وأحبت أن تقسمها في أخواتها فاستأذنتنا في ذلك فلتفرقها في ضعفاء أخواتها .

فرجعت إلى بغداد ، وناولت الكيس حاجزا فوزنه فإذا فيه ألف درهم وخمسون دينارا فناولني ثلاثين دينارا وقال : أمرت بدفعها إليك لنفقتك (١) .

هكذا كان دور الشيعة في دعم حركة الأئمة عليهم السلام والوصول اليهم بشكل دقيق .

التماسك الداخلي :

وكان التماسك الداخلي هو أحد الظواهر لدى المخلصين من أتباع أهل البيت عليهم السلام .

قيل ليونس بن عبد الرحمن وكان فقيها ان الشيعة يتكلمون عليك .

فقال : كل من يتكلم علي فاني عفوت عنه ووهبت له ذلك حياً لأمير المؤمنين ^(١).

لقد تحمل اشد الاتهام ولكنه واجههم بهذا الموقف لتعليمنا درساً للعفو والمحبة والايثار.

مهمة (الاعداد لمرحلة الغيبة) :

كانت مهمة الشيعة في هذه المرحلة كما ذكرناها هي :

- ١-المحافظة على الوجود الشيعي .
- ٢-الدفاع عن الاسلام .
- ٣-صيانة الرأي العام .

ولكن الملاحقة العباسية للائمة الاطهار عليهم السلام فرضت وبحسب التخطيط الالهي على الامام الثاني عشر من ائمة أهل البيت عليهم السلام ان يغيب عن الانظار، ومن هنا كانت هذه المرحلة التي نؤرخ لها وهي مرحلة الامام الجواد ، والهادي ، والعسكري عليهم السلام، هي مرحلة الاعداد لغيبة الامام المهدي المنتظر عليه السلام.

فالائمة عليهم السلام هنا عملوا على اعداد الجسم الشيعي لتحمل هذه الانعطافة الصعبة ، هذه الصدمة الكبرى بغيبة الامام المنتظر عليه السلام .

وهنا يقول الامام الهادي عليه السلام بحسب رواية أبي هاشم الجعفري :

(الخلف من بعدي ابني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف .

فقلت : ولم جعلني الله فداك ؟

فقال عليه السلام : لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه .

(١) منتهى الامال في تواريخ النبي والال / ج ٢ / ص ٣٩٨

قلت فكيف نذكره ؟

قال : قولوا الحجة من آل محمد (^(١)).

تخطيط الهي أم تخطيط بشري ؟

السؤال الآن أن غيبة الامام المهدي ﷺ هل هي من التخطيط الالهي ام هي من التخطيط البشري ؟

فالأحداث التاريخية قسم منها خاضع للتخطيط الالهي وقسم منها خاضع للتخطيط البشري ، فهل غيبة الامام ﷺ ثم ظهوره هي جزء من التخطيط البشري ، ام هي جزء من التخطيط الالهي ؟

مثلا نبوة عيسى بن مريم هل هي تخطيط الهي أم بشري ؟

طبعا هي تخطيط الهي .

يحيى بن زكريا وبشرى زكريا بهذا الغلام هل هو تخطيط الهي ام تخطيط بشري ؟

هي تخطيط الهي .

اذن هنا القضية خاضعة للتخطيط الالهي .

موسى بن عمران وتربيته في بيت فرعون طبعا هذا تخطيط الهي وليس تخطيطاً بشرياً .

عندما هبط جبرئيل على رسول الله ﷺ وقال له هاجرالى المدينة ، هل هذا تخطيط بشري ؟

طبعا ذلك تخطيط الهي

اذن هذه الاحداث التاريخية كلها خاضعة للتخطيط الالهي .

ولكن احيانا هنالك تخطيط بشري مثل معركة الخندق^(١) (معركة الاحزاب) لما جاءت قريش بعشرة الاف شخص ورسول الله ﷺ استشار المسلمين ماذا نفعل ؟

فالكل ابدى وجهات النظر وصار الراي الى سلمان الذي اشار عليهم بحفر الخندق .

وفعلا نجحت الخطة فهي تخطيط بشري وليس الهياً والتخطيط البشري قد ينجح وقد يفشل .

غيبه الامام ﷺ تخطيط الهى :

لاشك ان غيبه الامام ﷺ ثم ظهوره هي تخطيط الهى ، ولكن ذلك لاييني عدم دخالة الدور البشري ، فقد كانت الظروف الامنية القاهرة ، مع غياب وعي الامة وابتعادها عن أهل البيت ﷺ هي العوامل البشرية التي اضطرت الامام ﷺ

(١) غزوة الخندق ، أو غزوة الأحزاب ، إحدى غزوات الرسول الأكرم ﷺ والتي وقعت في السنة الخامسة للهجرة ، بدأت هذه الغزوة بعد مؤامرة من قبل قبيلة بني النضير ، وبعدها قد اتحدت قريش مع أغلب القبائل العربية لقطع شجرة الإسلام ، وفي هذه الغزوة كان عدد جيش المشركين عشرة آلاف شخص ، وجيش المسلمين كان ثلاثة آلاف مقاتل ، وعلى رغم أن قبيلة بني قريظة كانت قد تعهدت بالحياد في حال وقوع أي حرب ، ولكنها نكثت العهد واتحدت مع المشركين . وللحيلولة دون دخول الأحزاب إلى المدينة قام المسلمون بحفر خندق حول المدينة باقتراح من سلمان الفارسي ، وانتهت الحرب بنصر المسلمين وهزيمة المشركين .

يُذكر أنه في هذه الغزوة قد عمر عمرو بن عبد ود - الذي كان يشتهر بشجاعته بين العرب - الخندق مع عدد من أصحابه ودعا إلى المبارزة ، ولكن لم يجبه أحد من المسلمين خوفاً ، حتى رد عليه الإمام علي ﷺ بعد استئذان الرسول الأكرم ﷺ وتقاتلا حتى هلك عمرو ، حيث كان لقتله دور مهم في نصرة الإسلام وهزيمة الكفر . فقال الرسول الأكرم ﷺ في هذا الشأن : "ضربة علي ﷺ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين" .

(المحقق)

للغبية ، كما ان استعداد الامة لظهوره وحركتها من اجل تعجيل فرجه هو الاخر عامل بشري يتداخل مع التخطيط الالهي .

الموقف تجاه الثورة المسلحة :

وفي هذه المرحلة بالذات لم يشجع أهل البيت عليهم السلام على القيام بثورة مسلحة ، وربما لوضوح ان اية ثورة مسلحة سوف تفشل في تحقيق اهدافها .
نستطيع ان نقرأ بهذا الخصوص موقف أهل البيت عليهم السلام تجاه الثورات المسلحة :

اولا / موقف الامام الكاظم عليه السلام وهو ينهى يحى عن الثورة :

كتب يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى موسى بن جعفر عليه السلام :

(أما بعد فاني أوصي نفسي بتقوى الله ، وبها أوصيك ، فإنها وصية الله في الأولين ، ووصيته في الآخرين خبرني من ورد علي من أعوان الله على دينه ونشر طاعته ، بما كان من تحنك مع خذلانك وقد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد عليهم السلام ، وقد احتجبتها واحتج بها أبوك من قبلك ، وقدima ادعيت ما ليس لكم ، وبسطتم آمالكم إلى ما لم يعطكم الله فاستهويتم وأظللتم ، وأنا محذرك ما حذرك الله من نفسه .

فكتب إليه أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام :

من موسى بن أبي عبد الله جعفر وعلي مشتركين في التذلل لله وطاعته إلى يحيى بن عبد الله بن الحسن أما بعد فاني أحذرك الله ونفسي ، وأعلمك أليم عذابه ، وشديد عقابه ، وتكامل نعماته ، وأوصيك ونفسي بتقوى الله ، فإنها زين الكلام ، وتثيت النعم ، أتاني كتابك ، تذكر فيه أني مدع وأبي من قبل ، وما سمعت ذلك مني ، وستكتب شهادتهم ويسألون ، ولم يدع حرص الدنيا ومطالبها

لأهلها مطلباً لآخرتهم ، حتى يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم .

وذكرت أنني ثبّطت الناس عنك لرغبتني فيما في يديك ، وما منعني من مدخلك الذي أنت فيه لو كنت راغباً ضعف عن سنة ، ولا قلة بصيرة بحجة ، ولكن الله تبارك وتعالى خلق الناس أمشاجاً ، وغرائب ، وغرائز ، فأخبرني عن حرفين أسألك عنهما ما العترف في بدنك ؟ وما الصهلج في الانسان ؟ ثم اكتب إلي بخبر ذلك .

وأنا متقدم إليك أحذرك معصية الخليفة ، وأحثك على بره وطاعته ، وأن تطلب لنفسك أماناً قبل أن تأخذك الأطفار ، ويلزمك الخناق من كل مكان تتروح إلى النفس من كل مكان ولا تجده ، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ، ورقة الخليفة أبقاه الله ، فيؤمنك ويرحمك ، ويحفظ فيك أرحام رسول الله ﷺ والسلام على من اتبع الهدى (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) .^(١)

قال الجعفري : فبلغني أن كتاب موسى بن جعفر وقع في يدي هارون فلما قرأه قال : الناس يحملوني على موسى بن جعفر وهو برئ مما يرمى به)^(٢)

ثانياً : موقف الإمام الكاظم عليه السلام من ثورة الحسين بن علي صاحب فخ :^(٣)

لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ ، واحتوى على المدينة دعا موسى بن جعفر عليه السلام إلى البيعة فأتاه فقال له : يا ابن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمك عمك أبا عبد الله عليه السلام فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله عليه السلام ما لم يكن يريد .

(١) سورة طه الآية : ٤٨ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - الصفحة ١٦٦

(٣) الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام المكتب بأبي عبد الله والمعروف بصاحب فخ ، قائد الثورة المعروفة بثورة فخ سنة ١٦٩ هـ ضد الهادي العباسي في منطقة فخ القريبة من مكة المكرمة . (المحقق)

فقال له الحسين : إنما عرضت عليك أمرا فإن أردته دخلت فيه ، وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان ، ثم ودعه .

فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام حين ودعه : يا ابن عم إنك مقتول فأجد الضراب ، فإن القوم فساق ، يظهرون إيماننا ، ويسرون شركنا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون أحسبكم عند الله من عصابة .

ثم خرج الحسين ، وكان من أمره ما كان ، قتلوا كلهم كما قال عليه السلام .^(١)

ثالثا / موقف الامام الرضا عليه السلام من ثورة محمد بن جعفر:^(٢)

عن إسحاق بن موسى قال :

(لما خرج عمي محمد بن جعفر بمكة ، ودعا إلى نفسه ، ودعي بأمير المؤمنين ، وبويع له بالخلافة دخل عليه الرضا عليه السلام وأنا معه فقال له : يا عم لا تكذب أباك ، ولا أخاك ، فإن هذا الامر لا يتم ، ثم خرج وخرجت معه إلى المدينة ، فلم يلبث إلا قليلا حتى قدم الجلودي فلقيه فهزمه ثم استأمن إليه فلبس السواد وصعد المنبر فخلع نفسه وقال : إن هذا الامر للمأمون ، وليس لي فيه حق ، ثم اخرج إلى خراسان فمات بجرجان) .^(٣)

رابعا : موقف الامام الرضا عليه السلام من ثورة زيد :

(دخل زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام على المأمون فأكرمه وعنده الرضا عليه السلام)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - الصفحة ١٦٠

(٢) محمد بن جعفر الصادق والذي تنسب له الطائفة الشيعية السميطة ، وحسب المصادر الشيعية فإنه قد دعا إلى نفسه وقد بايعه البعض على الخلافة وتم تلقيبه بأمير المؤمنين ، « لما خرج محمد بن جعفر بمكة ودعا إلى نفسه وبُوع له بالخلافة ، دخل عليه الرضا عليه السلام ، فقال الرضا عليه السلام له : يا عم لا تكذب أباك ولا أخاك ؛ فإن هذا أمر لا يتم . ثم خرج الرضا إلى المدينة (المحقق) .

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٩ - الصفحة ٣٢

فسلم زيد عليه فلم يجبه ، فقال : أنا ابن أبيك ولا ترد علي سلامي ؟

فقال عليه السلام : أنت أخي ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله لا إخاء بيني وبينك (١) .

هذه السياسة التي اتخذها الإمام الكاظم عليه السلام ، والإمام الرضا عليه السلام ، هي نفسها التي اتخذها الأئمة الثلاثة الجواد ، . والهادي ، والعسكري عليهم السلام .

فقد كان الإمام العسكري عليه السلام يقول لأحد أصحابه : (إنما هو الكتمان أو القتل فاتق الله على نفسك) . (٢)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٩ - الصفحة ٢٢١

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - الصفحة ٢٩٠ (عن محمد بن عبد العزيز البلخي قال : أصبحت يوماً فجلست في شارع الغنم فإذا بأبي محمد عليه السلام قد أقبل من منزله يريد دار العامة ، فقلت في نفسي : ترى إن صحت أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه ، يقتلونني ؟ فلما دنا مني أوماً بأصبعه السبابة على فيه أن اسكت ! ورأيتنه تلك الليلة يقول إنما هو الكتمان أو القتل فاتق الله على نفسك)

الفصل التاسع

دور الشيعة

في فترة الغيبة الصغرى

٢٦٠هـ - ٣٢٨هـ

ماذا فعل الشيعة في هذه الفترة ؟

وكيف استطاع المذهب ان يبقى الى يومنا هذا ؟

وكيف بقى الشيعة والتشيع الى اليوم ؟

حديثنا اليوم هو عن دور الشيعة خلال فترة السبعين عاما وهي فترة الغيبة الصغرى^(١) حيث سنرى عجائب من بطولات شيعة اهل البيت .

سياسة الحكم العباسي :

في هذه الفترة كانت خلافة المهدي والمعتمد والمكتفي والمقتدر والقاهر والراضي العباسي ، كل هذه الاسماء كانت سيوفهم تقطردما من شيعة أهل البيت عليه السلام .^(٢)

(١) الغيبة الصغرى هو مصطلح يشير إلى الوقت الممتد من سنة ٢٦٠ هـ، أي عند شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى وفاة السفير الرابع سنة ٣٢٨ هـ، وفي هذه الفترة غاب الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار لكنه كان يتصل بشيعته عن طريق وكلاء خاصين يسمون بالسفراء وعددهم أربعة ، وهم عثمان بن سعيد العمري ، وابنه محمد ، والحسين بن روح النوبختي ، وعلي بن محمد السمرى . وتسمى بالصغرى في مقابل الغيبة الكبرى التي بدأت سنة ٣٢٨ هـ وهي مستمرة إلى الآن ولا يعلم أحد متى الظهور إلا الله . (المحقق)

(٢) الدولة العباسية ، أو الخلافة العباسية (١٣٢ — ٦٥٦ هـ) حكمت أغلب المناطق الإسلامية أكثر من خمسة قرون ، وبدأت هذه الدولة مع زوال الحكم الأموي حيث تسربلوا بشعار مظلومية أهل البيت للوصول إلى سدة الخلافة وإزاحة خصومهم الأمويين عنها ، بيد أنهم بعد أن استقر بهم المقام وثبتت لهم أركانهم حتى انقلبوا كالوحوش الكاسرة في محاربتهم للشيعة وتشريدهم وتقتيلهم ، فكانوا أسوأ من أسلافهم الأمويين وأشد إجراما ، ولله در الشاعر حين قال : والله ما فعلت أمة فيهم *** معشار ما فعلت بنو العباس . (المحقق)

لقد كان الحكم الأموي^(١) طوال تسعين عاما سبقت يهدف الى محو الدين ، يريد حكومة بلا دين ، فالهدف كان حكومة بلا دين وأمة بلا دين وقانون بلا دين .

وقد فشل الأمويون في ذلك وفرض الدين نفسه في الساحة من خلال سياسة أهل البيت عليه السلام وثورة الإمام الحسين عليه السلام ، وهنا غيّر الحكم العباسي ستراتيجه السياسية في الحكم فنرى ان اسماءهم كلها اقترنت بالله تعالى ، فاصبح الحاكم العباسي يتحرك باسم الدين فهو (المتوكل على الله) ، و (المعتمد على الله) ، و (المقتدر بالله) وهكذا .

اصبح العباسيون مجبورين على استخدام هذه السياسة لخداع الناس باسم الدين ، ولكن هذا الدين الذي يتبع السلطان والامة التي تتبع السلطان في دينها ، فخطة العباسيين كانت استغلال الدين ، فهناك دين ، وهناك فقهاء دين ، وهناك أمة متدينة لكن كل ذلك تابع الى السلطان . هذا هو الواقع السياسي في فترة الغيبة الصغرى .

السفراء الاربعة :

في هذه الفترة كان هنالك اربعة معتمدين كبار ونواب نيابة مطلقة عن الامام المهدي عليه السلام وهم :

١- عثمان بن سعيد العمري^(٢)

(١) بنو أمية ، هم الفرع الثاني من قريش ، حكموا في الدولة الإسلامية قرابة قرن كامل ، واتخذوا من الشام مقراً لهم ومن دمشق عاصمة لدولتهم ، وكانت فترة حكمهم ما بين عام (٤١ هـ / ٦٦١ م) إلى (١٣٣ هـ / ٧٥٠ م) ، أول خلفائهم معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هـ ، وآخرهم مروان بن محمد الذي عُرف باسم مروان الحمار . ورد ذكر بني أمية في أحاديث عند الفريقين على أنهم هم الشجرة الملعونة في القرآن ؛ حيث نقلت رؤيا النبي ﷺ وسلم لهم وهم يتزنون على منبره نزو القردة ، فما رؤي ضاحكاً حتى مات . . (المحقق)

(٢) أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ، أول النواب الأربعة للإمام المهدي عليه السلام ، ووالد للنائب الثاني الذي حل محله بعد

٢- محمد بن عثمان العمري^(١)

٣- الحسين بن روح^(٢)

٤- علي بن محمد السمرى^(٣)

هؤلاء اربعة استمرت فترة مرجعيتهم الدينية المطلقة سبعين عاماً ، وفي هذه الفترة بالذات كان هناك وكلاء آخرون في مناطق محدودة^(٤) ، وبعدهم انتقلنا

وفاته ، ويُعدّ من أصحاب الإمامين الهادي عليه السلام والعسكري عليه السلام . وعندما بدأت إمامة الإمام المهدي عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ تولى عثمان بن سعيد نيابته ، فاتخذ بغداد مركزاً لنشاطه ، وكان له وكلاء في مختلف المدن ، واستمرت نيابته لـ ٦ أو ٧ سنوات حتى توفي عثمان ، فتولى النيابة ولده محمد ، وذكر أن الإمام المهدي عليه السلام بعث برسالة تعزية لمحمد بن عثمان بعد وفاة أبيه . (المحقق)

(١) محمد بن عثمان بن سعيد العمري ، (ت ٣٠٥ هـ) المعروف بالخَلَّانِي والمُكَنَّى بأبي جعفر ، هو السفير الثاني . مكث أبو جعفر الفترة الأطول من بين هؤلاء النواب في سفارته التي ناهزت الأربعين عاماً (٢٦٥ - ٣٠٥ هـ) ، خلف فيها والده المكنى بأبي عمرو ، بعد أن كان مساعداً له ، في فترة الغيبة الصغرى للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه . . رغم التصريح الذي جاء في رواية الإمام العسكري عليه السلام وفي كتاب لصاحب العصر عليه السلام ، قد شكك بعض وكلاء الإمام في نيابته وبعض آخر ادعاه لنفسه . كان حوله مساعدون ويُدَوِّنه يد العون في إدارة الوكالة . وله مصنفات في الفقه ووردت عنه روايات حول المهدي عليه السلام . كما نقلت عنه أدعية مشهورة نحو : السمات ، افتتاح وزيارة آل ياسين . . (المحقق)

(٢) الحسين بن روح النوبختي (المتوفى سنة ٣٢٦ هـ) ، هو السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام . في زمن الغيبة الصغرى ، استمرت فترة نيابته حوالي إحدى وعشرين سنة . كان يحظى باحترام الخاصة والعامة ، ورؤي عنه في مصادر الشيعة بعض الأدعية والمسائل الفقهية ، إلا أن الظروف السياسية دفعته إلى العمل بالتقية . ومن أهم الأحداث في فترة نيابته إدعاء السلمغاني للسفارة ، والذي صدر توقيع من صاحب الزمان عليه السلام في لعنه .

(٣) علي بن محمد السمرى (المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) هو السفير الرابع والأخير للإمام المهدي عليه السلام ، والذي تولى مهمة السفارة بعد الحسين بن روح مدة ثلاث سنوات (٣٢٦-٣٢٩ هـ) ، وبوفاته انتهت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى للإمام عليه السلام . وفي زمن توليه النيابة الخاصة كان حلقة الوصل بين الناس والإمام حيث يستلم الحقوق الشرعية عنه عليه السلام ، وكانت مدة سفارته قصيرة مقارنة إلى باقي سفراء الإمام الخاصون ، ومن أهم الأحداث التي وقعت في حقبة نيابته ، إخبار الإمام عليه السلام عن قرب وفاته والإعلان عن نهاية فترة النيابة الخاصة ، وبوفاته انقطع الاتصال المباشر بالإمام الحجة عليه السلام ، وبدأ منذ ذلك الحين زمن الغيبة الكبرى . (المحقق)

(٤) مثل حاجز الوشافي في بغداد ، والاسدي في الري ، والصيدلاني في واسط وآخرون . . (المحقق)

الى فترة الغيبة الكبرى بكتاب من الامام المهدي عليه السلام والذي يقول فيه للنائب الوكيل المطلق الرابع :

(بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك : فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جورا وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

الملاحقة العباسية :

هذه هي فترة الغيبة الصغرى التي نؤرخ لها من عام ٢٦٠ والى عام ٢٨٠ للهجرة ، حيث الملاحقة الشديدة من قبل السلطات الجائرة بينما الامام غائب عن الانظار .

لنرى مستوى التقية ورقابة السلطة المكثفة بحثاً عن الامام المهدي عليه السلام ونوابه .

التقية المكثفة :

الحسين بن روح وهو النائب المطلق الثالث كان في مجلس وذكر فيه ابو بكر وعمر وافضليتهما على علي عليه السلام ، واتجهوا الى الحسين بن روح وسالوه عن رايه في هذا الامر .

فقال :

(اجتمع الاصحاب على ان ابا بكر مقدّم على علي ، وعمر مقدّم على علي ، وعثمان ذو النورين مقدّم على علي ، وعلي الوصي وبهذا رأي اهل الحديث

وانا ارى ذلك (١).

هذا الكلام قاله وهو تحت نظراعين السلطة الجائرة التي كانت تتربص بكلماته وحركاته وقد تعجب الحضور الشيعة لهذا الرأي ، وخرجوا منزعين فيما خرج الآخرون فرحين يقولون ان الحسين بن روح من أهل السنة والجماعة .

خرج القوم فرحين وكتبوا الى الخليفة العباسي بهذا الامر ولكنهم لم يفهموا انه اعطى رسالة ضمنية وصريحة وهي أن علياً هو الوصي .

لقد كان احد الحضور الشيعة جالسا وقد فهم الامر واخذ بالضحك ولكن الحسين بن روح ذهب الى بيت ذلك الشخص ليلا وقال له : والله لان عدت الى ذلك لاهجرنك .

هذا الوكيل المطلق كان عنده خادمٌ شتم في يوم من الايام معاوية فطرده من العمل (٢) دون رجعة لان ظروف التقية الشديدة جدا لاتسمح لهؤلاء العلماء أن

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣٥٦ (ذكر الشيخ بعد ذلك التوقعات التي خرجت إلى الحميري على ما نقلناه في باب التوقعات ثم قال :

وكان أبو القاسم عليه السلام من أعقل الناس عند المخالف والموافق ويستعمل التقية فروى أبو نصر هبة الله بن محمد قال : حدثني أبو عبد الله بن غالب وأبو الحسن ابن أبي الطيب قالا : ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ولعهدي به يوما في دار ابن يسار ، وكان له محل عند السيد والمقتدر عظيم ، وكانت العامة أيضا تعظمه ، وكان أبو القاسم يحضر تقية وخوفا .

فعهدي به وقد تناظر اثنان فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم عمر ثم علي وقال الآخر : بل علي أفضل من عمر ، فزاد الكلام بينهما فقال أبو القاسم رضي الله عنه : الذي اجتمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي ، وأصحاب الحديث على ذلك ، وهو الصحيح عندنا ، فبقي من حضر المجلس متعجبا من هذا القول وكانت العامة الحضور يرفعونه على رؤوسهم وكثر الدعاء له والظعن على من يرميه بالرفض) . . (المحقق)

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣٥٧ (قال أبو نصر هبة الله : وحدثني أبو أحمد بن درانيه الأبرص الذي كانت داره في درب القراطيس قال : قال لي : إني كنت أنا وأخواني ندخل إلى أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه نعامله ، قال : وكانوا باعة ، ونحن مثلا عشرة تسعة نلغنه وواحد يشكك ، فنخرج من

يكشفوا أنفسهم أنهم من شيعة أهل البيت عليه السلام.

في هذه الظروف الصعبة عاش الشيعة وحافظوا على المذهب الى يومنا هذا .

في هذه الفترة صدر النهي عن التصريح باسم الامام المهدي عليه السلام ، حيث تقول الرواية : (اذا وقع الاسم وقع الطلب)^(١) .

وفي رواية اخرى : (اما السكوت والجنة واما الكلام والنار)^(٢) ، كما صدر النهي عن البحث عن الامام عليه السلام بتوقيع الامام المهدي عليه السلام :

يقول فيه : (من بحث فقد طلب ، ومن طلب فقد دلّ ، ومن دلّ فقد أشاط ، ومن أشاط فقد أشرك) .

عنده بعد ما دخلنا إليه تسعة نتقرب إلى الله بمحبته وواحد واقف لأنه كان يجارينا في فضل الصحابة ما رويناه وما لم نروه ، فنكتبه عنه لحسنه رضي الله عنه . . (المحقق)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣٤٨ (فقال له : العمري ثقني فما أدى إليك ففني يؤدي وما قال لك ففني يقول : فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون . قال : وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد الحسن بن علي عن مثل ذلك فقال له : العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك ففني يؤديان وما قال لك ففني يقولان فاسمع . لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان . فهذا قول إمامين قد مضيا فيك قال : فخر أبو عمرو ساجدا وبكى ثم قال : سل . فقلت له : أنت رأيت الخلف من أبي محمد عليه السلام فقال : أي والله ورقبته مثل ذا وأومأ بيديه ، فقلت له : فيقبت واحدة فقال لي : هات ، قلت : فالاسم قال : محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك ولا أقول هذا من عندي وليس لي أن أحلل واحرم ولكن عنه عليه السلام فإن الامر عند السلطان أن أبا محمد عليه السلام مضى ولم يخلف ولدا وقسم ميراثه وأخذ من لا حق له . وصبر على ذلك ، وهو ذا عياله يحولون وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئا ، وإذا وقع الاسم وقع الطلب فائقوا الله وأمسكوا عن ذلك . (المحقق)

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣٥١ (وبهذا الاسناد عن محمد بن علي ، عن أبيه قال : حدثنا علي بن سليمان الزراري عن علي بن صدقة القمي قال : خرج إلى محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه ابتداء من غير مسألة ليخبر الذين يسألون عن الاسم : إما السكوت والجنة وإما الكلام والنار فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه وإن وقفوا على المكان دلوا عليه) . . (المحقق)

(٣) بحار الأنوار / المجلسي / ج ٥١ / ص ٤٣٠

فالبحت عن امام الزمان ممنوع لشدة الرقابة والتقية المكثفة ومع ذلك كان التشيع منتشرًا في مصر، وطبرستان، والكوفة، وآمل، واذربايجان، وخراسان، واربيل وغيرها، ورغم هذه الظروف الصعبة استطاع الشيعة ان يؤسسوا اكثر من دولة شيعية خلال فترة السبعين عاما .

مهمة الشيعة :

لقد كانت مهمة الشيعة في هذه المرحلة هي :

- ١- معرفة الامام عليه السلام والارتباط به .
- ٢- المحافظة على الشيعة والتشيع .
- ٣- التمهيد لاقامة الحكومة العادلة .

وعليهم أن ينجزوا كل ذلك في ظروف التقية المكثفة والنهي عن البحث والتسمية ! .

كثرة الاختلاف :

ولأجل غيبة الامام عليه السلام والنهي عن البحث والتسمية ، وظروف التقية الصعبة ، برزت خلافات كبيرة في الوسط الشيعي بلغت اربعة عشرة فرقة كما يذكر المؤرخون ^(١) .

الزعامة السياسية والمرجعية الفقهية :

لقد تولى السفراء الاربعة مهمة الزعامة السياسية للشيعة ، فيما تولى فقهاء آخرون مثل الشيخ الصدوق الاب ^(٢) ، والشيخ الصدوق الابن ^(١) مهمة المرجعية

(١) تاريخ الخويزات / عدنان فرحان / ج ٢ / ص ٧٨ / عن الاشتياني / آل نوبخت

(٢) علي بن بابويه هو أبوالحسن علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي (٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) ، فقيه ومحدث شيعي ومرجع تقليد أهالي قم وضواحيها . وهو أب الشيخ الصدوق ، وعادة يعبر عنهما بالصدوقين . يقول ابن النديم :

الفقهية للشيعة حيث تصدى هولاء لتدوين الفقه الشيعي ، فألف الشيخ الصدوق الاب ثلاثمائة كتاب ، فيما ألف الشيخ الصدوق الابن أول موسوعة فقهية تحت عنوان (الفقيه لمن لا يحضره الفقيه) ، والتي دون فيها أكثر من خمسة الاف حديثاً عن الائمة الاطهار عليه السلام .

ومثل ذلك ما فعله الشيخ الكليني^(٢) في موسوعته الفقهية الكبرى التي شملت اكثر من ستة عشر الف حديثاً وقد صدرت باسم (الكافي)^(٣) وهو ايضاً

إن علي بن الحسين كان من فقهاء الشيعة وثقافته . وفضلاً عن كونه يحظى بمكانة علمية مرموقة كان تاجراً ومثرباً وله محل تجاري ومكتب . وابنه المعروف بالشيخ الصدوق يذكر أباه على أنه أحد مشيخته الثقات . كان ابن بابويه فقيها معتمداً جليلاً . عده الشيخ في مقدمة القميين في عصره . ووصل في الفقه والحديث في القدر والعلو في مرتبة أن علماء الشيعة ، عندما لم يكن الحديث في متناول أيديهم أو نص الحديث يبدو مشوشاً ، كانوا يرجعون فتاواه في كتابه الشرايع (رسالته العلمية في الفقه) . وهذا يعني أنهم كانوا يرون فتاواه في منزلة نص الرواية ويعتقدون حسب القاعدة أنه قد رأى رواية ، واستفاد منها كمأخذ ومصدر لفتاوه . . (المحقق)

(١) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق من أعظم علماء القرن الرابع الهجري . ولد سنة ٣٠٥ هـ ، وتوفي ٣٨١ هـ . ودفن في مدينة الرّي . ترك الصدوق ٣٠٠ أثر علمي ، لكن الكثير من هذه المؤلفات فقدت ، ولم يعثر عليها . من أهم مؤلفاته كتاب من لا يحضره الفقيه وهو من الكتب الأربعة المعتمدة لدى الشيعة وأيضاً الخصال وعلل الشرائع ومعاني الأخبار وعيون أخبار الرضا . ومن أبرز تلامذته السيد المرتضى والشيخ المفيد . وصفه الشيخ الطوسي ، بقوله : « محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي يكنى أبا جعفر جليل القدر حفظه بصير بالفقه والأخبار والرجال له مصنفات كثيرة ذكرناها في الفهرست وترجم له النجاشي قائلاً : « محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أبو جعفر نزيل الري شيخنا و فقيهاً ووجه الطائفة بخراسان و كان ورد بغداد سنة خمس و خمسين وثلاثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن . (المحقق)

(٢) أبوجعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المعروف بثقة الإسلام الكليني من كبار محدثي الشيعة الإمامية ومؤلف كتاب الكافي الذي يعدّ من أهم المصادر الحديثية الأربعة عند الشيعة . . (المحقق) ولد في عصر الغيبة الصغرى ولقي بعض المحدثين الذين سمعوا الحديث مباشرة من الإمام الهادي أو الإمام العسكري عليه السلام . وصفه الرجاليون بالدقة والضبط في نقل الحديث .

(٣) الكافي من مصادر الحديث لدى الشيعة وأكثر الكتب الأربعة اعتباراً ، وهو من تأليف محمد بن يعقوب بن إسحاق المشهور بثقة الإسلام الكليني . ويشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام : أصول الكافي ، وفروع الكافي ، وروضة الكافي ، ويعد من أهم المصادر لدى العلماء . وكان الضابط لدى الكليني في جمع الأحاديث عدم معارضتها للقرآن

في زمن الغيبة الصغرى .

في هذه الفترة كان هناك أُسر علمية منهم أسرة ال فرات وال النوبختي وال
زرارة وقد حاول شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم (قدس) ان يؤرخ لهذا
الموضوع الاسر العلمية في كتابه (دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة) .

هؤلاء النواب الاربعة ومعهم الفقهاء الكبار هم الذين ثبتوا المذهب الى هذا
اليوم .

دول الشيعة في فترة الغيبة الصغرى :

رغم قساوة الحكم العباسي وهيمنته على العالم الاسلامي ، الا أن القواعد
الشعبية العامة للشيعة وبقيادة رجالات بارزة من سلالة أهل بيت النبي ﷺ
استطاعوا أن ينجحوا في عدة ثورات وتأسيس عدة دول في بقاع العالم
الاسلامي ، كان بعضها قبل فترة الغيبة الصغرى واستمرت لهذه الفترة ، وبعضها
قام في هذه الفترة التاريخية بالذات واستمر لما بعدها .

نذكر موجزاً ما أشار اليه المؤرخون من تلك الدول :

١- دولة الادارسة^(١) :

في المغرب العربي والتي نجحت بتاريخ ١٧٢ للهجرة واستمرت لغاية ٣٠٥

و موافقتها للإجماع . نقل الكليني أحاديث هذا الكتاب بأقل الوسائط ؛ وذلك بسبب علاقته بأصحاب الأئمة وأن
الأصول الأربعمئة كانت في متناول يده . واعتقد بعض العلماء الشيعة بصحة جميع الروايات الموجودة في الكافي ،
واعترف البعض الآخر بوجود أحاديث ضعاف فيه . وقيل إن تسمية الكتاب بالكافي مأخوذة من رواية منسوبة
إلى الإمام المهدي عليه السلام إلا أن الكثير من العلماء خالفوا هذا الإدعاء . . (المحقق)

(١) الأدارسة هي سلالة حكمت المغرب ، أسسها إدريس بن عبد الله الملقب بإدريس الأول ٧٨٨-٧٩٣م بن الحسن
المنفي بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، نجح بنفسه من المذبة الرهيبية التي ارتكبها الجيش العباسي
في موقعة فح في مكة المكرمة ، والتي أقامها العباسيون لأهل البيت سنة ٧٨٦م وتوفي كثير من آل البيت فيها . فر

للهجرة ، حيث كان عمر هذه الدولة ١٣٣ عاماً .

وقد كان قائد هذه الثورة ومؤسس هذه الدولة ادريس بن عبد الله حفيد الامام الحسن الزكي عليه السلام ، كان ذلك على عهد الرشيد العباسي ، فيما ثار اخوه يحيى بن عبد الله في ايران ، لكنه أخفق في مواجهة السلطة العباسية ، وهذان الاخوان (ادريس ويحيى) هما شقيقان لمحمد وابراهيم النفس الزكية .

٢- الدولة العلوية :^(١)

في بلاد الديلم وعاصمتها أمل ، نجحت على يد القائد العلوي الحسن بن زيد عام ٢٠٥ للهجرة واستمرت لغاية ٣٠٤ للهجرة وكان عمرها ٩٩ عاماً .

إلى ويلي بالمغرب . تمت مبايعته قائدا وأميرا وإماما من طرف قبائل الأمازيغ في المنطقة . وسع حدود مملكته حتى بلغ تلمسان (٧٨٩ م) . ثم بدأ في بناء فاس . قام الخليفة العباسي هارون الرشيد بتدبير اغتياله سنة ٧٩٣ م . قام ابنه إدريس الثاني (٧٩٣-٨٢٨ م) والذي تولى الإمامة منذ ٨٠٤ م ، بجلب العديد من الحرفيين من الأندلس وتونس ، فبنى فاس وجعلها عاصمة الدولة ، كما دعم وطاند الدولة . قام ابنه محمد بن إدريس الثاني (٨٢٨-٨٣٦ م) عام ٨٣٦ م بتقسيم المملكة بين إخوته الثمانية (أو أكثر) . كانت لهذه الحركة تأثير سلبي على وحدة البلاد . بدأ بعدها مرحلة الحروب الداخلية بين الإخوة . منذ ٩٣٢ م وقع الأدارسة تحت سلطة العباسيين حكام الأندلس والذين قاموا لمرات عدة بشن حملات في المغرب لإبعاد الأدارسة عن السلطة . بعد معارك ومفاوضات شاقة تمكنت جيوش العباسيين من القبض على آخر الأدارسة (الحسن الحجام) والذي استطاع لبعض الوقت من أن يستولي على منطقة الريف وشمال المغرب ، قبض عليه سنة ٩٧٤ م ، وتم اقتياده أسيرا إلى قرطبة . توفي هناك سنة ٩٨٥ م . . (المحقق)

(١) دولة العلويين في سنة ٢٥٠ ظهر في طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وبايعه الناس ، واستمر في الحكم ١٩ سنة ، وبضعة أشهر وقام من بعده أخوه محمد ، وبقي في الولاية ١٧ عاما وبضعة شهور ، واستمرت الدولة العلوية الى عام ٣٠٤ حيث لما توفي محمد بن زيد تولى من بعده الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي ابن الحسين المعروف بالاطروش وأقام في الحكم ١٣ سنة يدعو إلى الاسلام ، فأسلم على يده خلق كثير ، وذهبوا مذهب التشيع ، وبنى المساجد والمعابد وقتل سنة ٣٠٤ هـ ، فقام بعده صهره الحسن بن القاسم العلوي ، وقتل سنة ٣١٦ ، وبه انتهت هذه الدولة العلوية التي استمرت ٦٧ سنة ، وبسببها أسلمت وتشيعت بلاد الديلم . . . (المحقق)

٣- الدولة البويهية: (١)

وهي الدولة العباسية نفسها حين تسلم زمام الحكم والسلطة التنفيذية فيها آل بويه بدءاً من عام ٣٢١ وإلى ٤٤٧ للهجرة ، حيث أضحى الخليفة العباسي لا يملك سوى العنوان الرمزي للسلطة ، أما الدولة العميقة فهي بيد آل بويه الشيعة الذين اتخذوا بغداد عاصمة لهم بعد أن نجحوا في شيراز أولاً .

وقد كان عمر هذه الدولة ١٢٦ عاماً ، انتشر فيها مذهب التشيع ، ونصبت مجالس العزاء لذكر الامام الحسين (عليه السلام) ، ومجالس الافراح لعيد الغدير ، الى جانب الحرية المذهبية ، والنشاط الفكري الذي شهدته عصر هذه الدولة .

٤- الدولة الحمدانية: (٢)

في الموصل وحلب ، هذه الدولة التي أسسها الشيعة بقيادة (ناصر الدولة)

(١) البُوَيْهِيُّونَ أو بنو بُويه أو آل بُويه نسبة إلى جدّهم أبي شجاع البُوَيْهِي الصياد من الأسر الإيرانية والشيعة التي كانت تقطن في الديلم . حكمت في القرنين الرابع والخامس للهجرة (٣٢٢-٤٤٨ هـ / ٩٣٣-١٠٥٦ م) على معظم مناطق البلاد الإسلامية حينها وهي : إيران والعراق والجزيرة العربية والشام . في أواسط القرن الثالث للهجرة واجهت الخلافة العباسية حركات استقلالية سياسية في داخل حدودها حيث أن هذه الحركات أثرت بدورها على ضعف الخلافة تدريجياً . هذه الحركات السياسية بلغت قممها بين الإيرانيين الذين كانوا ينتهزون الفرصة للتخلص من اضطهاد الحكم العباسي ، وذلك مع تأسيس الحكومات المحلية كالصفارية والسامانية والزيارية . . (المحقق)

(٢) هي إمارة إسلاميّة شيعيّة أسَّسها أبو مُحمَّد الحسن بن أبي الهيجاء الشهير بلقب « ناصر الدولة » في مدينة الموصل بالجزيرة الفُراتيّة ، وامتدَّت لاحقاً باتجاه حلب وسائر الشَّام الشماليَّة وأقسامٌ من جنوب الأناضول . قامت هذه الدولة عندما وُلِّي الخليفة العبَّاسي أبو الفضل جعفر المُقتدر بالله ناصر الدولة على الموصل وأعمالها . وكان ناصرُ الدولة صاحب طُموح سياسيٍّ واسع ، فراح مُنذ أن تولَّى تلك المنطقة من الجزيرة الفُراتيّة يسعى حثيثاً لتكوين إمارة خاصَّة به ، فاستعان بالقوَّة العسكريَّة في سبيل تحقيق رغبته وسيطر على عددٍ من بلاد شمال العراق ، ثُمَّ طلب الأمان من الخليفة والاعتراف بِسُلْطته على المناطق التي فتحها ، فوافق الخليفة على طلبه وقلَّده حُكم تلك البلاد مُقابل مبلغ من المال يدفعه وفق نظام الضمان . وما لبث ناصر الدولة أن عمل على تدعيم سُلْطته وتقوية نفوذه في شمال العراق ، فأجرى عدَّة إصلاحات اقتصاديّة أدَّت إلى انتعاش إمارته وزيادة ثروته وأتباعه ، ثُمَّ

بدءاً من ٢٠٥ - وحتى ٣٠٤ حيث عمرها ٩٩ سنة حيث ذهبوا وراء البناء السياسي وليس البناء الفقهي وفيها برز أكبر الأدباء مثل المتنبي وسيف الدولة الحمداني ، ولم تكن هذه الدولة مفصولة رسمياً عن الدولة العباسية الا انها كانت تملك زمام الامور وتمثل الدولة العميقة آنذاك .

٥- الدولة الفاطمية: ^(١)

حكموا من عام ٢٩٦ الى ٥٦٧ اي ٢٧١ سنة في مصر واسسوا الجامع الازهر وانتشر العلم هناك وسقطت هذه الدولة على يد صلاح الدين الايوبي التركي الاصل حيث قتل الشيعة وانهى الدولة الفاطمية . .

اقلام غير منصفة :

الشيخ محمد الخضري بك ^(٢) مؤلف كتاب (تاريخ الامم الاسلامية)

استبدَّ بالسلطة واستأثر بالمداخل ، ووقفت الخلافة عاجزة عن التصدي له . ولما استولى البُيُهيُّون على الحكم في بغداد ، وتسَلَّطوا على الخلافة ، أجبروا الحمدانيين على الانكماش في الموصل ، ودفع الجزية لِمُعز الدولة البُيُهي . أمَّا سيف الدولة ، أخو ناصر الدولة ، فقد غادر الموصل وتوجَّه إلى شمالي الشَّام ، حيثُ انتزع مدينة حلب وضواحيها من أيدي الإخشيديين سنة ٩٤٤م . وحاول سيف الدولة أن يُوسِّع مساحة دولته باتجاه الجنوب ، فاستولى على حمص . (المحقق)

(١) الدَّولَةُ الْفَاطِمِيَّةُ ، التي اتخذت من المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لها . قامت هذه الدولة بعد أن نشط الدُّعاة الإسماعيليُّون في إذكاء الجذوة الحسينية ودعوة الناس إلى القتال باسم الإمام المهدي المنتظر ، الذين تنبؤوا جميعاً بظهوره في القريب العاجل ، وذلك خلال العهد العبَّاسي فأصابوا بذلك نجاحاً في الأقاليم البعيدة عن مركز الحكم خصوصاً ، بسبب مطاردة العبَّاسيين لهم واضطهادهم في المشرق العربي ، فانتقلوا إلى المغرب حيث تمكنوا من استقطاب الجماهير وأعلنوا قيام الخلافة بعد حين . شملت الدولة الفاطمية مناطق وأقاليم واسعة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط ، فامتدَّت نطاقها على طول الساحل المتوسطي من المغرب إلى مصر ، ثم توسَّع الخلفاء الفاطميُّون أكثر فضمُّوا إلى ممتلكاتهم جزيرة صقلية ، والشَّام ، والحجاز ، فأضحت دولتهم أكبر دولةٍ استقلَّت عن الدولة العبَّاسية ، والمنافس الرئيسي لها على زعامة الأراضي المقدَّسة وزعامة المسلمين . . (المحقق)

(٢) محمد بن عفيفي الباجوري ، المعروف بالشيخ محمد الخضري بك (١٨٧٢م - ١٩٢٧م) ، باحث وخطيب وفتيه أصولي ومؤرخ مصري وأحد علماء الشريعة والأدب وتاريخ الإسلام . ولد بالقاهرة عام ١٨٧٢ ، وهو شقيق

بتكليف من الجامعة المصرية يقول ان كل هذه الثورات ضد العباسيين كان يقف وراءها الحسد لدى الشيعة ، فيما يذكر ان احد اسباب سقوط الدولة العباسية هو حسد الشيعة .

كما يذكر عن الامام الحسين عليه السلام في ثورته ضد يزيد ان الحسين عليه السلام اشتبه في ثورته وكان الحق مع يزيد حيث الحسين فرق الامة الاسلامية .

فيقول : (وعلى الجملة فان الحسين اخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جر على الامة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد الفتها الى يومنا هذا) .

ثم يقول : (ونحن بعد ان بسطنا امامكم هذه الحوادث لانرى من العدل ان يتحمل يزيد كل تبعاتها ، بل ان الذي يتحملة جزء صغير لانه خليفة بايعه المسلمون وخالفه قليل منهم ، فهل من المعقول ان يتركهم لما يشتهون لتتفرق الكلمة فهو في قتل الحسين مجبور) ؟ ؟ ؟

واحسب انني في غنى عن مناقشة هذه الاقلام التي تقرا التاريخ بشكل مقلوب ، وتبرر كل افعال الطغاة بينما تطعن بالصالحين وائمة الهدى عليهم السلام .

لماذا سقطت دول الشيعة :

والسؤال الان : لماذا سقطت هذه الدول ؟

نحن نأسف ان التاريخ الرسمي الذي كتب على العهد الاموي والعباسي ، ثم العثماني لم يحدثنا كثيراً عن هذه الدول ، ومن هنا فاني أتوجه الى شبابنا الجامعيين ، والى الباحثين والمؤرخين أن يعكفوا على دراسة هذه الدول ومنجزاتها

عبدالله الباجوري . تخرج من كلية دار العلوم من جامعة القاهرة وعين قاضياً شرعياً بالخرطوم ، ثم مدرساً شرعياً بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة لمدة ١٢ عاماً ، ثم أستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية ، ثم وكيلاً لمدرسة القضاء الشرعي ، بعد ذلك مفتشاً بوزارة المعارف المصرية .

وتفاصيل حركتها .

لكن هنا اجماع تاريخي على ان بعض هذه الدول شهدت نهوضاً علمياً ،
وحريات مذهبية ، ومهما يكن القول في ذلك ، فان هذه الدول كما يذكر
التاريخ سقطت بفعل عوامل خارجية واخرى داخلية .

العامل الخارجي :

فالدولة الفاطمية - مثلاً - سقطت على يد صلاح الدين الايوبي عام ١١٧١م ،
ودولة الادارسة في المغرب انتهت عام ٣٠٥ على يد هرون الرشيد .^(١)
والدولة الحمدانية انتهت بوفاة سعيد الدولة الحمداني سنة ١٠٠٣م ، فانقضَّ
الفاطميون على حلب ودخلوها فاتحين ، لتزول بذلك الدولة الحمدانية في الشام ،
بعد أن كانت قد زالت في الموصل قبلاً وعادت إلى كنف الدولة العباسية .^(٢)
ودولة ال بويه التي دامت حتى عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥ وسقطت على ايدي
السلجقة^(٣) .

العامل الداخلي :

لكننا نستطيع أن نكتشف الى جانب العامل الخارجي ، عاملاً داخلياً
لسقوط تلك الدول ، هذا العامل الداخلي هو عدم امتلاكها المرجعية الدينية التي
تمثل الضمانة المعنوية لديمومتها .

(١) الإدريسي - ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة

(٢) راجع ابن الأثير الجزري ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ؛ تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضي
(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) . الكامل في التاريخ ، الجزء السابع (الطبعة الأولى) . بيروت - لبنان : دار الكتب
العلمية . صفحة ٤٢ . . (المحقق)

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٦٣/٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٤ . محمود والشريف : العالم الإسلامي في العصر
العباسي ص ٥١٢ . د/ طقوش : تاريخ الدولة العباسية ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ . . (المحقق)

فقد قامت هذه الدول على اساس ديني واندفاع مذهبي وطلباً لحق أهل البيت عليهم السلام، لكنها افتقدت الزعامة الدينية في مراحل متأخرة من حياتها، وبذا تكون قد فقدت أقوى عامل في الدفاع عن ديمومة وجودها مما أدى الى تراجعها وسقوطها أمام العدوان الخارجي .

اتجاهان للشيعة :

الشيعة في زمن الغيبة الصغرى اتجهوا الى بنائين :

١- البناء السياسي :

وقد سار بهذا الاتجاه اكثر القواعد الشعبية الموالية لأهل البيت عليهم السلام، وتزعم هذا الاتجاه بالدرجة الاولى الفرقة الزيدية^(١)، والاسماعيلية^(٢)، حيث قاموا بثورات تهدف لاسقاط الحكم العباسي واستلام الحكم من قبل الشيعة أنفسهم .

(١) الزيدية إحدى الفرق الشيعية المعروفة وهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين عليهم السلام . وكذا زيد بن علي بن الحسين وإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد . والجدير أن أئمتهم في مصادرهم الأولية يقولون بإمامة علي بن الحسين السجاد . إلا أن بعض العلماء المعاصرين ، من فضلاء الزيدية حاول صرف هذا المعتقد عن صريح لفظه المتخصص عليه في المصادر القديمة للعقيدة الزيدية ، إلى أن علي بن الحسين عليه السلام من دعاة الأئمة ولا يعد في عداد الأئمة . ويعود ظهور الزيدية الى بدايات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بعد أن انشقت من الجسد الشيعي الأم . وتشكل الزيدية اليوم ما يقرب الـ ٤٥ بالمئة من سكان اليمن . (المحقق)

(٢) الإسماعيلية ، هي إحدى الفرق الشيعية الثلاث (الإمامية ، الزيدية والإسماعيلية) ، والتي اعتقدت بإمامة إسماعيل بن جعفر أو ابنه محمد بعد الإمام الصادق عليه السلام ، وقد تمكنت هذه الفرقة من المحافظة على بقائها عبر القرون الماضية ، بل وقد لعبت قياداتها أدواراً سياسية مهمة في التاريخ السياسي للأمة الإسلامية ، وتعتبر الفرقة الإسماعيلية ثاني أكبر جماعة شيعية بعد الإمامية ، من جهة عدد الأتباع . كما وأنه عبر القرون الماضية من نشأة هذه الفرقة ، وقعت انقسامات كثيرة بين أتباع هذه الفرقة ، فصاروا فرقاً وجماعات ، منهم « الواقعة الإسماعيلية والدروز ، والمستعلية ، ولعل أهم الاسباب الواضحة ، والتي ساعدت وكرست هذا الإنقسام ، هو النزاع الذي حصل بينهم على الملك والحكم ، بعد أن تمكنوا من إقامة عدّة حكومات في تونس ومصر وسورية واليمن وغيرها من الأوطان الإسلامية . . (المحقق)

٢- البناء الفكري والاجتماعي :

وقد سار بهذا الاتجاه النخبة من الشيعة الاثنا عشرية ، وقد كان هذا الاتجاه ومايزال يؤمن بان المسار السياسي الصحيح هو الذي يحدده (الامام المعصوم) أو نائبه المطلق ، ومن هنا لم يشارك هؤلاء في الثورات التي قادها الزيدية والاسماعيلية رغم الايمان بمشروعيتها كما سيأتي ، وذلك لان سفراء الامام عليه السلام لم يوجهوهم بهذا الاتجاه ، هذا الاتجاه هو الذي تبنته الفرقة الامامية الاثنا عشرية ، وتدعى بـ (الامامية) لاصرارها على أخذ الموقف من الامام المعصوم ، فالنخبة من الشيعة الامامية في فترة الغيبة الصغرى كان مهمتهم المحافظة على الامام والامامة كما حفظ المذهب فكريا وشعبيا .

الدعاء في زمن الغيبة :

ولاجل اهمية الامامة نجد الإمام الصادق عليه السلام يعلم شيعته الدعاء في زمن الغيبة :

(اللهم عرفني نفسك فانك ان لم تعرفني نفسك لم اعرف رسولك ، الله عرفني رسولك فانك ان لم تعرفني رسولك لم اعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فانك ان لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)^(١) .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٣ - الصفحة ١٨٧ (إكمال الدين : أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال : حدثنا أبو علي بن همام بهذا الدعاء وذكر أن الشيخ قدس الله روحه أملاه عليه ، وأمره أن يدعوه به ، وهو الدعاء في غيبة القائم عليه السلام :

اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك ، اللهم عرفني رسولك ، فإنك إن لم تعرفني رسولك ، لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ، ضللت عن ديني . اللهم لا تمتني ميتة جاهلية ، ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني ، اللهم فكما هديتني بولاية من فرضت طاعته علي من ولاة أمرك بعد رسولك ، صلواتك عليه وآله ، حتى واليت ولاة أمرك أمير المؤمنين ، والحسن والحسين ، وعلياً ومحمداً وجعفرًا وموسى وعلياً ومحمداً وعلياً والحسن والحجة القائم المهدي صلواتك عليهم أجمعين اللهم فثبتني على

رأي أهل البيت عليهم السلام في الاتجاهين :

والسؤال الآن : ماهو رأي أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذين الاتجاهين ؟

تشير لنا الدلائل الفقهية والتاريخية ان أهل البيت عليهم السلام وجهوا الخواص من الشيعة الى تبني الاتجاه الثاني وهو (البناء الفكري) ، فيما سحوا للقواعد العريضة للشيعة والموالية لأهل البيت عليهم السلام بشكل عام أن يتجهوا بالاتجاه الاول .

يفسر لنا ذلك ترحم أهل البيت عليهم السلام على (المختار الثقفي)^(١) ، وعلى (زيد بن علي عليه السلام)^(٢) .

وبكاؤهم على الثوار الحسينيين مثل محمد النفس الزكية^(٣) ، وإبراهيم^(١) ،

دينك ، واستعلمني بطاعتك ، ولين قلبي لولي أمرك وعافني مما امتحنت به خلقك ، وثبتني على طاعة ولي أمرك الذي سترته عن خلقك فإذ ذلك غاب عن برتك ، وأمرك ينتظر) . (المحقق)

(١) المختار بن أبي عبيد الثقفي قائد إحدى الثورات الشيعية ضد الأمويين بعد واقعة عاشوراء . كان من قبيلة ثقيف ، اشترك في شبابه هو وأبوه وأخوته في معركة الجسر . وحينما قدم مسلم بن عقيل الكوفة حلّ ضيفاً في بيته ، وكان أثناء استشهاده الإمام الحسين عليه السلام في سجن عبيد الله بن زياد ، كما اشتهر المختار بأخذ السار لدم الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام . وقد اختلفت كلمة الباحثين والمؤرخين حول الغاية من ثورة المختار ونسبه والمذهب الذي ينتمي إليه ، حيث ذهب البعض إلى القول بأن ثورته كانت عن إذن من الإمام زين العابدين عليه السلام . قُتل المختار سنة ٦٧ هـ على يد مصعب بن الزبير بعد أن أقام حكومته في الكوفة ثمانية عشر شهراً . يقع قبره جنب مسجد الكوفة ، ويؤمّه الكثير من الزوار طيلة أيام السنة . . (المحقق)

(٢) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، ويلقب بزيد الشهيد ، ولد في المدينة المنورة ، واستشهد في الكوفة ، وهو ابن الإمام زين العابدين عليه السلام ، ومن أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهم السلام وتنسب الفرق الزيدية نفسها إليه كإمام لهم وقدة مذهبهم . ثار زيد بوجه هشام بن عبد الملك ، وخرج إلى الكوفة إبان إمارة يوسف بن عمر ، فلما دخل الكوفة اجتمع اليه أهلها فلم يزلوا به حتى بايعوه على الحرب ، ثم نقضوا بيعته ، وتركوه في المعركة فقتل ، وصُلب بينهم . يُعد كتاب المجموع في الفقه والحديث من أهم آثاره ، وكان أحد القراء وصاحب قراءة خاصة . لم يعتقد بالتقية على ما هو ظاهر وتبرأ من المخالفين للشيخين . دعا الناس إلى العمل بالكتاب والسنة ورد المظالم والعدل في تقسيم الحقوق الشرعية . . (المحقق)

(٣) محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط الهاشمي القرشي ، ولد بالمدينة سنة ١٠٠ هـ ولما بويع لبني العباس ، اختفى محمد وأخوه إبراهيم مدة خلافة أبي العباس السفاح ، فلما صارت الخلافة إلى

وقول الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن الحسن أبو محمد وإبراهيم : (ياعم ان كنت غضبت لله فنحن لانتركك)^(٢)

وقبل ذلك كلمة الامام زين العابدين عليه السلام حينما ارسل له المختار وفداً يستأذن في الثورة ، ورفع الامرالى عمه محمد بن الحنفية فقال له :

(ياعم لو ان عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت عليه السلام لوجب على الناس مؤازرته)^(٣) .

أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً ، وذلك لأنه توهم منهما أن يخرجاه عليه ، والذي خاف منه وقع فيه ، ولما خافا منه هربا ، فصارا إلى اليمن ، ثم سارا إلى الهند ، ثم تحولوا إلى المدينة فاخفيا بها . ثم خرجا عليه من سوق المدينة (سوقة التائرة) ، وجد المنصور في طلبهما ، فخرج أخوه إبراهيم إلى البصرة ، وقتل اما محمد النفس الزكية ، فخرج بالمدينة فكان من أبي جعفر المنصور أن كتب إليه وراسله وحاووه محمد النفس الزكية ولم يتوصلا إلى حل سلمي فندب لحربه المنصور ابن عمه عيسى بن موسى بن محمد العباسي ، فأقبل عيسى حتى أتاه على المدينة ، وكتب إلى كبراء اهلها يستميلهم ويمنيهم ، ففرق عن النفس الزكية الكثير وبقي معه القليل ، وكان الإمامان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس من انصاره . خرج محمد النفس الزكية ومن معه فقاتلوا قتالاً شديداً ، حتى قتل عند أحجار الزيت موضع قرب المدينة على يد جيش أبي جعفر المنصور ، واحتزوا رأسه ، وكان مقتله لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ١٤٥ هـ ، وقبر بالقيع . (المحقق)

(١) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أحد الأمراء الشجعان ، من رواة الحديث النبوي الشريف حيث روى عنه فضيل بن مرزوق يذكر اسم إبراهيم بن عبد الله في الغالب مقترنا باسم أخيه الإمام محمد النفس الزكية ويعود هذا الإقتران لمشاركتهم في المحنة والثورة على الحكم العباسي ، ولذلك يتكرر في المصادر الإسلامية بشكل ملحوظ ذكرهما معا عند الكلام في الخروج على أبي جعفر . كان كذلك شاعرا وعالما بأخبار العرب بأيامهم وأشعارهم ، وكما ساند الإمام أبو حنيفة النعمان الإمام زيد بن علي زين العابدين في محنة هذا الأخير السياسية وثورته على الحكم الأموي ، أزر أيضا إبراهيم بن عبد الله في ثورته على حكم بني العباس حيث أرسل إليه أبو حنيفة الأمير إبراهيم بن عبد الله أربعة آلاف درهم لم يكن عنده حينذاك غيرها ، ويحكى عن أبي حنيفة أن غزوة مع إبراهيم بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة ، وقبل ذلك كان أبو حنيفة النعمان قد أجرى اتصالات علمية مع عبد الله والد إبراهيم ومحمد النفس الزكية (المحقق)

(٢) إقبال ص ٤٩

(٣) مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي التمازي الشاهرودي - ج ٧ - الصفحة ٢٥١ (وفي حديث مجي محمد بن

ومثل ذلك قول الامام الباقر عليه السلام:

(لا تسبوا المختار فانه قتل قتلنا ، وطلب بئارنا ، وزوج اراملنا ، وقسم فينا المال بعد العسرة) .^(١)

ومثل ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام في الثورات الشيعية وهو يخاطب الخوارج من شيعته :

(كفوا السنتكم والزموا بيوتكم فانه لا يصيبكم أمر تخصّون به أبداً ، ولا تزال الزيدية وقاءاً لكم ابداً)^(٢)

هذه النصوص تكشف أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بعد الامام الحسين عليه السلام وان لم يقوموا بالثورة ضد الحكام الا انهم لم يمنعوا المواليين من الاشتراك في ثورات تهدف للإطاحة بحكم الظالمين .

المحافظة على سرية العلاقة :

قليل للمعتضد العباسي ان هناك من يدعي انه نائب الامام المهدي عليه السلام ،

الحقبة مع جماعة إلى مولانا علي بن الحسين صلوات الله عليه يستأذنونهم لطلب الثار قال : يا عم لو أن عبدا زنجيا تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس موازرتة ، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت . فخرجوا وصار الجماعة إلى المختار) (المحقق)

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٥ - الصفحة ٣٥١ (وروي عن الأصمعي بن نباته أنه قال : رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول : يا كيس يا كيس فسمي كيسان وإليه عزي الكيسانية كما عزي الواقعة إلى موسى بن جعفر عليه السلام والإسماعيلية إلى أخيه إسماعيل وغيرهم من الفرق وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : لا تسبوا المختار ، فإنه قتل قتلنا وطلب ثأرنا ، وزوج أراملنا ، وقسم فينا المال على العسرة) (المحقق)

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - الصفحة ١٣٩ (عن جعفر بن محمد بن مالك ، عن محمد بن أحمد عن ابن أسباط ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : كفوا ألسنتكم والزموا بيوتكم فإنه لا يصيبكم أمر تخصّون به أبداً ، ولا يصيب العامة ، ولا تزال الزيدية وقاءاً لكم أبداً) (المحقق)

فوضع خطة بإرسال كمية من المال بيد أحد أعوانه السريين وقال له ادخل في صفوف الشيعة وقل لهم عندي مال للامام المهدي عليه السلام واعرف أخبارهم في ذلك .

فجاء الرجل للحسين بن روح وهو السفير الثالث للامام المهدي عليه السلام ، وعرض له المال فنفى الحسين بن روح علاقته بالموضوع ، وقال له :

غلطت أنا لا أعرف شيئاً من هذا الأمر ، وهكذا حافظ الشيعة على سرية العلاقة مع الامام المهدي عليه السلام^(١) .

وفي رواية أخرى قيل لـ (ابو سهل النوبختي) وهو من كبار فقهاء الشيعة في هذه الفترة وكان معاصراً للحسين بن روح السفير الثالث للامام المهدي عليه السلام : لماذا لا تكون انت نائباً عن الامام المهدي عليه السلام ؟

فقال : انني منفتح على الناس من خلال بحوثي ومحاضراتي فاذا ضغط علي الحكام بالتعذيب سوف اعترف بينما الحسين بن روح ليس له تلك المخالطة العامة مع الناس^(٢) .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣١٠ (الحسين بن الحسن العلوي قال : كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له : هو ذا يجبي الأموال وله وكلاء ، وسما جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير فهم الوزير بالقبض عليهم ، فقال السلطان اطلبوا أين هذا الرجل فان هذا أمر غليظ فقال : عبيد الله بن سليمان نقبض على الوكلاء فقال السلطان : لا ولكن دسوا لهم قوما لا يعرفون بالأموال فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه . قال : فخرج بأن يتقدم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر فاندس بمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به فقال : معي مال أريد أن أوصله فقال له محمد : غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً فلم يزل يتلطفه ومحمد يتجاهل عليه ، وبثوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدم إليهم .) (المحقق)

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣٥٩ (قال ابن نوح : وسمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أن أبا سهل النوبختي سئل فقيل له : كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك فقال : هم أعلم وما اختار ، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطني الحجة لعلي كنت أدل على مكانه ، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه (المحقق)

وكان الحسين بن روح يقول : (لئن أخرج من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحب إلي من أقول في دين الله برأيي ؛ ومن عند نفسي ، بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجة)^(١) .

فضح المرجعيات الكاذبة :

في هذه الفترة بالذات ظهرت مجموعة من المرجعيات الكاذبة الذين ادعوا النيابة عن الامام المهدي عليه السلام كذباً وزوراً ، وكان على النواب الاربعة وفقهاء الشيعة في هذه المرحلة ان يفضحوا هذه المرجعيات الكاذبة أمام الراي العام كما سنرى .

وقد ذكر المؤرخون مجموعة من هؤلاء مثل :

(١) (الشريعي)

كان من أصحاب الامام أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام ، ثم الحسن بن علي العسكري عليه السلام بعده وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه ، ولم يكن أهلاً له ، وكذب على الله وعلى حججه عليه السلام ونسب إليهم ما لا يليق بهم ، وما هم منه براء ، فلعننه الشيعة ، وتبرأت منه وخرج توقيع الامام بلعنه والبراءة منه .^(٢)

(١) الغيبة للطوسي : ١٩٩ .

(٢) قال السيد الخوئي في معجم الرجال ٦ : ١٧٩ . : (الحسن الشيعي (السريعي) : قال الشيخ في كتاب الغيبة في ذكر المذمومين الذين ادعوا البائية ، لعنهم الله : أخبرنا جماعة عن أبي محمد التلعكبري ، عن أبي علي محمد بن همام ، قال : كان الشيعي يُكنى أبا محمد ، قال هارون : وأظن اسمه كان الحسن ، وكان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي بعده عليه السلام ، وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه ، ولم يكن أهلاً له ، وكذب على الله وعلى حججه عليه السلام ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم ، وما هم منه براء ، فلعننته الشيعة ، وتبرأت منه ، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه .

(٢) (محمد بن نصير النميري)^(١)

كان من أصحاب الامام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام فلما توفي أبو محمد العسكري عليه السلام ادعى البائية ، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الالحاد والجهل ، ولعنه أبو جعفر محمد بن عثمان - الوكيل الثاني للامام المهدي عليه السلام وتبرأ منه ، وكان ذلك الامر بعد الشريعي .

قال أبو طالب الأنباري : لما ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر رضي الله عنه وتبرأ منه فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه فلم يأذن له وحجبه ورده خائباً .

(٣) (أحمد بن هلال الكرخي)

كان أحمد بن هلال من أصحاب الامام أبي محمد العسكري عليه السلام ، فاجتمعت الشيعة على وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان عليه السلام بنص الامام الحسن العسكري عليه السلام في حياته ولما مضى الحسن عليه السلام قالت الشيعة له : ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الامام المفترض الطاعة فقال

قال هارون : ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد .

وقال الطبرسي في الاحتجاج في أواخره ، في ما خرج عن صاحب الزمان عليه السلام ردّاً على الغلاة من التوقيع : روى أصحابنا أن أبا محمد الحسن السريعي كان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي عليه السلام ، وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه من قبل صاحب الزمان عليه السلام ، وكذب على الله وحججه عليه السلام ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء ، ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد (المحقق)

(١) الفرقة النصيرية ، فرقة نشأت بعد استشهاد الإمام الهادي عليه السلام وتعتبر من غلاة الشيعة أو من الباطنية حسب ما ذكرت المصادر التاريخية ، تنتهج تأليه أئمة أهل البيت عليه السلام . في اعتقادها ، وقد ظهرت الكثير من الأقوال في نسبتها . وقد يدعون بالعلويين .

أصحاب معاجم الرجال والملل والنحل المتقدمين أرجعوا سبب تسمية هذه الفرقة إلى محمد بن نصير وقد اختلف في كنيته وأصله ، فيما شكك المتأخرون في كون هذه التسمية تعود له باعتباره كان أحد أصحاب الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليه السلام (المحقق)

لهم : لم أسمعهم ينص عليه بالوكالة ، وليس أنكر أباه يعني عثمان بن سعيد فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه ، فقالوا : قد سمعته غيرك ، فقال : أنتم وما سمعتم ، ووقف على أبي جعفر فلعنوه وتبرؤا منه .

ثم ظهر التوقيع من الامام المهدي عليه السلام على يد الوكيل الثاني محمد بن عثمان العمري عليه السلام بلعنه والبراءة منه ، حيث قال عليه السلام :

(ونحن نبأ إلى الله تعالى من ابن هلال - لا رحمه الله - وممن لا يبرأ منه فأعلم الإسحاقي ، وأهل بلده مما أعلمناك من حال هذا الفاجر ، وجميع من كان سالك ، ويسألك عنه)^(١) .

(٤) أبو طاهر محمد بن علي بن بلال :

وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري نضر الله وجهه وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للامام وامتناعه من تسليمها وادعاؤه أنه الوكيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه وخرج من صاحب الزمان عليه السلام لعنه والبراءة منه .

(٥) الحسين بن منصور الحلاج

وقد ادعى أنه الوكيل عن الامام المهدي عليه السلام وكتب بذلك رسالة الى أحد فقهاء الشيعة الكبار في هذه الفترة وهو (ابو سهل النوبختي) بقول فيها :

(اني وكيل صاحب الزمان وقد أمرت بمكاتبتك وبذل النصرة لك فلا ترتاب بهذا الامر) .

وهو يريد بذلك ان يخدع ابا سهل ليكون من أنصاره ، لكن أبا سهل لم

(١) حياة الإمام المهدي عليه السلام - الشيخ باقر شريف القرشي - ج ١ - الصفحة ١٣١

تنطل عليه هذه الخدعة فكتب اليه جواباً يقول فيه اني شيخ قد كبرت وايضت لحيتي فان استطعت ان تعيد لها السواد ساكون من أنصارك !!!

وبهذه الطريقة جعل الحلاج موضع سخرية الشيعة .^(١)

وينقل المؤرخون مثل هذه القصة عن الشيخ الصدوق عليه السلام وهو من فقهاء الشيعة في الغيبة الصغرى والذي كان معاصراً للحلاج حيث طرده من قم فلم يعد اليها^(٢) .

(١) أخبرنا الحسين بن إبراهيم ، عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح ، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال : لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه ، وقع له أن أبا سهل ابن إسماعيل بن علي النوبختي رضي الله عنه ممن تجوز عليه مخرقته ، وتتم عليه حيلته ، فوجه إليه يستدعيه ، وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الامر بفرط جهله ، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق ويتصوف باتقياده على غيره ، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهجة على الضعفة ، لقدراً أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضاً عندهم ، ويقول له في مراسلته إياه : إني وكيل صاحب الزمان عليه السلام وبهذا أولاً كان يستجر (الجهال) ثم يعلو منه إلى غيره وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك ، لتقوى نفسك ، ولا ترتاب بهذا الامر .

فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول لك : إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين ، وهو أنني رجل أحب الجوّاري وأصوب إليهن ولي منهن عدة أتخطاهن والشيب يبعثني عنهن وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك وإلا انكشف أمرى عندهن ، فصار القرب بعدا والوصال هجراً ، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته ، وتجعل لحيتي سوداء ، فإنني طوع يديك وصائر إليك ، وقائل بقولك ، وداع إلى مذهبك ، مع مالي في ذلك من البصيرة ، ولك من المعونة .

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته و جهل في الخروج إليه بمذهبه وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولا وصيره أبو سهل رضي الله عنه أحدىة وضحكة ويطنز به عند كل أحد ، وشهر أمره عند الصغير والكبير ، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتفجير الجماعة عنه . (المحقق)

(٢) وأخبرني جماعة عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أن ابن الحلاج صار إلى قم وكاتب قرابة أبي الحسن (والد الصدوق) يستدعيه ويستدعي أبا الحسن أيضاً ويقول : أنا رسول الامام ووكيله ، قال : فلما وقعت المكاتبة في يد أبي رضي الله عنه خرقها وقال لموصلها إليه : ما أفرغك للجهالات ؟ فقال له الرجل وأظن أنه قال : إنه ابن عمته أو ابن عمه فان الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبتيه وضحكوا منه

(٦) ابن أبي العزاقر الشلمغاني :

وقد كان من كبار الرواة لحديث أهل البيت عليهم السلام ، لكنه انحرف بعد ذلك فخرج التوقيع من الامام المهدي عليه السلام بلعنه والبراءة منه .^(١)

وهزؤوا به ، ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلماؤه .
قال : فلما دخل إلى الدار التي كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالسا غير رجل رآه جالسا في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبي فلما جلس و أخرج حسابه ودواته كما تكون التجار أقبل على بعض من كان حاضرا فسأله عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه فأقبل عليه وقال له : تسأل عني وأنا حاضر فقال له أبي : أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك .
فقال له : تحرق رقعتي وأنا أشاهدك تحرقها .
فقال له أبي : فأنت الرجل إذا .
ثم قال : يا غلام برجله ويقفاه فخرج من الدار العدو لله ولرسوله ثم قال له : أتدعي المعجزات ؟ عليك لعنة الله ، أو كما قال ، فاخرج يقفاه فما رأيناه بعدها بقم . (المحقق)
(١) أخبرني الحسين بن إبراهيم ، عن أحمد بن علي بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري رضي الله عنه قال : حدثني الكبيرة أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري رضي الله عنها قالت : كان أبو جعفر ابن أبي العزاقر وجيها عند بني بسطام ، وذاك أن الشيخ أبا القاسم رضي الله عنه وأرضاه كان قد جعل له عند الناس منزلة وجاها فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه ، حتى انكشف ذلك لأبي القاسم فأنكره وأعظمه ونهى بني بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا وأقاموا على توليه .
وذاك أنه كان يقول لهم : إنني أذعت السر وقد اخذ علي الكتمان فعوقبت بالابعاد بعد الاختصاص لان الامر عظيم لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن ممتحن ، فيؤكد في نفوسهم عظم الامر وجلالته .
فبلغ ذلك أبا القاسم رضي الله عنه فكتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه و ممن تابعه على قوله ، وأقام على توليه ، فلما وصل إليهم أظهروه على فبكى بكاء عظيما ثم قال : إن لهذا القول باطنا عظيما وهو أن اللعنة الابعاد ، فمعنى قوله :
لعنة الله أي باعده الله عن العذاب والنار ، والآن قد عرفت منزلي ومرغ خديه على التراب وقال : عليكم بالكتمان لهذا الامر .
قالت الكبيرة رضي الله عنها : وقد كنت أخبرت الشيخ أبا القاسم أن أم أبي جعفر بن بسطام قالت لي يوما وقد دخلنا إليها فاستقبلتني وأعظمتني وزادت في إعظامي حتى انكبت على رجلي تقبلها فأنكرت ذلك وقلت لها : مهلا يا ستي (١) فان هذا أمر عظيم ، وانكبت على يدها فبكت .

حيث كتب عليه الحسين بن روح :

(إن محمد بن علي المعروف بالشلمغاني - وهو ممن عجل الله له النعمة ولا أمهله - قد ارتد عن الإسلام وفارقه ، وألحد في دين الله ، وادّعى ما كفر معه بالخالق جلّ وتعالى وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً ، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خساراً ميبيناً . وإننا قد برئنا إلى الله

ثم قالت : كيف لا أفعل بك هذا وأنت مولاتي فاطمة ؟

فقلت لها : وكيف ذاك يا ستي ؟

فقلت لي : إن الشيخ يعني أبا جعفر محمد بن علي خرج إلينا بالستر .

قلت : فقلت لها : وما الستر ؟

قلت : قد اخذ علينا كتماناً وأفزع إن أنا أذعته عوقبت .

قلت : وأعطيتها موثقاً أني لا أكشفه لاحد واعتقدت في نفسي الاستثناء بالشيخ رضي الله عنه يعني أبا القاسم الحسين بن روح .

قلت : إن الشيخ أبا جعفر قال لنا : إن روح رسول الله ﷺ انتقلت إلى أبيك يعني أبا جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه ، وروح أمير المؤمنين علي عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ، وروح مولاتنا فاطمة عليها السلام انتقلت إليك فكيف لا أعظمك يا ستننا .

فقلت لها : مهلاً لا تفعلني فان هذا كذب يا ستننا .

فقلت لي : سر عظيم وقد اخذ علينا أن لا نكشف هذا لاحد فإله الله في لا يحل بي العذاب وبيا ستي لولا حملتني على كشفه ما كشفته لك ولا لاحد غيرك .

قلت الكبيرة أم كلثوم رضي الله عنها : فلما انصرفت من عندها دخلت إلى الشيخ أبي القاسم بن روح رضي الله عنه فأخبرته بالقصة وكان يثق بي ويركن إلى قولي فقال لي : يا بنية إياك أن تمضي إلى هذه المرأة بعد ما جرى منها ، ولا تقبلي لها رقعة إن كاتبتك ، ولا رسولاً إن أنفذته إليك ، ولا تلقاها بعد قولها فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعل طريفاً أن يقول لهم : بأن الله تعالى اتحد به ، وحل فيه ، كما تقول النصارى في المسيح عليه السلام ويعدو إلى قول الحلاج لعنه الله .

قلت : فهجرت بني بسطام ، وتركت المضي إليهم ولم أقبل لهم عذراً ولا لقيت أهمهم بعدها ، وشاع في بني نوحخت الحديث فلم يبق أحد إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه ومن يتولاه ورضي بقوله أو كلمه فضلاً عن موالاته .

ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان عليه السلام بلعن أبي جعفر محمد بن علي والبراءة منه ومن تابعه وشايعه ورضي بقوله ، وأقام على توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع . (بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣٦٧)

تعالى وإلى رسوله وآله - صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم - منه ولعنائه ، عليه لعائن الله تترى في الظاهر منا والباطن في السر والجهر ، وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه وبايعه أو بلغه هذا القول منا وأقام على توليه بعده . وأعلمهم - تولّاكم الله - أنا من التوقي والمحاذرة منه على ما كنّا عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشيعي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم وعادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة وبه نتق وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل ^(١) .

حكمة النواب الاربعة :

لقد استطاع النواب الاربعة من خلال الحكمة العالية في التحرك ان يحافظوا على وجودهم رغم علاقتهم المباشرة بالامام المنتظر عليه السلام ، وعلاقتهم بالقواعد الشيعية الى مستوى ان الحسين بن روح كان موضع ثقة الخليفة العباسي المقتدر بالله ، بينما تعرض السفراء الكذابون الى القتل على يد السلطة .

فقد قتل الرازي العباسي الشلغماني ، بينما قتل المقتدر العباسي الحلاج ^(٢)

معرفة الامام عليه السلام والارتباط به :

لقد كانت معرفة الامام عليه السلام والارتباط به ، وأخذ الموقف الشرعي منه هي القضية المحورية لدى النخبة من الشيعة في هذه المرحلة ، وهو ما علم به أهل البيت عليهم السلام شيعتهم .

(١) الطبرسي ، الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٤٧٥-٤٧٤ ؛ الطوسي ، الغيبة ، ص ٤١٠ .

(٢) ، ولما شاعت منكراته ، رُفِع أمره إلى المقتدر العباسي ، فدفعه إلى مدير شرطته ليضربه ألف سوط ، فإن مات وإلاّ فيضربه ألف سوط حتّى يموت ، وإن لم يمت يضرب عنقه ، ويقطع يديه ورجليه ، ويحزّ رأسه ، ويحرق جثته ، وينصب رأسه على الجسر ، ففعل به ذلك في سنة (٣٠٩ هـ) (المحقق)

الإمام الصادق عليه السلام يقول لصاحبه :

(ستصيبكم شبهة فتبتقون بلا علم يرى ولا امام هدى لا ينجو منها الا من دعا بدعاء الغريق .

فقليل له : ما هو دعاء الغريق .

قال : تقول (يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)^(١)
ورواية اخرى عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها لاحد تلامذته الكبار وهو
زرارة :

اذا ادركتم زمن الغيبة واصبحت الفتن ماذا تقول ؟

قال : ماذا اقول ؟

قال له : قل هذا الدعاء :

(اللهم عرفني نفسك فانك ان لم تعرفني نفسك لم اعرف رسولك ، اللهم
عرفني رسولك فانك ان لم تعرفني رسولك لم اعرف حجتك ، اللهم عرفني
حجتك فانك ان لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني) .^(٢)

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ١٨١ (عن عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :

ستصيبكم شبهة فتبتقون بلا علم يرى ، ولا إمام هدى ، ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق .

قلت : كيف دعاء الغريق ؟

قال : يقول : يا الله ، يا رحمن يا رحيم ، يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك .

فقلت : يا الله يا رحمن يا رحيم ، يا مقلب القلوب والابصار ، ثبت قلبي على دينك

قال : إن الله عز وجل مقلب القلوب والابصار ، ولكن قل كما أقول لك :

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٢ - الصفحة ٣٢٦ (إكمال الدين : العطار ، عن سعد ، عن ابن عيسى ،

عن خالد بن نجيح ، عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث ذكر فيه غيبة القائم عليه السلام قال زرارة : فقلت :

جعلت فداك فان أدركت ذلك الزمان فأني شئ أعمل ؟ قال : يا زرارة إن أدركت ذلك الزمان فالزم هذا الدعاء "

اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم

وجاء في دعاء الندبة وهو الدعاء الذي يستحب قراءته في كل جمعة لتربية الشيعة على الارتباط بامامهم ظاهراً كان أو غائباً :

(لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى ، بَلْ أَيْ أَرْضُ تُقْلُكَ أَوْ ثَرَى ،
أَبْرَضُوا أَوْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طَوَى ، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُثَرَى وَلَا أَسْمَعَ
لَكَ حَسِيساً وَلَا نَجْوَى ، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِي الْبُلْوَى وَلَا يَنَالِكَ
مَنِّي صَاحِبٌ وَلَا شَكْوَى ، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُعَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا ، بِنَفْسِي أَنْتَ
مِنْ نَارٍ مَا نَزَحَ عَنَّا ، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمِّيَّةٌ شَائِقٌ يَتَمَتَّى ، مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ
ذَكَرَا فَحَنَّا)^(١) .

هكذا علمنا ائمتنا عليهم السلام الدعاء في زمن الغيبة أدب الارتباط بصاحب الزمان عليه السلام ونوابه .

والامام الهادي عليه السلام يقول :

(لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين اليه والدالين عليه والذابين

عن دينه بحجج الله لما بقي احد الا ارتد عن دين الله)^(٢) .

أعرف حجتك اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)

(١) مقطع من دعاء الندبة (ورد هذا الدعاء في (المزار الكبير) ل محمد بن المشهدي ، وقال هناك : « الدعاء الندبة » ، قال محمد بن أبي قرة : نقلت من كتاب أبي جعفر محمد بن الحسين بن سفيان الزوفري (رضي الله عنه) وذكر فيه انه لصاحب الزمان عليه السلام ويستحب أن يدعى به في الأعياد الأربعة . وقد استفاد أصحابنا من عبارة ابن المشهدي أن الدعاء صادر من صاحب الزمان عليه السلام .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ - الصفحة ٦ (عن أبي محمد عليه السلام قال : قال علي بن محمد عليه السلام : لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه ، والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكون أزرمة قلوب ضعفاء الشيعة ، كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل .)
(المحقق)

المحافظة على وجود الامام عليه السلام :

وهنا يرد سؤال هل نجحت قضية التعتيم على وجود الامام صاحب الزمان عليه السلام بحيث ضاع على الحكم العباسي كما تقول الروايات .

نعم ، هذا هو ما يظهر من الدلائل التاريخية ، كما جاء في كلام الحسين بن روح - الوكيل الثالث للامام عليه السلام - حين نهى عن تسمية الامام باسمه قائلاً :

(فان الامر عند السلطان أن أبا محمد عليه السلام مضى ولم يخلف ولدا وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له . وصبر على ذلك ، وهو ذا عياله يجولون وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً ، وإذا وقع الاسم وقع الطلب فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك)^(١) .

ولكن هنا نظرية اخرى تقول :

(ان هنالك ثلاثة من الخلفاء العباسيين كان لهم ميل وانفتاح على الشيعة ويعلمون أن الامام صاحب الزمان موجود وحي وهم المقتدر والراضي والمعتضد)^(٢) .

وعلى كل حال فان النظرية المعروفة تقول انه امكن التعتيم المطلق على قضية الامام صاحب الزمان عليه السلام واخفاء اثره على الحكام من أجل عدم ملاحقته .

جهود الفقهاء في حفظ التراث الفقهي :

لقد جهد الفقهاء في هذه الفترة على حفظ التراث الشيعي واحاديث أهل البيت عليه السلام من الضياع ، فبعد ان كانت مبنوثة في مئات الكتب والمؤلفات حاول

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣٤٨

(٢) راجع كتاب الغيبة الصغرى للسيد محمد محمد صادق الصدر .

فقهاء هذه الفترة جمعها في موسوعات حديثة كبرى كما صنعه الشيخ الصدوق والشيخ الكليني .

ويعتبر هذا العمل في غاية الأهمية ولولا تلك الجهود لم يصل إلينا فقه أهل البيت عليه السلام بشكل مسند وصحيح .

قصة ممثل الفاتكان :

وهنا انقل لكم قصة ممثل الفاتكان قبل ثمانين عاما اسمه (انستانس كرملي)^(١) اي أنه ممثل المرجعية العليا المسيحية للعالم في بغداد فقد التقى في الكاظمية

باحد مراجع النجف الاشرف وهو شهاب الدين المرعشي النجفي^(٢) ، حينما

(١) بطرس جبرائيل يوسف عواد والمعروف بالأب أنستاس الكرملي رجل دين مسيحي ، ولغوي ، عراقي لبناني ، وهو سليل أب لبناني وأم بغدادية فأبوه يدعي جبرائيل يوسف عواد من إحدى قرى لبنان ، قدم والده بغداد سنة ١٨٥٠م وأقام بها ، وتزوج من فتاة بغدادية تسمى مريم ، وأنجب منها خمسة بنين وأربع بنات ، وكان بطرس الذي عرف بعد ذلك باسم أنستاس ماري الكرملي الرابع بين أولاده . وضع كتاباً مهمة وأبحاثاً جديدة عن اللغة العربية . كان يرى في الخروج على اللغة العربية خطأ لا يمكن قبوله أو التساهل فيه . وساهم في عملية التعريب ، وأصدر مجلتيين وجريدة . وتميزت مجلة لغة العرب التي أصدرها في عام ١٩١١م ، بأبحاثها الأدبية والتاريخية ، ومن أبرز المؤلفين والكتاب الذين كتبوا فيها الأستاذ مصطفى جواد ، والأستاذ محمد بهجة الأثري ، والمؤرخ عبد الحميد عبادة ، وهبة الدين الشهرستاني ، ويوسف رزق الله غنيمه ، وغيرهم من مفكري ومثقفين بغداد في تلك الفترة . (المحقق)

(٢) السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (١٣١٥ - ١٤١١ هـ) ، من مراجع التقليد في المدرسة الإمامية ، وحصل على درجة الاجتهاد في السابعة والعشرين من عمره . تصدّى لمقام المرجعية بعد رحيل آية الله البروجردي . من أبرز الخدمات الثقافية التي قدّمها قدس سره تأسيس المكتبة العامة المسماة باسمه والتي تحتوي على كم وافر من المخطوطات الإسلامية والكتب القيمة في شتى العلوم ، وهي تصدر قائمة المكتبات الإيرانية العامة ، وتقع في المرتبة الثالثة لأكبر المكتبات في العالم الإسلامي في هذا المجال ، إضافة الى هذا فقد قام بتأسيس مدارس علمية كالمرعشية والشهائية والمهدوية والمؤمنية ، فبذل جميع ما بوسعه في سبيل العلم والاحتفاظ بالتراث الإسلامي حتى أصبح غير مستطيع لأداء فريضة الحج . له الكثير من المؤلفات ، منها : تعليقات على كتاب إحقاق الحق ،

كان في طريق سفره الى ايران كما يرويها الحاج حسين الشاكري^(١) في كتابه ذكرياتي ، حيث يقول :

(في احدى زياراتي كنت مستانساً مع سماحته بحديث شيق وكان منشراحاً معي ، اذ دخل عليه العلامة المحقق السيد احمد الحسيني الاشكوري النجفي ، وتذاكرا حول بعض الكتب وذكر الالب (انستان الكرمل) أحد رهبان النصارى في بغداد ، والقاصد الرسولي أي سفير الفاتيكان في العراق وكان عالماً وأديباً ، فانبرى العلامة المرعشي النجفي لما جرى ذكره بالثناء على غزارة علمه وثقافته العالية ، واستطرد قائلاً : عندما وصلت مدينة الكاظمية بطريقي الى ايران قبل اكثر من ستين عاماً ، زارني (انستانس الكرمل) وجرى حديث شيق بيننا في شتى المواضيع ، منها انه قال (أي الكرمل) : ان لاسلامكم قواعد متينة ومتمصلة اتصالاً وثيقاً بصدر الاسلام ، خاصة أنتم الشيعة ولكنكم لاتعرفون قدرها وأهميتها .

مشجرات آل الرسول ، طبقات النساين وحاشية على عمدة الطالب . وكان قد تحمّل عناء السفر والترحال إلى بعض البلدان واللقاء بعلمائها لأجل تدوين بعض مؤلفاته . (المحقق)

(١) وجيهاً ومعتزلاً عند العلماء والمؤمنين ، وكان من الصلحاء الاخيار وقد عرف بالزهد والصلاح . درس المقدمات في النجف الاشرف ، ثم واصل دراسته في بغداد ، حتى حاز السبق ودخل الصف الثاني في كلية الحقوق ، ثم لظروف خاصة واشتغاله بالصناعة والتجارة مع إخوته ، ودّع الدرس إلى حين . استوطن بغداد سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م ثم هاجر إلى الكويت ولبنان سنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م لظروف خاصة ، ثم هاجر فاراً بدينه من زمرة عفلق وصدّام الكافر إلى ايران الإسلام ، مهاجراً إلى الله ورسوله ، واستوطن عش آل محمد مدينة قم المقدسة وحوزتها المباركة . اعتقل في سجون البعثين الطغاة مرتين ، لنضال وجهاده الدؤوبي من أجل توعية الشباب ، وكفالة عوائل الشهداء والسجناء ونشاطاته الدينية والاجتماعية ، وبعد الافراج عنه ، ترك كل مايملك من تجارة ضخمة وصناعة كبيرة وأملاك وأرصدة ، تركها بيد القدر ، اختياراً هرباً بدينه وحياته من بطش السلطات الظالمة والملحدة ، حيث حكمت عليه بالاعدام غيابياً ، وسجنت السلطات البعثية أولاده وهم الأستاذ فرات والأستاذ عارف في السجن عشر سنوات . وأخيراً أمّ شاطئ السلام في أرض الإسلام الجمهورية الإسلامية الايرانية سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م واستقر موطناً في قم المقدسة بجوار السيّدة الطاهرة المعصومة من آل محمد ، فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام . (المحقق)

قلت : ماهي ؟

قال : عدة جهات ورموز:

أولها: العتبات المقدسة عندكم ، بما فيها القباب والمآذن الذهبية ، فهي بمثابة (الساكن المتحرّك) . أقول : أي (قطب الرchy) ودائمة التذكير بالنبى ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﺒﺎﺭﻛﻪ .

ثانياً: تسلسل الحديث المعنعن حتى يتصل بالنبى ﷺ .

ثالثاً: ذكر الحسين ومنبره على مدى السنين والاعوام ، وفي كل لحظة يمكنكم عقد مجلس عزاء ، وذكر فضائل النبى وأهل بيته بدون تكلف أو مشقة ولامقدمة ، حتى أنه يمكن أن يعقد المجلس بشخصين أو ثلاثة .

رابعاً: السادات من ذرية النبى ﷺ وسلالته المتواجدين بين ظهرانيكم والمتصلون به وبمدرسة أهل البيت ، ونحن لانملك واحدة منها ، وكأننا منقطعون عن السيد المسيح انقطاعاً كلياً ، كما ان بقية المسلمين والمذاهب الاخرى لا يملكون كل هذه المميزات وربما يملكون البعض منه ^(١) .

هكذا نلاحظ أن جهود فقهاء الشيعة الفكرية في زمن الأئمة ﺍﻟﻤﺒﺎﺭﻛﻪ ، ثم زمن الغيبة الصغرى وما بعدها هي التي حفظت فقه المذهب ، وفكر المذهب ، من خلال المدونات الحديثية الكبرى والتي تتصل عبر سلسلة السند بالأئمة الاطهار ﺍﻟﻤﺒﺎﺭﻛﻪ .

وهنا يقول أحد كبار الفقه السني : انه لولا جهود علماء الشيعة وجمعهم للاحاديث لضاعت أكثر احاديث السنّة .

واجبات الشيعة في زمن الغيبة :

لدينا سؤال : ماهي واجبات الشيعة وتكليفهم في زمن غيبة الامام

(١) ذكرياتي في أعلام عاصرتهم / الحاج حسين الشاكري

المنتظر عليه السلام

العلامة الشيخ النوري^(١) أحد المحققين الكبار لديه كتاب (النجم الثاقب في احوال الحجة المنتظر الغائب)^(٢) تحقيق العلامة السيد ياسين الموسوي^(٣) في ثلاث مجلدات .

في الجزء الثالث منه يذكر مجموعة تكاليف للشيعة تجاه الامام المنتظر عليه السلام وهي :

- ١- أن يكون مهموماً له عليه السلام في أيام الغيبة والفراق ،
- ٢- انتظار فرج آل محمد عليه السلام في كلّ آن
- ٣- الدعاء لحفظ وجود امام العصر عليه السلام المبارك من شرّ شياطين الانس والجن
- ٤- التصّدق بما يتيسر في كلّ وقت لحفظ الوجود المبارك لإمام العصر عليه السلام
- ٥- الحج عن امام العصر عليه السلام والاستنابة بالحج عنه
- ٦- القيام تعظيماً لسمع اسمه المبارك عليه السلام ، وبالأخص إذا كان باسمه المبارك (القائم) عليه السلام

(١) الميرزا حسين بن محمد تقي بن علي محمد النوري الطبرسي (١٢٥٤ - ١٣٢٠ هـ) المعروف بالحدث النوري من أبرز محدثي الشيعة في القرن الرابع عشر . أكثر شهرة المحدث النوري تعود إلى تأليف كتاب مستدرک الوسائل . (المحقق)

(٢) نجم الثاقب در احوال امام غايب (عج) - تعريبه : النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب (عج) - كتاب باللغة الفارسية وهو يتحدث عن أحوال المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه . وشخصيته وإثبات إمامته ، وقصص الذين التقوا به ، وكذلك ما يجب على المؤمنين اتجاّاه في عصر الغيبة . وقد استفاد المحدث النوري في تأليف الكتاب - وبالتحديد باب المهدوية - من المصادر الشيعة فضلاً عن بعض المصادر السنية . (المحقق)

(٣) -ممثل المرجعية العليا المتمثلة بسماحة المرجع اية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله) ، عالم ديني ومؤلف ، امام وخطيب مسجد وحسينية علي بن ابي طالب عليه السلام في بغداد - منطقة السيدية (المحقق)

٧- التضرّع والمسألة من الله تبارك وتعالى لحفظ الايمان والدين من تطرق شبهات الشياطين وزنادقة المسلمين

٨- الاستمداد والاستعانة والاستنجاد والاستغاثة به ﷺ حين الشدائد والأحوال والبلايا والأمراض

العلامة النوري يذكر واجباتنا تجاه صاحب الزمان ﷺ ، ولكن هناك العديد من الواجبات الاسلامية خارج هذا الاطار لم يشر اليها العلامة النوري كصلة الرحم والصلاة والصوم والخمس ، وامثالها ، وذلك انه لم يكن يتحدث عن عموم الواجبات في الاسلام ، وانما يتحدث عن واجباتنا تجاه صاحب العصر ﷺ .

ويبقى سؤال هام وهو عن واجبنا في زمن الغيبة لمعرفة الحكم الشرعي والموقف السياسي ؟

هنا ائمتنا عليه السلام حددوا لنا التكليف وهو (اتباع العلماء) ، ومن هنا نستطيع ان نضيف اليكم واجبين آخرين في هذا العصر:

الواجب الاول / اتباع المرجعية الدينية :

بمعنى تقليد الفقهاء لاجل معرفة الحكم الشرعي في مجمل اعمالنا حتى لانبقى حائرين ، هنا اعطانا الامام المنتظر ﷺ ثلاثة احاديث في هذا الشأن :

الاول : قال ﷺ : (انظروا الى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فارضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله)^(١) .

(١) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١ - الصفحة ٣١٦ ، وكتاب وسائل الشيعة / كتاب القضاء / باب الرجوع الى رواية الاحاديث وصفات القاضي

الثاني : قال عليه السلام : (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله)^(١) .

الثالث : قال عليه السلام : (لا عذر لاحد من موالينا في التشكيك فيما يؤديه عنا ثقاتنا ، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرنا ، ونحمله إياه إليهم ، وعرفنا ما يكون من ذلك إنشاء الله)^(٢) .

الواجب الثاني / اتباع المرجعية السياسية :

وهناك شي آخر يسمى (المرجعية السياسية) حيث الامام عليه السلام يقول ان المرجعية السياسية هي أيضاً للفقهاء كما هي المرجعية الدينيّة .

(اذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله)^(٣) ، وهذا هو معنى المرجعية السياسية . .

وعلى هذا الاساس يكون من اهم واجباتنا في زمن الغيبة الارتباط بالفقهاء دينيا وسياسيا

ماذا أنجز الشيعة في هذه الفترة ؟

عدة منجزات حققها الشيعة في هذه الفترة القاسية والصعبة جداً ، لكن أبطال الشيعة لم يشتهم كل ذلك عن تحقيق منجزات كبرى نستطيع أن نجملها بما يلي :

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - الصفحة ٢٨٣ ، وكتاب وسائل الشيعة / كتاب القضاء / باب الرجوع الى رواة الاحاديث وصفات القاضي

(٢) اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - ج ٢ - الصفحة ٨١٦ ، وكتاب وسائل الشيعة / كتاب القضاء / باب الرجوع الى رواة الاحاديث وصفات القاضي

(٣) كتاب وسائل الشيعة / كتاب القضاء / باب الرجوع الى رواة الاحاديث وصفات القاضي

المنجز الاول : سلب الشرعية عن الحكم العباسي :

حيث الحكم العباسي لبس لباس الدين باضافة الله الى اسماءهم وكان دور الشيعة هنا سلب الشرعية وديمومة الروح الثورية لكشف الفساد واقامة الحكم الشرعي وارجاع الحقوق وقد نجحوا باقامة الدولة الحمدانية في حلب والادارسة في المغرب وال بويه في العراق ، وغيرها كما عرضنا موجزاً عن ذلك في فصل سابق .

وبخصوص قضية (الشرعية) للسلطان الحاكم يختلف الشيعة عن أهل السنة الذين يقولون أن كل من تسلط على الحكم فله حق الطاعة علينا ويجب على المسلمين اطاعته .

أما نظرية (أهل البيت) فان الامامة الشرعية هي للامام العادل الذي يعبر عن الدين وفق المقاييس الشرعية ، وهو ما قاله الامام الحسين عليه السلام : (ما امام الا العالم بالكتاب ، الدائن بالحق ، القائم بالقسط ، الحابس نفسه في ذات الله) . وماتزال هذه القضية الى عصرنا هذا أحد الافتراقات المهمة في المسار السياسي بين الشيعة والسنة .

المنجز الثاني : ترسيخ الثقافة المهدوية :

ان من اهم الاعتقادات عندنا هي قضية (الامام المهدي عليه السلام) فثقافتنا المهدوية تقول ان هناك إمام منتظرون نحن نستلهم منه العزيمة على اقامة الحكم العادل ، وهذه هي ثقافتنا المهدوية .

هذه القضية كانت خطرة عند بني العباس وحاولوا بشتى الطرق ازالته هذه الثقافة من الناس .

ولكن الشيعة استطاعوا ترسيخ الثقافة المهدوية في الامة الاسلامية عموما

وليس الشيعة فقط .

ومن هنا فقد اضحى كبار علماء السنة يعتقدون بنفس ثقافتنا المهدوية وكتاب (النجم الثاقب) يذكر في الفصل الثاني منه عشرين عالماً من كبار علماء السنة الذين يقولون في الامام المهدي عليه السلام وغيبته بنفس مقالة الشيعة ، نذكر منهم :

الاول : أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد القرشي النصيبي - من علماء القرن السابع الهجري -^(١) في كتاب (مطالب السؤول)^(٢) في (الباب الثاني عشر) فانه اعتقد بهذا المطلب جازماً وأصرّ مبالغاً .

الثاني : ابو عبد الله محمد الكنجي الشافعي^(٣) في القرن السابع الهجري .

الثالث : شمس الدين ابو المظفر من علماء القرن الخامس الهجري^(٤)

(١) كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة بن محمد القرشي العدوي النصيبي الشافعي (٥٨٢ هـ - ٦٥٢ هـ) . رجل

دين مسلم سني شافعي المذهب ، له من الآثار : « مطالب السؤول في مناقب آل الرسول » . (المحقق)

(٢) ألف ابن طلحة كتابه هذا في مدينة حلب في أخريات حياته ، و فرغ منه في ١٧ رجب (سنة ٦٥٠ هـ) ، أي قبل وفاته بستين ، فقد توفي في ٢٧ رجب (سنة ٦٥٢) . وما إن تم تأليفه إلّا و انتشرت نسخة ، و أقبل عليه الناس ، و اعتمده أعلام عصره ، و تناقلته الأيدي ، حتى وصل منه نسخة إلى بغداد ، في مكتبة معاصره السيد رضي الدين علي بن طائوس الحلبي المتوفى (سنة ٦٦٤) ، من أشهر أعلام الشيعة في عصره ، صاحب المؤلفات القيّمة ، و المكانة المرموقة في العهدين العباسي و المغولي ، و ينقل عنه في كتبه و هو مذكور في فهرس مكتبته المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي برقم (٤١٧) . كما و اعتمده معاصره الآخر بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي ، المتوفى (سنة ٦٩٢) ، في كتابه كشف الغمة . (المحقق)

(٣) هو : أبو عبدالله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي المقتول سنة ٦٥٨ ، بسبب روايته أخبار مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وسط جامع دمشق ، وكان حافظاً للحديث ، راوية للأخبار ، مطلعاً في العلوم ، وقد اعترف بمقامه العلمي مترجموه ذاكرين السبب في مقتله متبحرين بذلك ، أنظر حوادث السنة المذكورة من تاريخ ابن كثير والنجوم الزاهرة وغيرهما من المصادر . (المحقق)

(٤) أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الأيسوردي (~٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م - ٢٥ ربيع الأول ٥٠٧ هـ / ١١ أغسطس ١١١٣ م) هو كاتب وشاعر وأديب عربي عاش في القرن الخامس الهجري . (المحقق)

الرابع: الشيخ محمد بن الصباغ المالكي، من علماء القرن الرابع الهجري^(١)

الخامس: الشيخ الأديب أبو محمد، من علماء القرن الخامس الهجري^(٢)

السادس: محي الدين بن عربي^(٣)، من علماء القرن السادس الهجري، وآخرون.

وقد احصى علماؤنا مجموعة من علماء السنة الذين يعتقدون ان الامام المهدي هو ابن الامام العسكري، وهو الان حي غائب وسيخرج فيحكم العالم. ومعنى ذلك ان الشيعة نجحوا في ترسيخ الثقافة المهدوية في العالم الاسلامي.

المنجز الثالث: المحافظة على نقاء الفكر الاسلامي:

واكتفي هنا باستعراض قصة الشيخ المفيد^(٤) مع استاذة:

(١) هو عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر أبن الصباغ البغدادي، أبو نصر، ابن الصباغ فقيه شافعي كان فقيه العراقيين في وقته (المحقق)

(٢) الإمام العلامة أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي، الصنهاجي الأشيري، نسبة إلى أشير وهي قلعة لبني حماد ملوك إفريقية، بالجنوب الشرقي من ولاية المدية ببلدية الكاف الأخضر ناحية شلالة العذاورة في سفح جبل التيطري والتي كانت عاصمة التيطري قبل تأسيس مدينة المدية. (المحقق)

(٣) محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بمحيي الدين بن عربي، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين "بالشيخ الأكبر"، ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام ٥٥٨ هـ الموافق ١١٦٤م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني. وتوفي في دمشق عام ٦٣٨ هـ الموافق ١٢٤٠م. ودفن في سفح جبل قاسيون. وهو عالم روحاني من علماء المسلمين الأندلسيين، وشاعر وفيلسوف، أصبحت أعماله ذات شأن كبير حتى خارج العالم العربي. تزيد مؤلفاته عن ٨٠٠، لكن لم يبق منها سوى ١٠٠. كما غدت تعاليمه في مجال علم الكون ذات أهمية كبيرة في عدة أجزاء من العالم الإسلامي لقبه أتباعه ومريدوه من الصوفية بألقاب عديدة، منها: الشيخ الأكبر، ورئيس المكاشفين، البحر الزاخر، بحر الحقائق، إمام المحققين، محيي الدين، سلطان العارفين. (المحقق)

(٤) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير البغدادي العكبري، كنيته أبو

(إن أستاذة ، أبا ياسر غلام أبي الجيش قال له : لم لا تقرّ على علي بن عيسى الرماني الكلام - علوم العقيدة - وتستفيد منه ؟

فقال له : ما أعرفه ولا لي به أنس ، فأرسل معي من يدلني عليه .

قال ففعل ذلك وأرسل معي من أوصلني إليه ، فدخلت عليه والمجلس غاص بأهله ، وقعدت حيث انتهى بي المجلس ، فلما خفّ الناس قربت منه ، فدخل إليه داخل فقال : بالباب إنسان يؤثر الحضور بمجلسك وهو من أهل البصرة .

فقال : أهو من أهل العلم ؟

فقال غلامه : لا أعلم إلا أنه يؤثر الحضور بمجلسك . فأذن له . فدخل عليه فأكرمه فطال الحديث بينهما ، فقال الرجل لعلي بن عيسى : ما تقول في الغدير والغار ؟

فقال أمّا خبر الغار فدراية وأمّا خبر الغدير فرواية ، والرواية لا توجب ما توجب الدراية . قال : فأنصرف البصري ولم يجد جواباً يورد إليه .

قال المفيد فتقدمت فقلت : أيها الشيخ مسألة

فقال : هات مسألتك .

قلت : ما تقول فيمن قاتل الإمام العادل ؟

فقال : يكون كافراً ، ثم استدرك

عبد الله ، واشتهر بالشيخ المفيد بعد أن عرف بـ ابن المعلم فيما سبق ، فوالده كان معلماً في واسط . وقد ذكر أن أستاذة علي بن عيسى الرماني هو من أطلق عليه لقب ولد الشيخ المفيد في قرية سوقية ابن بصري التابعة لـ عكبري شمال بغداد في اليوم الحادي عشر من ذي القعدة كما روى ابن النديم (ص ١٩٧ ط اوروبا) سنة ٣٣٨ هـ . وذهب النجاشي إلى أن ولادته كانت سنة ٣٣٦ هـ . وتوفي ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة ٤١٣ هـ ، وصلى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان الذي ضاق على الناس رغم سعته ، ولم يُرَ يوم أكبر منه لشدة زحام الناس للصلاة عليه ، ومن كثرة بكاء المؤلف والمخالف ، ودفن في داره سنين ، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد أبي جعفر عليه السلام . فاستناداً لهذين الرأيين يتردد عمره بين ٧٥ و ٧٧ عاماً . (المحقق)

فقال : فاسقاً .

فقلت : ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ؟

فقال : أمام .

قلت : فما تقول في يوم الجمل وطلحة والزبير ؟

قال : تابا .

قلت : أما خبر الجمل فدراية وأما خبر التوبة فرواية .

فقال لي : أكنت حاضراً وقد سألتني البصري ؟

فقلت : نعم . قال : رواية برواية ودراية بدراية !

فقال : بمن تُعرف وعلى من تقرأ ؟

قلت : أعرف بابن المعلم وأقرأ على الشيخ أبي عبد الله الجعل .

فقال : موضعك ؛ ودخل منزله وخرج ومعه رقعة قد كتبها وألصقها

وقال لي : أوصل هذه الرقعة إلى أبي عبد الله .

فجئت بها إليه فقرأها ولم يزل يضحك هو ونفسه .

ثم قال لي : أي شيء جرى لك في مجلسه ، فقد وصاني بك ولقبك

المفيد . ؟

فذكرت له المجلس بقصته فتبسم^(١)

هذه القصة تعبر عن نموذج من جهود فقهاء الشيعة في المحافظة على نقاء

الفكر الاسلامي .

تقول الرواية أن الشيخ المفيد رأى في المنام أن الزهراء اتت له ومعها الحسن

والحسين وطلبت منه ان يدرسهما .

فافاق من النوم مستغربا وفي الصباح جاءت له امرأة علوية معها صغيرين من

(١) سفينة البحار نقلاً عن تنبيه الخواطر .

السادة احدهما الشريف الرضي^(١) والاخ المرتضى^(٢) وطلبت منه تدريسهم وهما الان من كبار العلماء والفقهاء احدهم جمع نهج البلاغة^(٣) وقد شرحه عالم كبير من علماء السنة وهو الشيخ محمد عبده^(٤) وهذا هو دور شيعة اهل البيت في ترسيخ

(١) محمد بن الحسين بن موسى (٣٥٩ هـ - ٤٠٦ هـ) المعروف بالسيد الرضي ، من كبار علماء الشيعة ، ومن أكبر شعراء الطالبين في عصره ، وهو جامع خطب الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة . وقد اشتهرت أشعاره في واقعة الطف أيضاً . وقد اشتهر بالزهد والتقوى وكمال النفس وجمال الخلق ، وكان مبجلاً لدى العام والخاص . وقد توفي في بغداد . ومزاره مشهور في ناحية الكرخ من بغداد يزوره الجميع . (المحقق)

(٢) علي بن الحسين بن موسى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) المعروف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى ، سند الشيعة و نقيب الطالبين في بغداد وأمير الحاج والمظالم بعد أخيه السيد الرضي ، وكان منصب أبهم قبل ذلك . وهو فقيه ومن متكلمي الإمامية ومرجعهم بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد . وكان متعمقاً في علم الكلام والمناظرة في كل مذهب . وتشمل سعة تخصصه العلمي في الفقه والأصول والأدب واللغة والتفسير والتاريخ والتراجم ، وله شعر في الطف أيضاً . (المحقق)

(٣) نهج البلاغة ؛ هو مجموعة مختارة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله ، التي جمعها السيد الرضي أواخر القرن الهجري الرابع . وقد تجسدت البلاغة في هذا الكتاب إلى الحد الذي جعل السيد الرضي يتباهى ، ويفتخر بإنجازها هذا ، رغم كونه أديباً وشاعراً قديراً قداماً تراثاً جماً يكفيه فخراً ورفعة ؛ لذلك تراه يكتب في مقدمته على كتاب نهج البلاغة السبب لتأليفه هذا الكتاب قائلاً : " فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدثرة والفضائل الجمّة وأنه انفراد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فأما كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل " . لقد أثرت بلاغة الإمام علي عليه السلام على الكثير من أكابر الأدباء العرب كالمحافظ ، وعبد الحميد ، وابن نباتة . وكان المحافظ قد جمع مائة كلمة قصيرة من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يجمع السيد الرضي نهج البلاغة ، وعمد إلى شرح هذه الباقية من الكلمات باحثون كبار كرشيد الوطواط ، وابن ميثم البحراني . وذكر المحافظ كذلك عدّة خطب من خطب أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه « البيان والتبيان » . ولم تخل آثار أكابر الأدب الفارسي من التأثير بكلام أمير المؤمنين عليه السلام . (المحقق)

(٤) محمد عبده (١٢٦٦ هـ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ م - ١٩٠٥ م) عالم دين وفقيه ومجدد إسلامي مصري ، يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي ، ساهم بعد التقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري وإعادة إحياء الأمة الإسلامية لتواكب متطلبات العصر . (المحقق)

الثقافة الإسلامية الصحيحة والمحافظة عليها .

منهجان فكريان :

في زمن الغيبة الصغرى كان هناك منهجان فكريان لدى علماء الشيعة :

الاول : المنهج الروائي .

الثاني : المنهج التحليلي .

المنهج الروائي معناه جمع الروايات دون الدخول في تحليلها ونقدها علمياً وهذا هو منهج الشيخ الصدوق والكليني وغيرهما في هذه الفترة ، بينما جاء الشيخ المفيد بعدهما بالمنهج التحليلي فقد كان هو المؤسس لهذا المنهج ، وهون يعني اخضاع الروايات للنقد والتحليل .

لذا نجد أن الشيخ الصدوق له كتاب (الاعتقادات)^(١) ، بينما جاء الشيخ المفيد وناقشه بكتاب آخر أسماه (تصحيح الاعتقادات)^(٢) .

(١) الاعتقادات هو كتاب أو رسالة ألفها المحدث والفقير الشيعي محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المعروف عند الشيعة بلقب الشيخ الصدوق ، وتحمل هذه الرسالة ما يراه الصدوق من الاعتقادات الحقّة لدى الشيعة الإمامية . وقد كتب هذه الرسالة في نيسابور في مجلس يوم الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ٣٦٨ هـ لما سأله المشايخ الحاضرون أن يعلّي عليهم وصف دين الإمامية على وجه الإيجاز ولذا سمّاه المفيد في الفهرس بدين الإمامية ذكر فيه جميع اعتقادات الفرقة الناجية - وفقاً لرؤيته وعقيدته - الضرورية منها وغير الضرورية الوفاقية منها وغير الوفاقية . وقال في آخره : وسأملّي شرح ذلك وتفسيره إذا سهل الله عز اسمه على العود من مقصدي إلى نيسابور ، ولم يُذكر شرح له في فهرس تصانيفه الكثيرة ، ولعله لم يتيسر له ، ولذا عمد المفيد إلى شرح الكتاب .

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية أو تصحيح الاعتقاد ، كتاب ألفه الشيخ المفيد (توفي ٤١٣ هـ) في شرح ونقد كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق ، ويحتوي على مجموعة من عقائد الإمامية . لم يكف الشيخ المفيد في إثبات العقائد بالآيات والروايات كما فعل الشيخ الصدوق ، بل استعان بالأدلة العقلية أيضاً ، ومن هنا تبتني أكثر ملاحظاته - على أستاذه "الصدوق" - على التدقيقات العقلية . من المسائل المطروحة في هذا الكتاب : البدء ، والسؤال في القبر ، والقضاء والقدر ومعنى العرش ، والرجعة ، وكيفية نزول الوحي .

في زماننا المعاصر يوجد هذان المنهجان أيضاً ، فعلمائنا قسم يتخصص في هذا المنهج والاخر بذلك المنهج ، ولاشك ان كلا المنهجين ضروري ، او احدهما مكمل للاخر وليس بينهما تعارض وتضاد .

لماذا لم يظهر صاحب الزمان (عجل الله فرجه) ؟

وهنا سؤال يطرح نفسه ، وهو مع وجود هذه الدول العديدة للشيعة في فترة الغيبة الصغرى ، مثل الدولة الحمدانية ، والعلوية ، والفاطمية ، والادارية ، فلماذا لم يظهر صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه) هناك ؟

وهناك كاتب مستشرق وهو (دونالدسون) يفترض أن عدم ظهور صاحب الزمان (عجل الله فرجه) في أيام الشدة على الشيعة ، ولا في أيام الرخاء دليل على عدم وجوده .^(١)

هنا يوجد جوابان :

الجواب التحليلي : يقول ان ظهور صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه) الذي يقيم الدولة العالمية يحتاج الى الشروط الموضوعية لظهوره وانتصاره ، ومن جملة تلك الشروط ان يصل العالم الى يأس من الحضارات المعاصرة بحيث يصبح كل العالم يطلب التغيير ويتنظر اليه الغيبة التي تخلصه ويصبح جاهزاً لظهور المصلح العالمي .

هذا الكلام هو ما يذكره الشهيد الصدر^(٢) في كتابه (بحث حول

يوجد للكتاب نسخ عديدة ، منها النسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في إيران ، ومنها النسخة المحفوظة في مكتبة حرم الإمام الرضا (عجل الله فرجه) . وطبع هذا الكتاب عدة مرات ، وكذلك تُرجم إلى اللغة الفارسية (المحقق)

(١) كتاب (عقيدة الشيعة) دونالدستن

(٢) السيد محمد باقر الصدر ، فقيه ومفسر ، ومفكر شيعي ، وقائد عراقي . درس العلوم الدينية عند كبار علماء الحوزة

المهدي (.

وربما لا توجد لدينا شواهد على ذلك وانما هو مجرد تحليل وفرضية .

الجواب الغيبي : ولعله هو الاقرب الى التصديق وهو أن ظهوره ﷺ كغيبته سر من أسرار الغيب لانعلمه .

ونحن ليس بمقدورنا ان نعلم كل اسرار الغيب وليس من الضروري ان تكون رابطة السماء بالارض رابطة مكشوفة لدينا بشكل مطلق ، فغيبة الامام المنتظر ﷺ وظهوره هي قضية الهية غيبية لانعلم سرّها .

هناك في الثقافة الدينية أسرار غيبية مثل نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان وليس بالضروري ان نكتشف اسرار كل عقيدة من عقائدنا .

لذا نقرأ في دعاء السمات^(١) : (اَللّٰهُمَّ بِحَقِّ هَذَا الدُّعَاءِ ، وَبِحَقِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ تَاوِيلُهَا وَلَا تَفْسِيرُهَا وَلَا يَعْلَمُ ظَاهِرُهَا وَلَا بَاطِنُهَا غَيْرُكَ) .

ومثال ذلك أيضاً (نظرية الرجعة)^(٢) عند الشيعة ، حيث يعود الى الحياة

العلمية في النجف من أمثال السيد الخوئي ، والشيخ محمد رضا آل ياسين . واستطاع أن يصل إلى مرتبة الاجتهاد في سنين مبكرة ، وبدأ بتدريس العلوم الدينية في حوزة النجف . وقد كان مؤلفاً في مجالات مختلفة ، فضلاً عن تدريسه للعلوم الإسلامية ؛ كالإقتصاد الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، وتفسير القرآن ، والفقه ، وأصول الفقه ، إضافة لكتابه في نظرية المعرفة وهو الأسس المنطقية للاستقراء . (المحقق)

(١) دعاء السمات ، ويسمى أيضاً (دعاء الشبور) كما قال الكفعمي ، وهو دعاء عظيم المنزل ، يقرأه الشيعة في آخر ساعة من يوم الجمعة ، وهم في تعظيم هذا الدعاء مستند ودليل ، ومنه : رواية الإمام الباقر ﷺ أنه فيه الاسم الأعظم ، وقد قام عدة من الأعلام بشرح هذا الدعاء لما له من الأهمية والمكانة . وفي فضل هذا الدعاء يقول الامام الصادق ﷺ : هذا هو من عميق مكنون العلم ومخزون المسائل المجابة عند الله عز وجل . فاشفعوا به واكتموه إلا من أهله ، وليس من أهله السفهاء والصبيان والنساء ولا المنافقون ، وهم الظالمون حقاً ، فلا تدفعوه ، فإنه من سرّ الله المخزون وعلمه المكنون .

(٢) الرجعة ، بمعنى رجوع بعض الأنبياء والأئمة ﷺ وثلة من المؤمنين وغيرهم إلى الدنيا بعد قيام دولة المهدي . وقد فسرها البعض برجوع دولة الحق لا رجوع الأموات إلى الدنيا وهو تفسير لا يقول به مشهور الامامية . وتُعد

الصالحون والطغاة في آخر الزمان ، وهي قضية غيبية لانعرف سرّها وفلسفتها .
القران يقول في صفات الممتقين : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ^(١) ، اذن لابد من الايمان بالغيب والاعتقاد بما جاء في
الوحي الالهي وان لم نعرف أسرارهِ .

وبذا نقول في الجواب على سؤال لماذا لم يظهر صاحب الزمان ؟
انه سرّ من الاسرار الالهية وعالم من عالم الغيب مما لانعلم أسرارهِ .
ولعل رسالة الامام المنتظر عليه السلام للشيخ المفيد فيها دلالة على ذلك حيث يقول
فيها : (فان أمرنا بغتة فجأة) .
ومن الجدير هنا الاشارة الى بعض العلامات التي جاءت الاشارة اليها في
كثير من الاحاديث الشريفة مثل (خروج السفيناني) و (خسف بالبيداء) ،
و (خروج الدجال) ^(٢) .

إحدى معتقدات الشيعة الإمامية ومن مسلماتها الثابتة بحسب المشهور ، ولكنها ليست من ضرورات المذهب
الشيوعي ، بمعنى أن منكرها لا يخرج من التشيع ، كما أنها ليست بمرتبة ضرورات الدين .
وقد انفرد الشيعة الإمامية من دون المذاهب الإسلامية الأخرى في القول بالرجعة ، واستدلوا عليها من القرآن
والسنة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وأهل بيته عليهم السلام ، فضلاً على ذلك فإن هذه الفكرة موجودة في بعض
روايات وأخبار أهل السنة أيضاً . (المحقق)
(١) سورة البقرة الآية ٢ ، ٣

(٢) الإرشاد : ٢ / ٣٦٨ . روضة الواعظين : ٢٦٢ ، وتاج المواليد / ٧٠ ، والمستجد / ٢٥٣ ، والضرط المستقيم : ٢ :
٢٤٨ . قال الشيخ المفيد رحمته الله في كتاب الإرشاد : هناك علامات قبل قيام القائم المهدي عليه السلام وحوادث تكون أمام
قيامه ، وآيات ودلالات : فمنها : خروج السفيناني ، وقتل الحسيني واختلاف بني العباس في الملك الدنيوي ،
وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان ، وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات ، وخسف بالبيداء ،
وخسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر ، وطلوعها من
المغرب ، وقتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين ، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام وهدم سور
الكوفة) (المحقق)

ومن جملة تلك الامور التي تسبق ظهوره المبارك هو قيام الدولة الموطنة ، ولعل الجمهورية الاسلامية الايرانية تمثل تلك الدولة الموطنة^(١) .

وحيث ذكرنا رسالة الامام عليه السلام للشيخ المفيد ، كان من المفيد ان نقف عند هذه الرسائل .

رسائل الشيخ المفيد :

الشيخ المفيد تلقى ثلاث رسائل من الامام المنتظر عليه السلام وقد ضاعت واحدة منها .

الرسالة الاولى :

يقول فيها عليه السلام :

(للأخ السديد والولي الرشيد ، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان . أدام الله إعزازه . من مستودع العهد المأخوذ على العباد

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ؛ سلام عليك أيها الولي المخلص في الدين ، المخصوص فينا باليقين ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين ، ونُعلمك . أدام الله توفيقك لنصرة الحق وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق . أنه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة ، وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك ، أعزهم الله بطاعته وكفاهم المهمة برعايته لهم وحراسته .

فقف . أيديك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه . على ما أذكره ، واعمل

(١) الموطئون هم الاشخاص الذين يكون لهم دور مهم في تهديد الارضية لظهور ونصرة الامام المهدي عليه السلام (المحقق)

في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله :

نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أَرَانَاهُ اللهُ تعالى لنا من الصلاح ولشييعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاستقين ، فإننا نحيط علماً بأنبائكم ، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

إننا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم الأواء واصطلمكم الأعداء ، فاتقوا الله جلّ جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم ، يهلك فيها من حمّ أجله ، ويحمى عنها من أدرك أمله ، وهي أماراة لأزوف حركتنا ، ومباءتكم بأمرنا ونهينا ، والله متمّ نوره ولو كره المشركون .

فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبّتنا ، ويتجنّب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا ، فإنّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة ، والله يلهمكم الرشد ويلطف لكم في التوفيق برحمته (١) .

هذه الرسالة فيها عدة مداليل :

المدلول الاول : علمه ﷺ بأحوال شييعته ومايجري عليهم .

المدلول الثاني : دعاؤه لشييعته وعنايته بهم .

المدلول الثالث : ان هذا الدعاء وهذه الرعاية هي التي حفظت الشيعة من الفناء والاستئصال .

المدلول الرابع : ان ظهوره ﷺ سيكون بشكل مفاجيء للعالم .

المدلول الخامس : وصيته لشييعته أن يعملوا ما يقرب من محبتهم ، ويجتنبوا ما يوجب سخطهم .

الرسالة الثانية :

يقول فيها عليه السلام :

(من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحق ودليله

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليك أيها الناصر للحق ، الداعي إليه بكلمة الصدق ، فإننا نحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو إلهنا وإله آبائنا الأولين ، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطاهرين .

ونحن نعهد إليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين . أيديكم الله بنصره الذي أيد به السلف من أوليائنا الصالحين . أنه من اتقى ربه من إخوانك في الدين ، وأخرج مما عليه إلى مستحقه ، كان آمناً من الفتنة المبطلية ومحناً المظلمة المضلة ، ومن بخل منهم بما أعاره الله من نعمته على من أمره بصلته ، فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرته .

ولو أن أشياءنا . وفقهم الله لطاعته . على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ؛ لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم . والله المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلاته على سيدنا البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم)^(١)

مداليل الرسالة الثانية :

- (١) التوصية بتقوى الله تعالى .
- (٢) اخراج الحقوق الشرعية في الاموال .
- (٣) الدعوة لاجتماع القلوب .
- (٤) ان وحدة الكلمة سبب في قرب الفرج واللقاء به ﷺ .

نماذج من توقيع الامام ﷺ :

كان للامام المنتظر ﷺ حضور جزئي ومن خلال النواب الاربعة عبر الرسائل والتوقيع التي تصدر منه .

لقد صدر له ﷺ عدة توقيع منها :

(١) توقيع (لاتزوروا مقابر قريش) ، حيث ورد في الرواية :

عن علي بن محمد قال : خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحائر- وكان مرقدا الامامين الكاظم والجواد ﷺ في مقابر قريش ، وكان الشيعة يزورون مقابر قريش لزيارة الامامين الجوادين ﷺ .

فلما كان بعد أشهر أمر الخليفة العباسي أن يتفقد كل من زار مقابر قريش فيقبض عليه ^(١) .

ومن هنا ومن اجل المحافظة على الشيعة خرج التوقيع من الامام ﷺ بالنهي عن زيارة مقابر قريش .

(٢) و (دعا لاحدهم بالولد) حيث ورد في الرواية :

(اجتمع علي بن الحسين بن بابويه مع أبي القاسم الحسين بن روح وسأله

(١) بحار الأنوار ص ٣١٢ ج ٥١ باب ١٥- ما ظهر من معجزاته ﷺ .

مسائل ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود يسأله أن يوصل له رقعة إلى صاحب - صاحب الزمان (عليه السلام) - ويسأله فيها الولد فكتب له (عليه السلام):

قد دعونا الله لك بذلك و سترزق ولدين ذكرين خيرين . فولد له أبو جعفر وأبو عبد الله من أم ولد وكان أبو عبد الحسين بن عبيد الله يقول : سمعت أبا جعفر يقول : أنا ولدت بدعوة صاحب الامر (عليه السلام) ويفتخر بذلك (١) .

(٢) وتوقيع (بعدم استلام الحقوق الشرعية المالية لفترة) ، حيث ورد في الرواية عن الحسين بن الحسن العلوي قال :

ان المعتضد العباسي أمر بدس الجواسيس بين صفوف الشيعة ليعرفوا من هم وكلاء الامام من خلال تقديم الحقوق الشرعية لهم لايصالها الى الامام (عليه السلام) .

فخرج التوقيع من الامام (عليه السلام) ان يمتنعوا عن أخذ الحقوق الشرعية (٢) .

(٤) ويعلم شيعته بعض الادعية ، وصدرت له توقيعات في امور اخرى يذكرها العلامة المجلسي في البحار ، كما عرضها الشهيد السيد محمد صادق الصدر في كتابه الغيبة الصغرى .

(٥) وتوقيع اخر:

عن سعد عن محمد بن صالح قال :

(وتزوجت بامرأة سرا فلما وطئتها علقت وجاءت بابنة فاغتممت وضاق صدري فكتبت أشكو ذلك فوراً : ستكفاهها ، فعاشت أربع سنين ثم ماتت فوراً " الله ذو أناة وأنتم تستعجلون

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣٠٦

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٣١٠

(٦) وتوقيع بلعن الهلالي :

قال الراوي : ولما ورد نعي ابن هلال لعنه الله جاءني الشيخ فقال لي : أخرج الكيس الذي عندك فأخرجته فأخرج إلى رقعة فيها : وأما ما ذكرت من أمر الصوفي المتصنع يعني الهلالي بتر الله عمره . ثم خرج من بعد موته " قد قصدنا فصبرنا عليه فبتر الله عمره بدعوتنا " (١) .

(٧) وتوقيع آخر بشأن توثيق النائب الاول والثاني :

قال : وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد الحسن بن علي عن مثل ذلك فقال له : العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤديان وما قال لك فعني يقولان فاسمع . لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان .

(٨) وصدرت توقيعات أخرى بلعن فيهما مدعي النيابة كذباً :

(وكان أيضا من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخي وقد كان من قبل في عداد أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام ثم تغير عما كان عليه وأنكر نيابة أبي جعفر محمد بن عثمان ، فخرج التوقيع بلعنه من قبل صاحب الامر وبالبراءة منه في جملة من لعن وتبرأ منه .

وكذلك كان أبو طاهر محمد بن علي بن بلال : والحسين بن منصور الحلاج ومحمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر لعنهم الله ، فخرج التوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعا على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح نسخته :

كل هذه التوقيعات صدرت منه عليه السلام من اجل الحذر والحيطه وتحسين وكلاءه من الاعتقال ، أو قضاء حاجات لشييعته .

اين الامام من المهام الاخرى :

وهنا ياتي السؤال :

اذن لماذا لم يتدخل في الامور الاسلامية الكبرى . مثل الثورات الكبيرة التي قادها الشيعة وانتصرت ونجحت في تأسيس دولة ؟ أو غيرها من الامور السياسية الهامة ؟

أليس هي جديرة باهتمام الامام عليه السلام وتقديم وصاياه لهم ؟

لكننا لم نشهد من الامام عليه السلام كلمة واحدة في تلك الشؤون !!

هناك عدة اجابات :

الجواب الاول : ان الامام عليه السلام معرض عن المسار السياسي باجمعه لانحرافه ، ولكن هذا الجواب غير مقنع ، لان انحراف المسار لايسمح بالانسحاب المطلق ولو من أجل التصحيح والترشيد ، خاصة وان كثيراً من الحراك السياسي كان يقوده رجال من أهل البيت عليه السلام وشيعتهم .

الجواب الثاني : أن الامام يتدخل حسب الاذن الالهي ففي رسالته للشيخ المفيد يقول فيها : (انه قد اذن لنا بمكاتبتك) ، وقد نعرف من ذلك انه لم يصدر للامام عليه السلام الاذن بالتدخل في تلك الامور الكبرى .

وهذا الجواب : أيضاً يمكن التوقف في قبوله لعدم وجود الشاهد عليه .

الجواب الثالث : أن الامام عليه السلام يريد أن يقوم بعملية ترشيد الامة الذاتي حيث الامة هي التي تختبر نفسها وتمارس تجاربها السياسية الى ان تنضج ، وهذه هي سياسة (الترشيح الذاتي) التي تدعو الامام عليه السلام لعدم التدخل في حراك الامة . . وهذا الجواب جواب قابل للقبول .

الجواب الرابع : الاكتفاء برسم الخطوط العريضة لشييعته مثل (الارتباط بالفقهاء) و (التزام التقوى) و (العمل بما يقرب من محبتهم) و (توحيد الكلمة) .

كما قرأنا ذلك في رسائل الامام عليه السلام السابقة حيث يقول عليه السلام :

(١) (ارجعوا فيها الى رواية حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله)^(١)

(٢) (فاعينونا على انتياشكم) .

(٣) (فليعمل كل امرئ منكم بما يقربه من محبتنا)^(٢) .

(٤) (ولوان شيعتنا على اجتماع من القلوب لما تاخر عنهم اليمن بلقائنا)^(٣) .

ولعل هذا الجواب الاخير هو أفضل الاجابات على سؤال لماذا لا يتدخل الامام في الامور العامة س للمسلمين ؟ ، والله أعلم .

ما هو دور الامام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى ؟

ذكرنا ان الامام المهدي المنتظر عليه السلام نصب نواباً اربعة^(٤) ، ومن خلالهم كان يتواصل مع قواعده الشعبية ، ولكن يبقى السؤال عن دور آخر للامام في شؤون الامة ، هل يتعامل معها أم لا ؟

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - الصفحة ٢٨٣

(٢) كمال الدين/ص ٢٠٧ . . . ينابيع المودة ج ١/ص ٧٥

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٣ - الصفحة ١٧٧

(٤) النواب الأربعة هم السفراء الذين مثلوا الواسطة بين الإمام المهدي (عج) وبين الشيعة إبان الغيبة الصغرى وكانوا من وجوه الطائفة وأصحاب الأئمة المعروفين والمعتمد عليهم ، وقد تسّموا النيابة الخاصة عن الإمام عليه السلام واحداً تلو الآخر ، وكانوا على اتصال مع سائر وكلاء الإمام في شتى بقاع العالم الاسلامي يحملون إليهم رسائله وتوصياته المعروفة في الوسط الشيعي بالتوقيعات . وهم عثمان بن سعيد العمري و محمد بن عثمان العمري و الحسين بن روح و علي بن محمد السمرري (المحقق)

هنالك مجموعة فروض واحتمالات علمية :

الفرض الأول : ان الامام ليس له دور فعلي وانما له دور مؤجل وطاقاته غير مسموح له بالحراك . وهذه هي نظرية (الدور المؤجل) ، لحين ظهوره فيملاً الارض قسطاً وعدلاً .

وهنا يكون حاله كحال عيسى بن مريم وتاجيل دوره ولحين نزوله من السماء بعد ظهور الامام المهدي عليه السلام فيكون مع المهدي عليه السلام ويصلي خلفه في المسجد الاقصى ويشترك في إقامة الدولة العالمية العادلة ، وهذه الفرضية تدفعها كل ادلتنا التي تخالف ذلك وتقول ان الامام المهدي عليه السلام وهو في زمن الغيبة ، له دور حاضرو ودور مؤجل كما سنشير الى تلك الادلة .

الفرض الثاني : ان امام الزمان له دور فعلي ولكن بحدود الطلب اي عندما يُسأل يجيب او عندما تدعوه يستجب دعاءك اي حالات الطلب والتوسل والدعاء فله دور ولكن بحدود الطلب .

وهذه الفرضية صحيحة ولكنها ناقصة فدوره عليه السلام ليس فقط لمن يتوسل به ، بل له دور اوسع من ذلك كما سنرى .

الفرض الثالث : دور امام زماننا اوسع واشمل فله (الدور الكلي) على كل الناس وكل المسلمين وكل الدين ولهذا يُسأل الإمام الصادق عليه السلام كيف ينتفع بالامام المهدي عليه السلام وهو غائب ؟

فيقول كما ينتفع بالشمس وان غطتها السحب .

وهذه الفرضية صحيحة ، فدور الامام عليه السلام عام لكل شيعته ولكل العالم الاسلامي كما قال عليه السلام : (لولا دعاؤنا لكم لاصطلمكم الأعداء)^(١) ، ولكن

هذا الدور هو أيضاً دور محدود ، فان الروايات الشريفة تؤكد ان الامام المهدي عليه السلام له دور اكبر من ذلك .

الفرض الرابع : (الدور الكوني) اي أن الامام عليه السلام له دور كوني على كل الحياة البشرية وكل الوجود الارضي فلولا صاحب العصر والزمان لساخت الارض باهلها ، كما دلت على ذلك العديد من الروايات . .

ولتوضيح ذلك نقول أن الكرة الارضية تبعد عن الشمس ١٥٠ مليون (كم) وهي تدور حول الشمس في السنة مرة وتدور بنفس المسارات دون تأخير او تقديم .

السؤال لماذا لا تبتعد الارض عن الشمس أو تقترب من الشمس وهي اذا ابتعدت بردت وماتت واذا اقتربت احترقت وماتت أيضاً ؟

ان فلسفة ذلك علمياً هو وجود قوة الجذب وقوة الطرد ، فالشمس تجذب الارض بحيث لا تستطيع الفرار من مسارها ولكن لا تقربها أيضاً لقانون الطرد حيث ان الارض تتحرك الحركة السريعة المستديرة هي عنصر طرد كالماء حينما تضعه في صحن مفتوح ثم يدور سريعاً فان الماء سيقفز خارج الصحن فتتعادل قوة الطرد والجذب فتبقى الارض ثابتة في نفس المكان .

هذا كله في المستوى المادي

ولكن الدين يطرح نظرية جديدة ، يقول : أن الحياة البشرية وثبات الكرة الارضية كلها قائمة بوجود الانسان الكامل الذي خلق الله من اجله كل البشرية بل كل الوجود ولولا الانسان الكامل لتفككت الارض وساخت بأهلها .

لذا نقرأ في زيارة الجامعة الكبيرة^(١) : (وبكم يُمسك السماء أن تقع على

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة واحدة من أهم الزيارات الخاصة بالأئمة المعصومين عليهم السلام وأكملها حيث لم تختص بإمام دون إمام فيمكن زيارة الجميع بهذه الزيارة مطلقاً سواء حضر الزائر في مراقدهم الشريفة أم أراد زيارتهم عن

الارض الا باذنه)

اي أن النظام الكوني قائم بأهل البيت عليهم السلام .

ونقرأ في أدعية شهر رجب قوله عليه السلام : (بكم يُجبر المهيض ويُشفى المريض وماتزداد الأرحام وماتغيض) .

ومعنى ذلك ان بقاء الحياة على الارض قائم ببركة الامام المعصوم عليه السلام وهو الانسان الكامل وخليفة الله في الارض .

هذا هو المصدر المعنوي للحياة وهو حجة الله على الارض نبياً كان أو وصياً .

هذه هي النظرية الرابعة وهي (الدور الكوني) للامام المنتظر عليه السلام وهو في عصر الغيبة وهي ماتؤكددها روايات عديدة في وجود عاملين لبقاء البشرية ، الاول مادي ، وهو القوانين الطبيعية ، والثاني معنوي وهو الرسول صلى الله عليه وآله ووصيه .

روايات الدور الكوني :

نقرأ عدداً من الروايات الشريفة الدالة على هذا الدور، وقد ذكر الشيخ الكليني في كتابه الكافي ثلاثة روايات منها فنذكرها :

الاولى : عن أبي حمزة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت .

الثانية : عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لا ، قلت : فانا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد ، فقال : لا ، لا تبقى إذن لساخت .

بعد . والزيارة مروية عن الإمام الهادي عليه السلام استجابة لطلب أحد الشيعة في زمانه . وهي متوفرة بمضامينها على معتقدات الشيعة في الإمامة ووظائف الأمة تجاه أهل بيت العصمة عليهم السلام . كذلك تتوفر الزيارة على دورة متسامية من مباحث معرفة الإمام بلغة فصيحة . (المحقق)

الثالثة : عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو أن الامام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها ، كما يموج البحر بأهله .

خلاصة هذا الفصل :

ماذا فعل الشيعة في زمن الغيبة الصغرى ؟

الشيعة انجزوا عدة اشياء عظيمة ولكن التاريخ لم يسلط عليهم الضوء .
فنحن في مدارسنا الحكومية ندرس التاريخ الاموي والعباسي وهو كذلك -
مع الاسف - الى اليوم اما التاريخ الاسلامي الاصيل المتمثل بحركة أهل البيت عليهم السلام
فقد تم تغييبه .

لقد ذكرنا عدة منجزات كبرى للشيعة على عهد الغيبة الصغرى :

المنجز الاول : أسسوا ثمان دول شيعية كبرى إسلامية .

١- دولة الادارسة في المغرب وعمرها ١٣٣ سنة

٢- الدولة العلوية في أمل وعمرها ٩٩ سنة

٣- الدولة الاخيضرية في اليمامة وعمرها ٦١٤ سنة^(١)

(١) اختلفت آراء الباحثين حول مدة حكم الأخيضرين باليمامة وحول علاقاتهم بالقرامطة . فالبعض يرى أن حكمهم انتهى على يد القرامطة في أول القرن الرابع الهجري ، في حدود عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، أي أن مدة حكمهم لم تتجاوز خمساً وستين سنة فقط . وقد اعتمد من قال بهذا الرأي على ما ورد في بعض المصادر من إشارة إلى أن القرامطة قضوا عليهم . وهناك من يرى من المؤرخين أنه يوجد استمرار لحكم الأخيضرين بالمنطقة بعد ذلك . وهم يرون أن حكمهم استمر حتى ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري . ومرت الدولة الأخيضرية بفترة التأسيس وقوة الدولة في أول عهدها قبل ظهور دولة القرامطة في إقليم البحرين المجاور . وقد كانت الخلافة العباسية تعيش حالة ضعف شديد لأسباب كثيرة ، منها تسلط الأتراك ، والنزاع بين المستعين والمعتز على الخلافة ، واندلاع كثير من الفتن والثورات في مناطق متعددة من بلاد الخلافة . ويُعدّ محمد الأخيضر أبرز حكام الفترة الأولى باعتباره المؤسس ، وكان عمره حين قدم إلى اليمامة في حدود ثلاث وأربعين سنة . وقد أشار ابن عتبة إلى أن محمداً أنجب اثني عشر ابناً ، أعقب منهم ثلاثة هم : يوسف وإبراهيم ومحمد (ابن محمد) . وقد خلفه

- ٤- دولة ال بويه في بغداد وعمرها ١٢٦ سنة
- ٥- الدولة الحمدانية في حلب وعمرها ٩٩ سنة
- ٦- الدولة الفاطمية في مصر وعمرها ٢٧١ سنة
- ٧- دولة ال زياد في اليمن وعمرها ٢٠٦ سنة
- ٨- الدولة الزيدية في طبرستان وعمرها ٦٦ سنة^(١)

في الحكم بعد وفاته ابنه يوسف . ويذكر ابن حزم أن يوسف أشرك ابنه إسماعيل معه في الحكم في حياته ؛ وبعد وفاته ، انفرد إسماعيل بالحكم . في تلك الأثناء ، كانت قد قامت دولة قرامطة البحرين على يد أبي سعيد الجنابي سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م . ودخل أبو سعيد الجنابي في مواجهة مع الأخيضريين في اليمامة ، وألحق بهم الهزيمة ، وقتل عدداً منهم ، وأسر آخرين . ذكر ياقوت الحموي نقلاً عن تاريخ ابن سيرين قوله : " وفيها - يعني سنة ٣١٠ هـ - انتقل أهل قرآن من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسماتهم ، وجذب أرضهم " . وهذا النص يفيد أن الأخيضريين كان لهم نفوذ وسلطة باليمامة في ذلك التاريخ . وعادت العلاقة جيدة فيما بعد بين القرامطة والأخيضريين فقد ذكر المسعودي ، أن أبي طاهر القرمطي عندما هاجم مدينة الكوفة في أواخر سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٦ هـ ، ثم قرر الانسحاب منها والعودة إلى مركزه في الأحساء ، سلمها إلى إسماعيل بن يوسف بن محمد الأخيضر . ولكن علاقة الأخيضريين بالقرامطة ما لبثت أن تحولت عداوة بعد سنوات قليلة . فقد ذكر ابن عتبة أن معركة حامية الوطيس دارت بين الأخيضريين والقرامطة سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، قُتل فيها إسماعيل بن يوسف بن محمد بن محمد بن يوسف ، وثلاثة من إخوته هم : إبراهيم ، وإدريس الأكبر ، والحسين ؛ كما قُتل فيها أيضاً عمه أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف ، ولا يعرف عن كيفية زوال ملك بني الأخيضر سوى أنه زال في أواسط القرن الخامس الهجري على يد القرامطة القادمين من الأحساء على الأرجح . (المحقق)

(١) وقد أسس بعض الثائرين على منهج زيد الثائر دولة زيدية في طبرستان ، وهم بين داع وإمام ، أو بين إمام جهاد ، وإمام اجتهاد ، نعم هنا مشكلة وهو اجتماع إمامين في عصر واحد وإن كانا في قطرين ، وسيوافيك أن الناصر الأطروش من أئمة الزيدية في طبرستان كان معاصراً مع الإمام الهادي يحيى بن الحسين الذي توفي ٢٩٨ هـ ، منهم : الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ٢٧٠ هـ) . قال المسعودي : وفي خلافة المستعين وذلك في سنة ٢٥٠ هـ ، ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل ، بن الحسن ، بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد وما زالت في يده إلى أن مات سنة سبعين و مائتين (المسعودي : مروج الذهب : ٤ ، ٦٨) . (المحقق)

(١) للمزيد من التفصيل راجع كتاب الشيعة في الميزان / محمد جواد مغنية ، وتاريخ الشيعة / محمد حسين المظفر ، وتاريخ الامم الاسلامية / محمد الحصري بك

وجميع هذه الدول كانت في عهد الغيبة الصغرى للامام المهدي عليه السلام ، ثم سقطت بعد عمر قصير أو طويل كما سبق .

المنجز الثاني : من خلال هذه الثورات ادام الشيعة روح الدفاع عن الاسلام في الامة ومراقبة الحاكم ومدى التزامه بقيم السماء ، وظل هذا المنجز قائم الى عصرنا هذا .

المنجز الثالث : المحافظة على الفكر الاسلامي الاصيل من خلال منجزات الفقهاء الشيعة وفلاسفتهم .

الخاتمة :

الى هنا نكون قد أكملنا الحديث عن دور الشيعة في عهد رسول الله ﷺ ،
ثم ما بعده من عهد الائمة الاطهار عليهم السلام والى حين الغيبة الكبرى - عام ٢٦٠ للهجرة
- للامام الثاني عشر المهدي الموعود المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف .
ونسأله تعالى أن يوفقنا ويعيننا على اكمال هذه البحوث عن دور الشيعة في
مرحلة الغيبة الكبرى والى عصرنا هذا ، والله المستعان ، ونسأله تعالى العفو
والقبول والغفران .

مصادر التحقيق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - نهج البلاغة : مجموعة خطب الإمام عليّ عليه السلام / إعداد الشريف الرضي .
- ٣ - بحار الأنوار : محمّد باقر المجلسي .
- ٤ - الأمالي : الشيخ الصدوق .
- ٥ - الشيعة في الميزان : محمّد جواد مغنية .
- ٦ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : السيوطي .
- ٧ - الكامل في التاريخ : ابن الأثير .
- ٨ - الرجال : الشيخ الطوسي .
- ٩ - معجم رجال الحديث : أبو القاسم الخوئي .
- ١٠ - المحاسن : أحمد بن محمّد بن خالد البرقي .
- ١١ - بصائر الدرجات : محمّد بن الحسن بن فروخ الصفّار .
- ١٢ - ينابيع المودة : الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي .
- ١٣ - نهج الحقّ وكشف الصدق : جمال الدين الحلّي .
- ١٤ - صحيح البخاري : محمّد بن إسماعيل البخاري .
- ١٥ - صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري .
- ١٦ - جامع البيان : محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي .
- ١٧ - التفسير الأصمى : الفيض الكاشاني .

- ١٨ - كنز جمع الفوائد : يونس المالكي .
- ١٩ - تاريخ ابن عساكر: أبو القاسم عليُّ بن الحسن بن هبة الله بن عساكر
الدمشقي .
- ٢٠ - الأمالي : الشيخ الطوسي .
- ٢١ - سنن ابن ماجة : ابن ماجة القزويني .
- ٢٢ - النضُّ والاجتهاد : شرف الدين .
- ٢٣ - تاريخ الطبري : محمَّد بن جرير الطبري .
- ٢٤ - أنساب الأشراف : أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري .
- ٢٥ - مجمع الزوائد : نور الدين عليُّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي .
- ٢٦ - مسند أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل .
- ٢٧ - المعجم الكبير: الطبراني .
- ٢٨ - ديوان دعل : الدكتور عبد الكريم الأشتر .
- ٢٩ - تفسير المعاني : الألوسي .
- ٣٠ - الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي .
- ٣١ - كنز العمال : المتقي الهندي .
- ٣٢ - منع تدوين الحديث : السيّد عليُّ الشهرستاني .
- ٣٣ - تفسير القمّي : عليُّ بن إبراهيم القمّي .
- ٣٤ - السيرة النبويّة : ابن هشام .
- ٣٥ - السنن الكبرى : النسائي .
- ٣٦ - سفينة البحار: الشيخ عبّاس القمّي .
- ٣٧ - كشف الخفاء : العجلوني .
- ٣٨ - مسند أبي يعلى : أبو يعلى .
- ٣٩ - كشف الغمّة : أبو الحسن عليُّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي .
- ٤٠ - البداية والنهاية : ابن كثير .
- ٤١ - تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي .

- ٤٢ - المرتضى من سيرة المرتضى : السيّد جعفر مرتضى العاملي .
- ٤٣ - الفصول المهمّة : ابن الصّبّاغ المالكي .
- ٤٤ - أعيان الشيعة : السيّد محسن الأمين .
- ٤٥ - موسوعة الإمام أمير المؤمنين : الشيخ باقر القرشي .
- ٤٦ - تذكره الحفاظ : الذهبي .
- ٤٧ - وسائل الشيعة : الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي .
- ٤٨ - المستدرّك : الحاكم النيسابوري .